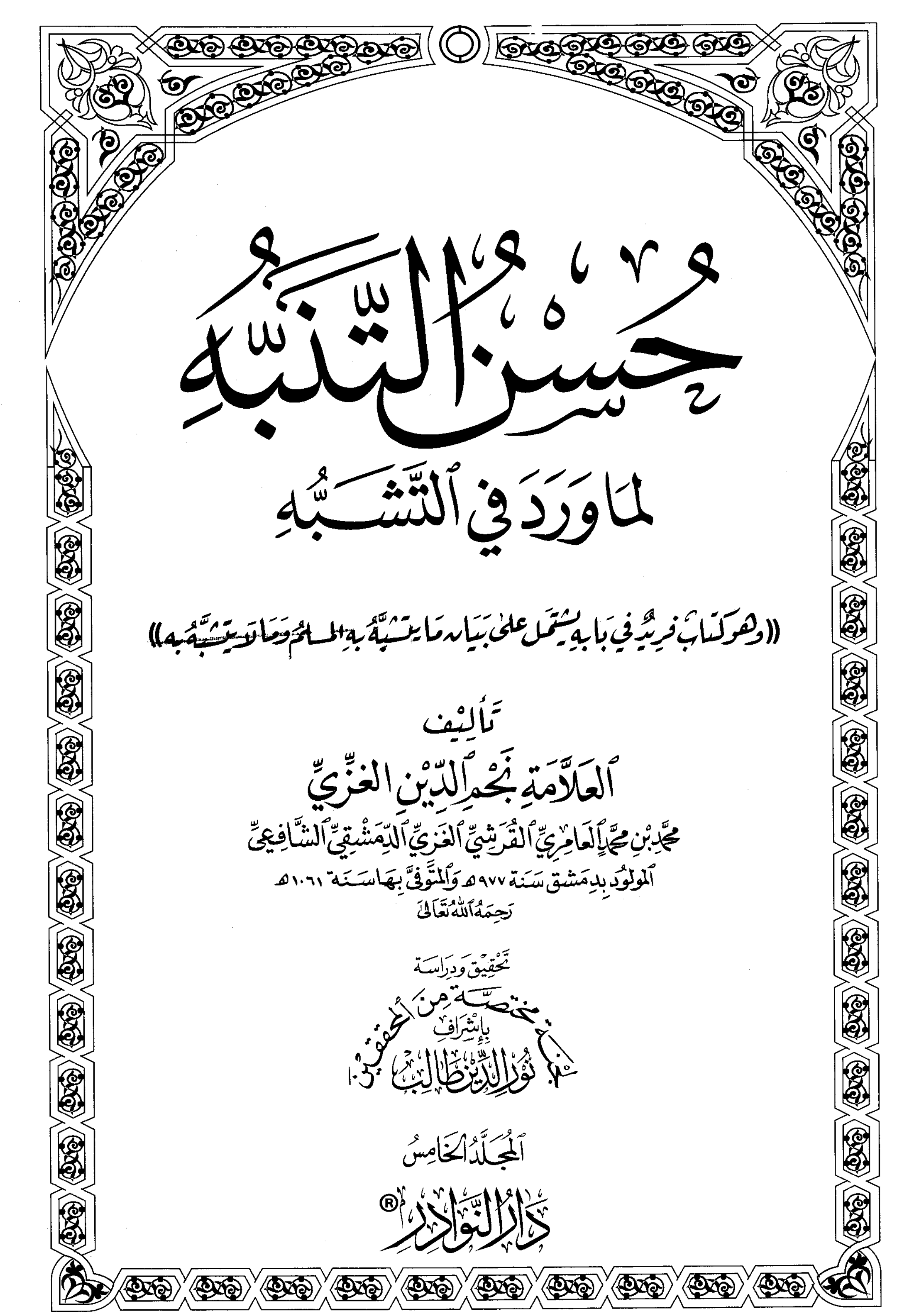


حسن التنبه لما ورد في التشبه

((وهو كتاب فريد في بابه يشتمل على بيان ما يتشبه به المسلم وما لا يتشبه به))

تأليف

العلامة نجم الدين الغزي

محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الدمشقي الشافعي

المولود بدمشق سنة ٩٧٧هـ والمتوفى بها سنة ١٠٦١هـ

رحمه الله تعالى

تحقيق ودراسة

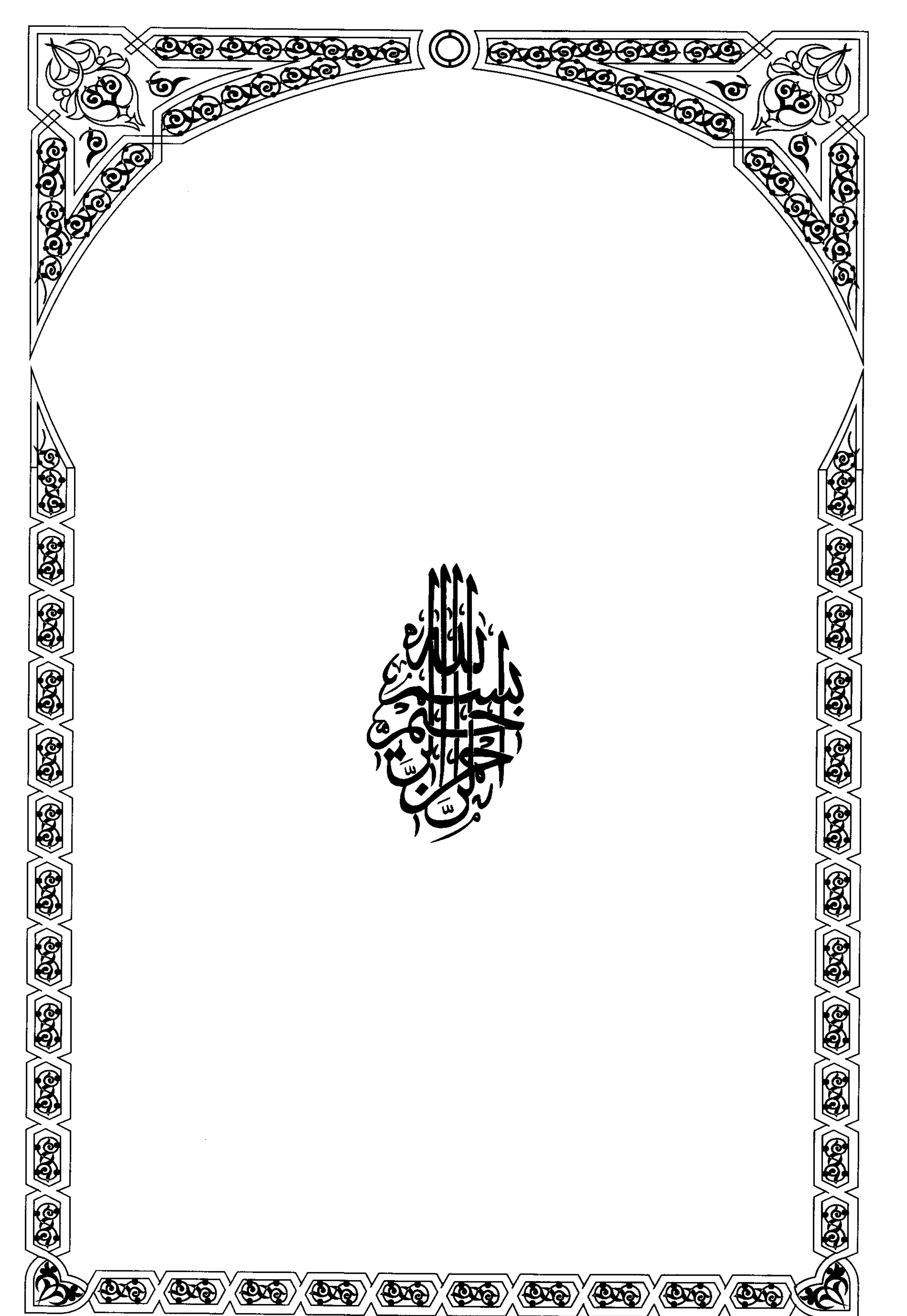
لجنة مختصة من المحققين

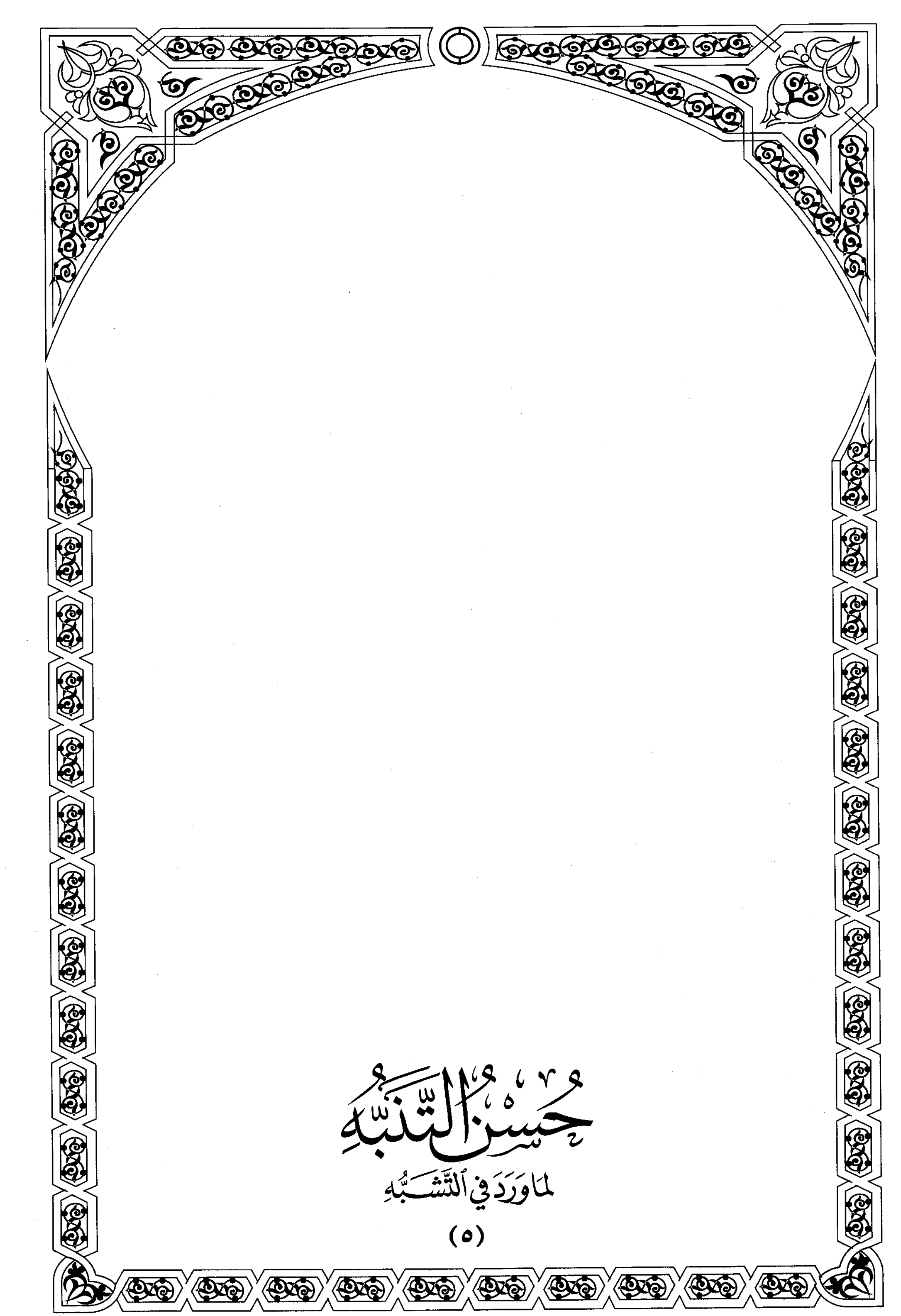
بإشراف

نور الدين طالب

المجلد الخامس

دار النوادر ®

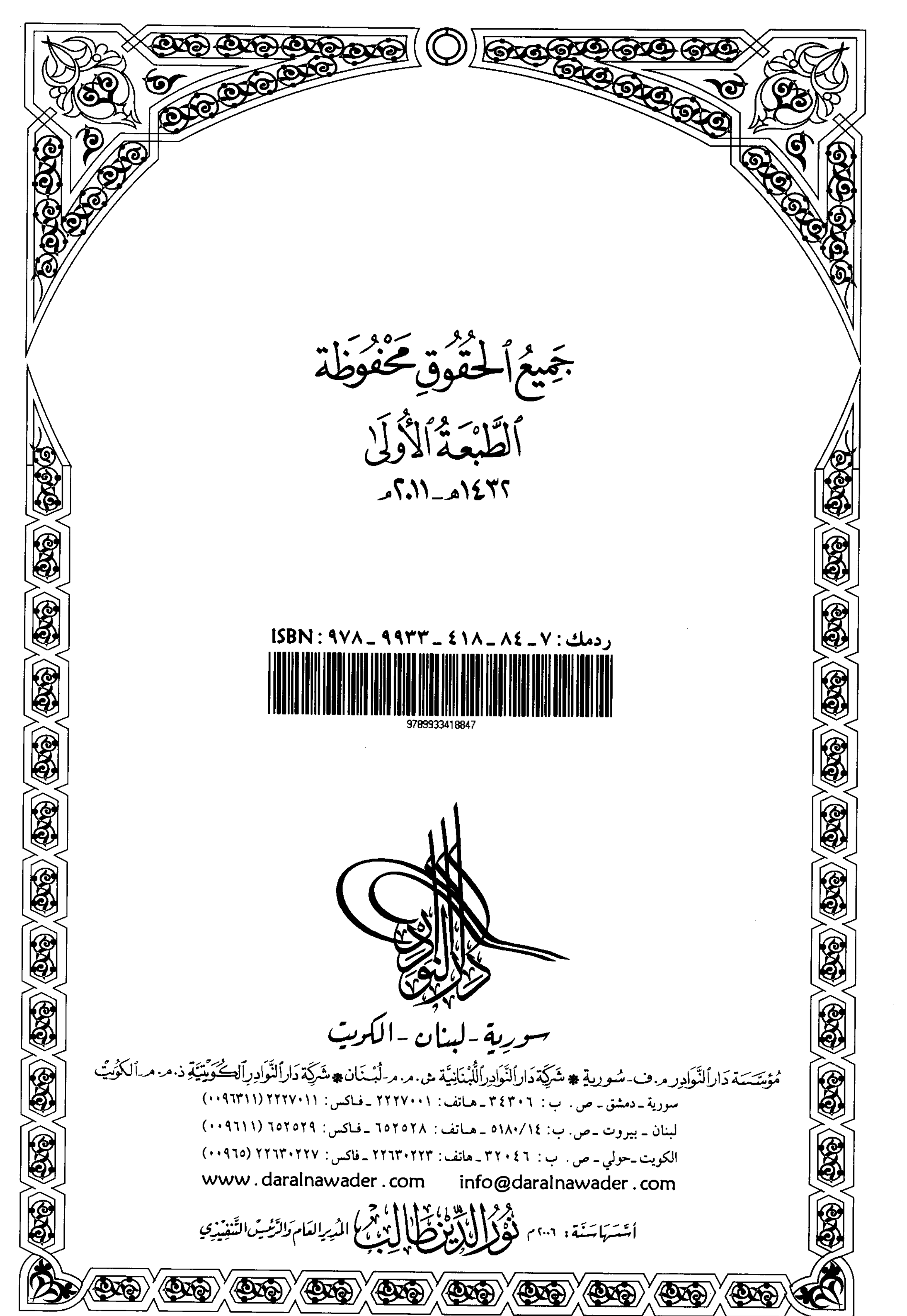

بسم الله الرحمن الرحيم



حُسْنُ التَّنَبُّهِ

لِمَا وَرَدَ فِي التَّشَبُّهِ

(٥)

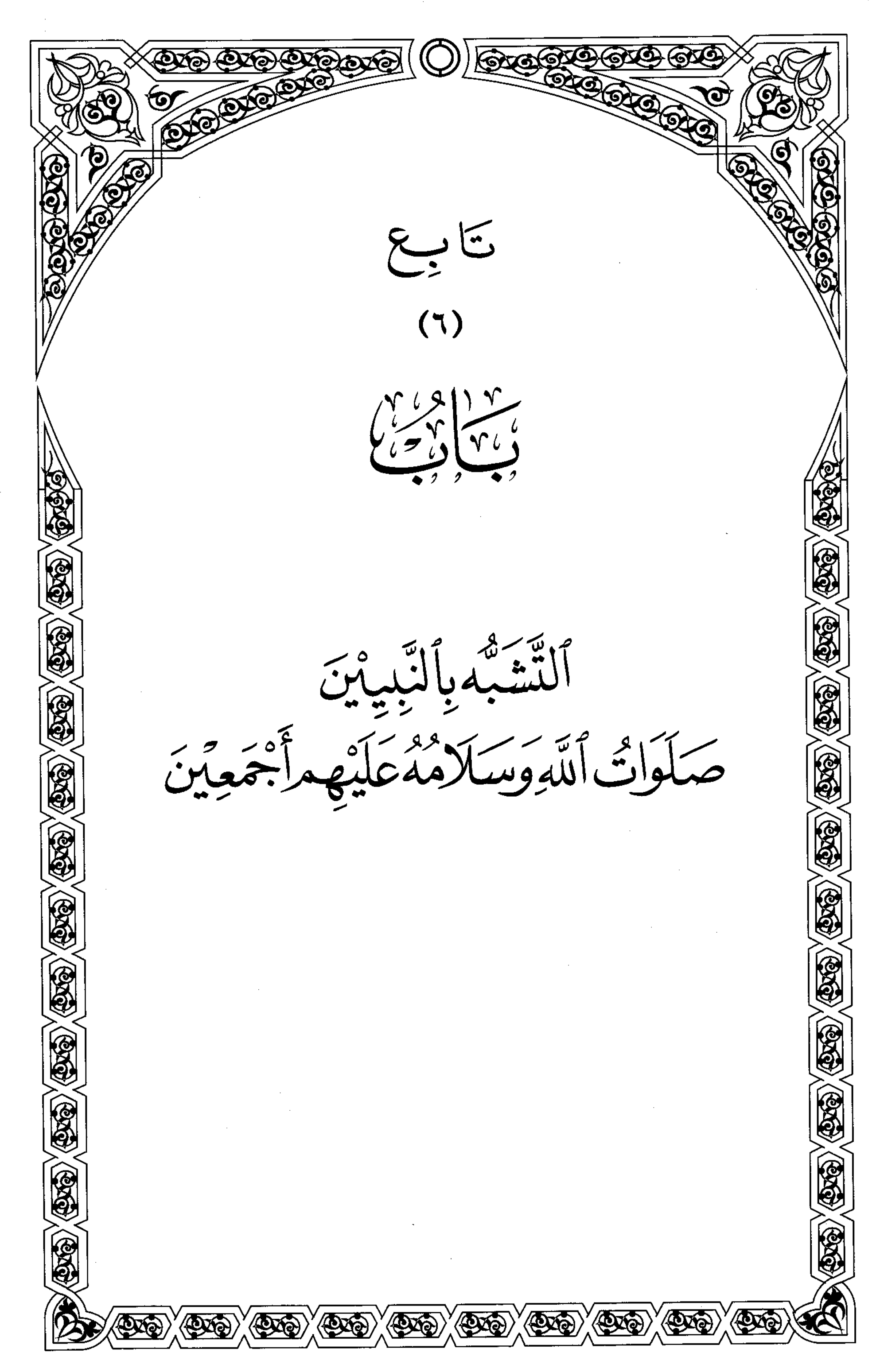


الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك : ٧ - ٨٤ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ : ISBN
9789933418847

دار النوادر
سورية - لبنان - الكويت
مُؤَسَّسَة دَار النَّوَادِر م. ف - سُورِيَة * شَرِكَة دَار النَّوَادِر اللُّبْنَانِيَّة ش. م. م - لُبْنَان * شَرِكَة دَار النَّوَادِر الكُوَيْتِيَّة ذ. م. م - الكُوَيْت
سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
لبنان - بيروت - ص. ب: ٥١٨٠/١٤ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)
الكويت - حولي - ص. ب: ٣٢٠٤٦ - هاتف: ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس: ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)
www.daralnawader.com info@daralnawader.com

أَسَّسَهَا سَنَة: ٢٠٠٦م نُور الدِّين طَالِب المُدِير العَام وَالرَّئِيس التَّنْفِيذِي

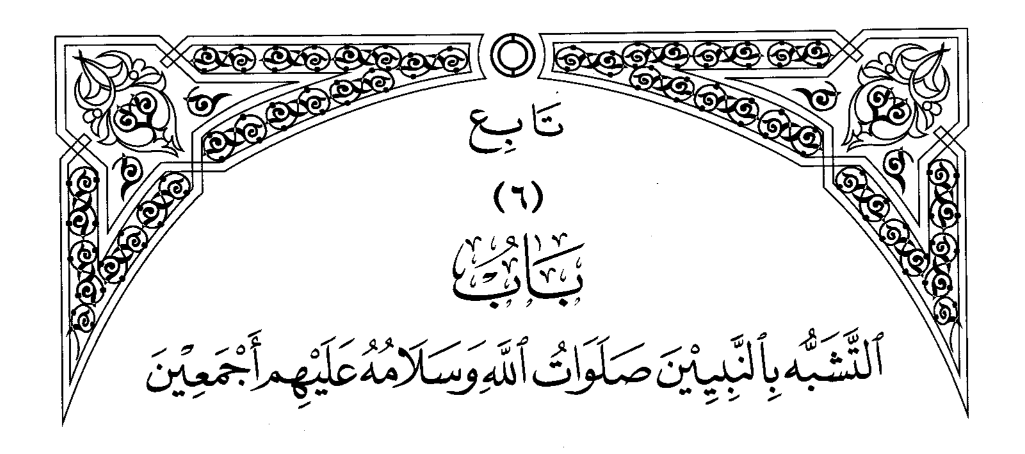


تابع

(٦)

باب

التشبه بالنبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين



٣٥ ـ ومنها: التواضع.

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان الأنبياء عليهم السلام يحلبون الشاء، ويركبون الحمر، ويلبسون الصوف[١].

وأخرجه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولفظه: «كَانَتِ الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلامُ يَسْتَحِبُّوْنَ أَنْ يَلْبَسُوْا الصُّوْفَ، وَيَحْلِبُوْا الغَنَمَ، وَيَرْكَبُوْا الْحَمِيْرَ»[٢]؛ يعني: إيثاراً للتواضع وهضم النفس.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» ـ أيضاً ـ عن يزيد بن ميسرة رحمه الله تعالى قال: كان عيسى بن مريم عليهما السلام يقول: ما لي لا أرى فيكم أفضل العبادة؟ قالوا: وما أفضل العبادة يا روح الله؟ قال: التواضع لله عز وجل[٣].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٤).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٣٨٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٦).

وروى ابنه في «زوائده» عن أبي كعب الأزدي رحمه الله قال: قال عيسى عليه السلام للحواريين: إني أريد أن أوضئكم، قالوا: يا روح الله! أنت توضئنا؟ قال: نعم، فوضأهم من عند آخرهم، قال: ثم قال: أتدرون لم فعلت هذا بكم؟ ستُتَّخَذُون بعدي رؤوساً، فإذا اتُّخِذْتم رؤوساً فكونوا أذناباً؛ تواضعوا.

وروى أبوه، عن أبي السليل رحمه الله قال: كان داود النبي عليه السلام يدخل المسجد فينظر أغمض حلقة من بني إسرائيل فيجلس إليهم، ثم يقول: مسكين بين ظهراني مساكين[1].

وروى الترمذي عن ابن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «كَانَ عَلَى مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَوْمَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ كِسَاءُ صُوْفٍ وَجُبَّةُ صُوْفٍ [وكمة[2] صوف] وَسَرَاوِيْلُ صوفٍ، وَكَانَتْ نَعْلاَهُ مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ مَيِّتٍ»[3].

٣٦ ـ ومنها: أكل الحلال، وتجنب الحرام في المآكل والمشارب، والملابس، وسائر الأمور.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٣).

(٢) قال الترمذي: الكمة: القلنسوة الصغيرة.

(٣) رواه الترمذي (١٧٣٤) وقال في «العلل» (٢٨٥): سألت محمداً عن هذا الحديث، فقال: حميد بن علي الأعرج الكوفي منكر الحديث.

روى الإمام أحمد في «الزهد» وغيره، وصححه الحاكم، عن أم عبدالله أخت شداد بن أوس رضي الله عنها وعن أخيها: أنها بعثت إلى النبي ﷺ بقدح لبن عند فطره وهو صائم، فردَّ إليها رسولها: «أَنَّى لَكِ هَذا اللَّبَنُ؟» قالت: من شاةٍ لي، فردَّ إليها رسولها: «أَنَّى لَكِ الشَّاةُ؟» فقالت: اشتريتها من مالي، فشرب منه، فلما كان الغد أتته أم عبدالله فقالت: يا رسول الله! بعثت إليك بلبن، فرددت إليَّ الرسول فقال لها: «بِذَلِكَ أُمِرَتِ الرُّسُلُ [قبلي] أَنْ لاَ تَأْكُلَ إلاَّ طَيِّباً، وَلاَ تَعْمَلَ إلاَّ صَالِحاً».

والطيب هو الحلال على أرجح الأقوال.

وبه فسر سعيد بن جبير الطيبات في الآية كما رواه ابن أبي حاتم، وروي عن غيره أيضاً[1].

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم عن أبي ميسرة عمرو بن شُرَحْبِيل رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾[المؤمنون: ٥١] قال: كان عيسى بن مريم عليهما السلام يأكل من غزل أمه[2].

وروى البيهقي عن ثابت رضي الله قال: أمسى داود عليه السلام

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٥/ ١٥٨٣).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٨/ ٢٨). وكذا رواه ابن أبي الدنيا في «العيال» (٢/ ٥٨١).

صائماً، فلما كان عند إفطاره أتى بشربة لبن، فقال: من أين لكم هذا اللبن؟ قالوا: من شاتنا، قال: ومن أين ثمنها؟ قالوا: يا نبي الله! من أين تسأل؟ قال: إنَّا معاشرَ الرسل أُمرنا أن نأكل طيباً ونعمل صالحاً[1].

وفي «صحيح مسلم»، و«مسند الإمام أحمد»، و«جامع الترمذي» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ وَلاَ يَقْبَلُ إِلاَّ الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِيْنَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِيْنَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾[المؤمنون: ٥١] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيْلُ السَّفَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَىْ السَّمَاءِ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ[2]، مَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ؛ فَأَنَّىْ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ»[3].

٣٧ ـ ومنها: الاهتمام بأمور الآخرة، والتفرغ عن أمور الدنيا إلا ما لا بُدَّ منه.

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾[ص: ٤٥ ـ ٤٦].

روى ابن أبي الدنيا في «كتاب الحزن» عن قتادة رحمه الله في

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٧٦٩).

(٢) في مصادر التخريج: قوله: «أشعث أغبر» جاء بعد قوله: «يطيل السفر».

(٣) رواه مسلم (١٠١٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٨)، والترمذي (٢٩٨٩).

قوله: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ﴾[صٓ: ٤٦]؛ قال: بِهَمِّ الآخرة[١].

وروى ابن جرير عن مجاهد رحمه الله تعالى قال في الآية: بذكر الآخرة ليس لهم همٌّ ولا ذكرٌ غيرها[٢].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «النية والإخلاص» عن بعض الحكماء قال: ما رأيت عاقلاً قط إلا والآخرة أكثر همه[٣].

وروى هو في كتاب «الحزن»، وابن ماجه عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَعْظَمُ النَّاسُ هَمّاً الْمُؤْمِنُ؛ يَهْتَمُّ بِأَمْرِ دُنْيَاهُ وَأَمْرِ آخِرَتِهِ»[٤].

وروى ابن أبي الدنيا عن الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى قال: ما أجد في الدنيا أشدَّ همّاً من المؤمن؛ شارك أهل الدنيا في همِّ المعاش، وتفرَّد بهمِّ آخرته[٥].

وروى الترمذي عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِيْ قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٤٧).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٢٣/ ١٧١).

(٣) وذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٤/ ٤٥١) عن الحسن، ولفظه: ما رأيت عاقلاً قط إلا أصبته من الموت حَذِراً وعليه حزيناً.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٧٥)، وابن ماجه (٢١٤٣). وفيه يزيد بن أبان الرقاشي، وهو ضعيف.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٧٥).

رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ»[1].

وروي نحوه عن زيد بن ثابت، وأبي الدرداء رضي الله عنهما[2].

وروى ابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت نبيكم ﷺ يقول: «مَنْ جَعَلَ الْهُمُوْمَ هَمّاً وَاحِداً ـ هَمَّ الْمَعَادِ ـ كَفَاهُ اللهُ تَعَالَى هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُوْمُ [في] أَحْوَالَ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللهُ فِيْ أَيِّ أَوْدِيَتِهِ[3] هَلَكَ»[4].

وفي المعنى قيل: [من مجزوء الخفيف]

لَذَّ قَوْمٌ فَأَسْرَفُوا	وَرِجَالٌ تَخَوَّفُوا[5]
جَعَلُوا الْهَمَّ واحِداً	وَمَضَوْا مَا تَخَلَّفُوا
يَا لِفِتْيَانِ جَنَّةٍ[6]	آثَرُوْهَا فَأَسْعَفُوا[7]

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٥).

(٢) انظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (١٠/ ٢٤٧).

(٣) في «مسند البزار»: «أوديتها» بدل «أوديته».

(٤) رواه ابن ماجه (٤١٠٦)، وكذا رواه البزار في «المسند» (١٦٣٨). قال أبو حاتم: هذا حديث منكر، ونهشل بن سعيد متروك الحديث. انظر: «علل الحديث» لابن أبي حاتم (٢/ ١٢٢). لكن للحديث شواهد قد يتقوى بها.

(٥) في «حلية الأولياء»: «تقشفوا» بدل «تخوفوا».

(٦) في «حلية الأولياء»: «طالبين» بدل «يا لفتيان».

(٧) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٨٤) من قول ذي النون.

وروى ابن أبي شيبة عن إسماعيل بن أبي خالد رحمه الله قال: حدثني رجل قبل الجماجم من أهل المساجد قال: أخبرت أنَّ عيسى عليه السلام كان يقول: اللهم أصبحت لا أملك لنفسي ما أرجو، ولا أستطيع عنها دفع ما أكره، وأصبح الخير بيد غيري، وأصبحت مرتهناً بما كسبت، فلا فقير أفقر مني، فلا تجعل مصيبتي في ديني، ولا تجعل الدنيا أكبر همي، ولا تُسلِّط عليَّ من لا يرحمني[1].

وروى الترمذي، والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلَّ ما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُوْلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيْكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، ومِنَ اليَقِيْنِ مَا تُهَوِّنُ عَلَيْنَا مُصِيْبَاتِ الدُّنْيا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنا، وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَىْ مَنْ عَادَانَا، وَلاَ تَجْعَلِ الُّدنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا ولا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلاَ تُسَلِّطَ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا»[2].

٣٨ ـ ومنها: الرجاء والطمع في رحمة الله تعالى.

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[الشعراء: ٨٢]

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٣٨٥).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٠٢) واللفظ له، وحسنه، والحاكم في «المستدرك» (١٩٣٤).

وقال حكاية عن زكريا ويحيى وأمهما، أو عن الأنبياء المذكورين في سورة الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وروى ابن أبي شيبة والمفسرون والحاكم وصححه، وأبو نعيم في «الحلية» والبيهقي في «الشعب» عن عبدالله بن عكيم قال: خطبنا أبو بكر رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد: فإني أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، فإن الله أثنى على زكريا وعلى أهل بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠][1].

٣٩ ـ ومنها: الخوف والخشية، والهيبة والحياء:

قال الله تعالى بعد أن ذكر موسى، وهارون، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ولوطاً، ونوحاً، وداود، وسليمان، وأيوب، وإسماعيل، وإدريس، وذا الكفل، وذا النون، وزكريا، ويحيى عليهم السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وروى ابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٣١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٤٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٩٤).

«كانَ النَّاسُ يَعُوْدُوْنَ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَيَظُنُّوْنَ أَنَّ بِهِ مَرَضاً، وَما بِهِ إِلاَّ شِدَّةُ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ تَعالَىْ»[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن سفيان بن عيينة قال: كان عيسى عليه السلام إذا ذكرت عنده الساعة يصيح كما تصيح المرأة[2].

وعن الشعبي قال: كان عيسى عليه السلام إذا ذُكرت عنده الساعة صاح، وقال: لا ينبغي لابن مريم أن تذكر عنده الساعة فيسكت[3].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الخوف» عن أبي عمر الضرير قال: بلغني أن عيسى عليه السلام كان إذا ذكر الموت يقطر جلده دماً[4].

وعن خالد بن دركل رحمه الله قال: لقي داود لقمان عليهما السلام فقال داود: كيف أصبحت يا لقمان؟ قال: أصبحت في يد غيري، ففكر فيها داود فصعق.

وروى أبو نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «كانَ النَّاسُ يَعُوْدُوْنَ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ يَظُنُّوْنَ بِهِ مَرَضاً، وَما بِهِ شَيْءٌ إِلاَّ الْخَوْفُ مِنَ اللهِ وَالْحَياءُ»[5].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ٢٣) وقال: غريب جداً، ومحمد ابن عبد الرحمن هذا هو ابن غزوان بن أبي قراد الضبي ضعيف.

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٨)، وكذا ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٤٤).

(٤) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٤٦٩).

(٥) رواه عنه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١٣٧). وقد تقدم قريباً لكنه عزاه هناك إلى ابن عساكر.

والمروي عن الأنبياء عليهم السلام في ذلك كثير، وإنما كان هذا حالهم وهم معصومون؛ زيادةً في شرف مقامهم، وتوفيراً لحظهم من الرضا والسرور والخير في دار البقاء، وتشريعاً للأمم، وتنبيهاً لمن اقترف الكبائر ليخاف مما اجترم.

وقد قيل: [من مجزوء الكامل]

الْخَـــوْفُ أَوْلَـــىٰ بِالْمُـــسِيْ ... ءِ إذا تَأَلَّـــــهَ وَالْحَـــــزَنْ
وَالْحُـــبُّ يجمـــلُ بـــالتَّقي ... وَبِـــالنَّقِيِّ مِـــنَ الـــدَّرَنْ[1]

فينبغي التشبه بالأنبياء الكرام عليهم السلام في الخوف والخشية للملك العلام، ومن خاف طار منامه، وطال في طاعة الله مقامه، وقلَّ فيما لا يعنيه كلامه.

ولقد أحسن ابن المبارك في قوله ـ وقد ذكر الْعُبَّاد ـ كما رواه ابن أبي الدنيا وغيره: [من الطويل]

ومـــا فُرْشُـــهُمْ إلا أَيَـــامِنُ أُزْرِهِـــمْ ... ومـــا وُسْـــدُهُمْ إلا مـــلاءٌ وَأَذْرُعُ
ومـــا لَـــيْلُهم فِـــيْهِنَّ إلا تَحَـــزُّنٌ ... ومـــا نـــوْمُهم إلا غِـــشَاشٌ مُـــرَوَّعُ

---

(١) البيتان لعبد العزيز بن عبدالله، كما في «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١٠/ ٧٩).

وَأَلْـــوانُهم صُـــفْرٌ كَـــأَنَّ وُجُـــوْهَهم
عليْهـــا جـــسادٌ عُـــلَّ بِـــالْوَرْسِ مُـــشْبَعُ
نَواحِـــلُ قَـــدْ أَزْرَى لَهـــا الجَهْـــدُ وَالـــسُّرى
إِلَـــى اللهِ فِـــي الظَّلْمـــاء وَالنـــاسُ هُجَّـــعُ
وَيَبْكُـــوْنَ أَحْيانـــاً كَـــأَنَّ عَجِـــيْجَهُم
إِذا نَـــوَّمَ النـــاسَ الْحَنِـــيْنُ الْمُرَجَّـــعُ
وَمَجْلِـــسُ ذِكْـــرٍ فِـــيْهِمُ قَـــدْ شَـــهِدْتُهُ
وَأَعْيُـــنُهُمْ مِـــنْ رَهْبَـــةِ اللهِ تَـــدْمَعُ[1]

٤٠ ـ ومنها: الخشوع، وخصوصاً في الصلاة والدعاء:

قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء: ٩٠]؛ أي: أذلاء كما قال قتادة، والضحاك.

وقال علي رضي الله عنه: الخشوع في القلب. رواه الحاكم وغيره، وصححه[2].

قال في «القاموس»: الخشوع: الخضوع؛ كالاختشاع، والفعل: كمنع، أو قريب من الخضوع، أو هو في البدن، والخشوع في الصوت

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (ص: ٣٤٤).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٨٢)، وكذا رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٤٠٣).

والبصر، والسكون والتذلل.

ثم قال: خضع كمنع خضوعاً: تطامن، وتواضع كاختضع وسكن، انتهى[1].

وكل هذه المعاني جائزة هنا.

وروى الحكم الترمذي في «نوادره» عن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته، فقال: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا خَشَعَتْ جَوَارِحُهُ»[2].

وهذا الحديث فيه دليل على أنَّ الخشوع يكون في القلب ويكون في الجوارح، لكنه إنما ينشأ في الجوارح عن القلب، فليس التماوت من الخشوع في شيء.

وقال وهب بن منبه رحمه الله: قرأت في بعض الكتب المنزلة من السماء أنَّ الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام: «أتدري لم اتخذتك خليلاً؟» قال: «لا يا رب»، قال: «لذلِّ مقامك بين يدي في الصلاة»[3].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٩٢١) (مادة: خشع).

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ٢١٠). وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٠٥) وقال: والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» وفيه رجل لم يسم.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٥٩).

٤١ ـ ومنها: الاستعاذة من النار، والتأوُّه عند ذكرها أو التأوه مطلقاً.

روى عبدالله ابن الإمام أحمد في «الزهد»، والمفسرون، والبيهقي في «الشعب» عن كعب رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾[هود: ٧٥] قال: كان إذا ذكر النار قال: أَوَّه أَوَّه من النار[١].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن صفوان بن محرز رحمه الله قال: كان نبي الله داود عليه السلام إذا ذكر عذاب الله تخلعت أوصاله ما يمسكها إلا الأسر، فإذا ذكر رحمة الله رجعت[٢].

وعنه ـ أيضاً ـ قال: كان داود عليه السلام يقول: أوه من عذاب الله، أوه أوه من قبل أن لا ينفع أوه[٣].

وروى الطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «الشعب» عن أبي موسى رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَنْ دَخَلَ الْحَمَّامَ وَصُنِعَتْ لَهُ

---

(١) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ٧٨)، والطبري في «التفسير» (١١/ ٥١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩١٦).

(٢) كذا عزاه ابن القيم في «تحفة المولود» (ص: ٢٤٧) إلى الإمام أحمد عن صفوان بن محرز.
ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٥٨)، وهناد في «الزهد» (١/ ٢٣٦) عن ثابت.

(٣) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٥٧)، وابن السري في «الزهد» (١/ ٢٣٦).

النُّورَةُ[1] سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ، فَلَمَا دَخَلَهُ وَجَدَ حَرَّهُ وَغَمَّهُ فَقَالَ: أوه مِنْ عَذَابِ اللهِ، أوه قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُوْنُ أوه»[2].

وروى أبو الشيخ عن إبراهيم النخعي رحمه الله تعالى قال: كان إبراهيم عليه السلام يُسمَّى الأواه لرقته ورحمته[3].

وروى ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وغيرهم عن أبي العبيدين قال: سألت عبدالله بن مسعود ﷺ عن الأوَّاه فقال: هو الرحيم[4].

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس ﵄ قال: الأوَّاه: الموقن[5].

وروى ابن جرير عن عطاء، وعن الضحاك قالا: الأواه:

---

(١) النُّورَةُ: حجر الكلس، ثم غلبت على أخلاط تضاف إلى الكلس من زرنيخ وغيره، وتستعمل لإزالة الشعر، قيل: عربية وقيل: معربة. انظر: «المصباح المنير» للفيومي (٢/ ٦٣٠) (مادة: نور).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٦١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٧٧٨) وقال: تفرد به إسماعيل بن الأزدي، قال البخاري: لا يتابع عليه، وقال مرة: فيه نظر.

(٣) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٣٠٧) إلى أبي الشيخ بهذا اللفظ، ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٧٠) لكنه قال: «أبو بكر» بدل «إبراهيم».

(٤) رواه الطبري في «التفسير» (١١/ ٤٧)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨٩٦)، وكذا رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٠٢).

(٥) رواه الطبري في «التفسير» (١١/ ٤٩)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨٩٦).

الموقن بلسان الحبشة[1].

ورواه ابن أبي حاتم عن مجاهد[2]، ورويا عن مجاهد ـ أيضاً ـ قال: الأواه: الفقيه الموقن[3].

وروى ابن جرير، وأبو الشيخ عن عقبه بن عامر ﷺ قال: الأواه: المكثر ذكرَ الله[4].

وروى ابن مردويه عن جابر ﷺ: أنَّ رجلاً كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل: لو أنَّ هذا خفض صوته، فقال رسول الله ﷺ: «دَعْهُ فَإِنَّهُ أَوَّاهٌ»[5].

وروى هو وابن جرير، وابن أبي حاتم عن عبدالله بن شداد بن الهاد ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله! ما الأوَّاه؟ قال: «الْخَاشِعُ الْمُتَضَرِّعُ فِي الدُّعَاءِ»[6].

---

(1) رواه الطبري في «التفسير» (١١/ ٤٩) عن عطاء وعكرمة.

(2) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨٩٦).

(3) رواه الطبري في «التفسير» (١١/ ٤٩)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨٩٦).

(4) رواه الطبري في «التفسير» (١١/ ٥٠)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٣٠٧) لأبي الشيخ.

(5) ورواه الحاكم في «المستدرك» (١٣٦١).

(6) رواه الطبري في «التفسير» (١١/ ٥١)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨٩٦).

وروى أبو الشيخ عن زيد بن أسلم رحمهما الله تعالى قال: الأوَّاه: الدعاء المستكين إلى الله كهيئة المريض المتأوه من مرضه[1].

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: الأواه: المؤمن التواب[2].

وروى ابن أبي حاتم عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: الأوَّاه: الذي إذا ذَكَر خطاياه استغفر منها[3].

وعن الشعبي قال: الأوَّاه: المسبح[4].

ورواه ابن المنذر عن أبي ميسرة، وعن سعيد بن جبير[5].

وروى أبو الشيخ عن مجاهد قال: الأوَّاه: المنيب الفقير[6].

وروى البخاري في «تاريخه» عن الحسن رحمه الله قال: الأوَّاه: الذي قلبه معلق عند الله[7].

قلت: وجميع ما ذكر في الأوَّاه فإنَّه من أخلاق الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٣٠٥) لأبي الشيخ.

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١١/ ٥٠)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨٩٦).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨٩٦).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨٩٧).

(٥) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٣٠٦).

(٦) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٣٠٧).

(٧) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٣٢٦).

٤٢ ـ ومنها: البكاء من خشية الله تعالى، وأسفاً من الذنوب.

قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[مريم: ٥٨].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩].

والأنبياء أفاضل من أوتي العلم من قبلهم.

وفي هذه الآية والتي قبلها أنَّ من أعمال الأنبياء عليهم السلام السجود للتلاوة، وهو مخصوص في شريعتنا بآيات معروفة من القرآن العظيم.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الرقة والبكاء» عن الحسن رحمه الله تعالى قال: بكى آدم عليه السلام حين أُهبط من الجنة ثلاث مئة عام حتى جرت أودية بسرنديب من دموعه[1].

وروى ابن عساكر عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ بُكَاءَ دَاوُدَ وَبُكَاءَ جَمِيْعِ أَهْلِ الأَرْضِ يُعْدَلُ بِبُكَاءِ آدَمَ مَا عَدَلَهُ»[2].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الرقة والبكاء» (٣٠٧).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٤١٥)، وكذا رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٤٣). ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٥٣٥) موقوفاً. =

وروى الإمام أحمد، ومن طريقه ابن أبي الدنيا عن وهيب بن الورد رحمه الله تعالى قال: لمَّا عاتب الله نوحاً عليه السلام في ابنه، فأنـزل عليـه: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[هود: ٤٦] بكى ثلاث مئة عام حتى صار تحت عينيه أمثال الجداول من البكاء[١].

وروى ابن أبي الدنيا عن ابن سابط رحمه الله تعالى قال: لو عدل بكاء داود ببكاء أهل الأرض بعد آدم، لعدل بكاء داود عليه السلام ببكاء أهل الأرض[٢].

وعن ابن المبـارك، عـن الأوزاعي معضلاً رحمه الله تعالى قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَثَلَ عَيْنَيْ دَاوُدَ كَالقِرْبَتَيْنِ تَنْطِفَانِ مَاءً، وَلَقَدْ كَانَتِ الدُّمُوْعُ خَدَّدَتْ فِي وَجْهِهِ كَأُخْدُوْدِ الْمَاءِ فِيْ الأَرْضِ»[٣].

= ورواه البيهقي (٨٣٤) مرفوعاً، و(٨٣٥) موقوفاً وقال: قال أبو أحمد: لم يذكر فيه بريدة ولا النبي ﷺ، وهذه الرواية أصح، قال الإمام أحمد رحمه الله: وروينا عن أبي علي الحافظ النيسابوري أنه أنكره، وقال: الصحيح من حديث مسعر عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط قوله، ليس من كلام النبي ﷺ.
قلت: وهو الأثر الآتي قريباً من رواية ابن أبي الدنيا.

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٠)، وابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٣٢٩).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٣٣٤).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٣٣٧)، وكذا الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ١٨٣).

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كان يحيى بن زكريا عليهما السلام يبكي حتى بدت أضراسه، فقالت له أمه: لو أذنت لي يا بني حتى أعد لك قطعتين من لبود فأواري بهما أضراسك عن الناظرين، قال: أنت وذاك يا أمه، قال: فاتخذت له قطعتين من لبود فألصقتهما على خديه، وكان يبكي فتنتقع من الدموع، فتجيء أمه فتعصرهما، فتَسِيْل دموعه حتى تَبُلَّ ذراعها[1].

وعن وهيب بن الورد رحمه الله قال: كان يحيى بن زكريا عليهما السلام له خطان في خديه من البكاء، فقال له أبوه زكريا: إني إنمَّا سألت ولداً تقرُّ به عيني، فقال له: يا أبه! إنَّ جبريل عليه السلام أخبرني أنَّ بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلاَّ كلُّ بكَّاء[2].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن مجاهد رحمه الله قال: كان طعام يحيى بن زكريا عليهما السلام العشب، وإن كان ليبكي من خشيه الله تعالى ما لو كان القارُ على عينيه لحرقه، ولقد كانت الدموع اتخذت مجرىً في وجهه[3].

٤٣ ـ ومنها: الحزن.

قال الله تعالى في يعقوب عليه السلام: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٣٩٧).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٣٩٨)، وكذا رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٤٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٩٠).

﴿ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾[يوسف: ٨٤].

روى ابن أبي الدنيا في كتاب «الحزن» عن الحسن رحمه الله تعالى قال: كان بين خروج يوسف عليه السلام من عند يعقوب عليه السلام إلى أن رجع ثمانين سنة، فما فارق الحزن قلبه، وما زال يبكي حتى ذهب بصره، قال: والله إن كان على الأرض يومئذ [بشر] أكرم على الله من يعقوب[1].

وروى ابن جرير عنه، عن النبي ﷺ: أنه سُئِلَ ما بلغ وَجْدُ يعقوب على ابنه عليهما السلام؟ قال: وَجْدَ سَبْعِيْنَ ثَكْلَىْ، قيل: فما له من الأجر؟ قال: أَجْرُ مِئَةِ شَهِيْدٍ، وَمَا سَاءَ ظَنُّهُ بِاللهِ سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ وَلاَ نَهَارٍ[2].

وروى ابن المبارك، وعبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن قتادة في قوله: ﴿فَهُوَ كَظِيمٞ﴾[يوسف: ٨٤] قال: كظم الحزن، فلم يقل إلا خيراً.

وفي رواية: يردد حزنه في جوفه، ولم يتكلم بسوء[3].

وروى ابن أبي حاتم عن الأحنف بن قيس رحمه الله: أنَّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَالَ: يَا رَبِّ! إِنَّ بَنِيْ إِسْرَائِيلَ يَسْأَلُوْنَكَ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٣٠).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٣/ ٤٦).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١٥٩)، وعبد الرزاق في «التفسير» (٢/ ٣٢٧)، والطبري في «التفسير» (١٣/ ٤٠)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٧/ ٢١٨٧).

بِإِبْرَاهِيْم وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ فَاجْعَلْنِي لَهُمْ رَابِعاً، فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهِ أَنَّ إِبْرَاهِيْمَ أُلقِيَ فِيْ النَّارِ بِسَبَبِي فَصَبَرَ، وَتِلْكَ بَلِيَّةٌ لَمْ تَنَلْكَ، وَأَنَّ إِسْحَاقَ بَذَلَ مُهْجَةَ دَمِهِ فِيْ سَبَبِي فَصَبَرَ، وَتِلْكَ بَلِيَّةٌ لَمْ تَنَلْكَ، وَأَنَّ يَعْقُوْبَ أَخَذْتُ مِنْهُ حَبِيْبَهُ حَتَىٰ ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَصَبَرَ، وَتِلْكَ بَلِيَّةٌ لَمْ تَنَلْكَ»[1].

ومن هنا يُعلم أنَّ الحزن لا يكون فضيلة كاملة ورتبة عالية إلا إذا قُرِنَ بالصبر وبحسن الظن بالله تعالى، وعدم الضجر، وترك التكلم بما يُشعر بالجزع، والتبرم لقَضاء الله تعالى.

فأما إذا كان الحزن مقروناً بالجزع أو سوء الظن بالله تعالى، فإنه مذموم.

وعليه يحمل استعاذة رسول الله ﷺ من الهم والحزن، أو على الحزن على ما فات من الدنيا والهمِّ بأمورها ما عدا الهم بالمعيشة والعيال، فإنه ليس من هم الدنيا المذموم.

وإليه الاشارة بقوله ﷺ «إِنَّ مِنَ الذُّنُوْبِ ذُنُوْباً لاَ يُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ وَلاَ الْحَجُّ وَلاَ العُمْرَةُ؛ يُكَفِّرُهَا الْهُمُوْمُ فِيْ طَلَبِ الْمَعِيْشَةِ». رواه أبو

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٧/ ٢١٨٦). قال ابن كثير في «التفسير» (٢/ ٤٨٩): مرسل وفيه نكارة، فإن الصحيح أن إسماعيل هو الذبيح، ولكن علي بن زيد بن جدعان له مناكير وغرائب كثيرة، والله أعلم، وأقرب ما في هذا ـ أن ـ الأحنف بن قيس رحمه الله حكاه عن بعض بني إسرائيل ككعب ووهب ونحوهما، والله أعلم.

نعيم، وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه[1].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الحزن» عن مكحول قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن اغسل قلبك، قال: يا رب بأي شيء؟ قال: اغسله بالغم والهم.

وفي رواية: بالهم والحزن[2].

وعن صالح أبي شعيب رحمه الله قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم عليهما السلام: أكحل عينيك بمملول الحزن إذا ضحك البطالون[3].

والمملول: من مل السهم أو القوس في النار: أدخله فيها.

أو من مل الخبز: أدخله في الملة ـ بفتح الميم ـ وهو الرماد الحار.

أي: أكحل عينيك بالحزن ولو كان حاراً كالميل المحمَّى بالنار أو بالملة.

وروى ابن أبي الدنيا ـ أيضاً ـ عن فتح الموصلي رحمه الله تعالى

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٣٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٤/ ٢٠٠)، وكذا الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٠٢). قال الحافظ في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٥٩): إسناده إلى يحيى واهي.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٨٤).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٨٤).

قال: قال آدم عليه السلام: كنا نسلاً من نسل الجنة فسبانا إبليس بالمعصية إلى الدنيا، فليس لنا فيها إلا الهم والحزن حتى نرد إلى الدار التي خرجنا منها[1].

وقال: حدثني عمر بن بكير النحري عن شيخ من قريش قال: كان إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام لا يرفع طرفه إلى السماء إلا اختلاساً، ويقول: اللهم نعِّم عيشي في الدنيا بطول الحزن فيها[2].

وروى هو والطبراني، والحاكم في «المستدرك» عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِيْنٍ»[3].

٤٤ ـ ومنها: الرجاء والطمع في رحمة الله، والرغبة فيما عنده[4].

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[الأنبياء: ٩٠].

قال ابن زيد رحمه الله: أي: طمعاً وخوفاً، وليس ينبغي لأحدهما

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٣٠).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٧٦).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٢٨)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٤٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٨٤) وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: مع ضعف أبي بكر ـ بن أبي مريم ـ منقطع.

(٤) كرّر المصنف ـ رحمه الله ـ ما كان ذكره برقم (٣٨) حيث قال هناك: ومنها الرجاء والطمع في رحمة الله تعالى، ثم ذكر هناك بعضاً مما سرده هنا.

أن يفارق الآخر. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم[1].

ورويا عن ابن جريج رحمه الله تعالى: أنه قال في الآية: رغبةً في رحمه الله، ورهبةً من عذاب الله[2].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد عن ثابت البناني رحمه الله تعالى قال: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه كانا سواء.

وروى نحوه عن مطرف وغيره[3].

وروى ابن أبي شيبة، والحاكم وصححه، وأبو نعيم، والبيهقي عن عبدالله بن عكيم رحمه الله قال: خطبنا أبو بكر ﷺ فقال: أما بعد! فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو أهل، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة؛ فإنَّ الله تعالى أثنى على زكريا وعلى أهل بيته عليهم السلام فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء: ٩٠].

ثم اعلموا عباد الله أنَّ الله تعالى قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقكم، واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه، ولا يُطفأ نوره، فصدقوا بقوله، وانتصحوا كتابه، واستبصروا فيه ليوم الظلمة؛ فإنما خلقكم للعبادة،

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١٧/ ٨٤)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٢٩٧٦).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٧/ ٨٤).

(٣) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ٢٣٩) عن ثابت عن مطرف، وكذا أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٠٨).

ووكل بكم الكرام الكاتبين، يعلمون ما تفعلون.

ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجلٍ قد غُيبَ عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عملٍ لله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم فيردَّكم إلى أسوء أعمالكم؛ فإن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، فالوَحَاءَ الوَحَاءَ، والنجاء النجاء؛ فإنَّ وراءكم طالباً حثيثاً مَرُّهُ سريع(1).

فقد جعل أبو بكر ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] الآية، راجعاً إلى زكريا وأهله، وجعله غيرُه عائداً على كل الأنبياء المذكورين قبل كما سبق.

وعلى كل قول فإنَّ الأنبياء عليهم السلام جميعهم متخلقون بهذه الأخلاق الكريمة.

٤٥ ـ ومنها: المسارعة إلى الخيرات، والمسابقة إلى الأعمال الصالحات.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[الأنبياء: ٩٠]، والخيرات شاملة لكل طاعة وأدب صالح وخلق كريم

وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[طه: ٨٤].

---

(١) تقدم تخريجه قريباً، لكنه ذكره مختصراً، وذكره هنا تاماً.

وروى أبو الشيخ في كتاب «العقيقة» عن موسى بن علي بن رباح، عن أبيه رحمهما الله: أنَّ إبراهيم عليه السلام أُمِرَ أن يختتن وهو ابن ثمانين سنة، فعجل واختتن بالقدوم، فاشتدَّ عليه الوجع، فدعا ربه، فأوحى إليه أنك عجلت قبل أن نأمرك بآلته، قال: يا رب! كرهت أن أُؤخر أمرك[1].

وقال تعالى لهذه الأمة: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾[البقرة: ١٨٤].

وفسَّر أبو العالية الاستباق في الآية بالمسارعة[2].

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[آل عمران: ١٣٣]؛ أي: إلى ما يؤدي إليها.

أمر سبحانه هذه الأمة بما مدح به النبيين.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن عمر ﵁ قال: التؤدة في كل شيءٍ خيرٌ إلا ما كان من أمر الآخرة[3]؛ أي: فإنَّ المسارعة فيه خير.

وأخرجه أبو داود من حديث سعد بن أبي وقاص ﵁، عن النبي ﷺ[4].

---

(١) ورواه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٣٨٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٣٢٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٢٥٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١١٩)، ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٦١٩).

(٤) تقدم تخريجه.

وقال حاتم الأصم: العجلة من الشيطان إلا في خمسة فإنهَّا من سنة رسول الله ﷺ؛ إطعام الطعام، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب[1].

قلت: وكذلك الصلاة في أول وقتها، والزكاة إذا حال الحَوْل على النصاب، والحج إذا حصلت الاستطاعة، وإمضاء ما خطر ببالك من صدقة أو نفع مسلم، ويجمع ذلك أمر الآخرة المذكور في الحديث المذكور آنفاً.

٤٦ ـ ومنها: التوبة والاستغفار.

وتوبة الأنبياء عليهم السلام مما هو خلاف الأولى، أو من خطيئة لعلها وقعت، أو من القعود في كل لحظة عن الترقي في مقامات الدين، أو نحو ذلك كما تقدم نظيره في الملائكة عليهم السلام.

قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾[البقرة: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾[طه: ١٢٢].

وقال تعالى: ﴿قَالَ﴾[هود: ٤٧] نوح: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[هود: ٤٧].

وقال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾[الشعراء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٧٨).

مِنَّآ﴾ إلى قوله: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[البقرة: ١٢٧ - ١٢٨].

وقال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الأعراف: ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

إلى غير ذلك.

وروى الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي عن الأغر بن يسار المزني ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِيْ، وَإِنِّيْ لأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِيْ اليَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»[1].

وروى الإمام مالك، والإمام أحمد، ومسلم عنه [عن ابن عمر]: أنَّ النبي ﷺ قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! تُوْبُوْا إِلَىْ رَبِّكُمْ؛ فَوَاللهِ إِنِّي لأَتُوْبُ إِلَىْ اللهِ فِيْ اليَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»[2].

ورواه الإمام أحمد، والطبراني في «الكبير» عن رجل من المهاجرين، والحكيم الترمذي عن الأغر، ولفظهما: «يا أَيُّها النَّاسُ! اسْتَغْفِرُوْا اللهَ وَتُوْبُوْا إِلَيْهِ؛ فَإِنِّيْ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوْبُ إِلَيْهِ فِيْ الْيَوْمِ - أَوْ: كُلَّ يَوْمٍ - مِئَةَ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٦٠)، ومسلم (٢٧٠٢)، وأبو داود (١٥١٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٧٦).

(٢) رواه الطيالسي في «المسند» (١٢٠٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢١١)، ومسلم (٢٧٠٢).

مَرَّةٍ، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ مَرَّةٍ»[1].

وروى ابن أبي الدنيـــا في كتاب «التوبة»، ومن طريقه الأصبهاني في «ترغيبه» عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ رَجُلاً طِوَالاً كَأَنَّهُ نَخْلَةٌ سَحُوقٌ[2] كَثِيْرُ شَعْرِ الرَّأْسِ، لاَ تُرَىْ عَوْرَتُهُ، فَلَمَّا ذَاقَ الشَّجَرَةَ سَقَطَ عَنْهُ رِيَاشُهُ فَكَانَ أَوَّلُ شَيءٍ بَدَا لَهُ مِنْ جَسَدِهِ أَنْ رَأَىْ عَوْرَتَهُ، فَلَمَّا رَآهَا انْطَلَقَ يَشْتَدُّ فِيْ الجنَّةِ، فَمَرَّ بِشَجَرَةٍ فَأَخَذَتْ بِشَعْرِ رَأْسِهِ، فَذَهَبَ يُنَازِعُهَا، وَنَادَاهُ الرَّحْمَنُ عز وجل: يَا آدَمُ! أَمِنِّيْ تَفِرُّ؟ فَلَمَّا سَمِعَ كَلاَمَ الرَّحْمَنِ قَالَ: لَسْتُ أَفِرُّ مِنْكَ وَلَكِنِّيْ أَسْتَحْيِي مِنْكَ يَا رَبِّ، قَالَ: إِنْ أَنَا تُبْتُ وَرَاجَعْتُ أَتَتُوْبُ عَلَيَّ؟ قَـالَ: نَعَمْ يَـا آدَمُ، قَـالَ: فَتَـابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُـوَ التَـوَّابُ الرَّحِيْمُ»[3].

وقال الخرائطي في «اعتلال القلوب»: أنشدنا أبو جعفر العدوي:

[من المتقارب]

---

(1) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٦١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٨٥)، وكذا رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٧٨) عن رجل من المهاجرين.

ورواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ١٣٣) عن الأغر المزني رضي الله عنه.

(2) أي: طويلة.

(3) ورواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٤٨)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣١) مع اختلاف يسير في الألفاظ.

ظَلمْتُ فَإنْ قُلْتُ لا بَلْ ظُلِمْتُ ... فَإنِّي أَنا الْقَاطِعُ الظَّالِمُ

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ زَلَّتِي ... فَإنِّيَ مِنْ خَوْفِها واجِمُ

يَزِلُّ الْحَلِيْمُ وَيَكْبُوْ الْجَوادُ ... وَيَنْبُوْ عَنِ الضَّرْبَةِ الصَّارِمُ

عَصَيْتُ وَتُبْتُ كَما قَدْ عَصَى ... وَتابَ إلَى رَبِّهِ آدَمُ[1]

وأحسن منه قولي:

يا عائباً لِيْ بِالذُّنُوْبْ ... أَيُّنا لَمْ يُذْنِبِ

لَكِنْ عَصَيْتُ ثُمَّ تُبْـ ... ـتُ مِثْلَما تابَ أَبِيْ

فإن التمثل بآدم عليه السلام في التوبة دون التصريح في حقه بالمعصية وهو أولى.

وروى ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة ﷺ قال: بينما المسيح عليه السلام في رهطٍ من الحواريين بين نهرٍ جارٍ وحمأة[2] منتنة، أقبل طائر حسن اللون يتلون كما هو الذهب، فوقع قريباً فانتفض، فسلخ منه مسكه ـ بفتح الميم؛ أي: جلده ـ فإذا هو أقبح شيء حين سلخ عنه مسكه، أقيرع أحيمش، فانطلق يدبُّ إلى الحمأة[3] المنتنة، فتمعك فيها وتلطخ بنتنها، فازداد قبوحاً إلى قبوحه ونَتَناً إلى نتَنِهِ، ثم انطلق يَدُبُّ إلى نهر إلى جنبه ضَحضاح صاف، فاغتسل فيه حتى رجع كأنه بيضة مقشرة، قال:

---

(١) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٢٤).

(٢) في «التوبة»: «جيفة» بدل «حمأة».

(٣) في «التوبة»: «الجيفة» بدل «الحمأة».

فكذلك مثل عامل الخطيئة حين يكون في الخطأ[1]، وكذلك مثل التوبة كمثل اغتساله من النتن في النهر الضحضاح، ثم راجع دينه حتى تدرع مسكه.

والأقيرع تصغير الأقرع؛ أي: لا شعر على جلده.

والأحيمش تصغير الأحمش ـ بالحاء المهملة، والشين المعجمة ـ: وهو دقيق الساقين.

والضحضاح: الماء الذي لا يغرق.

ولعلنا نختم الكتاب بخاتمة لطيفة في المتاب.

٤٧ ـ ومنها: الورع، والحذر من الشبهات.

روى ابن أبي الدنيا في كتاب «الورع»، وفي كتاب «البكاء»[2] عن سعيد بن عبد العزيز رحمه الله: أنَّ يحيى بن زكريا عليهما السلام كان لا يأكل شيئاً مما في أيدي الناس مخافة أن يكون دخله ظلم، وإنما يأكل من نبات الأرض، ويلبس من مَسوك الطير.

وفي «كتاب الورع» عن الحسن رحمه الله تعالى قال: مرَّ عيسى عليه السلام برائحة منتنة، فوضع القوم أيديهم على آنافهم، ولم يفعل ذلك عيسى، ثم مروا برائحة طيبة، فكشفوا أيديهم عن آنفهم ووضع عيسى عليه السلام يده على أنفه، فقيل له في ذلك، فقال: إنَّ الرائحة

---

(١) في «التوبة»: «الخطايا» بدل «الخطأ».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الورع» (ص: ٩٠)، وفي «الرقة والبكاء» (٤٠٣).

الطيبة نعمة فخِفْتُ أن لا أقوم بشكرها، والرائحة المنتنة بلاء فأحببت الصبر على البلاء[1].

واعلم أن الورع لا يختص بالمأكل والمشرب، بل يكون في سائر المباحات كالمشموم، والمنظور، والمسموع، والمنطوق، وكلما دقق الإنسان على نفسه في الورع كلما نجا من الحساب، ولا ينبغي التهاون بشيء أصلاً.

قال القشيري رحمه الله: كان رجل يكتب رقعة وهو في بيت بكِراء، فأراد أن يترب الكتاب من جدار البيت، فخطر بباله أن البيت بالكراء، ثم خطر بباله لا حظر[2] لهذا، فترب الكتاب، فسمع هاتفاً يقول: سيعلم المستخف بالتراب ما يلقى غداً من سوء الحساب[3].

وذكر في «الإحياء» نحو هذه القصة عن علي بن معبد، وذكر عنه أنه نام فرأى في منامه شخصاً يقول له: يا علي! سيعلم غداً الذين يقولون: وما قدر تراب من حائط[4]؟

وقال الأستاذ أبو عثمان الخيري رحمه الله تعالى: ثواب الورع

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الورع» (ص: ٧٤).

(٢) في «الرسالة القشيرية»: «أنه لا خطر» بدل «لا حظر».

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ١٤٩).

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٩٦).

خفة الحساب[1].

وإن كان ثواب الورع ذلك؛ لأنَّ الجزاء من جنس العمل، والورع من لازمه محاسبة النفس.

قال يونس بن عبيد رحمه الله تعالى: الورع الخروج من كل شبهة، ومحاسبة النفس مع كل طَرفة[2].

وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «أَوْحَىٰ اللهُ عز وجل إِلَىٰ مُوْسَىٰ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: يَا مُوْسَىٰ! إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَلْقَانِيْ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلاَّ نَاقَشْتُهُ الْحِسَابَ، وَفَتَّشْتُهُ عَمَّا كَانَ فِيْ يَدَيْهِ إِلاَّ الوَرِعِيْنَ؛ فَإِنِّيْ أَسْتَحْيِيْهِمْ وَأُجِلُّهُمْ، وَأُكْرِمُهُمْ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ»[3].

٤٨ ـ ومنها: الصيانة مع حسن الوجه وجمال الصورة.

وليس في الأنبياء عليهم السلام إلا حسن الصورة، وكلهم معصومون.

وفي الحديث الصحيح: «إِنَّ يُوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ خَلَقَهُ الرَّحْمَنُ عَلَىٰ صُوْرَتِهِ»[4].

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ١٤٧).

(٢) رواه البيهقي في «الزهد الكبير» (ص: ٣١٦).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الورع» (ص: ١١١). ورواه الطبراني مطولاً وسيأتي بتمامه قريباً.

(٤) الشطر الأول من الحديث رواه مسلم (١٦٢) عن أنس رضي الله عنه، والشطر الثاني رواه البخاري (٥٨٧٣)، ومسلم (٢٨٤١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال وهب رحمه الله تعالى: كان نوح عليه السلام من أجمل أهل زمانه، وكان يلبس البرقع، قال: فأصابتهم مجاعة في السفينة، فكان نوح إذا تجلى لهم بوجهه شبعوا. رواه أبو نعيم[1].

وروى البيهقي في «الشعب»، وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ آتَاهُ اللهُ وَجْهاً حَسَناً، وَاسْماً حَسَناً، وَجَعَلَهُ فِيْ مَوْضِعٍ غَيْرِ شَائِنٍ، كَانَ مِنْ خُلاَصَةِ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ»[2].

قلت: والذي استقرأته وتحققته أنه لم يكن ذو جمال وصورة حسنة، فصين جماله عن الامتهان بالفسق، واتَّزر هو بالعفة وارتدى بالصيانة إلا بقي جماله وحسن طلعته في كبره إلى وفاته وبعد موته، ومن امتهن جماله بالفجور لم يلبث جماله أن يقبح شيئاً فشيئاً خصوصاً عند نبات وجهه.

وكذلك عرض على الجمال والبهاء في هذه الأعصار أكل المكيفات المسكرة والمسطلة، والمخدرات المؤثرات في نضارة الأجساد وماء

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٦٧).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٤٣) وضعفه، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١/ ٧١)، وكذا رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٥٠٦).
قال ابن القيم في «المنار المنيف» (ص: ٦٣): كل حديث فيه ذكر حسان الوجوه أو الثناء عليهم أو الأمر بالنظر إليهم أو التماس الحوائج منهم أو أن النار لا تمسهم، فكذب مختلق وإفك مفترى.

الوجوه ما انتقل به أهلها إلى قبح الصورة وبشاعة المنظر حتى حمل بعض العلماء المسخ الذي يكون في بعض هذه الأمة في آخر الزمان على هذا، والله سبحانه أعلم.

٤٩ ـ ومنها: ذم الدنيا وتحقيرها.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[النساء: ٧٧].

أمر نبيه ﷺ بتقليل الدنيا وذمها، وذلك مما أجمع عليه أنبياء الله تعالى.

وروى أبو الحسن بن جهضم عن السري السقطي رحمه الله تعالى قال: قال عيسى بن مريم عليهما السلام: الدنيا مزرعة إبليس، وأنتم ـ أي: معاشرَ المشتغلين بها المكبين عليها ـ عمَّارُها؛ أي: مستخدموه في عمارتها وحراستها(١).

وروى البيهقي في «الشعب» عن الحسن رحمه الله مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «حُبُّ الدُّنْيَا رَأسُ كُلِّ خَطِيْئَةٍ»(٢).

---

(١) ورواه البيهقي في «الزهد الكبير» (ص: ١٣٩).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٠١). وذكره أبو الفضل المقدسي من جملة الأحاديث الموضوعة كما في «تذكرة الموضوعات» (ص: ٣٧)، وعلى الحديث كلام طويل بين أهل العلم. انظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (١١/ ١٠٧)، و«المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٢٩٦)، و«تدريب الراوي» للسيوطي (١/ ٢٨٧).

ورواه الإمام أحمد في «الزهد» من كلام عيسى عليه السلام[1].

وفي كتاب الله ﷻ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[الأعلى: ١٦ ـ ١٩].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾[الأعلى: ١٨]؛ أي: ذم الدنيا وذم إيثارها، وكون الآخرة خيراً منها هو في الصحف الأولى بمعنى في كتب الله كلها.

روى ابن أبي حاتم عن الحسن، وروى هو وابن جرير عن قتادة رحمه الله تعالى: أنه قال في الآية: تتابعت كتب الله كما تسمعون أن الآخرة خيرٌ من الدنيا[2].

٥٠ ـ ومنها: الزهد والتقلل من الدنيا، وإيثار الخشن من الثياب والعيش.

روى الطبراني عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ نَاجَىٰ مُوْسَىٰ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِمِئَةِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِيْنَ أَلْفَ كَلِمَةٍ فِيْ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، فَلَمَّا سَمِعَ مُوْسَىٰ كَلاَمَ الآدَمِيينَ مَقَتَهُم لِمَا وَقَعَ فِيْ مَسَامِعِهِ مِنْ كَلاَمِ الرَّبِّ ﷻ، فَكَانَ فِيْمَا نَاجَاهُ اللهُ أَنْ قَالَ: يَا مُوْسَىْ! إِنَّهُ لَمْ يَتَصَنَّعْ فِيَّ الْمُتَصَنِّعُوْنَ بِمِثْلِ الزُّهْدِ فِيْ الدُّنْيَا، وَلَمْ يَتَقَرَّبْ إِلَيَّ الْمُتَقَرِّبُوْنَ بِمِثْلِ الوَرَعِ عَمَّا حَرَّمْتُ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٩٢).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٤١٩)، وكذا الطبري في «التفسير» (٣٠/ ١٥٨).

عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَعَبَّدِ الْمُتَعَبِّدُوْنَ بِمِثْلِ الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَتِيْ، قَالَ مُوْسَىْ: يَا رَبَّ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا، أَوْ: يَا مَالِكَ يَوْمِ الدِّيْنِ، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ! مَا أَعْدَدْتَ لَهُمْ؟ وَمَاذَا جَزَيْتَهُمْ؟ قَالَ: أَمَّا الزُّهَادُ فِيْ الدُّنْيَا فَإِنِّيْ أَبَحْتُهُمْ جَنَّتِيْ يتبوأون مِنْهَا حَيْثُ شَاؤُوْا، وَأَمَّا الوَرِعُوْنَ الْمُتَوَرِّعُوْنَ عَمَّا حَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ لَمْ يَبْقَ عَبْدٌ إِلاَّ نَاقَشْتُهُ وَفَتَّشْتُهُ إِلاَّ الوَرِعِيْنَ فَإِنِّيْ أَسْتَحْيِيهِمْ وَأُجِلُّهُمْ وَأُكْرِمُهُمْ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَمَّا البَكَّاؤُوْنَ مِنْ خَشْيَتِيْ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الرَّفِيْقُ الأَعْلَى لاَ يُشَارَكُوْنَ فِيْهِ»[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن خيثمة رحمه الله تعالى قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام: جربنا العيش ـ لينه وشديده ـ فوجدناه يكفي منه أدناه[2].

وعن فرقد السبخي رحمه الله قال: كان سليمان عليه السلام يأكل خبز الشعير [بالنوى]، ويُطعم الناس الخبز الجواري[3].

وذكر الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾[آل عمران: ٢٦] عن أبي بكر الوراق رحمه الله قال: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾[آل عمران: ٢٦]؛ يعني: ملك النفس حتى يغلب هواه كما آتى سليمان عليه السلام؛ كان يأكل خبز الشعير ويُطعم الجواري، وكان

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦٥٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٠٣): رواه الطبراني وفيه جويبر، وهو ضعيف جداً.

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٣٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٩١) عن عطاء.

يلبس المرقعة، ولم ينظر إلى السماء أربعين سنة تخشعاً، وكان يدخل المسجد فيرى فقيراً يقعد إلى جنبه ويقول: مسكين جالسَ مسكيناً[1].

وروى الإمامان أبو بكر بن أبي شيبة، وأحمد بن حنبل عن ثابت البناني رحمه الله تعالى قال: قال رجلٌ لعيسى بن مريم عليهما السلام: لو اتخذت حماراً تركبه لحاجتك؟ قال: أنا أكرم على الله أن يجعل لي شيئاً يشغلني عنه[2].

وروى ابن أبي شيبة عن عبيد بن عمير رحمه الله قال: كان عيسى ابن مريم عليهما السلام لا يرفع غداء لعشاء، ولا عشاء لغداء، وكان يقول: إنَّ مع كل يومٍ رزقه، وكان يلبس الشعر، ويأكل من الشجر، وينام حيث أمسى[3].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن مجاهد رحمه الله تعالى قال: كان عيسى بن مريم عليهما السلام يلبس الشعر، ويأكل من الشجر، ولا يُخبأ اليوم لغد، ويَبْيتُ حيث أتاه الليل، ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب[4].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٤٢)، وقد فسَّر الآية دون أن يعزو التفسير لأحد.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٣٥)، والإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٥).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٢٦).

(٤) ورواه أبو حاتم الرازي في «الزهد» (ص: ٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٧٣).

وروى ابنه في «زوائده» عن ضمرة بن شوذب قال: قال عيسى عليه السلام: جودة الثياب من خيلاء القلب[1].

وعن الحسن رحمه الله تعالى قال: قال عيسى بن مريم عليهما السلام: إني كببتُ الدنيا بوجهها وقعدت على ظهرها، فليس لي ولد فيموت ولا بيت فيخرب، فقالوا له: أفلا تتخذ لك بيتاً، قال: ابنوا لي على طريق السيل بيتاً، قالوا: لا يثبت، قالوا: أفلا نتخذ لك زوجة؟ قال: ما أصنع بزوجة تموت؟[2]

وروى الدينوري في «المجالسة» عن المعتمر بن سليمان التيمي رحمهما الله قال: خرج عيسى عليه السلام على أصحابه وعليه جُبَّة من صوف، وكساء، وتُبان حافياً باكياً شَعِثاً، مُصْفر اللون من الجوع، يابس الشفتين من العطش، فقال: السلام عليكم يا بني إسرائيل، أنا الذي أنزلت الدنيا منزلتها بإذن الله ولا عجب ولا فخر، أتدرون أين بيتي؟ قالوا: أين بيتك يا روح الله؟ قال: بيتي المساجد، وطيبي الماء، وإدامي الجوع، وسراجي القمر بالليل، وصلاتي [في الشتاء مشارق] الشمس، وريحاني بقول الأرض، ولباسي الصوف، وشعاري خوف رب العزَّة، وجلسائي الزَّمنى والمساكين، أُصبح وليس لي شيء، وأُمْسِي وليس لي شيء، وأنا طيب النفس، غني مكثر، فمن أغنى مني وأربح؟[3]

---

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٣٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٩٢).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٥٥)، وكذا ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٤٢٠).

واعلم أنَّ المروي من زهد الأنبياء عليهم السلام ومواعظهم في ذلك خصوصاً عن سيدنا عيسى عليه السلام لا يمكن حصره لكثرته، وفي هذا القدر كفاية لمن أنعم الله عليه بالهداية.

* **تَنْبِيهٌ:**

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[النساء: ٧٧].

وفي الحديث: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوْضَةٍ مَا سَقَىْ كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»[١].

ولمَّا تحقق الأنبياء عليهم السلام والصالحون قلةَ الدنيا وحقارتها عند الله وفناءها، دعاهم ذلك إلى الزهد فيها، والرغبة فيما عند الله تعالى.

قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[النحل: ٩٦]

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «ذم الدنيا» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ملك الموت إلى نوح عليهما السلام فقال: يا أطول النبيين عمراً! كيف وجدت الدنيا ولذتها؟ قال: كرجل دخل بيتاً له بابان، فقال وسطَ البيت هنيهة، ثم خرج من الباب الآخر[٢].

ولأبي العتاهية: [من مجزوء الرمل]

نُحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مِسْـ ـكِيْنُ إِنْ كُنْتَ تَنُوْحُ

لَتَمُوْتَنَّ وَإِنْ عُمْـ ـمِرْتَ مَا عُمِّرَ نُوْحُ

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٠) وصححه، وابن ماجه (٤١١٠) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٢٢٩)، وفي «الزهد» (ص: ٣٦٠).

* تَنْبِيْهٌ آخَرُ:

روى أبو نعيم عن أحمد بن أبي الحواري قال: ثنا هشام بن عمرو قال: أوحى الله ﷻ إلى موسى وعيسى عليهما السلام: يا موسى، ويا عيسى! من أجل دنيا دنية وشهوة ردية تفرطان في طلب الآخرة؟ يا موسى، وعيسى! حتى متى أُطيل النسيئة وأحسن الطلب؟[1]

قلت: هذا من باب الرواية بالمعنى؛ إذ أوحى الله ذلك إلى كل واحد منهما في زمانه.

وقوله: «من أجل دنيا دنيئة وشهوة ردية تفرطان في طلب الآخرة» معناه: أيليق ذلك فلا تفعلانه، ولا يلزم من ذلك أن يكونا قد طلبا الدنيا أو أخذتهما الشهوة حتى منعتاهما طلب الآخرة لأنهما معصومان، والمشهور من زهدهما لا يخفى، والمراد بذلك تقريع من يعمل ذلك من أمتهما.

قال أحمد بن أبي الحواري: فحدثت بذلك أبا سليمان رحمه الله تعالى فقال لي: إذا كان موسى وعيسى معاتبين، فأي شيء يقال لمثلي ومثلك؟ وأي شيء أصابا من الدنيا؛ جبة صوف وكسرة؟[2]

قلت: ومخاطبتهما بذلك أبلغ من مخاطبة أمتيهما في ردع الأمم،

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٣).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٣).

ومثله قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزمر: ٦٥] وأمثاله من مخاطبات الأنبياء، والمراد أممهم.

وفي المعنى المثل السائر: إيَّاك أعني واسمعي يا جارة.

ومن أخلاق الأنبياء عليهم السلام:

٥١ ـ اليقين.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[الشعراء: ٦١ ـ ٦٢].

وروى ابن أبي الدنيا عن بكر بن عبدالله قال: فقد الحواريون عيسى عليه السلام، فقيل لهم: توجه نحو البحر، فانطلقوا يطلبونه إذا هو قد أقبل يمشي على الماء، فقال له بعضهم: ألا أجيء إليك يا نبي الله؟ قال: بلى، فوضع إحدى رجليه ثم ذهب ليضع الأخرى فقال: آه، غرقت يا نبي الله، فقال: أرني يدك يا قصير الإيمان، لو أنَّ لابن آدم من اليقين قدر شعيرة مشى على الماء[١].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن ميمون بن مهران رحمه الله تعالى قال: يقول بعضهم: اجلس في بيتك وأغلق عليك بابك فانظر، هل يأتيك رزقك؟ نعم لو كان مثل يقين مريم وإبراهيم عليهما السلام، وأغلق عليه بابه، وأرخَى عليه ستره[٢].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «اليقين» (ص: ١٢)، وكذا رواه البيهقي في «الزهد الكبير» (ص: ٣٥٨).

(٢) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٨٧).

وروى ابن أبي الدنيا عن الفضيل رحمه الله تعالى قال: قيل لعيسى عليه السلام: بأي شيء تمشي على الماء؟ قال: بالإيمان واليقين، قالوا: إنَّا آمنَّا كما آمنت، وأيقنا كما أيقنت، قال: فامشوا إذاً، فمشوا معه، فجاء الموج فغرقوا، فقال لهم عيسى: ما لكم؟ قالوا: خفنا الموج، قال: ألا خفتم رب الموج، قال: فأخرجهم، ثم ضرب بيده إلى الأرض فقبض بها ثم بسطهما، فإذا في إحدى يديه ذهب، وفي الأخرى مدر[1] أو حصى، فقال: أيهما أجلُّ في قلوبكم؟ قالوا: هذا الذهب، قال: فإنهما عندي سواء[2].

وروى أبو الشيخ عن أبي الخير البصري رحمه الله تعالى قال: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: تزعم أنك تحبني وتُسيء بي الظن صباحاً ومساءً، أما كانت لك عبرة أن شققت سبع أرضين فأريتك ذرة في فِيها برة ما نسيتها[3].

قلت: وهذا في كتاب الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾[هود: ٦].

٥٢ ـ ومنها: التوكل والتفويض والتسليم.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾[الصافات: ١٠٣].

وقال تعالى يحكي عن هود عليه السلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي

---

(١) المدر: قطع الطين.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «اليقين» (ص: ٤٠).

(٣) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٠١) إلى أبي الشيخ.

﴿وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[هود: ٥٦].

وقال تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[هود: ٨٨].

وقال تعالى حكاية عنه مترجماً عن نفسه وعن المؤمنين من قومه: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾[الأعراف: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[الشعراء: ٦١ ـ ٦٢].

وهذا يدل على أنه كان في أعلى طبقات التوكل والثقة بحفظ الله تعالى؛ لأنه قاله وهو بين البحر، وبين العدو، والعدو أضعاف أضعافهم، وهم في غاية الحَنَق والغيظ عليهم، فلما كان بهذه المثابة من اليقين والتوكل على الله تعالى فَرَقَ له البحر.

وقال تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[يوسف: ٦٧].

وقال تعالى حكاية عن الرسل عليهم السلام: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾[إبراهيم: ١٢].

وروى ابن النجار في «تاريخه» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا أُلْقِيَ إِبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِيْ النَّارِ قَالَ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ، فَمَا احْتَرَقَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعُ الكِتَابِ».

وفي «صحيح البخاري» عن ابن عباس ﷺ قال: حسبنا الله ونعم

الوكيـل قـالها إبراهيم عليه السـلام حين أُلقي النار، وقالها محمد ﷺ حين قال الناس: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[آل عمران: ١٧٣][(١)].

وروى ابن أبي شيبة، وابن حنبـل في «الزهـد» عن سـالم بن أبـي الجعد رحمه الله تعالى قال: قال عيسـى عليه السـلام: اعمـلوا لله ولا تعملوا لبطونكم، انظروا إلى هذه الطير تغدو وتروح، لا تحرث ولا تحصد، الله يرزقها، فإن قُلتم نحن أعظم بطوناً من الطير فانظروا إلى هذه الأباقر والحمر تغدو وتروح، ولا تحرث ولا تحصد، الله يرزقها، اتقوا فضول الدنيا؛ فإنَّ فضول الدنيا رجز[(٢)]؛ أي: عذاب.

وهذا كما قال علي بن أبي طالب ﷺ: الدنيا حلالها حساب، وحرامها عقاب، وفي رواية: عذاب. رواه ابن أبي الدنيا[(٣)].

وأخرجه بعضهم من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً.

وإنما أطلق عيسى عليه السلام على فضول الدنيا أنها رجز؛ إما باعتبار شريعته، وإما باعتبار أنَّ الفضول إن كان حراماً فذاك، وإن كان حلالاً كان حساباً، والحساب عذاب أيضاً؛ لقوله ﷺ: «مَنْ نُوْقِشَ الحِسابَ عُذِّبَ». رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٤٢٨٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٣٢)، وكذا ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٢٩١).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (ص: ١٨).

(٤) رواه البخاري (٦١٧١)، ومسلم (٢٨٧٦).

وروينا عن مسلم بن ميمون العابد ﷺ قال: [الوافر]

أَرَىْ الـــدُّنْيا لِمَـــنْ هِـــيَ فِـــيْ يَدَيْـــهِ
عَـــذاباً كُلَّمـــا كَثُـــرَتْ لَدَيْـــهِ

تُهِـــيْنُ الْمُكْـــرِمِيْنَ لَهـــا بِـــصُغْرٍ
وَتُكْـــرِمُ كُـــلَّ مَـــنْ هانَـــتْ عَلَيْـــهِ

فَـــدَعْ مِنْهـــا الْفُـــضُوْلَ تَعِـــشْ حَمِيْـــداً
وَخُـــذْ مـــا أَنْـــتَ مُحْتـــاجٌ إِلَيْـــهِ[1]

٥٣ ـ ومنها: الاكتساب والأكل من كد اليمين وعرق الجبين، والقيام على العيال، وتعاطي الأشغال من غير اعتماد عليها ولا اتكال، بل على الكبير المتعال.

ولا مناقضة بين ذلك وبين التوكل؛ لأنَّ التوكل عبارة عن الثقة بالله والاعتماد عليه والافتقار إليه من غير ملاحظة تأثير للكسب وغيره من سائر الأسباب في شيء أصلاً.

وقد حررت هذه المسألة في كتاب «منبر التوحيد»، وفصلتها تفصيلاً.

قال الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾[المؤمنون: ٢٧]. الآية.

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٨/ ٢٧٨).

وقال تعالى حكاية عن داود عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾[الأنبياء: ٨٠]. الآية

وقال تعالى لآدم عليه السلام: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾[طه: ١١٧].

أشار سبحانه إلى أن رزق الدنيا لا ينال إلا بالشقاء؛ أي: بالتعب والحركة.

روى الدينوري في «المجالسة» عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى قال: لما أُهبط آدم عليه السلام قال: يا رب أطعمني، قال: أما والله دون أن تعمل عملاً يعرق منه جبينك فلا[1].

وعن قتادة قال: لمَّا أُهبط آدم قيل له: لن تأكل الخبز بالزيت حتى تعمل عملاً مثل الموت.

وروى أبو نعيم عن سعيد بن جبير رحمه الله قال: أهبط إلى آدم ثور أحمر وكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه، قال: وهو الذي قال الله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾[طه: ١١٧] وكان ذلك شقاء[2].

وعن إسحاق بن يسار رحمه الله: أنه كان يمر بالبزازين، فقال: الزموا تجارتكم؛ فإن أباكم إبراهيم عليه السلام كان بزازاً[3].

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٤٩٠).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٨٢).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٦٣).

وروى الإمام أحمد، وابن ماجه عن عتبة بن الندَّر[1] ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مُوْسَىٰ عَلَيْهِ السَّلاَمُ آجَرَ نَفْسَهُ ثَمَانِيَ سِنِيْنَ أَوْ عَشْراً عَلَى عِفَّةِ فَرْجِهِ وَطَعَامِ بَطْنِهِ»[2].

وروى الإمام أحمد، والبخاري عن المقدام ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ دَاوُدَ النَّبِـيَّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ لاَ يَأْكُلُ إِلاَّ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[3].

وروى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ نَبِـيَّ اللهِ دَاوُدَ كَانَ لاَ يَأْكُلُ إِلاَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[4].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن عروة رحمه الله قال: كان داود عليه السلام يصنع القفة من الخوص وهو على المنبر، ثم يبعث بها إلى السوق فيبيعها ويأكل ثمنها[5].

وعن الحسن رحمه الله قال: قال داود عليه السلام: إلهي! أي رزقٍ أطيب؟ قال: ثمرة يدك يا داود.

وروى هو في «المسند»، ومسلم، وابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ

---

(١) في «أ» و«م»: «المنذر»، والصواب ما أثبت كما ضبطه الحافظ في «الفتح».

(٢) رواه ابن ماجه (٢٤٤٤). وضعف الحافظ ابن حجر إسناده في «الفتح» (٤/ ٤٤٥).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٣١)، والبخاري (١٩٦٦).

(٤) رواه البخاري (١٩٦٧).

(٥) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٣).

قال: قال رسول الله ﷺ: «كَانَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ نَجَّارَاً»[1].

وروى الدينوري عنه، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]؛ قال: «كانَ إِدْرِيسُ خَيَّاطاً، وَزَكَرِيَّا نَجَّاراً»[2].

وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ آدم كان حرَّاثاً وكذلك إبراهيم، وكان نوح نجاراً، وإدريس خياطاً، وداود زراداً[3]، وموسى راعياً وكذلك شعيب، وكان صالح تاجراً، عليهم الصلاة والسلام[4].

وروى ابن عساكر عنه نحوه إلا أنه قال: وكان هود تاجراً ـ ولم يذكر صالحاً ـ، وكان إبراهيم راعياً، وكان سليمان خواصاً[5]، وكان موسى أجيراً، وكان عيسى سياحاً، وكان محمد ﷺ شجاعاً، جعل رزقه تحت ظل رمحه[6].

وروى الديلمي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ مَنْ حَاكَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»[7].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٠٥)، ومسلم (٢٣٧٩)، وابن ماجه (٢١٥٠).

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥٣٠).

(٣) الزراد: صانع الدروع.

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤١٦٥). قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٤/ ٣٠٦): رواه الحاكم بسند واه.

(٥) الخُوصُ: ورق النخل، الواحدة خُوصَةٌ، والخَوَّاصُ: بائع الخوص.

(٦) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٤٤٣).

(٧) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٧٣٨١).

وروى ابن عساكر بسند ضعيف، عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هَبَطَ آدَمُ وَحَوَّاءُ عَرْيَانَيْنِ عَلَيْهِمَا وَرَقُ الْجَنَّةِ، فَأَصَابَهُ الْحَرُّ حَتَّى قَعَدَ يَبْكِي وَيَقُولُ لَهَا: يَا حَوَّاءُ قَدْ آذَانِي الْحَرُّ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِقُطْنٍ، وَأَمَرَهَا أَنْ تَغْزِلَ وَعَلَّمَهَا، وَأَمَرَ آدَمَ بِالْحِيَاكَةِ وَعَلَّمَهُ»[1].

وروى ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ الله تعالى لما رأى عري آدم وحواء أمره أن يذبح كبشاً من الضأن من الثمانية أزواج التي أنزل الله تعالى من الجنة ـ وهي: الإبل والبقر، والضأن والمعز ـ فأخذ آدم كبشاً فذبحه، ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه هو [وحواء]، فنسج آدم جُبة لنفسه، وجعل لحواء درعاً وخماراً[2].

قلت: يجمع بين هذا والذي قبله أن القطن غزلته ونسجه قميصين لما يلي البدن، والصوف دِثاراً فوق ذلك.

ولقد أحسن من قال مشيراً إلى الحركة والسبب: [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ قَالَ لِمَرْيَمٍ
إِلَيْكِ فَهُزِّيْ الْجِذْعَ يَسَّاقطِ الرُّطَبْ
وَلَوْ شَاءَ أَنْ تَجْنِيهُ مِنْ غَيْرِ هَزِّهَا
لَكَانَ وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ سَبَبْ[3]

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٤١٣).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٦).

(٣) انظر: «ثمار القلوب» للثعالبي (١/ ٣٠٦).

* تَنْبِيْهٌ:

روى سعيد بن منصور في «سننه»، والحاكم في «تاريخه»، وغيرهما عن أبي مسلم الخولاني رحمه الله مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنْ أَجْمَعَ الْمَالَ وَأَكُوْنَ مِنَ التَّاجِرِيْنَ، وَلَكِنْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنْ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِيْنَ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ اليَقِيْنُ»(١).

وهذا ليس ذمَّاً لمطلق التجارة حتى يكون هذا شغلاً مع أن هوداً وصالحاً وإبراهيم عليهم السلام كانوا تجاراً، وقد ثبتت التجارة ورعاية الغنم عن النبي ﷺ قبل التبرؤ، ولم يَنْهَ التجار من أصحابه عن التجارة كابن عوف وغيره، رضي الله عنهم.

نعم إذا كانت التجارة للتكاثر ونحوه من الأغراض الفاسدة كانت مذمومة، وعليه يُحمل حديث أبي مسلم، ولذلك جمع بين التبرؤ منها وجمع المال.

ويؤيده رواية ابن مردويه، والديلمي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنْ أَكُوْنَ تَاجِراً، وَلاَ أَجْمَعَ الْمَالَ تَكَاثُراً، وَلَكِنْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنْ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِيْنَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ اليَقِيْنُ»(٢).

وفي ذلك أن التجارة بالنية الصالحة، ومراعاة الشريعة فيها واجتناب المحظور خلق نبوي وكسب طيب.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٢٩٧) لكن عن أبي ذر رضي الله عنه.

وقد روى أبو نعيم عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال: وقف سائل على باب داود عليه السلام فقال: يا أهل بيت النبوة، ويا معدن الرسالة! تصدقوا علينا بشيء رزقكم الله رزق التاجر المقيم في أهله، فقال داود: أعطوه فوالذي نفسي بيده إنها لفي الزبور[1].

قلت: يحتمل أنه أراد الدعاء لهم بأن يرزقهم الله رزق التاجر المقيم في أهله بأن يتعاطوا التجارة مع الإقامة والراحة فيربحون؛ وعليه: فإقرار داود عليه السلام لهذا الدعاء دليل على استحسان التجارة مع الإقامة بدون معاناة سفر ومُقاساة حل وترحال، كيف وقد أكد ذلك بأنه في الزبور مع الإقسام على ذلك.

ويحتمل أنه أراد الدعاء بحصول مطلق الرزق مع الراحة والإقامة كراحة التاجر المقيم في أهله وربحه، أو بحصوله شيئاً فشيئاً في كل يوم رزق جديد مع الراحة وعدم الكلفة وعدم تحمل للأسفار والضرب في البلاد، وهذا رفق عظيم.

ويروى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: [من الرجز]

أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ قَوْصَرَّة
يَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ تَمْرَة[2]

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٦٣).

(٢) انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٧/ ٣٠)، وعنده: «مرة» بدل «تمرة».

* **تَنْبِـيْهٌ أَيْضاً:**

ليس الاكتساب والطلب لإغناء النفس وكفاية العيال من طلب الدنيا، فيكون بهذه النية مذموماً.

قال الماوردي في «أدب الدين والدنيا»: حكى مقاتل أن إبراهيم عليه السلام قال: يا رب! [حتى] متى أتردد في طلب الدنيا؟ فقيل له: أمسك عن هذا، فليس طلب المعاش من طلب الدنيا، انتهى[1].

وروى عبد بن حميد، وابن مردويه، وابن عساكر عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! كم أنزل الله من كتاب؟

قال: «مِئَةُ كِتَابٍ وَأَرْبَعَةُ كُتُبٍ، أَنْزَلَ عَلَىْ شيث خَمْسِيْنَ صَحِيْفَةً، وَعَلَىْ إِدْرِيْسَ ثَلاَثِيْنَ صَحِيْفَةً، وَعَلَىْ إِبْرَاهِيْمَ عَشْرَ صَحَائِفَ، وَعَلَىْ مُوْسَى قَبْلَ التَّوْرَاةِ عَشْرَ صَحَائِفَ، وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيْلَ وَالزَّبُوْرَ وَالفُرْقَانَ».

قلت: يا رسول الله! فما كانت صحف إبراهيم؟

قال: «أَمْثَالٌ كُلُّهَا؛ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُسَلَّطُ الْمُبْتَلَىْ الْمَغْرُوْرُ، لَمْ أَبْعَثْكَ لِجَمْعِ الدُّنْيَا بَعْضِهَا إِلَىْ بَعْضٍ، وَلَكِنْ بَعَثْتُكَ لِتَرُدَّ عَنِّيْ دَعْوَةَ الْمَظْلُوْمِ؛ فَإِنِّيْ لاَ أَرُدُّهَا وَلَوْ كَانَتْ مِنْ كَافِرٍ.

وَعَلَى العَاقِلِ مَا لَمْ يَكُنْ مَغْلُوْبَاً عَلَى عَقْلِهِ أَنْ يَكُوْنَ لَهُ ثَلاَثُ سَاعَاتٍ: سَاعَةٌ يُنَاجِيْ فيْهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيْهَا نَفْسَهُ وَيَتَفَكَّرُ فِيْمَا

---

(١) انظر: «أدب الدين والدنيا» للماوردي (ص: ١٥٧).

صَنَعَ، وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيْهَا لِحَاجَتِهِ مِنَ الحَلاَلِ؛ فَإِنَّ فِيْ هَذِهِ السَّاعَةِ عَوْناً لِتِلْكَ السَّاعَاتِ وَاسْتِجْمَاعاً لِلْقَلْبِ وَتَفْرِيْغاً لَهَا.

وَعَلَىْ العَاقِلِ أَنْ يَكُوْنَ بَصِيْراً بِزَمَانِهِ، مُقْبِلاً عَلَى شَانِهِ، حَافِظاً لِلِسَانِهِ؛ فَإِنَّ مَنْ حَسَبَ كَلاَمَهُ مِنْ عَمَلِهِ أَقَلَّ الكَلاَمَ إِلاَّ فِيْمَا يَعْنِيْهِ.

وَعَلَىْ العَاقِلِ أَنْ يَكُوْنَ طَالِباً لِثَلاَثٍ: مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ، أَوْ تَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ، أَوْ تَلَذُّذٍ مِنْ غَيْرِ مُحَرَّمٍ».

قلت: يا رسول الله! فما كانت صحف موسى؟

قال: «كَانَتْ عِبَراً كُلُّها؛ عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالمَوْتِ ثُمَّ يَفْرَحُ، وَلِمَنْ أَيْقَنَ بِالنَّارِ ثُمَّ يَضْحَكُ، وَلِمَنْ يَرَىْ الدُّنْيَا وَتَقَلُّبَهَا بِأَهْلِهَا ثُمَّ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا، وَلِمَنْ أَيْقَنَ بِالقَدَرِ ثُمَّ يَنْصَبُ، وَلِمَنْ أَيْقَنَ بِالحِسَابِ ثُمَّ لا يَعْمَلُ».

قلت: يا رسول الله! هل أنزل الله عليك شيئاً مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟

قال: «يا أبا ذرٍّ! نعَمْ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ ـ ١٩]»[1].

٥٤ ـ ومنها: الاستشارة.

والظاهر أن الاستخارة كذلك؛ لأن الأنبياء عليهم السلام أحق

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣/ ٢٧٥). ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٦٧).

بها، وحديث الاستخارة وتعليم النبي ﷺ إياها في «صحيح البخاري» و«سنن الأربعة» رحمهم الله تعالى، وهما قرينتان[1].

قال رسول الله ﷺ: «مَا خَابَ مَنِ اسْتَخَارَ، وَلاَ نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ، ولاَ عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ». رواه الطبراني في «الكبير» عن أنس رضي الله عنه[2].

وروى ابن أبي شيبة، والبيهقي عن يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالى قال: قال سليمان بن داود لابنه عليهم السلام: يا بني! لا تقطع أمراً حتى تؤامر مرشداً؛ فإنك إذا فعلت لم تحزن عليه[3].

وقال الحسن رحمه الله: ما تشاور قومٌ إلا هدوا لأرشد أمرهم[4].

* **تَنْبِيهٌ**:

لا يلزم أن يكون المستشار أفضل من المستشير ولا أعلم منه، بل يستشيره وإن كان دونه؛ ألا ترى أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يستشير أصحابه وهم دونه؟

وروى ابن عساكر عن محمد ابن الإمام عبد الرحمن الأوزاعي رحمهما الله: أنه سمع أباه يقول: ما من أحدٍ يشاور من هو دونه في

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٩)، وأبو داود (١٥٣٨)، والترمذي (٤٨٠)، والنسائي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (١٣٨٣) عن جابر رضي الله عنهما.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٢٧٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٣٩٣).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٢٧٥).

العلم والرأي والعقل تواضعاً له واستكانة إلا عزم الله له بأرشد أموره.

قال محمد: فلقد رأيت أبي وهو يشاور الخادم[1].

نعم، العاقل العارف أولى بالمشاورة، وإذا تعارضت إشارته وإشارة من دونه فإشارته أولى بالاتباع.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: استشر في أمرك الذين يخشون الله؛ فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر: ٢٨]. رواه الحاكم في «تاريخه»، والخطيب في «المتفق والمفترق»[2].

ويرجع كلام عمر إلى أنَّ الأولى بأن يستشار أهل العلم العاملون لأنهم الذين يخشون الله تعالى؛ فإن الخشية تدعوهم إلى العمل، والعمل بالعلم ينتج النطق بالحكمة وإملاء الصواب، وهم الألباء أصحاب العقول السديدة والآراء الحميدة.

ولقد أحسن أبو الفتح البستي الكاتب الأديب في قوله: [من الوافر]

خَصائِصُ مَنْ تُشاوِرُهُ ثَلاثٌ
فَخُذْ مِنْها جَمِيْعاً بِالْوَثِيْقَةْ
وِدادٌ خالِصٌ وَوُفُورُ عَقْلٍ
وَمَعْرِفَةٌ بِحالِكَ فِيْ الْحَقِيْقَةْ

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٤/ ٩٥).

(٢) ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٤٩١)، وابن أبي الدنيا في «الإخوان» (ص: ٩٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٤٤٢).

فَمَـــنْ حَـــصَلَتْ لَـــهُ هَـــذِي الْمَعَـــانِي
فَتَـــابِعْ رَأْيَـــــهُ وَالْـــــزَمْ طَرِيْقَـــــه

٥٥ ـ ومنها: مداراة الناس ومخالقتهم بأخلاقهم من غير إثم إذا احتيج إلى مخالقتهم، وخصوصاً لأجل تعليمهم وإرشادهم؛ فإن ذلك أيضاً من أخلاق الأنبياء عليهم السلام.

روى ابن أبي الدنيا في كتاب «المداراة» عن عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي قال: جلس داود عليه السلام خالياً فقال الله ﷻ له: ما لي أراك خالياً؟ قال: هجرتُ الناس فيك يا رب العالمين، قال: يا داود! ألا أدلُّك على ما يستثني وجوه الناس إليك وتبلغ به رضائي؟ خالق الناس بأخلاقهم، واحتجز الإيمان بيني وبينك[١].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد عن الأوزاعي رحمه الله تعالى قال: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود! ألا أعلمك علمين إذا عملتهما ألقيت بهما وجوه الناس إليك، وبلغت بهما رضائي؟ قال: بلى يا رب، قال: احتجز فيما بيني وبينك بالورع، وخالط الناس بأخلاقهم[٢].

وروى والده عن الحسن رحمه الله قال: سأل موسى عليه السلام جماعاً ـ يعني: من القول ـ، فأوحى الله إليه: انظر الذي تحب أن

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «المداراة» (ص: ٥٠).
(٢) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ٧٨).

يصاحبك به الناس فصاحب به الناس[1].

وعن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى قال: كان عيسى ويحيى عليهما السلام يأتيان القرية، فيسأل عيسى عليه السلام عن شرار أهلها، ويسأل يحيى عن خيار أهلها، فقال له: لِمَ تنزل على شرار الخلق؟ قال: إنما أنا طبيب أداوي المرضى[2].

وروى ابن أبي الدنيا، والديلمي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِيْ بِمُدَارَاةِ النَّاسِ كَمَا أَمَرَنِيْ بِإِقَامَةِ الفَرَائِضِ»[3].

* تَنْبِيْهٌ:

المداراة والمخالقة يفرق بينهما وبين الرياء بأنه طلب محمدة الناس بفعل أو ترك، أو طلب شيء من الدنيا بالطاعة، وأما المداراة والمخالقة فإنها طلب صلاح الناس أو سلامته من شرورهم بحسن خطابهم أو بالتواضع معهم والتلطف بهم مع ملاحظة الورع فيما بينه وبين الله تعالى، وطمأنينة قلبه بذكر الله تعالى، والتعلق به في كل نفع ودفع.

ومن شرطهما أن لا يتجاوز إلى معصية الله تعالى في مداراتهم؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٨٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٥٩)، ورواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ١٥) وقال: بشر بن عبيد منكر الحديث.

ويكفيك في هذا الباب قوله ﷺ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسنٍ». رواه الإمام أحمد، والترمذي وحسنه، من حديث أبي ذر، ومن حديث معاذ، وابنُ عساكر من حديث أنس رضي الله عنهم[1].

ولوالدي رحمه الله تعالى في عقد الحديث: [من الرمل]

اتَّقِ اللهَ تَعَالَىْ حَيْثُ كُنْـ ـتَ وَأَتْبِعْ سَيِّئَاتٍ حَسَنَةْ

خَالِقِ النَّاسَ بِخُلْقٍ حَسَنٍ وَالْحَدِيْثُ التِّرْمِذِيْ قَدْ حَسَّنَه

وفي قوله: «أتبع سيئات حسنة» نكته لطيفة، وهي الإشارة بجمع سيئات وإفراد حسنة إلى أن الحسنة الواحدة تُكفر عدة من السيئات وهي عشر، ولا يفهم هذا من لفظ الحديث وإنما هو مأخوذ من نص آخر، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هود: ١١٤] يتناوله.

وقد قلت[2]: [من الرمل]

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٥٨)، والترمذي (١٩٨٧) عن أبي ذر، وعن معاذ رضي الله عنهما. وقال الترمذي: الصحيح حديث أبي ذر رضي الله عنه.
وروواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ٣١٤) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) في «أ»: «قيل» بدل «قلت».

مِـــنْ وَصــــايا الْمُـــصْطَفى خَيْـــرِ الْـــوَرَى
سَـــــيِّدِ الرُّسْــــــلِ إِمــــــامِ الْمُتَّقِــــــيَن

لَــــمْ يَـــــزَلْ تَهْمِـــــيْ عَلَيْــــهِ دائِمــــاً
صَـــــلَواتٌ وَسَـــــلامٌ كُــــلَّ حِـــيْنِ

اتَّـــــــقِ اللهَ تَعــــــــالى حَيْثُمــــــــا
كُنْـــــتَ، فَـــالتَّقْوَى لَنــــا نِعْـــمَ الْقَـــرِيْن

ثُـــــمَّ أَتْبِــــــعْ سَـــــيِّئاتٍ حَـــــسَناتْ
فَهْــــوُ يَمْحُــــوْهُنَّ بِــــالنَّصِّ الْمُبِـــــيْن

خـــــالِقِ النَّـــــاسَ بِخُلْــــقٍ حَـــسَنٍ
تَكْـــسِبِ الْحُـــبَّ وَتُفْـــدَى بِـــالأبين

٥٦ ـ ومنها: **الصبر على جور الحكام**، ووقاية النفس والعرض بما يدفع إليهم من المكوس وغيرها من غير اختيار لذلك ولا إعراض عن إنكاره مع التسليم لقضاء الله تعالى، وكلة الأمر إليه واللجاء إليه.

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن عبدالله الداراني رحمه الله قال: مرَّ عيسى عليه السلام ومعه صاحب له على ماكس، فقال: أرجو ألاَّ يمر به أحد إلا أخذ من رأسه ديناراً، فقال عيسى لصاحبه: اذهب إلى مكان كذا من ساحل البحر، فسترى حوتاً في فِيْه دنانير ولا تزد على دينارين، فذهب حيث أمره عيسى فإذا حوت في فِيْه

دنانير، فأخذ من فِيْه دينارين، فقال: أعطهما إياه، فقال: جوزا، فلما جازا قيل للماكس: تدري من هذا الذي مرَّ بك؟ قال: لا، قالوا: عيسى ابن مريم عليهما السلام، فتبعه يسعى حتى لحقه فقال: يا رسول الله! لم أعرفك، وجعل يتضرع إليه وخاف دعاءه، فقال عيسى: يؤخذ الماكس والبزاز يوم القيامة، فيُقرنان في حبل ثم يُقذفان في النار.

وقوله: والبزاز: هو الجبار الذي يغلب الناس على متاعهم، من قولهم: بزَّه: إذا غلبه وقهره، وفي المثل: مَنْ عزَّ بز؛ أي: غلب، وليس هو بائع البُز.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن سعيد بن عبد العزيز عن أشياخه: أنَّ عيسى عليه السلام مرَّ بعقبه أَفْيق ومعه رجل من حوارييه، فاعترضهما رجل فمنعهما الطريق وقال: لا أترككما تجوزان حتى ألطم كل واحد منكما لطمة، فادَّارآه فأبى إلا ذلك، فقال عيسى عليه السلام: أما خدِّي فالطمه، قال: فلطمه فخلَّى سبيله، وقال للحواري: لا أدعك تجوز حتى ألطمك، فتَمَنَّع، فلما رأى عيسى عليه السلام ذلك أعطاه خده الآخر فلطمه، فخلَّى سبيلهما، فقال عيسى عليه السلام: اللهم إن كان لك رضى فبلغني رضاك، وإن كان سخطاً فأنت أولى بالغيرة[1].

٥٧ ـ ومنها: النصيحة للخلق، ووعظهم وتذكيرهم، ووصيتهم بالتقوى وقبول النصيحة والوصية.

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾[البقرة: ١٣٢].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٩٣).

قال ابن عباس ﭬ: وصَّاهم بالإسلام ووصَّى يعقوب بنيه بمثل ذلك. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم[١].

ووصية الخضر لموسى عليهما السلام معروفة، والإشارة إليها في كتاب الله تعالى.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي الهذيل رحمه الله تعالى قال: لقي عيسى يحيى عليهما السلام فقال: أوصني، قال: لا تغضب قال: لا أستطيع، قال: لا تقتنِ مالاً، قال: أمَّا هذه فلعله[٢].

وعن عبدالله بن الحارث رحمه الله تعالى قال: أوحى الله تعالى إلى داود: يا داود! أحبني، وأحب عبادي، وحببني إلى عبادي، قال: يا رب! هذا أحبك وأحب عبادك، فكيف أحببك إلى عبادك؟ قال: تذكرني عندهم؛ فإنهم لا يذكرون مني إلا الحسن[٣].

وعن أبي عبدالله الجدلي رحمه الله تعالى قال: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود! أحبني، وأحب من يحبني، وحببني إلى عبادي، قال: يا رب كيف؟ هذا أحبك وأحب من يحبك، فكيف أحببك إلى عبادك؟ قال: اذكرني فلا تذكر إلا حسناً[٤].

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١/ ٥٦٠)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٢٣٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٧).

(٣) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٥٤).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٢).

٥٨ ـ ومنها: العزلة والانفراد عن الناس إلا في حال الدعوة والتعليم، والاختلاء بالله على كل حال.

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾[مريم: ٤٨ ـ ٤٩].

في الآية إشارة بأنَّ العبد إذا اعتزل الناس في ذات الله تعالى عوَّضه عنهم من يؤنسه فيه وتقر به عينه.

وروى الدينوري، وغيره عن وهب رحمه الله تعالى قال: أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني اسرائيل: إذا أردت أن تسكن غداً معي في حظيرة القدس فكن في الدنيا وحيداً فريداً، مهموماً محزوناً كالطائر الوحداني يظلُّ في رياض الفلاة، ويَرِدُ أطراف العيون، ويأكل أطراف الشجر، فإذا جنَّ عليه الليل آوى وحده استيحاشاً من الطير، واستئناساً بربه[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: إنَّ أحبَّ شيء إلى الله الغرباء، قيل: وما الغرباء؟ قال: الفرارون بدينهم، يجمعون إلى عيسى عليه السلام يوم القيامة[2].

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٠٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٧). ورواه ابنه في «زوائد الزهد» (ص: ١٤٩) عنه مرفوعاً.

وعن أبي إدريس الخولاني رحمه الله تعالى قال: ألا أخبركم من كان أطيب الناس طعاماً؟ فلما رأى الناس قد نظروا إليه قال: إنَّ يحيى بن زكريا عليهما السلام كان أطيب الناس طعاماً، إنما كان يأكل مع الوحش كراهية أن يُخالط الناس في معاشهم(١).

٥٩ ـ ومنها: الصمت إلا عن خير.

روى ابن أبي الدنيا في «الصمت» عن سفيان قال: قالوا لعيسى عليه السلام: دُلَّنا على عمل ندخل به الجنة؟ قال: لا تنطقوا أبداً، قالوا: لا نستطيع ذلك، قال: فلا تنطقوا إلا بخير(٢).

وعن عبد العزيز بن أبي رواد رحمه الله تعالى قال: قال رجل لسليمان عليه السلام: أوصني، قال: لا تتكلم، قال: وكيف يصبر رجل على أن لا يتكلم؟ قال: فإن كنت لا تصبر عن الكلام، قال: فلا تتكلم إلا بخير أو اصْمُتْ(٣).

وروى هو والأصبهاني في «الترغيب» عن الأوزاعي رحمه الله قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام: إنْ كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب(٤).

---

(١) ورواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٤٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٩٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٦٥).

(٤) تقدم تخريجه.

وروى أبو نعيم عن عكرمة رحمه الله قال: قال لقمان لابنه عليهما السلام: قد ذقت المرار فليس شيءٌ أمرَّ من الفقر، وحملتَ الحِمْل الثقيل فليس شيء أثقل من جار السوء، ولو أن الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب[1].

ولقمان ليس بنبي على الأصح، وإنما أشرنا بكلامه إلى توارده هو وسليمان عليه السلام على هذه الحكمة، أو أن سليمان سمعها من لقمان فقررها؛ لأنَّ لقمان كان من أقران أبيه داود عليه السلام.

وقال عبدالله بن المبارك رحمه الله في المعنى، كما رواه عنه ابن أبي الدنيا وغيره: [من المنسرح]

جَرَّبْــتُ نَفْــسِيْ فَمــا وَجَــدْتُ لَهــا
[مــن] بَعْــد تَقْــوَى الإِلَــهِ مِــنْ أَدَبِ

فِــيْ كُــلِّ حالاتِها وَإِنْ كَرِهَــتْ
أَفْــضَلَ مِــنْ صَــمْتِها عَــنِ الْكَــذِبِ

وَغِيْبَــةِ النَّــاسِ إِنَّ غِيْبَــتَهُمْ
حَرَّمَهــا ذُو الْجَــلالِ فِــيْ الْكُتُــبِ

قُلْــتُ لَهــا طائِعــاً وَأُكْرِهُهــا
الْحِلْــمُ وَالْعِلْــمُ زَيْــنُ ذِيْ الأَدَبِ

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٣٧).

إِنْ كَـــانَ مِـــنْ فِـــضَّةٍ كَلامُـــكِ يـــا
نَفْـــسُ فَـــإِنَّ الـــسُّكُوْتَ مِـــنْ ذَهَـــبِ[1]

٦٠ ـ ومنها: التنزه عن خائنة الأعين.

روى أبو داود، والنسائي، والحاكم وصححه، عن سعد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِنَبِـيٍّ أَنْ تَكُوْنَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنْ»[2].

والمراد بخائنة الأعين: الإيماء إلى أحد أن يفعل شيئاً لم يأمر به صريحاً.

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِيْ لِنَبِـيٍّ أَنْ يُوْمِضَ ـ أَيْ: يُوْمِيءَ ـ بِـيَدِهِ أَوْ عَيْنِهِ إِلَىْ مَا لاَ يَأْمُرُ بِهِ وَلاَ يَفْعَلُهُ»[3].

وروى أبو نعيم عن سفيان رحمه الله تعالى: أنه سُئِلَ عن قوله عز وجل: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾[غافر: ١٩]؛ قال: الرجل يكون في المجلس يسرق النظر في القوم إلى المرأة تمر بهم، فإن رأوه ينظر إليها اتقاهم فلم ينظر، وإن غفلوا عنه نظر، قال: وما تُخفي الصدور:

---

(١) انظر: «الصمت وآداب اللسان» لابن أبي الدنيا (ص: ٣١٢)، وعنده: «أدبت» بدل «جربت»، و«قصرت» بدل «كرهت».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٥١)، وأبو داود (٣١٩٤)، وتقدم نحوه، لكن لم يعزه هناك للإمام أحمد.

ما يجد في نفسه من الشهوة[1].

قلت: ومن خائنة الأعين مُسارقة النظر في القوم إلى الأمرد الجميل يكون حاضراً.

روى أبو نعيم عن أبي الحسين النوري رحمه الله تعالى قال: رأيت غلاماً جميلاً ببغداد فنظرتُ إليه، ثم أردتُ أن أُردد النظر فقلت له: تلبسون النعال الصرارة وتمشون في الطرقات؟ قال: أحسنت، أتجمش بالعلم، ثم أنشأه يقول: [من الطويل]

تَأَمَّلْ بِعَيْنِ الْحَقِّ إِنْ كُنْتَ نَاظِراً
إِلَى صِفَةٍ فِيْهَا بَدائِعُ فَاطِرِ
وَلا تُعْطِ حَظَّ النَّفْسِ مِنْهَا لِمَا بِهَا
وَكُنْ نَاظِراً بِالْحَقِّ قُدْرَةَ قَادِرِ[2]

قوله: أتجمش ـ بفتح الهمزة والمثناة، وإسكان الجيم، وضم الميم، وبالمعجمة، أو بضم المثناة فوق، وفتح الجيم، وكسر الميم مشددة ـ: من الجمش والجميش: وهما المغازلة والملاعبة.

ويقال: رجل جماش: متعرض للنساء كأنه يطلب الركب الجميش؛ أي: المحلوق، وهو بفتح الراء والكاف: العانة أو منبتها، أو الفرج أو ظاهره.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٧٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٥٤).

وأراد الغلام أن يُعَرِّف أبا الحسين بأنه أظهر له الإنكار والنصيحة وهو يريد مغازلته ومداعبته وذلك عين خائنة الأعين، وكأن الغلام صاحب كشف وإشراف على حال أبي الحسين، ولذلك اعترف أبو الحسين بحقيقة ما وقع له معه، وأراد بهذه الحكاية الإخبار عن مقام الغلام والشهادة له والإشارة إلى من حاله التزهد والانقطاع إلى الله تعالى لا ينبغي له التعرض لمثل ذلك ولا الاسترسال مع هوى نفسه، فربما يكشف حاله ويفضح من حيث لا يحتسب.

ومن هنا قال ﷺ: «إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِيْ لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُوْنَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ»؛ لأن مقام الأنبياء منزه عن التنزل إلى الرخص بخائنة الأعين، والتسفل إلى حضيض متابعة هوى النفس ولو فيما يتسامح فيه في حق غيرهم، وكذلك من كان من أهل وراثة الأنبياء السالك على محجة الأصفياء والأولياء ينبغي له التصاون عن ذلك وأمثاله، فافهم.

٦١ ـ ومنها: الحب في الله تعالى، والبغض في الله، والاجتماع على الله، والهجرة في الله سبحانه وتعالى.

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن محمد بن النضر الحارثي قال: أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام: كن يقظاناً مُرتاداً لنفسك أخداناً، فكل خَدَن لا يواتيك على مسرتي فهو لك عدو وهو يقسِّي قلبك[١].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٨٤).

وروى الدينوري عن الفضيل بن عياض رحمه الله قال: أوحى الله إلى نبي من الأنبياء عليهم السلام: أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة، وأما انقطاعك إليَّ فقد تعززت بي، ولكن هل عاديْتَ فيَّ عدواً أو واليْتَ فيَّ وليّاً[1].

ورواه أبو نعيم، والخطيب في «تاريخه» عن ابن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ، ولفظه: «أَوْحَىْ اللهُ إِلَىْ نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ أَنْ قُلْ لِفُلاَنٍ العَابِدِ: أَمَّا زُهْدُكَ فِيْ الدُّنْيَا فَتَعَجَّلْتَ الرَّاحَةَ، وَأَمَّا انْقِطَاعُكَ إِلَيَّ فَتَعَزَّزْتَ بِيْ، فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيْمَا لِيْ عَلَيْكَ، قَالَ: يَا رَبِّ! وَمَا لَكَ عَلَيَّ؟ قَالَ: هَلْ عَادَيْتَ فِيَّ عَدُوّاً؟ وَهَلْ وَالَيْتَ فِيَّ وَلِيّاً؟»[2].

وروى أبو الحسن بن جهضم عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى: أنه لمَّا خرج سائحاً لَقِيَه رجلٌ حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فقال له: يا غلام! من أين وإلى أين؟ قال إبراهيم: من الدنيا إلى الآخرة، فقال له: يا غلام! أنت جائع؟ قال: نعم، قال: فقام الشيخ فصلى ركعتين خفيفتين وسلم، فإذا عن يمينه طعام، وعن يساره ماء فقال لي: كُل، فأكلت بقدر شبعي، وشربْتُ بقدر رِيي، فقال لي الشيخ: اعقل وافهم؛ لا تحزن، ولا تستعجل؛ فإنَّ العجلة من الشيطان.

وإياك والتمرد على الله؛ فإنَّ العبد إذا تمرَّد على الله أورث الله قلبه

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٦٦).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣١٧)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٠٢).

الظلمة والضلالة مع حرمان الرزق، ولا يُبالي الله في أي وادٍ هلك.

يا غلام! إنَّ الله إذا أراد بعبدٍ خيراً جعل في قلبه سراجاً يفرق به بين الحق والباطل، والناس فيهما متشابهون.

يا غلام! إني معلمك اسم الله الأكبر ـ أو قال: الأعظم ـ فإذا أنت جعت فادع الله حتى يُشبعك، وإذا عَطِشْت فادع الله حتى يرويك، فإذا جالست الأخيار فكن لهم أرضاً يطؤونك؛ فإن الله يغضب لغضبهم ويرضى لرضاهم.

يا غلام! خذ كذا حتى آخذ كذا.

قال إبراهيم: فلم أبرح، فقال الشيخ: اللهم احجبني عنه واحجبه عني، فلم أدرِ أين ذهب، فأخذتُ في طريقي ذلك وذكرت الاسم الذي علمني، فلقيني رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فأخذ بحجزتي وقال لي: حاجتك ومن لقيتَ في سفرك هذا؟ قلت: شيخاً من صفته كذا وكذا، وعلَّمني كذا وكذا، فبكى، فقلت: أقسمتُ عليك بالله مَنْ هذا الشيخ؟ قال: ذاك إلياس عليه السلام، أرسله الله إليك ليُعلمك أمر دينك، قلتُ له: فأنت يرحمك الله من أنت؟ قال: أنا الخضر عليه السلام[1].

٦٢ ـ ومنها: الرحمة والشفقة على خلق الله تعالى، وخصوصاً الضعفاء كاليتيم والمسكين والأرملة والخادم.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ

---

(١) تقدم تخريجه، والتعليق عليه.

مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨].

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى: الرضا عن الله تعالى والرحمة للخلق درجة المرسلين. رواه أبو نعيم[١].

وروى هو وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[التوبة: ١١٤]؛ قال: الأواه: الرحيم[٢].

وعن قسامة بن زهير رحمه الله تعالى قال: بلغني أنَّ إبراهيم عليه السلام حدث نفسه أنه أرحم الخلق، قال: فرفعه الله حتى أشرف على أهل الأرض وأبصر أعمالهم، فلمَّا رآهم وما يفعلون قال: يا رب! دمر عليهم، فقال له ربه عز وجل: أنا أرحم بعبادي منك يا إبراهيم، فاهبط فلعلهم يتوبون ويرجعون[٣].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن عبد الرحمن بن أبزى رضي الله عنه قال: قال داود لسليمان عليهما السلام: كن لليتيم كالأب الرحيم، واعلم أنك كما تزرع كذلك تحصد[٤].

وروى الأصبهاني في «الترغيب» عن كعب رحمه الله قال: قال الله تعالى: يا موسى! أتريدُ أن أملأ مسامعك يوم القيامة بما يسرُّك؟ ارحم

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٦٢).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٠٦)، والطبري في «التفسير» (١١/ ٤٨).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٠٤).

(٤) ورواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٣٨).

الصغير كما ترحم ولدك، وارحم الكبير كما ترحم الصغير، وارحم الغني كما ترحم الفقير، وارحم المُعافى كما ترحم المبتلى، وارحم القوي كما ترحم الضعيف، وارحم الجاهل كما ترحم الحليم[1].

قلت: ومعنى رحمة الكبير والغني والمعافى والقوي والحليم كما ترحم أضدادهم أنْ تنظر إليهم من حيث إنهم خلقٌ عاجزون تنفذ فيهم أحكام الله تعالى، فهم ضعفاء فقراء محتاجون إلى الله تعالى في عين قوتهم وغناهم وعافيتهم، فتطلبُ لهم من الله المعونة والتوفيق والهداية إلى الخير في حركاتهم وسكناتهم، وكذلك حال الأنبياء عليهم السلام مع الخلق كافة، وهي الحال المعبر عنها بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[التوبة: ١٢٨] الآية.

٦٣ ـ ومنها: العدل والقضاء بالحق.

قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ﴾[ص: ٢٦].

وفي «الصحيح»: «مَنْ يَعْدِلُ إذا لَمْ أَعْدِلْ»[2].

وروى الحكيم الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلاَثٌ مَنْ أُوْتِيَهُنَّ فَقَدْ أُوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوْتِيَ آلُ دَاوُدَ: العَدْلُ فِي

---

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١٤٦).

(٢) رواه البخاري (٥٨١١) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

الغَضَبِ وَالرِّضَا، وَالقَصْدُ فِيْ الفَقْرِ وَالغِنَىْ، وَخَشْيَةُ اللهِ فِيْ السِّرِّ وَالعَلاَنِيَةِ»[1].

٦٤ ـ ومنها: قول الحق عند من يخاف أو يُرجى بحيث لا تأخذهم في الله لومة لائم.

وقد قُتِلَ يحيى وأبوه زكريا وأنبياء كثيرون في ذات الله تعالى وهم مصممون على الحق، وضايق اليهود عيسى عليه السلام حتى رفعه الله إليه، وصمم إبراهيم عليه السلام على الحق حتى أُلقي في النار وكانت عليه بَرْداً وسلاماً.

وروى أبو نعيم عن بشر بن الحارث رحمه الله: أنه قيل له: لو تكلمت أيام ضُرِبَ أحمد بن حنبل رحمه الله فقال بشر: أتأمروني أن أقوم مقام الأنبياء؟ إنَّ أحمد بن حنبل قام مقام الأنبياء عليهم السلام[2].

٦٥ ـ ومنها: القوة في دين الله تعالى، وأعمال الخير والأمانة والعفة.

قال تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ [النمل: ٣٦].

وقال تعالى حكاية عن بنت شعيب في حق موسى عليهم السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٧).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٧٠).

قال ابن مسعود ﷺ: قال ـ يعني: شعيب لابنته ـ: وما رأيت من قوته؟ قالت: جاء إلى البئر وعليها صخرة لا يقلها كذا وكذا فرفعها، قال: وما رأيتِ من أمانته؟ قالت: كنت [أمشي] أمامه فجعلني خلفه. رواه الطبراني(١).

وروى الإمام أحمد، وابن ماجه عن عتبة بن النُّدَّر ﷺ، عن النبي ﷺ: أنه قال: «إِنَّ مُوْسَىْ عَلَيْهِ السَّلاَمُ آجَرَ نَفْسَهُ عَلَىْ عِفَّةِ فَرْجِهِ وَطَعَامِ بَطْنِهِ»(٢).

وروى الإمام الشافعي رحمه الله في «مسنده» عن محمد بن علي ابن حسين، عن مولى لعثمان بن عفان قال: بينا أنا مع عثمان ﷺ في مالٍ له بالعالية في يومٍ صائف إذ رأى رجلاً يسوق بكرين وعلى الأرض مثل الفراش من الحر، فقال عثمان: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ثم يروح، ثم دنا الرجل فقال: انظر من هذا، فنظرت فقلت: أرى رجلاً متعمماً بردائه يسوق بَكرين، ثم دنا الرجل فقال: انظر، فنظرت فإذا هو عمر بن الخطاب ﷺ فقلت: هذا أمير المؤمنين، فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب فإذا لفح السموم، فأعاد رأسه حتى إذا حاذاه فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟ قال: أخرجني بكران من إبل الصدقة قد تخلفا، وقد مضى بإبل الصدقة فأردت أن ألحقهما بالحِمَى خشيتُ أن يَضِيْعا فيسألني الله عنهما، فقال عثمان: يا أمير المؤمنين! هلمَّ إلى

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٨٢٩).

(٢) تقدم تخريجه.

الماء والظل ونكفيك، قال: عُد إلى ظلك، فقلت: عندنا مَنْ يكفيك، قال: عُد إلى ظلك، ومضى فقال عثمان: من أحبَّ أن ينظر إلى القوي الأمين فلينظر إلى هذا(1).

٦٦ ـ ومنها: الغضب لله وعدم الغضب للنفس.

وهذا شأن الأنبياء والمرسلين بأسرهم صلوات الله وسلامه عليهم، ألا ترى إلى غضب نوح عليه السلام على قومه بسبب تماديهم في الكفر وإصرارهم عليه حتى قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[نوح: ٢٦]، وغضب إبراهيم عليه السلام حتى هجر أباه وقومه، واعتزلهم وما يعبدون من دون الله، وغضب موسى عليه السلام حتى أخذ برأس أخيه يجرُّه إليه.

وقال القشيري رحمه الله تعالى في «جزئه» الذي جمع فيه كلام أبي علي الدقاق رحمه الله تعالى: وسمعته يقول: سمع سليمان عليه السلام من الهدهد قوله: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ فلم يؤثِّر فيه، ثم قال: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ فلم يلتفت سليمان عليه الصلاة والسلام إليه، فلما قال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[النمل: ٢٣ ـ ٢٤] حَرِد سليمان وتأهبَ للخروج لمحاربتها؛ لم يغضب سليمان لأجل ما هو نصيب النفس، وغضب لما هو حق الحق.

---

(1) رواه الإمام الشافعي في «مسنده» (ص: ٣٩٠).

٦٧ ـ **ومنها: النكاح، خصوصاً للمرأة الصالحة، والإنكاح، خصوصاً للرجل الكامل الصالح.**

قال الله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام يُخاطب موسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾[القصص: ٢٧].

وتقدم قول النبي ﷺ: «إِنَّ مُوْسَى آجَرَ نَفْسَهُ ثَمَانِيَ سِنِيْنَ أَوْ عَشْراً عَلَىْ عِفَّةِ فَرْجِهِ»، الحديث(١).

وروى الإمام أحمد، والترمذي وحسنه، عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِيْنَ: الْحِنَّاءُ، وَالتَعَطُّرُ، وَالسِّوَاكُ، وَالنِّكَاحُ»(٢).

وقال بعض الرواة: «الحياء» ـ بالياء المثناة تحت ـ(٣).

وقالت جماعة من المفسرين في قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٥٤]: إنَّ المراد بالملك العظيم ما أوتيه سليمان من الملك وكثرة النساء، وإنَّ الآية نزلت تكذيباً لليهود وردّاً عليهم في قولهم: لو كان نبياً ما رغب في كثرة النساء ولشغلته النبوة عن ذلك، فأخبر الله سبحانه عن ما كان لداود وسليمان عليهما السلام، ووبخهم

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٢١)، والترمذي (١٠٨٠) وحسنه.

(٣) رواية الإمام أحمد والترمذي: «الحياء».

فأقروا بأنَّه اجتمع عند سليمان ألف امرأة فقال لهم النبي ﷺ: «أَلْفُ امْرَأَةٍ» قالوا: نعم، مئة مَهْرِيَّة، وتسع مئة سَرِية، وعند داود مئة امرأة، فقال لهم النبي ﷺ: «أَلْفٌ عِنْدَ رَجُلٍ وَمِئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ أَكْثَرُ أَوْ تِسْعُ نِسْوَةٍ؟» فسكتوا، وكان له يومئذٍ تسع[1].

ونقل حجة الإسلام في «الإحياء» عن سفيان بن عيينة رحمه الله: أنه قال: كثرة النساء ليست من الدنيا؛ لأن علياً رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله ﷺ وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية.

قال: فالنكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الأنبياء عليهم السلام[2].

وقوله: «إن كثرة النساء ليست من الدنيا»: أراد الدنيا المذمومة، فلا مُنافاة بينه وبين قوله ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ»[3].

وبذلك أجاب شيخ الإسلام الوالد رحمه الله عما نقله عن الأوزاعي رحمه الله: أنَّ حب النساء ليس من حب الدنيا، فقال في كتابه «فصل الخطاب»: [من الرجز]

وَقَالَ الأَوْزَاعِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنْ
هُوَ ابْنُ عَمْرٍو لَيْسَ حُبُّ النِّسْوانْ

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٨/ ٢٠٢)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٢٩)، و«تفسير القرطبي» (٥/ ٢٥٢).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٢٣).

(٣) تقدم تخريجه.

مِـــنْ حُـــبٍّ دُنْيـــاً وَالْمُـــرادُ مـــا يُـــذَمْ

مِـــنْ حُبـــِّها أَوْ هُـــوَ مِنْهـــا وَاتَّـــسَمْ

بِكَوْنِـــهِ مِـــنْ عَمَـــلِ الأُخْـــرى لِمـــا

فِيْـــهِ مِـــنَ الْعَـــوْنِ عَلَيْهـــا فَهْـــوَ مـــا

نـــافَى الْحَـــدِيْثَ الْمـــارَّ بَـــلْ وَنُقِـــلا

أَرْبَعَـــةٌ هِـــيَ مِـــنَ الـــدُّنْيا وَلا

يَكُـــوْنُ مِنْهـــا كِـــسْرَةٌ لِجَوْعَتِـــهْ

سَـــرَتْ وَخِرْقَـــةٌ لِـــسَتْرِ عَوْرَتِـــهْ

وَلِلْمَـــصِيْفِ وَالـــشِّتاءِ مَـــسْكَنُ

وَزَوْجَـــةٌ لَهـــا يَـــصُوْنُ يَـــسْكُنُ

وَهْـــوَ حَـــدِيْثٌ رَفَعُـــوْهُ مُـــسْندا

إِلَـــىْ النَّبِـــيِّ الْهاشِـــمِيِّ أَحْمَـــدا

وأراد بالحديث المار حديث: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيْبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِيْ فِيْ الصَّلاَةِ»؛ فإنه عقده في نظمه قبل ذلك.

وقد رواه الإمام أحمد، والنسائي، والحاكم، والبيهقي عن أنس رضي الله عنه[1].

---

(١) تقدم تخريجه.

قـال القاضي عيـاض رحمه الله: أمَّا النكاح فمتفقٌ عليه شرعاً وعادة، فإنه دليل الكمال وصحة الذكورية، ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية، وأما في الشرع فسنة مأثورة.

وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما: أفضل هذه الأمة أكثرها نساء[1]. مشيراً إليه ﷺ إلى أن قال: حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد.

قال سهل بن عبدالله رحمه الله: قد حُببـن إلى سـيد المرسلين ﷺ، فكيف يُزهد فيهن؟، قال: ونحوه لابن عيينة، انتهى[2].

*** وإنما خُصت الأنبياء عليهم السلام بكثرة النساء والنكاح لما استودعه الله تعالى في النكاح من الفوائد والأسرار التي الأنبياء بها أحرى:**

الأولى: طلب الولد الصالح موافقة لمحبة الله تعالى لبقاء جنس الإنسان بالتناسل، ورغبة في دعاء الولد الصالح لأبيه بعد موته، وبقاء آثاره به، ووراثته لعلمه وخلقه إن تقدمت وفاة الوالد على الولد، أو في احتساب مُصيبة الوالد بالولد إن تأخرت وفاة الوالد عنه، وأنت خبير بما قاساه الخليل عليه السلام في الابتلاء بذبح الولد، وما قاساه نافلته يعقوب عليه السلام في مفارقة يوسف وأخيه وحزنه عليهما فأُعْطِيَ على ذلك ثواب مئة شهيد كما سبق.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٨٢).

(٢) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٧٥).

وروى أبو نعيم عن عبد الأعلى التميمي رحمه الله قال: لمَّا لقي يوسف أخاه عليهما السلام قال: أتزوجت بعدي؟ قال له: نعم، قال له: أما منعك الحزن عليَّ، قال: قال لي أبي: تزوج لعلَّ الله ﷻ يذرأ منك ذرية يثقلون الأرض بالتسبيح في آخر الزمان(١).

الفائدة الثانية: التحصن من الشيطان؛ فإنَّ الأنبياء عليهم السلام وإن كانوا معصومين فإنَّ الشيطان فيهم أطمع، وعلى تغريرهم أحرص، وهم أولى بالتحصن منه من غيرهم.

وقد قال الضحاك رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾[يوسف: ٢٤]: جرى الشيطان فيما بينهما، وضرب بيده إلى جِيْد يوسف وبيده الأُخرى إلى جِيْد المرأة حتى جمع بينهما(٢).

ولا عبرة بمن أنكر هذا القول؛ فإنَّ المتقدمين حملوا الهم في القرآن على ظاهره، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: حلَّ الهِميان(٣)(٤).

وقال مجاهد رحمه الله: حلَّ سراويله وجعل يعالج ثيابه(٥).

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٨٩).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٥/ ٢١٠).

(٣) الهِميان: السراويل.

(٤) رواه الطبري في «التفسير» (١٢/ ١٨٣)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٧/ ٢١٢٢).

(٥) رواه الطبري في «التفسير» (١٢/ ١٨٤)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٧/ ٢١٢٢).

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: أطلق تكة سراويله[1].

وهؤلاء أعلم بالله تعالى وبتأويل كتابه، وأشد تعظيماً للأنبياء عليهم السلام أن يقولوا فيهم بغير علم كما قال القاسم بن سلام، وعليه المحققون من المتأخرين[2].

على أن الهم لا مؤاخذة فيه كما في الحديث، وما ذكره الله تعالى في القرآن العظيم عن الأنبياء عليهم السلام من مثل ذلك لم يكن تعييراً لهم كما قاله الحسن البصري رحمه الله، ولكن لئلا ييئس غيرهم من التوبة، وليكمل للأنبياء مقام التوبة والافتقار إلى الله تعالى في قبولها[3].

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١٢/ ١٨٤).

(٢) انظر: «تفسير السمعاني» (٣/ ٢١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤١٨).

(٣) نقل المفسرون عن السلف أقوالاً كثيرة تؤيد ما ذهب إليه المصنف من أن يوسف عليه السلام همَّ بالمعصية، لكن في بعض هذه الأقوال نكارة من جهة أنها ليست هماً إنما هي فعل، كما نقل الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: استلقت له وجلس بين رجليها وحل ثيابه أو ثيابها.

قال ابن العربي في «أحكام القرآن» (٣/ ٣٧): إن الله سبحانه ما أخبر عنه أنه أتى في جانب القصة فعلاً بجارحة، وإنما الذي كان منه الهم، وهو فعل القلب، فما لهؤلاء المفسرين لا يكادون يفقهون حديثاً ويقولون فعل وفعل؟ والله إنما قال: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ لا أقالهم ولا أقاتهم الله ولا عالهم.

وقال شيخ الإسلام في «منهاج السنة» (٢/ ٤١١): ولهذا لما لم يذكر عن يوسف توبة في قصة امرأة العزيز دل على أن يوسف لم يذنب أصلاً في تلك القصة كما يذكر من يذكر أشياء نزهه الله منها، والهم كما قال الإمام أحمد رضي الله عنه همان؛ همُّ خَطَرات، وهَمُّ إصرار، فيوسف عليه الصلاة والسلام =

وعلى كل تقدير، فإنَّ للشيطان طمعاً كلياً في الأنبياء والصالحين من حيث الشهوة، فالنكاح يحسم عنهم هذه المواد.

الفائدة الثالثة: كسر التوقان، ودفع غوائل الشهوة، وغض البصر، وحفظ الفرج منه ومن الزوجة، ألا ترى كيف أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى في قوله: «إِنَّ مُوْسَىْ عَلَيْهِ السَّلامُ آجَرَ نَفْسَهُ ثَمانِيَ سِنِيْنَ أَوْ عَشْراً عَلَىْ عِفَّةِ فَرْجِهِ»[1].

وقال ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ». الحديث رواه الإمام أحمد، والأئمة الستة رحمهم الله تعالى عن ابن مسعود رضي الله عنه[2].

وروى الحاكم وصححه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾[القصص: ٢٥] قال: كانت[3] تجيء وهي خراجة ولاجة واضعة يديها على وجهها، فقام معها موسى

= لما هم ترك همه لله، فكتب الله به حسنة كاملة، ولم يكتب عليه سيئة قط، بخلاف امرأة العزيز؛ فإنها همت وقالت وفعلت، فراودته بفعلها، وكذبت عليه عند سيدها، واستعانت بالنسوة، وحبسته لما اعتصم وامتنع عن الموافقة على الذنب. باختصار.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٢٥)، والبخاري (١٨٠٦)، ومسلم (١٤٠٠)، وأبو داود (٢٠٤٦)، والترمذي (١٠٨١)، والنسائي (٢٢٣٩)، وابن ماجه (١٨٤٥).

(٣) كذا في «أ» و«م» وفي «المستدرك» أيضاً، وجاء في «تفسير الطبري»: «لم تكن» بدل «كانت».

وقال لها: امشي خلفي وانعتي لي الطريق وأنا أمشي أمامك؛ فإنَّا لا ننظر في أدبار النساء، قال ثم قالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾[القصص: ٢٦] لما رأت من قوته وقوله لها ما قال، فزاده ذلك فيه رغبة[١].

ونظير ذلك ما رواه ابن الجوزي في كتاب «ذم الهوى»: أنَّ وفد عبد القيس لمَّا وفدوا على النبي ﷺ كان فيهم غلام أمرد، فأمره النبي ﷺ أن يجلس وراء ظهره[٢].

وذلك من النبي وموسى عليهما الصلاة والسلام مبالغة في غض البصر، ولا يُساعد على غض البصر شيء كالنكاح، ولقد أمر النبي ﷺ من رأى امرأة فأعجبته أن يأتيَ أهلَه، كما روى مسلم، والترمذي عن جابر رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ رأى امرأة فدخل على زينب رضي الله عنها فقضى حاجته وخرج وقال: «إِنَّ المَرْأَةَ تُقْبِـلُ فِيْ صُوْرَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا رَأَىْ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ مَعَهَا مِثْلَ الذِيْ مَعَهَا»[٣].

وروى الإمام أحمد بسند جيد، عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه قال: مرَّت بالنبي ﷺ نسوة، فوقع في قلبه شهوة النساء، فدخل فأتى بعض

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٥٣٠).

(٢) رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص: ١٠٦). قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣/ ١٤٨): قال ابن الصلاح: ضعيف لا أصل له.

(٣) رواه مسلم (١٤٠٣)، والترمذي (١١٥٨) واللفظ له. وكذا رواه أبو داود (٢١٥١).

زوجاته وقال: «فَكَذَلِكَ فافْعَلُوا؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَمَاثِلِ أَعْمَالِكُمْ إِتْيَانُ الحَلاَلِ»[1].

وقال شيخ الإسلام والدي عاقداً لحديث جابر رضي الله عنه: [من البسيط]

عَنِ النَّبِيِّ أَتانا مَنْ رَأَى امْرَأَةً
أَحَلَّ فِيْ قَلْبِهِ لِلْحُسْنِ مَوْقِعها
فَلْيَأْتِ زَوْجَتَهُ فَلْيَقْضِ حاجَتَهُ
فَإِنَّما مَعَها مِثْلُ الَّذِيْ مَعَها

وقلت في معنى حديث أبي كبشة رضي الله عنه، وحاملاً له على المعنى الأعم:

مَنْ سَرَّهُ مِنَ الْحَرامِ مِثْلُ
ما لَهُ مِنَ الْحَلالِ وَالْمُباحِ
فَفِيْ الْحَلالِ غُنْيَةٌ عَنْهُ لَهُ
وَلَيْسَ فِيْ الْمُباحِ مِنْ جُناحِ

الفائدة الرابعة: ترويح النفس وإيناسها بالنظر والمجالسة والملاعبة؛ فإن ذلك يُنشط العبد للعبادة ويحيد به عن الملل والسآم.

ولقد قال الله تعالى: ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[الأعراف: ١٨٩]، ولا خفاء أنَّ الأنبياء عليهم السلام أولى بصفاء الفكر وراحة القلب لأجل تأدية

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٣١).

الدعوة وتبليغ الرسالة.

وأيضاً فإن أرواح الأنبياء عليهم السلام سارحة في مطالعة العالم العلوي، طائرة إلى مشاهدة الملكوت الحقيقي، منجذبة مع تجلياتها مَأخُوذة في تمليّاتها وتروحاتها، ثم هم مطالبون بتبليغ ما يوحى به إليهم إلى البشر، ولا يمكنهم ذلك إلا بالتخلق بأخلاق البشر، ومن ثم لم تكن الملائكة رسلاً إلى عموم البشر؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾[الأنعام: ٩].

وأما الأنبياء عليهم السلام ففيهم روحانية كاملة بها صلحوا للتلقي عن الملائكة عليهم السلام وعن الله تعالى بلا واسطة تارة أخرى، وفيهم إنسانية كاملة بها خالقوا سائر البشر وبها صلح البشر للتلقي عنهم للمجانسة والازدواج الذي بينهم، ولا نشك أن من تمام تخلق الأنبياء عليهم السلام بأخلاق البشر المناكحة التي تحصل بين الزوجين.

وإذا تأملت وجدت أنه كان في كثرة أزواج النبي ﷺ تكميلاً للدين؛ إذ حُمل عنهنَّ من الأحكام ما لا يحمل عن غيرهن مما يحتاج إليه العبد في تمام دينه من معاشرة أهله.

الفائدة الخامسة: تفريغ القلب عن تدبير المنزل، وإصلاح أمر المأكل، وتهيئة سائر أسباب المعيشة، والإعانة على قِرى الضيف ونظم المروءة.

ولقد قيل: ما أعان على نظم مروءات الرجال كالنساء الصوالح[1].

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٩٨).

والأنبياء عليهم السلام أحق الناس بنظم المروءة.

الفائدة السادسة: الاجتهاد على الكسب من الحلال والكد على العيال.

وقد تقدم أنَّ من عمل الأبدال كسب الحلال والنفقة على العيال، وهم إنما سموا أبدالاً لأنهم بُدلاء عن الأنبياء عليهم السلام، كما تقدم.

الفائدة السابعة: إنذار الأهل وتعليمهم وتأديبهم.

الفائدة الثامنة: تربية الأولاد والإحسان إليهم، خصوصاً البنات، والصبر عليهن، والإحسان إليهن، والرفق بهن كما أحسن شعيب عليه السلام[1] إلى ابنتيه في التربية والتأديب حتى وصف الله عفافهما وتحجبهما عن مخالطة الرجال وحياءهما بقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[القصص: ٢٣]، قالا ذلك اعتذاراً عن خروجهن للسقيا بأنْ لا رجالَ لهنَّ إلا أباً شيخاً كبيراً.

وقال تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾[القصص: ٢٥].

وما أحسنَ قولَ منصور الفقيه رحمه الله تعالى: [من المتقارب]

---

(١) الراجح أن أب الفتاتين ليس بشعيب النبي عليه الصلاة والسلام، كما رجح ذلك ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٣٨٥).

أُحِـــبُّ الْبَنـــاتَ وَحُـــبُّ الْبَنـــا
تِ فَـــرْضٌ عَلَـــى كُـــلِّ نَفْـــسٍ كَرِيْمَـــةْ
لأَنَّ شُـــعَيْباً مِـــنْ اَجْـــلِ الْبَنـــا
تِ أَخْدَمَـــهُ اللهُ مُوْسَـــى كَلِيْمَـــه[1]

الفائدة التاسعة: تحسين الأخلاق مع الأهل والأولاد، والتنزُّل إلى عقولهم، والترحم لهم والشفقة عليهم، ومعونتهم، وتفريحهم وإدخال السرور عليهم، ألا ترى كيف كانت سيرة موسى عليه السلام في الشفقة على صفراء بنت شعيب عليهم السلام، وقد سار بها من مدين إلى مصر وأدركها الطَّلْق في ليلة باردة شاتية مظلمة ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾[طه: ١٠].

وما كان إلا في مصلحة أهله، ففجأه الله بالوحي وآتاه من فضله، وقد قال رسول الله ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «مَنْ حَسُنَتْ صَلاَتُهُ وَكَثُرَتْ عِيَالُهُ وَقَلَّ مَالُهُ وَلَمْ يَغْتَبِ الْمُسْلِمِيْنَ كَانَ مَعِي فِيْ الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ». رواه أبو يعلى[2].

وهذه كلها أخلاق نبوية، ولذلك كان المتخلق بها مع الأنبياء عليهم السلام، ولا يتيسر اجتماعها إلا في المتزوج.

---

(١) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٤٨٠).

(٢) رواه أبو يعلى في «المسند» (٩٩٠). وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٣٧٩).

وهذه الأخلاق ـ وإن كانت مطلوبة منهم وممن على قدمهم مع سائر الناس ـ إلا أن هذه الأخلاق يتخلق بها العبد مع الأهل لسهولة ما جُبِلَتْ النفوس عليه من الميل إلى الأهل والمودة بينهم، فالرجل تدعوه محبة الأهل إلى مخالقتهم بالأخلاق الكريمة اللطيفة لأنه يحب لهم الرفق بهم، وإلى تعليمهم وتأديبهم لأنه يحب لهم الكمال، وإلى مواساتهم والإنفاق عليهم لأنه يحب لهم الرَّوح والراحة والسعة، ثم يصير ذلك عادة له فيعامل به سائر الخلق، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤]

وقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[طه: ١٣٢].

وقال: ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[التحريم: ٦].

وقال ﷺ: «وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُوْلُ»(١).

فإذا عامل أهله بما ذكر، ثم عامل به سائر الخلق كمل وكملت له أخلاق المرسلين، فهو يُعامل الناس بالنصيحة والإحسان والتعليم والتأديب والتكميل مع صون النفس عن أموالهم وقطع الأطماع عنهم، فهو يُعطيهم ولا يسألهم، وينفعهم ولا ينتفع منهم، وينصفهم وإن لم يُنصفوه، إذ كذلك يُعامل العاقل أهله.

ثم يتعرف أن الإيمان لا يستكمله إلا من أحب لإخوانه من البِشر ما يحب لنفسه كما قال ﷺ: «أَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ». رواه البخاري في «تاريخه»، وأبو يعلى، والطبراني في «الكبير»، والحاكم

(١) رواه البخاري (١٣٦١)، ومسلم (١٠٣٤) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه.

وصححه، والبيهقي من حديث يزيد بن أسد رضي الله عنه[1].

بل في «الصحيحين» من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَىْ يُحِبَّ لأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[2]، فيعامل سائر الناس بما يُعامل به أهله من محاسن الأخلاق لأنه يراهم كأهله، ألا ترى أنه وإياهم من أب واحد وأم واحدة، وكأنه أنزل أهله منزله نفسه، ثم أنزل إخوانه من الناس منزلة أهله، ومن ثم لم يطلب الأنبياء عليهم السلام أجراً من أممهم وتبرؤوا من طلب الأجر واستدلوا بذلك على صدق نصيحتهم، ولا يتم النصح والإحسان إلا بذلك، وإلا كان من ينصح الناس ويعلمهم ويرفق بهم لعوض أو غرض مؤثِراً لنفسه عليهم محباً لنفسه ما لا يحب لهم عاملاً لنفسه لا لهم، ناظراً إلى نفسه لا إليهم؛ فافهم!

ومن ثم أُلحق العالم المنزه عن الطمع المخلص في التعليم بالمرسلين، والعالم المتطلع إلى طمع والمتعرض لغرض بالمجرمين في قوله ﷺ: «عُلَمَاءُ هَذِهِ الأُمَّةِ رَجُلاَنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمَاً فَبَذَلَهُ لِلنَّاسِ وَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِ طَمَعَاً وَلَمْ يَشْتَرِ بِهِ ثَمَنَاً، فَذَلِكَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ حِيْتَانُ اليَمِّ، وَدَوَابُّ البَرِّ، وَالطَّيْرُ فِيْ جَوِّ السَّمَاءِ، وَيَقْدُمُ عَلَى اللهِ سَيِّداً شَرِيْفَاً حَتَّى يُرَافِقَ الْمُرْسَلِيْنَ.

---

(١) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ٣١٧)، وأبو يعلى في «المسند» (٩١١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٢٣٨)، والحاكم في «المستدرك» (٧٣١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١١٢٩).

(٢) تقدم تخريجه.

وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمَاً فَبَخِلَ بِهِ عَنْ عِبَادِ اللهِ وَأَخَذَ عَلَيْهِ طَمَعَاً، وَاشْتَرَىْ بِهِ ثَمَنَاً، فَذَلِكَ يُلْجَمُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ، وَيُنَادِيْ مُنَادٍ: هَذَا الَّذِيْ آتَاهُ عِلْمَاً فَبَخِلَ بِهِ عَنْ عِبَادِ اللهِ وَأَخَذَ عَلَيْهِ طَمَعَاً وَاشْتَرَىْ بِهِ ثَمَنَاً، وَذَلِكَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ الحِسَابِ»[1].

الفائدة العاشرة: الصبر على أخلاق النساء، واحتمال الأذى منهن، وفي ذلك تمرين النفس على احتمال الأذى من عامة الناس، وذلك من أخص أخلاق الأنبياء عليهم السلام.

وقد قصَّ الله تعالى علينا خيانة امرأة نوح وامرأة لوط بهما، ولم تكن خيانتهما لهما زنا، إنما كانت من حيث الأذى لهما[2]، فصبرا حتى كفاهما إياهما الله تعالى.

وقد صبر زكريا عليه السلام على خُلق امرأته حتى أصلحها الله تعالى له، كما قال ﷻ: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾[الأنبياء: ٩٠]

روى الحاكم وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال في الآية:

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧١٨٧). وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٣٩).

(٢) روى الحاكم في «المستدرك» (٣٨٣٣) وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما زنتا؛ أما امرأة نوح، فكانت تقول للناس: إنه مجنون، وأما امرأة لوط، فكانت تدل على الضيف، فذلك خيانتهما.

كان في لسان امرأة زكريا عليه السلام طول، فأصلحه الله تعالى[1].

وقيل: كانت حردة[2].

وروى الإمام عبدالله بن المبارك رحمه الله في كتاب «البر والصلة»: أن جرير بن عبدالله ﷺ جاء إلى عمر ﷺ، فشكى إليه ما يلقى من النساء، فقال عمر: إنا لنجد ذلك، إني لأريد الحاجة فتقول لي: ما تذهب إلا إلى فتيات بني فلان تنظر إليهن، فقال ابن مسعود ﷺ: أما بلغك أنَّ إبراهيم عليه السلام شكى ذَرَب[3] خلق سارة إلى الله تعالى فقال له: إنما خلقت من الضلع فالبسها على ما كان فيها ما لم تر عليها خِزية في دينها؟ فقال له عمر: لقد حشا الله بين أضلاعك علماً كثيراً[4].

قال في «الإحياء»: وفي أخبار الأنبياء عليهم السلام: أنَّ قوماً دخلوا على يونس عليه السلام فأضافهم، وكان يدخل ويخرج إلى

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٤٦)

(٢) قال الطبري في «التفسير» (١٧/ ٨٣): والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أصلح لزكريا زوجه كما أخبر تعالى ذكرُه بأن جعلها ولوداً حسنة الخلق؛ لأن كل ذلك من معاني إصلاحه إياها، ولم يخصص الله جل ثناؤه بذلك بعضاً دون بعض في كتابه، ولا على لسان رسوله ﷺ، ولا وضع على خصوص ذلك دلالة، فهو على العموم، ما لم يأت ما يجب التسليم له بأن ذلك مراد به بعض دون بعض.

(٣) الذرب: الحاد من كل شيء.

(٤) ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٦٨٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٣٠٤): فيه راويان لم يسميا، وبقية رجاله رجال الصحيح.

منزله فتؤذيه امرأته، وتستطيل عليه وهو ساكت، فعجبوا من ذلك، فقال: لا تعجبوا؛ فإني سألت الله وقلت: ما أنت معاقب لي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا[1]، فقال لي: إنَّ عقوبتك بنت فلان تزوج بها، قال: وأنا صابر على ما ترون منها[2].

* **تَنْبِيْهانِ:**

الأَوَّلُ: هذه الفوائد التي أشرنا إليها كلها أُخروية، ولمن قصدها بالنكاح أجور سَنِيَّة، وينبغي لمن أراد التزوج أن ينويها عند الإرادة وعند الخطبة وعند العقد، وكذلك عند الجماع ينبغي له أن ينوي التحصن والتعفف عن الزنا واللواط، والنظر إلى ما لا يحل له، والفكر في مسارح الشهوة، وترويح النفس، وحصول ولد صالح يذكر الله تعالى ويعبده، ويُكاثر به النبي ﷺ يوم القيامة، ويدعو له إذا بقي بعده، أو يحتسبه إذا مات قبله.

وليعلم أنَّ ذلك كله وأكثر كان مقصود الأنبياء عليهم السلام بإتيان أهليهم، ولا يكون أعجز من عصفور كان في عهد سليمان،

---

(١) روى الإمام مسلم (٢٦٨٨) عن أنس ﷺ: أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خَفَتَ، فصار مثل الفَرْخِ، فقال له رسول الله ﷺ: «هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟» قال: نعم؛ كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله لا تطيقه ـ أو لا تستطيعه ـ أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؟» قال: فدعا الله له فشفاه.

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٣٢).

ولا يبعد أن يكون ذلك موجوداً في سائر البهائم الآن إلا أنه لا يُطالعه إلا من شاء الله من أهل العرفان.

وكان من شأنه ما رواه الدينوري في «المجالسة» عن أبي فديك رحمه الله قال: بلغني عن سليمان عليه السلام أنه كان جالساً فرأى عصفوراً يُراود زوجته على السِّفاد وهي تمنَّع، فضرب منقاره على الأرض، ثم رفعه إلى السماء، فقال سليمان عليه السلام: هل تدرون ما قال لها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال لها: ورب السماء والأرض ما أُريد سفاد لذة، ولكن أردت أن يكون من نسلي [ونسلك] من يُسبح الله في الأرض[1].

قلت: ولعل الله تعالى لم يُرِدْ بذلك إلا تعليم سليمان ومَنْ حوله آداب المناكحة، وكذلك من عادة الله أن يُؤدب بعض أنبيائه بضعاف الخليقة وأدانيها كما في قصة الهدهد مع سليمان أيضاً، فأراد سليمان عليه السلام أن يترقى عن مقام الطير في طلب الولد المسبح الموحد، فطلب مئة من البنين وأن يكونوا فرساناً مجاهدين، غير أنَّ شدة غَيرته على هذا المقام منعته عن استيفاء آداب ذلك المرام، فعزم على نفسه وأقسم، وأشار إلى تحقيق وجود ما أم، ففاته أدب التعليق بالمشيئة، فلم يظفر من ذلك بالأمنية.

روى الإمام أحمد، والشيخان، والنسائي عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «قَالَ سُلَيْمَان عليه السلام: لأَطُوْفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَىْ مِئَةِ امْرَأَةٍ

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٤١٥).

كُلُّهُنَّ تَأْتِيْ بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: قُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَطَافَ عَلَيْهِنَّ فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلاَّ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ إِنْسَانٍ، وَالَّذِيْ نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ لَمْ يَحْنَثْ، وَكَانَ دَرَكاً لِحَاجَتِهِ»، وفي رواية: «لَوْ قَالَهَا لَجَاهَدُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ رُكْبَاناً أَجْمَعُوْنَ»[1].

التَّنْبِيْهُ الثَّانِيْ: قد يستشكل على ما ذكرناه من فضل النكاح وكونه من أعمال الأنبياء عليهم السلام أمر ابني الخالة عيسى ويحيى عليهما السلام؛ فإنَّ يحيى كان حَصُوراً ـ أي: لا يأتي النساء ـ، وعيسى لم يتزوج.

فالجواب عن ذلك: أما أنَّ يحيى عليه السلام فقد قال الله تعالى فيه: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾[آل عمران: ٣٩] فاختلف المفسرون في الحصور على قولين:

الأول: أنه الذي لا يأتي النساء. رواه عبد الرزاق، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[2]، وابنُ جرير، والبيهقي في «سننه» عن ابن مسعود، ولفظه: الذي لا يقرب النساء[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٧٥)، والبخاري (٢٦٦٤)، ومسلم (١٦٥٤)، والنسائي (٣٨٣١).

(٢) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (١/ ١٢٠) عن قتادة، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٦٤٣).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ٢٥٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٨٣).

ورواه ابن المنذر عنه، وقال: العنِّين[1].

وروى ابن جرير عن سعيد بن المسيب قال: لا يشتهي النساء[2].

وروى ابن أبي حاتم وابن عساكر عن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ ذكر يحيى، فقرأ: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾[آل عمران: ٣٩]، ثم أهوى النبي ﷺ إلى قَذَاة من الأرض فأخذها وقال: «كَانَ ذَكَرُهُ مِثْلَ هَذِهِ القَذَاةِ»[3].

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد في «الزهد»، والمفسرون عن ابن عباس قال: الحصور الذي لا يُنزل الماء[4]، وعلى هذا يتأتَّى الإشكال.

والجواب عنه: أنَّ سعيد بن جبير ممن يقول بهذا القول، وقد قال: إنَّ يحيى عليه السلام مع اتصافه بما ذُكر تزوج ليكون أغض لبصره.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ١٩٠).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ٢٥٦). وذكره البخاري في «صحيحه» (٤/ ١٦٥٣) معلقاً بصيغة الجزم. ولفظه: «لا يأتي النساء».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٦٤٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٤/ ١٩٤)، وكذا الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥٥٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٠٩): رواه الطبراني، وفيه حجاج ابن سليمان الرعيني، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه أبو زرعة وغيره، وبقية رجاله ثقات.

(٤) ورواه الطبري في «التفسير» (٣/ ٢٥٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٦٤٣).

والقول الثاني: أنَّ ما ذكر نقص في الخلقة، والأولى حمل حال الأنبياء على الكمال، فمعنى الحصور أنه كان معصوماً من الذنوب؛ أي: لا يأتيها كأنه حصر عنها.

وقيل: بل كان مانعاً نفسه من الشهوات، وهذا اختاره القاضي عياض رحمه الله، ونسبه إلى حذَّاق المفسرين ونقاد العلماء[1].

قلت: لكن الأول هو المأثور عن ابن عباس، وابن مسعود، وغيرهما، إلا أن هذا ينشرح له الصدر أكثر.

وعليه: فالمعنى أنَّ يحيى عليه السلام إنما كان تاركاً للنكاح زهداً لا عجزاً ولا ضعفاً، وكذلك كان حال عيسى عليه السلام كما تقدم أنه قيل له: ألا تتزوج؟ قال: أتزوج امرأة تموت؟[2]

فعيسى ويحيى عليهما السلام أخذا بالحزم، فاحتاطا بترك النكاح، وغيرهما أخذ بالقوة، وكلا الفريقين كان أمره منوطاً بالوحي الإلهي مؤيداً بالأمر الربوبي.

وقد كان من تزوج من الأنبياء عليهم السلام قدوة لمن تزوج من صالحي الأمم، ومن لم يتزوج منهم قدوة لمن لم يتزوج من صالحي الأمم، وكل عمل بمقتضى حاله فلا اعتراض.

قال حجة الإسلام رحمه الله تعالى: ومهما كانت الأحوال

---

(١) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٧٦).

(٢) تقدم تخريجه.

منقسمة حتى يكون النكاح في بعضها أفضل وتركه في بعضها أفضل، فحقنا أن ننزل أفعال الأنبياء عليهم السلام على الأفضل في كل حال[1]. انتهى، وهو بديع.

وقد قيل: إنَّ عيسى عليه السلام إذا نزل إلى الأرض في آخر الزمان ينكح ويُولد له[2]، فإن صحَّ هذا مع ما نقلناه آنفاً عن سعيد بن جبير رحمه الله فقد زال الإشكال من أصله، والله سبحانه أعلم.

وإنما أطلت في هذا المقام وأشبعت فيه الكلام لأنه مهم جداً.

وقد أسفر ما ذكرناه هنا عن أمور هي من أخلاق الأنبياء عليهم السلام:

كطلب الولد الصالح، والرغبة في دعائه، ووراثته لعلم الله وفضله، وإرادة بقاء النسل، واحتساب الولد إذا مات، والتحصن من الشيطان، وإعفاف الفرج، وغض البصر، وإعفاف الحليلة، وإتيان الأهل إذا فَجَأَتْه النظرة، وترويح النفس، وتفريغ القلب للطاعة، وتعليم الأهل والأولاد، والشفقة على البنات والإحسان إليهن، والصبر على سوء خلق المرأة، وتحسين النية عند النكاح، وحفظ آداب المجامعة.

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٣٦).

(٢) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (٢/ ٥٧٨) عن سليمان بن عيسى. وذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٤٩٣) عن ابن عباس رضي الله عنه.

- ومن أخلاقهم أيضاً:

٦٨ - المحافظة على سائر الآداب في سائر الأمور؛ كآداب الطهارة، والصلاة، والسفر، والجهاد، والحج، والأكل والشرب، واللباس، والنوم، وغير ذلك.

قال الله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[النجم: ١٧]؛ وصفه بحسن الأدب في الحضرة.

وقال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾[هود: ٤١]؛ وهذا من آداب الركوب في السفينة.

وروى ابن المنذر عن عمرو بن دينار رحمه الله تعالى قال: لما تضيفت الملائكة إبراهيم عليه السلام فقدَّم لهم العجل، فقالوا: لا نأكله إلا بثمن، قال: فكلوا وأدُّوا ثمنه، قالوا: وما ثمنه؟ قال: تسمون الله إذا أكلتم، وتحمدونه إذا فرغتم، قال: فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا: لهذا اتخذه الله خليلاً[1].

وفي «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للحافظ المزي رحمه الله تعالى: عن خالد بن معدان رحمه الله قال: كان إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام إذا أتي بقطف من العنب أكل حبة حبة، وذكر الله عند كل حبة[2].

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٤٥٠).

(٢) انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٨/ ١٧٢). وكذا رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢١١).

وروى الطبراني بسند ضعيف، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «الوُضُوْءُ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ ـ [مما ينفي الفقر] ـ لِمِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِيْنَ»[1].

والمراد بالوضوء غسل اليدين، والأظهر من مذهب الشافعي استحبابه قبل الطعام إلا أن يتيقن نظافة اليدين من النجاسة والوسخ فيباح، وبعده إلا إذا لم يبق أثره لكونه يابساً أو لم يمسه بيده فيباح.

ونقل القاضي عياض، والنووي عن مالك رحمهم الله: أنه لا يستحب إلا أن يكون على اليدين قذر قبل الأكل أو يبقى عليهما رائحة بعده[2].

٦٩ ـ ومنها: التعطر واستعمال الطيب.

لقوله ﷺ: «أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِيْن»[3]، وذكر منها التعطر كما سبق.

وروى عبد الرزاق عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «الْخِتَانُ وَالسِّوَاكُ وَالتَّعَطُّرُ وَالنِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِيْ»[4].

وروى ابن أبي شيبة عن إبراهيم النخعي مرسلاً قال: كان

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧١٦٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٤): فيه نهشل بن سعيد، وهو متروك.

(٢) انظر: «شرح مسلم» للنووي (٤/ ٤٦).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠٣٩٠).

رسول الله ﷺ يُعرف بريح الطيب إذا أقبل[1].

٧٠ ـ ومنها: الاكتحال وسائر أنواع الزينة الشرعية.

روى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن العلاء بن نجيح رحمه الله قال: كان موسى عليه السلام يكتحل بالإثمد ويلبس الكتان.

وروى أبو داود عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان له سكة يتطيب منها[2].

وروى الترمذي، وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان له مكحلة يكتحل منها كل ليلة ثلاثة في هذه، وثلاثة في هذه[3].

وروى البيهقي في «الشعب» عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يكثر القناع، ويكثر دهن رأسه، ويُسَرِّح لحيته [بالماء][4].

٧١ ـ ومنها: المحافظة على خصال الفطرة.

وهي: الختان، وقص الشارب، وإعفاء اللحية، وفَرْق الشعر، والسواك، والمضمضة والاستنشاق، وغسل البراجم، وتنظيف الرواجب، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتفاص الماء؛ أعني: الاستنجاء.

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٣٣٢).

(٢) رواه أبو داود (٤١٦٢)، وصحح إسناده ابن الملقن في «البدر المنير» (١/ ٥٠١).

(٣) رواه الترمذي (١٧٥٧) وحسنه، وابن ماجه (٣٤٩٩).

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٤٦٥).

روى عبد الرزاق، والمفسرون، والحاكم ـ وقال: صحيح على شرطهما ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: في الآية: ابتلاه بالطهارة؛ خمس في الرأس، وخمس في الجسد؛ في الرأس: قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس، وفي الجسد: تقليم الأظفار، وحلق العانة، والختان، ونتف الإبط، وغسل مكان الغائطِ والبولِ بالماء[1].

وروى الأئمة الستة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «الفِطْرَةُ خَمْسٌ: أَوْ خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ: الخِتَانُ، وَالاسْتِحْدَادُ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ، وَنَتْفُ الإِبْطِ»[2].

وروى مسلم، والأربعة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «عَشْرٌ مِنَ الفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَالاسْتِنْشَاقُ بِالْمَاءِ، وَقَصُّ الأَظْفَارِ، وَغَسْلُ البَرَاجِمِ، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَحَلْقُ العَانَةِ، وَانْتِقَاصُ المَاءِ؛ يَعْنِيْ: الاسْتِنْجَاء بِالمَاءِ».

قال مصعب أحد رواته: نسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة[3].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (١/ ٧٥)، والطبري في «التفسير» (١/ ٥٢٤)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٢١٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٥٥).

(٢) رواه البخاري (٥٥٥٠)، ومسلم (٢٥٧)، وأبو داود (٤١٩٨)، والترمذي (٢٧٥٦)، والنسائي (٩)، وابن ماجه (٢٩٢).

(٣) رواه مسلم (٢٦١)، وأبو داود (٥٣)، والترمذي (٢٧٥٧)، والنسائي (٥٠٤٠)، وابن ماجه (٢٩٣).

وروى الإمام أحمد، والشيخان عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «اخْتَتَنَ إِبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِيْنَ سَنَةٍ بِالقَدُّوْمِ[1]»[2].

وروى أبو الشيخ في كتاب «العقيقة» عن موسى بن علي بن رباح، عن أبيه رحمهما الله: أنَّ إبراهيم عليه السلام أُمر أن يختتن وهو حينئذٍ ابن ثمانين سنة، فعجل واختتن بالقدوم، فاشتدَّ عليه الوجع، فأوحى الله إليه: أنَّك عجلت قبل أن نأمرك بآلته، قال: يا رب! كرهت أن أُؤخر أمرك[3].

وروى البيهقي عنه: أنَّ إبراهيم ختن إسحاق عليهما السلام لسبعة أيام، وختن إسماعيل عليه السلام لبلوغه[4][5].

وروى ابن سعد في «طبقاته» عن حيي بن عبدالله رحمه الله قال:

---

(١) قال النووي في «شرح مسلم» (١٥/ ١٢٢): رواة مسلم متفقون على تخفيف القَدُوم، ووقع في روايات البخاري الخلاف في تشديده وتخفيفه، قالوا: وآلة النجار يقال لها: قدوم بالتخفيف لا غير، وإما القدوم مكان بالشام ففيه التخفيف، فمن رواه بالتشديد أراد القرية، ومن رواه بالتخفيف يحتمل القرية والآلة، والأكثرون على التخفيف وعلى إرادة الآلة، وهذا الذي وقع هنا.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤١٧)، والبخاري (٣١٧٨)، ومسلم (٢٣٧٠).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) في «السنن الكبرى»: «وهو ابن ثلاثة عشر سنة» بدل «لبلوغه».

(٥) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٣٢٦).

بلغني أنَّ إسماعيل عليه السلام اختتن وهو ابن ثلاث عشرة سنة[1].

قلت: ويجمع بينهما بأنَّ معنى قول ابن رياح: «وختن إسماعيل»: أمره بالختان، وقول حيي معناه: امتثل أمر أبيه فاختتن، وفيه أنَّ إسماعيل كان بلوغه في ثلاث عشرة، والله أعلم.

وتقدم في حديث أبي أيوب: أن السواك من سنن المرسلين.

وروى الترمذي الحكيم في «نوادره» عن فليح بن عبدالله الخطمي عن أبيه، عن جده ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خَمْسٌ مِنْ سُنَنِ المُرْسَلِيْنَ: الْحَيَاءُ، وَالحِلْمُ، والحِجَامَةُ، وَالسِّوَاكُ، وَالتَعَطُّرُ»[2].

وروى ابن أبي حاتم عن عطاء رحمه الله مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ فِطْرَةِ إبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ السِّوَاكُ»[3].

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «مِنَ الفِطْرَةِ المَضْمَضَةُ، والاسْتِنْشَاقُ، وَالسِّوَاكُ، وَتَقْلِيْمُ الأَظْفَارِ، وَنَتْفُ الإِبْطِ، والاسْتِحْدَادُ، وَغَسْلُ البَرَاجِمِ، وَالانْتِضَاحُ، وَالاخْتِتَانُ»[4].

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٥١).

(٢) رواه الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٥٤). وكذا رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ١٠).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٢٧٤).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٦٤)، وأبو داود (٥٤)، وابن ماجه (٢٩٤).

وروى الترمذي وحسنه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يقص أو يأخذ من شاربه، وكان إبراهيم خليل الرحمن يفعله[1].

وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد رحمه الله قال: من فطرة إبراهيم عليه السلام غسل الذَّكَرِ والبراجم[2].

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قيل: يا رسول الله! لقد أبطأ عنك جبريل عليه السلام، قال: «وَلِمَ لاْ يُبْطِىءُ عَنِّيْ وَأَنْتُمْ حَوْلِيْ لاَ تَسْتَنُّوْنَ ـ أَيْ: لاَ تَسْتَاكُوْنَ ـ، وَلاَ تُقَلِّمُوْنَ، وَلاَ تَقُصُّوْنَ شَوَارِبَكُمْ، وَلاَ تُنَقُّونَ رَوَاجِبَكُمْ؟»[3].

وهذا الحديث فيه دليل على أنَّ الأنبياء عليهم السلام أحق بهذه الخصال؛ لمخالطتهم جبريل عليه السلام.

وفيه دليل على أنَّ الجليس إذا كان متقذراً غير متنظف ضرَّ جليسه بحرمانه مخالطة الملائكة عليهم السلام، بل يضره بتكثيف روحانيته حتى إنه قد يبلغ به إلى أن يحول بين الروح وإدراك العلوم الروحانية والفهوم العرفانية كما يدل على ذلك ما رواه البيهقي في «الشعب» عن قيس بن حازم رضي الله عنه قال: صلى ﷺ صلاةً فأوهم فيها، فَسُئِل فقال: «مَا

---

(١) رواه الترمذي (٢٧٦٠) وحسنه.

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٢٧٥).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٤٣)، وكذا الطبري في «المعجم الكبير» (١٢٢٢٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٦٧): فيه أبو كعب مولى ابن عباس، قال أبو حاتم: لا يعرف إلا في هذا الحديث.

لِيْ لاَ أُوْهِمُ وَرُفْغُ أَحَدِكُمْ بَيْنَ ظُفْرِهِ وَأُنْمُلَتِهِ»[1].

وأخرجه البزار من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بنحوه[2].

والرُّفغ ـ بضم الراء، وإسكان الفاء، وبالمعجمة ـ: الوسخ الذي يكون تحت الظفر.

والرواجب: رؤوس الأنامل، وهي بين البراجم التي هي معاطف ظهور الأنامل.

وقيل: الرواجب ما تحت الأظافر من الوسخ، وهي جمع راجبة.

وقال في «ديوان الأدب»: هي مفاصل الأصابع، ثم فسر بها البراجم، وهي جمع برجمة ـ بضم الموحدة والجيم ـ.

ـ ومن آداب الأنبياء عليهم السلام وأخلاقهم:

٧٢ ـ الاستغفار عند الخروج من الخلاء، وحمد الله على إذهاب الأذى.

روى عبد الرزاق عن سعيد المقبري رحمه الله: أنَّ موسى عليه السلام قال: يا رب! ماذا أقول إذا ذهبت إلى الغائط؟ قال: قل:

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٦٦). قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ٣٤٥): رجاله ثقات مع إرساله.

(٢) رواه البزار في «المسند» (١٨٩٣)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤٠١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٦٨): رجال البزار ثقات، وكذلك رجال الطبراني إن شاء الله.

غفرانك فجنبني الأذى[1].

وروى ابن أبي شيبة عن إبراهيم التيمي رحمه الله: أنَّ نوحاً عليه السلام كان إذا خرج من الغائط قال: الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني[2].

وعن العوام رحمه الله قال: حُدِّثت أنَّ نوحاً عليه السلام كان يقول ـ يعني: عند الفراغ من قضاء الحاجة ـ: الحمد لله الذي أذاقني لذته، وأبقى فيَّ منفعته، وأذهب عني أذاه[3].

٧٣ ـ ومنها: بقية آداب قضاء الحاجة؛ كالاستتار، والإبعاد، وقعود القرفصاء.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾[الأعراف: ٢٢].

روى عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت الشجرة التي نهى الله عنها آدم عليه السلام وزوجه السنبلة، فلما أكلا منها بَدَتْ لهما سوءاتهما، وكان الذي وارى عنهما من سواءاتهما أظفارهما، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾[الأعراف: ٢٢] ورق التين يلزقان بعضه إلى بعض، فانطلق آدم مولياً في الجنة،

---

(١) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٨٨) عن سعيد المقبري، عن أبيه، عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٩).

فأخذت برأسه شجرة من شجر الجنة، فناداه ربه: أمني تفر؟ قال: لا، ولكني أستحييك يا رب[1].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الرقة والبكاء» عن علي بن أبي طلحة رحمه الله قال: أول شيء أكله آدم حين أُهبط إلى الأرض الكُمَّثرى، وإنه لما أراد أن يتغوط أخذه من ذلك كما يأخذ المرأة عند الولادة، فذهب شرقاً وغرباً لا يدري كيف يصنع، حتى نزل إليه جبريل عليه السلام فأقعى آدم، فخرج ذلك منه، فلما وجد ريحه مكث يبكي سبعين سنة[2].

وسيأتي وصف موسى عليه السلام بالحياء والتستر قريباً.

٧٤ ـ ومنها: الاغتسال من الجنابة، والتستر عند الاغتسال وعند قضاء الحاجة حياءً، والحياء في سائر الأحوال، بل كذلك الاستتار مطلقاً، وحفظ العورة، والوضوء والتثليث فيه والمحافظة عليه، والخضاب في محله بالصفرة والحمرة.

روى البخاري، والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مُوْسَىْ عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ رَجُلاً حَيِيّاً سِتِّيراً، لاَ يُرَىْ مِنَ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِيْ إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ: مَا يَتَسَتَّرُ هَذَا

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٤٠٣). وكذا الطبري في «التاريخ» (١/ ٨٣).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٣٢٦).

التَسَتُّرُ إلاَّ مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ؛ إمَّا بَرَصٍ، وَإِمَّا أُدْرَةٍ[1]، وَإِمَّا آفَةٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىْ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوْا، فَخَلا يَوْماً وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَىْ الْحَجَرِ ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَىْ ثِيَابِهِ لِيأْخُذَهَا وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوبِهِ، فَأَخَذَ مُوْسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَىْ انتَهَىْ إِلَىْ مَلأٍ مِنْ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ فَرَأَوْهُ عُرْيَاناً أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُوْلُوْنَ، وَقَامَ الْحَجَرُ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ وَلَبِسَهُ وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْباً بِعَصَاهُ، فَوَاللهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لَنُدَباً مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلاثاً أَوْ أَرْبَعاً أَوْ خَمْساً، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىْ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾[الأحزاب: ٦٩]»[2].

وروى الإمام أحمد، وابن ماجه بإسناد حسن، عن أُبي بن كعب رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله ﷺ دعا بماءٍ فتوضأ مرة مرة فقال: «هَذَا وَظِيْفَةُ الوُضُوْءِ»، أو قال: «هَذَا وُضُوْء، مَنْ لَمْ يَتَوَضَّأْهُ لَمْ يَقْبَلِ اللهُ لَهُ صَلاَةً»، ثم توضأ مرتين مرتين ثم قال: «هَذَا وُضُوْءٌ، مَنْ تَوَضَّأَهُ أَعْطَاهُ اللهُ كِفْلَيْنِ مِنَ الأَجْرِ»، ثم توضأ ثلاثاً ثلاثاً ثم قال: «هَذَا وُضُوْئِي وَوُضُوْءُ الْمُرْسَلِيْنَ قَبْلِي»[3].

وروى ابن ماجه بسند ضعيف، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: توضأ

---

(١) الأدرة: انتفاخ الخصية.

(٢) رواه البخاري (٣٢٢٣)، والترمذي (٣٢٢١).

(٣) رواه ابن ماجه (٤٢٠). وضعف الحافظ ابن حجر إسناده في «الدراية» (١/ ٢٥).

رسول الله ﷺ واحدة واحدة فقال: «هَذَا وُضُوْءُ مَنْ لاَ يَقْبَلُ اللهُ لَهُ صَلاَةً إِلاَّ بِهِ»، ثم توضأ ثنتين فقال: «هَذَا وُضُوْءُ العَدْلِ مِنَ الوُضُوْءِ»، وتوضأ ثلاثاً ثلاثاً وقال: «هَذَا أَسْبَغُ الوُضُوْءِ، وَهُوَ وُضُوْئِي وَوُضُوْءُ خَلِيْلِ اللهِ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَمَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا ثُمَّ قَالَ عِنْدَ فَرَاغِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ فَتَحَ اللهُ لَهُ ثَمَانِيَةَ أَبْوابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن يزيد بن بشر، عن بعض أهل الكتاب: أنَّ الله ﷻ أوحى إلى موسى عليه السلام: يا موسى! إن جاءك الموت وأنت على غير وضوء فلا تلومنَّ إلا نفسك[2].

وروى ابن أبي شيبة عن يزيد بن بشر رحمه الله أيضاً: أنَّ الله ﷻ أوحى إلى موسى عليه السلام: أن توضأ؛ فإن لم تفعل فأصابتك مصيبة فلا تلومن إلا نفسك[3].

وفيه إشارة إلى أن الطهارة وقاية من السوء والمصائب، وهذا من الأسرار الخفية.

وروى الديلمي، وابن النجار في «تاريخه» عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ مَنْ خَضَبَ بِالحِنَّاءِ وَالكَتْمِ إِبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٩)، وكذا أبو يعلى في «المسند» (٥٥٩٨).

(٢) كذا في «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٥٤١) لكن عن قسي.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٧).

السَّلَامُ، وَأَوَّلُ مَنْ اخْتَضَبَ بِالسَّوَادِ فِرْعَونُ»[1].

٧٥ ـ ومنها: لبس القميص، والسراويل، والكساء، والجبة، والقَلَنْسُوَة، والنعل، وسائر أنواع اللباس مما لا يكون فيه إسراف ولا مَخِيلة.

قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾[الأعراف: ٢٦].

أحق الناس بالعمل بهذه الآية الأنبياء عليهم السلام ومن على آثارهم، وأول من عمل بها آدم عليه السلام، ثم أمر الله تعالى بنيه[2] أن يتخلقوا بما تخلق به من ذلك.

وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ﴾[يوسف: ١٨].

وقال تعالى حكاية عنه: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي﴾[يوسف: ٩٣].

وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي رهم السَّمَعِيِّ ﷺ: أَنَّ النبي ﷺ قال في حديث: «وَإِنَّ مِنْ لبسَةِ الأَنْبِيَاءِ القَمِيْصَ قَبْلَ السَّرَاوِيْلِ»[3].

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٤٧).

(٢) أي: بني آدم.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٣٣٦).

وروى الترمذي عن ابن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «كَانَ عَلَىٰ مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ كِسَاءُ صُوْفٍ وَجُبَّةُ صُوْفٍ، وَكمةُ صُوْفٍ، وَسَرَاوِيلة صُوْفٍ، وَكَانَتْ نَعْلاَهُ مِنْ جِلدِ حِمارٍ مَيْتٍ»[1].

قال الترمذي: والكمة: القَلَنْسُوَة الصغيرة.

وقال الجوهري: المدورة، وأطلق صاحب «المحكم»: أنها القَلَنْسُوَة[2].

قال القاضي أبو بكر بن العربي: القَلَنْسُوَة من لباس الأنبياء والصالحين، تصون الرأس وتمكن العمامة، وهي من السنة.

وروى أبو نعيم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أَوَّلَ مَنْ لَبِسَ السَّراوِيلَ إِبْراهِيْمُ عَلَيهِ السَّلَامُ».

قيل: وهذا هو السبب في أنه أول من يُكسى يوم القيامة، كما ثبت في «الصحيحين» من حديث ابن عباس ﷺ[3]؛ لأن السراويل من أشد الملابس للعورة[4].

وروى وكيع في «الغرر» عن واصل مولى أبي عيينة رحمه الله تعالى قال: أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام: يا إبراهيم! إنَّك

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «المحكم» لابن سيده (٦/ ٦٧٢).

(٣) رواه البخاري (٤٤٦٣)، ومسلم (٢٨٦٠).

(٤) انظر: «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (٦/ ٣٩٠).

أكرم أهل الأرض عليَّ، فإذا سجدت فلا تُرِي الأرض عورتك؛ قال: فاتَّخَذ سراويل[1].

قلت: وفيه إشارة إلى أنَّ للأرض إدراكاً بحيث ينبغي للعاقل أن يستحيي منها، فيستر عنها عورته، كيف لا وقد ثبت أنها تشهد على العبد يوم القيامة بما يعمل عليها.

وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[الزلزلة: ٤].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[الزلزلة: ٤] قال: «أَتَدْرُونَ ما أَخْبارُها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فَإِنَّ أَخْبارَها أَنْ تَشْهَدَ على كُلِّ عَبْدٍ أو أمة بِما عَمِلَ على ظَهْرِها، تَقُولُ: عَمِلَ كَذا وَكَذا فِي يَوْمِ كَذا وَكَذا، فَهَذِهِ أَخْبارُها». رواه الإمام أحمد، والنسائي، والترمذي، والحاكم، وصححاه[2].

وقال مجاهد رحمه الله في الآية: تُخبر الناس بما عملوا عليها. رواه الفريابي، والمفسرون[3].

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٢٨١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٧٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٦٩٣)، والترمذي (٢٤٢٩) وصححه، والحاكم في «المستدرك» (٣٠١٢).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٣٠/ ٢٦٧)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٤٥٥).

ولا شك أن الشهادة فرع عن المشاهدة والتعقل، وقد أخبر السمع بمثل ذلك وهو ممكن، فإنَّ الذي خلق من ترابٍ بشراً سَوياً حياً قادراً مُريداً سـميعاً بصيراً متكلماً، قـادر على أن يخلق في الأرض وما فيها من الجمادات إدراكاً وتعقلاً تشهد يوم القيامة على موجبه وتخبر بما شاهدت وعقلت، فالمناسب لأفاضل العقلاء أن يتحرزوا عن كل ما لا يستحسن أن يطلعوا عليهم خلقاً وهم متلبسون به خشية الشهادة عليهم كما أمر الله تعالى خليله عليه السلام: أن لا يُري الأرض عورته؛ لكرامته على الله تعالى، فكيف بالعورات المعنوية والقاذورات الاعتبارية؛ فافهم!.

٧٦ ـ ومن أخلاق الأنبياء عليهم السلام: التؤدة والتأني إلا في أمور الآخرة، والاقتصاد في المعيشة، والسَّمْت الحسن.

روى الترمـذي عن عبدالله بن سَـرْجس ﵁: أن النبي ﷺ قـال: «التُّؤَدَةُ وَالاقْتِصادُ وَالسَّمْتُ الحَسَنُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِيْنَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ»[1].

وروى الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» عن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «السَّمْتُ الحَسَنُ والتُّؤَدَةُ وَالاقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِيْنَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ»[2].

---

(١) رواه الترمذي (٢٠١٠) وحسنه، وكذا رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٠١٧) واللفظ له.

(٢) رواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٢٢٠٩). ولفظه: «السمت الحسن جزء من خمسة وسبعين جزءًا من النبوة».

وروى الأصبهاني في «الترغيب» عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال: كان يُقال: من أخلاق الأنبياء [و]الأصفياء الخيار، الطاهرةِ قلوبُهم خلائقُ ثلاث؛ الحلم، والأناة، وحظ من قيام الليل[1].

وروى الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الهَدْيَ الصَّالِحَ وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِيْنَ جُزْءَاً مِنَ النُّبُوَّةِ»[2].

والفرق بين السمت والهدي: أنَّ السمت عبارة عن الهيئة، والهدي عبارة عن الطريقة والمذهب فهو أشمل من السمت وأعم منه.

وإنما كان حسن السمت في الحديثين السابقين جزءاً من أربعة وعشرين جزءاً من حيث انضمامُه إلى التؤدة والاقتصاد، وأما من حيث انفرادُه وانضيافُه إلى الهدي الصالح فهو جزء من سبعين جزءاً من النبوة؛ فافهم!

* تَنْبِيْهٌ:

أما العجلة في أمور الآخرة والمسارعة إليها فإنها من أخلاق الأنبياء عليهم السلام، كما تقدم بيانه.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾[الأنبياء: ٩٠].

---

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٥).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦٠٨)، وكذا البخاري في «الأدب المفرد» (٧٩١). وهو عند أبي داود (٤٧٧٦) لكن بلفظ: «من خمسة وعشرين» بدل «من سبعين».

وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[طه: ٨٤]؛ أي: شوقاً إليك.

أجاب موسى بذلك ربه لما سأله عن سبب عجلته بقوله: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾[طه: ٨٣] وذلك أنَّ موسى عليه السلام اختار من قومه سبعين رجلاً ليذهبوا معه إلى الطُّور ليأخذوا التوراة، فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقاً إلى ربه وخلف السبعين، وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل، فقال الله تعالى له: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾[طه: ٨٣] الآية.

وهذا يدل أنَّ من أخلاق النبيين عليهم السلام الشوق والمحبة لأنها مستلزمة له.

وروى ابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ من طريق ابن جريج رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ إلى قوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١]؛ قال: اشتاق إلى لقاء الله تعالى وأحب أن يلحق بآبائه، فدعا الله أن يتوفاه وأن يلحقه بهم.

قال ابن عباس: ولم يسأل نبي قط الموت غير يوسف فقال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾[يوسف: ١٠١] الآية.

قال ابن جريج: وأنا أقول في بعض القراءة: من قال من الأنبياء: توفني[1].

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١٣/ ٧٣).

وروى الترمذي، والحاكم في «المستدرك» عن أبي الدرداء ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «كانَ دَاوُدُ عَلَيهِ السَّلامُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّيْ أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَالعَمَلَ الَّذِيْ يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمِنَ المَاءِ البَارِدِ»[1].

وهنا لَطِيفَتانِ:

* **الأُوْلَى:**

لا مانع لأهل المحبة والشوق إلى لقاء الله تعالى أن يشتاقوا إلى أودَّائهم فيه وأقربائهم المتوافقين معهم عليه؛ فإنَّ في هذا الفرق جمعاً، وأَكْرِمْ بمحبة الله ثمَّ محبة أوليائه أصلاً وفرعاً وحقيقة وشرعاً.

قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى: لمَّا أُوتي يوسف عليه السلام من الملك ما أُوتيه تاقت نفسه إلى آبائه فقال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ إلى قوله ﴿وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١]؛ قال: بآبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام. رواه ابن أبي حاتم[2].

وروى هو وابن جرير عن قتادة رحمه الله تعالى قال: لمَّا قدم على يوسف أبواه وإخوته، وجمع الله شمله وأقرَّ عينه وهو يومئذٍ مغموس في بيت نعيم من الدنيا، اشتاق إلى آبائه الصالحين إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام فسأل الله القبض، ولم يتمن أحد

---

(١) الترمذي (٣٤٩٠) وحسنه، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٢١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٧/ ٢٢٠٦).

الموت قط نبي ولا غيره إلا يوسف؛ يعني: لم يتمنَ الموت أحد شوقاً إلا يوسف[1].

* **اللَّطِيفَةُ الثَّانِيَةُ:**

ينبغي للمحب المشتاق أن يطلب اللحاق، فإن أجيب من المحبوب بخلاف المطلوب فليرض من الحبيب بما يرضى منه ويجيب؛ فإنَّ الخيرة فيه والعبودية تقتضيه.

روى ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبي الأعيس قال: لما قال يوسف ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١] شكر الله له ذلك فزاد في عمره ثمانين عاماً[2].

ثم إنَّ لله تعالى في أوليائه ما شاء من قبض أو إرجاء إلى وقتٍ ـ طلبوا ذلك أم كرهوه ـ غير أنه لا يُعاملهم في كل حال إلا بما فيه الخيرة لهم نظراً لهم لأنه أولى بهم من أنفسهم وأعلم بمصالحهم منهم بها، فإن طلبوا لقاءه أحب لقاءهم، إلا أنهم إذا طلبوه فقد يجيبهم وقد يُؤخرهم، وإذا علم كراهتهم للموت لطف بهم وإن كره مساءتهم؛ إذ لا بُدَّ لهم من لقائه.

وروى البيهقي في «الشعب» عن دكين الفزاري: أنَّ ملك الموت

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٧/ ٢٢٠٣)، والطبري في «التفسير» (١٣/ ٧٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٧/ ٢٢٠٣).

عليه السلام جاء إلى إبراهيم عليه السلام لقبض روحه، فقال إبراهيم: يا ملك الموت! هل رأيت خليلاً يقبض روح خليله؟ فعرج ملك الموت إلى ربه فقال: قل له: هل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله؟ فرجع، قال: فاقبض روحي الساعة(١).

خاف إبراهيم عليه السلام أن يكون في قبضه فواتاً لما كان يتنعم به من الخُلَّة والتلذذ بالمناجاة والعبادة والخدمة، فعرَّفه أن القبض ليس فيه انفصال عن الخُلَّة والأُنْس بل زيادة في الاتصال، فهيَّج منه الشوق إلى لقائه، وحرَّك منه طلب الانتقال إلى مشاهدته.

٧٧ ـ ومن أخلاق الأنبياء عليهم السلام: الرضا بقضاء الله تعالى.

قال الله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[مريم: ٥ ـ ٦].

وهو فعيل بمعنى فاعل؛ أي: راضياً، أو بمعنى مفعول؛ أي: مرضياً، ولا يكون مرضياً حتى يكون مؤمناً صالحاً، وكمال ذلك بالرضا.

وروى أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «أَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ مُوْسَىٰ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: إِنَّكَ لَنْ تَتَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الرِّضَا بِقَضَائِي، وَلَمْ تَعْمَلْ عَمَلاً أَحْبَطَ لِحَسَنَاتِكَ مِنَ الكِبْرِيَاءِ، يَا مُوْسَىٰ!

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٩).

لاَ تَضَرَّعْ لأَهْلِ الدُّنْيَا فَأَسْخَطَ عَلَيْكَ، وَلاَ تَخف بِدِيْنِكَ لِدنْياهمْ فَأُغْلِقَ عَنْكَ أَبْوَابَ رَحْمَتِي، يَا مُوْسَى! قُلْ لِلْمُذْنِبِيْنَ النَّادِمِيْنَ: أَبْشِرُوْا، وَقُلْ لِلعَامِلِيْنَ المُعْجَبِيْنَ: اخْسَرُوا»[1].

وذكر أبو طالب المكي في «قوته»: أن في أخبار موسى عليه السلام: أنه قال: يا رب؛ أي الأشياء أحب إليك، وأيها أبغض؟ فقال: أحب الأشياء إليَّ الرضا بقضائي، وأبغضها إليَّ أن تطْري نفسك[2].

٧٨ ـ ومنها: إيثار محبة الفقراء والصحبة معهم على صحبة الأغنياء لهذا الحديث المذكور.

وقال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[الكهف: ٢٨].

وروى الديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الفُقَرَاءِ! إِنَّ اللهَ تَعَالَى رَضِيَ أَنْ أَتَأَسَّىْ بِمُجَالَسَتِكُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨] فَإِنهَا مَجَالِسُ الأَنْبِيَاءِ قَبْلَكُمْ»[3].

وفي الحديث: أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول للفقراء بعد نزول هذه

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٤٥)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٥٠٩).

(٢) انظر: «قوت القلوب» للمكي (١/ ٣٦٣)

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٨٢١٣).

الآية: «مَعَكُمُ الْمَحْيَا وَمَعَكُمُ المَمَاتُ»[1].

وذكر في «الإحياء» عن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى: أنه قال: حبُّك للفقراء من أخلاق المرسلين، وإيثارك مجالستَهم من أعمال الصالحين، وفرارك من محبتهم من علامات المنافقين[2].

وفي «الصحيحين»: أن هرقل عظيم الروم لمَّا سأل أبا سفيان عن النبي ﷺ فقال له: أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قال: بل ضعفاؤهم. الحديث؛ وفيه قول هرقل: وهم أتباع الرسل[3].

وقال الله تعالى حكاية عن قوم نـوح: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾[هود: ٢٧].

وروى الإمام ابن الإمام؛ عبدالله بن أحمد بن حنبل في «زوائد الزهد» عن عبدالله بن رباح الأنصاري قال: كان داود عليه السلام ينظر أغمص مجلس من مجالس بني إسرائيل، فيجلس بين ظهرانيهم، ويقول: يا ربِّ! مسكين بين ظهراني مساكين[4].

وروى والده عن سعيد بن عبد العزيز قال: بلغني أنه ما من كلمة كانت تقال لعيسى بن مريم عليهما السلام أحب إليه من أن يُقال: كان

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١٥/ ٢٣٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٤٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٩٤) عن سلمان ﵁.

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ١٩٨).

(٣) رواه البخاري (٦)، ومسلم (١٧٧٣).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٣) لكن عن أبي السليل، وقد تقدم.

هذا المسكين[1].

وعن وهب بن منبه رحمه الله قال: أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: إني وَهَبْتُ لك حب المساكين ورحمتهم؛ تحبهم ويحبونك، ويرضون بك إماماً وقائداً، وترضى بهم صحابة وتبعاً، وهما خُلُقانِ، اعلم أن من لقيني بهما لقيني بأزكى الأعمال وأحبها إلي[2].

وقال القشيري في «الرسالة»: قيل: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: تريد أن يكون لك يوم القيامة مثل حسنات الخلق أجمع؟ قال: نعم، قال: عُدِ المريضَ، وكن لثياب الفقراء فالياً، فجعل موسى على نفسه في كل شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء يفلِّي ثيابهم ويعود المريض[3].

وفي ذلك إشارة أن من أعمال الأنبياء عليهم السلام عيادة المرضى.

٧٩ ـ وكذلك من أعمالهم: تشييع الجنائز، وتعزية الحي بالميت.

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي عثمان الجعد قال: بلغنا أن داود عليه السلام قال: إلهي! ما جزاء مَنْ عزَّى حزيناً لا يُريد به إلا وجهك؟

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٩٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٧).

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٣٠٦)، ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٣) عن كعب.

قال: جزاؤه أن أُلبسه لباس التقوى.

قال: إلهي! ما جزاء من شيع جنازة لا يُريد بها إلا وجهك؟

قال: جزاؤه أن تشيعه ملائكتي إذا مات، وأن أُصلي على روحه في الأرواح.

قال: إلهي! ما جزاء من أسند يتيماً أو أرملة لا يُريد إلا وجهك؟

قال: جزاؤه أن أُظله في ظل عرشي يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلي.

قال: إلهي! ما جزاء من فاضت عيناه من خشيتك؟

قال: جزاؤه أن أُؤمنه يوم الفزع الأكبر، وأن أقي وجهه فيح جهنم[1].

٨٠ ـ ومنها: مساعدة الضعفاء وقضاء حوائج المسلمين.

قال الله تعالى في موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ [القصص: ٢٣ ـ ٢٤].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في «الصحيحين»: «مَنْ كانَ فِيْ حاجَةِ أَخِيْهِ كانَ اللهُ فِيْ حاجَتِهِ»[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٠).

(٢) رواه البخاري (٢٣١٠)، ومسلم (٢٥٨٠) بهذا اللفظ عن ابن عمر رضي الله عنهما، وأما لفظ حديث أبي هريرة رضي الله عنه «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» فهو عند مسلم (٢٦٩٩).

وروى الطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس ﵄، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ مَشَى فِيْ حَاجَةِ أَخِيْهِ كَانَ خَيْرَاً لَهُ مِنِ اعْتِكَافِ عَشْرِ سِنِيْنَ، وَمَنِ اعْتَكَفَ يَوْمَاً ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلاَثَةَ خَنَادِقَ؛ كُلُّ خَنْدَقٍ أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ الخَافِقَيْنِ»[1].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «قضاء الحوائج» عن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَضَىْ لأَخِيْهِ حَاجَةً كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ خَدَمَ اللهَ عُمُرَهُ»[2].

قلت: ووجه ذلك: أنَّ من قضى لأخيه حاجة يقضيها وهو محتاج إليها والله تعالى غني عن عبادته وعن عبادة غيره؛ فإن الحاجة لا تمسه سبحانه وتعالى، وحيث كان قضاء الحوائج بهذه المثابة من الفضل فهو حري بأن يكون من أخص أعمال الأنبياء عليهم السلام.

٨١ ـ ومنها: أنَّ الأنبياء عليهم السلام لا يتطلعون في عمل صالح إلى عرض من الدنيا ـ قلَّ أو جلَّ ـ سواء في ذلك التبليغ وغيره.

قال الله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٣٢٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٩٢): إسناده جيد.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص: ٣٧). وكذا البخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ٤٣). وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٥١٥).

أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص: ٢٤].

أغنى المرأتين بسقي مواشيهما، واستغنى عنهما، وافتقر إلى الله تعالى، وأنزل به حاجته دون غيره وهو محتاج حال؛ أي: لما يسد جوعته.

وقال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

وقال تعالى حكاية عنه أيضاً: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾[هود: ٢٩].

وحكاية عن هود عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾[هود: ٥١].

وقال تعالى حكاية عنهما، وعن صالح، وعن لوط، وعن شعيب عليهم السلام: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الشعراء: ١٠٩].

وروى ابن عساكر عن أبي حازم رحمه الله قال: لمَّا دخل موسى على شعيب عليهما السلام إذا هو بالعشاء، فقال له شعيب: كُلْ، قال موسى: أعوذ بالله، قال: ولمَ؟ ألست بجائع؟ قال: بلى، ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما، وأنا من أهل بيتٍ لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً، قال: لا والله، ولكنها عادتي وعادة آبائي؛ نُقري الضيف ونطعم الطعام، فجلس موسى فأكل[1].

---

(١) تقدم تخريجه.

روى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى قال: قال عيسى بن مريم عليهما السلام: إنما أعلمكم لتعلموا ليس لتعجبوا، يا ملح الأرض! لا تفسدوا؛ فإنَّ الشيء إذا فسد إنما يصلح بالملح، وإن الملح إذا فسد لم يصلح بشيء، ولا تأخذوا ممن تعلمون من الأجر إلا مثل الذي أخذتُ منكم[1].

وفي بعض الآثار: علموا مجاناً كما عُلِّمتم مجاناً[2].

وروى الطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عُلَمَاءُ هَذِهِ الأُمَّةِ رَجُلاَنِ؛ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمَاً فَبَذَلَهُ لِلنَّاسِ، وَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِ طَمَعَاً ـ وفي لفظ: طَعْمَاً ـ، وَلَمْ يَشْتَرِ بِهِ ثَمَنَاً، فَذَلِكَ تَسْتَغْفِرُ لَهُ حِيْتَانُ اليَمِّ وَدَوَابُّ البَرِّ والطَّيْرُ فِيْ جَوِّ السَّمَاءِ، وَيَقْدُمُ عَلَى اللهِ سَيِّدَاً شَرِيْفَاً حَتَّىْ يُرَافِقَ المُرْسَلِيْنَ.

وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمَاً فَبَخِلَ بِهِ عَنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ طَمَعَاً، وَاشْتَرَى بِهِ ثَمَنَاً، فَذَلِكَ يُلْجَمُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ».

قال: «وَيُنَادِي مُنَادٍ: هَذَا الَّذِيْ آتَاهُ اللهُ عِلْمَاً فَبَخِلَ بِهِ عَنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ طَمَعَاً، وَاشْتَرَى بِهِ ثَمَنَاً؛ وَذَلِكَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنَ الحِسَابِ»[3].

---

(١) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ٩٥).

(٢) ولفظه: «مكتوب في الكتاب الأول: ابن آدم! علم مجاناً كما علمت مجاناً». رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «العلل» (١/ ٢١٥).

(٣) تقدم تخريجه.

٨٢ ـ ومنها: أنهم حيث لا يريدون بأعمالهم إلا وجه الله تبارك وتعالى فلا يتقربون من كل نوع من أنواع القربات إليه إلا بأحسنها وأحبها إليه، ولا يؤثرون أنفسهم عليه بشيء لأنَّ رغبتهم إليه وحرصهم عليه؛ فإنَّهم أخيار الأبرار.

وقد قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢].

وقد روى الإمام أحمد في «الزهد»، ومن طريقه: أبو نعيم عن يزيد بن ميسرة رحمه الله تعالى قال: كان إبراهيم عليه السلام يُطعم الناس والمساكين أسمنَ ما يكون في غنمه، ويذبح لأهله المهزول والرَّديء منها، فكان أهله يقولون له: تذبح للناس والمساكين السمين من غنمك وتطعمنا المهزول؟ فقال إبراهيم: بئس مالي إن ألتمسْ خيرَ ما عند ربي بشرِّ مالي[1].

وقد كان لولا ضرورة العبد واحتياجه إلى ما به قوامه من شرط عبوديته أن يخرج عن كل ما سوى محبوبه الذي هو معبوده إلا أن الله تعالى رضي من العبد وأتم تبرره بأن يخرج عن بعض محابِّه، وكان من شرط المقربين أن البعض الذي يخرجون عنه من المحاب ما سوى قدر ضرورته، ومن هنا شرط عيسى بن مريم عليه السلام على من طلب اللحاق به أن يخرج عن ماله كما روى الإمام أحمد في «الزهد» عن خيثمة رحمه الله قال: قال عيسى بن مريم عليهما السلام لرجل: تصدق

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٣٨).

بمالك، والحقني، قال: فنكس، فقال عيسى عليه السلام بشدة: ما يدخل الغني الجنة[1].

وبيانه أن الغني متعلق القلب بماله وذلك حجابه عن ربه، فأمره بقطع هذه العلاقة ليتصل بربه، فمن كان غناه بربه لم يضره بقاء صورة المال بيده، ألا ترى أنه يستعد به لجهاد أو حج أو بر أو صلة أو صدقة ويدلُّ على صدقه في ذلك أن يستوي عنده وجوده بيده وخروجه من يده، وهذا شأن الأنبياء كما قال الأعرابي عن النبي ﷺ: إن محمَّداً يعطي عطاء من لا يخشى فاقة[2].

٨٣ ـ ومنها: البداءة بالسلام ورده.

وأول من بدأ بالسلام آدم عليه السلام، وأول من ردَّ السلام الملائكة عليهم السلام.

قال الله تعالى حكاية عن الملائكة وإبراهيم عليهم السلام: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾[الذاريات: ٢٥].

وروى الإمام أحمد، والشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَلَقَ اللهُ آدمَ عَلى صُوْرَتِهِ ـ أي: على صورة آدم المخصوصة المعروفة به ـ وَطُوْلُهُ سِتُّوْنَ ذِراعاً ثُمَّ قالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلى أُوْلَئِكَ النَّفَرِ ـ وَهُمْ نفَرٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ جُلُوْسٌ ـ فَاسْتَمِعْ ما يُجِيْبُوْنَكَ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٦٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١١٩)، وعندهما: «فكره» بدل «فنكس».

(٢) رواه مسلم (٢٣١٢) عن أنس رضي الله عنه.

بِهِ؛ فَإِنَّها تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكِ، فَذَهَبَ فَقالَ: السَّلامُ عَلَيْكُم، فَقالُوا: السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ فَزادُوْهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلى صُوْرَةِ آدَمَ فِيْ طُوْلِهِ سِتُّوْنَ ذِراعاً، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الآنَ»[1].

٨٤ ـ ومنها: مصافحة الأخ والقريب عند اللقاء، ومعانقته وإظهار البشاشة والبشر والهشاشة.

روى الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب «آداب الصحبة» عن جابر ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «مِنْ أَخْلاَقِ النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ البَشَاشَةُ إِذَا تَزَاوَرُوا، وَالمُصَافَحَةُ وَالتَّرْحِيْبُ إِذَا الْتَقَوا»[2].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الإخوان»، والخطيب في «تاريخه»، والغسولي في «جزئه» عن تميم الداري ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن معانقة الرجل أخاه إذا هو لقيه، قال: «كَانَتْ تَحِيَّةَ الأُمَمِ».

وفي لفظ: «تَحِيَّةَ أَهْلِ الإِيْمَانِ وَخَالِصَ وِدِّهِم، وَأَوَّلُ مَنْ عَانَقَ إِبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ».

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣١٥)، والبخاري (٥٨٧٣)، ومسلم (٢٨٤١).

(٢) رواه السلمي في «آداب الصحبة» (ص: ٨٩)، وكذا ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٧٩).

وفي لفظ: «فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ عَانَقَ خَلِيْلُ الرحمن عَلَيْهِ السَّلاَمُ؛ فَإِنَّهُ خَرَجَ يوماً يَرْتَادُ لِمَاشِيَتِهِ فِيْ جِبَلٍ مِنْ جِبَالِ بَيْتِ المَقْدِسِ إِذْ سَمِعَ صَوْتَ مُقَدِّسٍ يُقَدِّسُ اللهَ تَعَالَى، فَذَهَلَ عَمَّا كَانَ يَطْلُبُ، فَقَصَدَ قَصْدَ الصَّوْتِ، فَإِذَا هُوَ بِشَيْخٍ طُوْلُهُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ ذِرَاعاً، أَهْلَبَ يُوَحِّدُ اللهَ تعالى، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيْمُ: يَا شَيْخُ! مَنْ رَبُّكَ؟

قالَ: الَّذِيْ فِي السَّمَاءِ.

قالَ: مَن رَبُّ الأَرْضِ؟

قالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ.

قالَ: أَفِيها رَبٌّ غَيْرُهُ؟

قالَ: ما فِيها رَبٌّ غَيْرُهُ، لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَحْدَهُ.

قالَ إِبْراهِيْمُ: فَأَيْنَ قِبْلَتُكَ؟

قالَ: الكَعْبَةُ.

فَسَأَلَهُ عَنْ طَعَامِهِ، قالَ: أَجْمَعُ مِنْ هَذا التَّمْرِ فِي الصَّيْفِ، فَآكُلُهُ فِي الشِّتاءِ.

قالَ: هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِكَ؟

قالَ: لا.

قالَ: أَيْنَ مَنْزِلُكَ؟

قالَ: تِلْكَ المَغَارَةُ.

قالَ: اعْبُرْ بنا إلى بَيْتِكَ.

قالَ: بيني وبَينَهُ وادٍ لا يُخاضُ.

قالَ: فكَيفَ تَعْبُرُهُ؟

قالَ: أَمْشي عَلَيهِ ذاهِباً وَأَمْشي عَلَيهِ جائِياً.

قالَ: انْطَلِقْ بِنا فَلَعَلَّ الَّذِي ذَلَّلَهُ لَكَ يُذَلِّلُهُ لَنا.

فَانْطَلَقا حَتَّى انتَهَيا فَمَشَيا جَمِيعاً عَلَيهِ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما يَعْجَبُ مِن صاحِبِهِ، فَلَمَّا دَخَلا المغارَةَ فَإِذا بِقبْلَتِهِ قِبْلَةِ إِبْراهِيْمَ قَالَ لَهُ إِبْراهِيمُ: أَيُّ يَوْمٍ خَلَقَ اللهُ ﷻ أَشَدُّ؟

قالَ الشَّيْخُ: ذَاكَ اليَوْمُ الَّذِيْ يَضَعُ كُرْسِيَّهُ لِلْحِساب، يَوْمَ تُسَعَّرُ جَهَنَّمُ لاَ يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِلا خَرَّ تُهِمُّهُ نَفْسُهُ.

قالَ لَهُ إِبراهِيمُ: ادْعُ اللهَ يَا شَيْخُ أَنْ يُؤَمِّنَنِي وَإِيَّاكَ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ اليَوْمِ.

قالَ الشَّيْخُ: وَمَا تَصْنَعُ بِدُعَائِي وَلِي فِي السَّماءِ دَعْوَةٌ مَحْبُوْسَةٌ مُنْذُ ثَلاَثِ سِنِيْنَ؟

قالَ إِبْرَاهِيْمُ: أَلا أُخْبِرُكَ ما حَبَسَ دُعَاءَكَ؟

قالَ: بَلَى.

قالَ إِنَّ اللهَ ﷻ إِذا أَحَبَّ عَبْداً احْتَبَسَ مَسْأَلَتَهُ يُحِبُّ صَوْتَهُ، ثُمَّ جَعَلَ على كُلِّ مَسْأَلَةٍ ذُخراً لا يَخْطُرُ على قَلْبِ بَشَرٍ، وَإِذَا أَبْغَضَ اللهُ عَبْداً عَجَّلَ لَهُ حَاجَتَهُ، أو أَلْقَى الإِياسَ فِي صَدْرِهِ لِيَقْبِضَ صَوْتَهُ، فَمَا دَعْوَتُكَ الَّتِي هِيَ فِي السَّمَاءِ مَحْبُوْسَةٌ؟

قالَ: مَرَّ بِي هاهنا شَابٌّ فِي رَأْسِهِ ذؤابَةٌ مُنْذُ ثَلاَثِ سِنِيْنَ وَمَعَهُ

غَنَمٌ، قُلْتُ: لِمَنْ هَذِهِ؟

قالَ: لإِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلِ اللهِ.

قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنْ كانَ لَكَ فِي الأَرْضِ خَلِيْلٌ فَأَرِنِيْهُ قَبْلَ خُرُوْجِي مِنَ الدُّنْيا.

قالَ لَهُ إِبْرَاهِيْمُ: قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكَ.

ثُمَّ اعْتَنَقا، فَيَوْمَئِذٍ كانَ أَصْلُ المُعَانَقَةِ، وَكانَ قَبلَ ذَلِكَ السُّجُوْدُ؛ هذا لِهذا وَهذا لِهذا، ثُمَّ جاءَ الصفاحُ ـ أَي: المُصَافَحَة ـ مَعَ الإِسْلامِ، فَلَمْ يُسْجَدْ وَلَمْ يُعانَقْ وَلَنْ تَفْتَرِقَ الأَصَابِعُ حَتَّى يُغْفَرَ لِكُلِّ مُصَافِحٍ»[1].

قلت: وقوله: «ولم يُعانَقْ» هذا محمول على غير حالة القدوم من سفر وغيره، وعلى غير الطفل؛ فإنَّ المعانقة وتقبيل الوجه في سوى ما ذُكر مكروهان، كما في «شرح المهذب»[2].

أما عند القدوم من سفر ونحوه فسُنَّة.

حَسَّنَ الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله ﷺ في بيتي، فأتى فقرع الباب، فقام إليه

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الإخوان» (ص: ١٨١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٤٠). قال العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ١٥٤): فيه عمر بن حفص بن محبر وسليمان بن الربيع، وهما مجهولان والحديث غير محفوظ... ثم قال: وذكر حديثاً طويلاً موضوعاً، وقد تابعه من هو نحوه أو دونه، وليس له رواية من طريق يثبت.

(٢) انظر: «المجموع» للنووي (٤/ ٥١٦).

النبي ﷺ فجرَّ ثوبه، فاعتنقه وقبله[1].

وكذلك تقبيل الطفل الصغير سنة؛ ففي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: تقبلون صبيانكم؟

فقال: «نعَم».

قالوا: لكنا لا نقبل.

فقال رسول الله ﷺ: «أَوَأَمْلِكُ أَنَّ اللهَ قَدْ نزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ؟»[2].

وكذلك تقبيل المحارم عند اللقاء، وتقبيل يد الصالح والعالم.

فأما تقبيل الغلام الأمرد والجميل، ومصافحته واعتناقه فحرام؛ إلا الولد ونحوه من المحارم على سبيل الشفقة.

٨٥ ـ ومنها: التبسم في محله من غير قهقهة ولا رفع صوت.

قال الله تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾[النمل: ١٩].

قال جماعة من العلماء: كان غالب ضحك الأنبياء عليهم السلام التبسم.

وروى أبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هبط آدم عليه السلام من الجنة بياقوتة بيضاء يمسح بها دموعه.

قال: وبكى آدم على الجنة أربعين عاماً، فقال له جبريل عليه

---

(١) رواه الترمذي (٢٧٣٢) وحسنه.

(٢) رواه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٣١٧).

السلام: يا آدم! ما يُبكيك؟ إن الله بعثني إليك مُعزياً، فضحك آدم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾[النجم: ٤٣]، فضحك آدم وضحكت ذريته، وبكى آدم وبكيت ذريته[١].

وهذا يدل على أن الضحك والبكاء جِبِلَّةٌ في بني آدم، وهو كذلك.

وإنما الممدوح من الضحك ما كان عن عجب من غير إفراط، أو عن سرور بنعمة الله، أو بشارة بخير، أو بشاشة لمسلم، أو على وجه المداراة.

ومن البكاء ما كان عن حزن بفوات خير أُخروي، أو تقصير في طاعة، أو خوفاً من الله وخشية له، وما كان كذلك فهو من أخلاق النبوة وصفات الصلاح.

روى ابن أبي الدنيا في كتاب «الإخوان» عن ابن الأعرابي قال: لقي يحيى بن زكريا عيسى بن مريم عليهم السلام، ويحيى متبشرٌ متهلِّلُ الوجه، وعيسى قاطبٌ متعَبِّسُ الوجه، فقال عيسى ليحيى: أتضحك كأنك آمن؟

فقال يحيى لعيسى: أتعبس كأنك آيس؟

فأوحى الله إليهما أنَّ ما فعله يحيى أحب إلينا[٢].

واعلم أنه يقع في الأحاديث وكلام السلف إطلاق ذم الضحك كثيراً، وهو محمول على الضحك غفلةً أو عبثاً، أو المبالغة فيه والاستغراب والاسترسال إلى القهقهة، أو كثرته، وذلك مذموم.

---

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٥٨٢).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الإخوان» (١٣٦).

روى الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «القَهْقَهَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَالتَّبَسُّمُ مِنَ اللهِ تَعَالَى»[1].

وروى هناد عن الحسن رحمه الله مرسلاً، وله شواهد، قال: قال النبي ﷺ: «الضَّحِكُ ضَحِكَانِ: ضَحِكٌ يُحِبُّهُ اللهُ تَعَالَى، وَضَحِكٌ يَمْقُتُهُ اللهُ تَعَالَىْ؛ أَمَّا الضَّحِكُ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ فَالرَّجُلُ يُكَشِّرُ فِيْ وَجْهِ أَخِيْهِ حَدَاثَة عَهْدٍ بِهِ وَشَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِ، وَأَمَّا الضَّحِكُ الَّذِي يَمْقُتُ اللهُ عَلَيْهِ فَالرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْجَفاءِ وَالبَاطِلِ لِيُضْحِكَ أَوْ يَضْحَكَ يَهْوِي بِها فِي جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيْفاً»[2].

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يا أَبَا هُرَيْرَةَ! كُنْ وَرِعاً تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ».

وفيه: «إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِك؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ فَسَادُ القَلْبِ»[3].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن وهيب رحمه الله تعالى قال: قال الخضر لموسى عليهما السلام حين لقيه: يا موسى بن عمران! انزع عن اللجاجة، ولا تمش بغير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، والزم بيتك، وابكِ على خطيئتك[4].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (١٠٥٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٩٦): رواه الطبراني في «الصغير» وفيه من لم أعرفهم.

(٢) رواه هناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٥٥٢).

(٣) رواه ابن ماجه (٤٢١٧)، وكذا هناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٥٠١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٧٥٠).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٦١)، لكن ذكره عن وهب.

وروى الأصبهاني في «الترغيب» عن يحيى بن كثير قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام لابنه: يا بني! لا تُكثر الغيرة على أهلك؛ فترمى بالشر من أجلك وإن كانت بريئة، ولا تُكثر الضحك؛ فإن كثرة الضحك تستخف فؤاد الرجل الحكيم.

قال: وعليك بخشية الله؛ فإنها غلبت كل شيء[1].

وفي حديث أنس ﷺ المروي في «مسند الإمام أحمد»، والكتب الستة إلا «سنن أبي داود»: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَوْ تَعْلَمُوْنَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلَيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيْرَاً»[2].

وروى الأصبهاني عن عبدالله بن المبارك رحمه الله: أنه كان ينشد:

[من الوافر]

وَكَيْفَ تُحِبُّ أَنْ تُدْعَىْ حَكِيْماً
وَأَنْتَ لِكُلِّ ما تَهْوَىْ رَكُوْبُ

وَتَضْحَكُ دائِباً ظَهْراً لِبَطْنٍ
وَتَذْكُرُ ما عَمِلْتَ فَلا تَذُوْبُ

---

(١) ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٣٠)، وعنده: «غاية لكل» بدل «غلبت»، وروى أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٧١) طرفاً منه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٦٨)، والبخاري (٤٣٤٥)، ومسلم (٤٢٦)، والنسائي (١٣٦٣)، وابن ماجه (٤١٩١).

* **فائِدَةٌ زائِدَةٌ:**

ذكر القرطبي في «تفسيره» عن عائشة رضي الله عنها قالت: مرَّ النبي ﷺ على قوم من أصحابه وهم يضحكون، فقال: «لَوْ تَعْلَمُوْنَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلَيْلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيْرَاً»، فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد! إن الله تعالى يقول لك: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾[النجم: ٤٣]، فرجع إليهم فقال: «مَا خَطَوْتُ أَرْبَعِيْنَ خُطَوَةً حَتَّى أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقال: ائْتِ هَؤلاءِ فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾[النجم: ٤٣]»(١)؛ أي: قضى أسباب الضحك.

قال: وقيل لعمر ﷺ: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟

قال: نعم، والإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي، انتهى(٢).

٨٦ ـ ومنها: الخطبة، والتذكير والتحذير من الدجال والفتن والأمور المحذورة.

وهذا شأن الأنبياء ومن على وراثتهم من العلماء.

قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾[يونس: ٧١].

وروى ابن أبي شيبة، والبزار عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه قال:

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٦٣) إلى ابن مردويه.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٧/ ١١٦).

أول من خطب على المنبر إبراهيم خليل الله عليه السلام[1].

وروى أبو الشيخ عن سفيان رحمه الله: أن شعيباً عليه السلام كان يُقال له: خطيب الأنبياء عليهم السلام[2].

والآثار في خطب الأنبياء ومواعظهم كثيرة.

وروى الشيخان، وأبو داود، والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، فذكر الدجال فقال: «إِنِّي لأُنْذِرُكُمُوْهُ، وَما مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نَوْحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي سَأَقُوْلُ لَكُمْ فِيْهِ قَوْلاً لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: إِنَّهُ أَعْوَرٌ وَإِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ»[3].

ومن ثم ينبغي ذكر الدجال وفتنته وغيرها من الفتن والملاحم للاعتبار، وليحفظها الناس كابراً عن كابر، فيحذر المؤمن الذي وقعت في زمانه غوائلها، ولا يدعوك إلى ترك ذكرها إعراض الناس عنها.

فقد روى ابن قانع في «معجمه» عن الصَّعْبِ بن جَثَّامَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لاَ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ حَتَّى يَذْهَلَ النَّاسُ عَنْ ذِكْرِهِ،

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٠٤٢)، والبزار في «المسند» (٢٦٣٣).

(٢) ورواه الطبري في «التفسير» (١٢/ ١٠٥)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ٢٠٧٦).

(٣) رواه البخاري (٢٨٩٢)، ومسلم (١٦٩)، وأبو داود (٤٧٥٧)، والترمذي (٢٢٣٥).

وَحَتَّى تَتْرُكَ الأَئِمَّةُ ذِكْرَهُ عَلى المَنَابِرِ»[١].

٨٧ ـ **ومنها: اتخاذ المنبر والعصا.**

وقد علمت آنفا أثر سعد بن إبراهيم في المنبر[٢].

وقدمنا في التشبه بالملائكة عليهم السلام أثراً: أن الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام عصياً بعدد الأنبياء عليهم السلام.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾[طه: ١٧ ـ ١٨].

قال البغوي وغيره: وأراد بالمآرب: ما تُستعمل فيه العصا في السفر، فكان يحمل بها الزاد، ويشد بها الحبل، ويستقي الماء من البئر، ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع، ويستظل بها إذا قعد، وغير ذلك، انتهى[٣].

وروى البزار، والطبراني في «الكبير» عن معاذ رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنْ أَتَّخِذْ مِنْبَراً فَقَدِ اتَخَذَهُ إِبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَإِنْ أَتَّخِذِ العَصا، فَقَدِ اتَّخَذَها إِبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ»[٤].

---

(١) رواه ابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ٨)، وكذا رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٧١). قال ابن حجر في «الإصابة» (٣/ ٤٢٦): قال ابن السكن: إسناده صالح، قلت: فيه إرسال.

(٢) تقدم قريباً.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢١٤).

(٤) رواه البزار في «المسند» (٢٦٣٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٦٧). قال ابن حجر في «فتح الباري» (٥/ ٤٧١): إسناد لا يصح.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن صفوان بن عمر قال: سُئِلَ أبو المثنى الأُملُوكي عن مشي الأنبياء عليهم السلام بالعصا، فقال: ذُلٌّ وتواضعٌ لربهم ﷻ.

وروى أبو نعيم عن يزيد بن ميسرة رحمه الله قال: كانت أحبار بني إسرائيل ـ الصغير منهم والكبير ـ لا تمشي إلا بالعصا مخافةَ أن يختال في مشيته إذا مشى[1].

٨٨ ـ ومنها: اتخاذ الكلب للحراسة ونحوها.

وهو جائز، ولغير ذلك لا يجوز.

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول من اتخذ الكلب نوح عليه السلام قال: يا رب! أمرتني أن أصنع الفلك، فأنا في صناعته أصنع أياماً، فيجيئون بالليل فيفسدون كل ما عملت، فمتى يلتئم لي ما أمرتني به، قد طال علي أمري؟

فأوحى الله إليه: يا نوح! اتخذ كلباً يحرسْك.

فاتخذ نوح عليه السلام كلباً، وكان يعمل بالنهار وينام الليل، فإذا جاء قومه ليفسدوا ما عمل نبحهم الكلب، فينتبه نوح عليه السلام فيأخذ الهراوة ويثبُ إليهم فيهربون، فالتأم له ما أراد[2].

٨٩ ـ ومنها: اتخاذ القَذَّافة.

وهي المقلاع لدفع الصائل ومحاربة العدو، وطرد الذباب عن الماشية، ونحو ذلك.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٣٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٠٦٤).

وفي قصة طالوت: أن داود عليه السلام قتل جالوت بقذافته.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن ثابت البناني رحمه الله تعالى قال: ما ترك عيسى بن مريم عليهما السلام ـ يعني: حين رُفع ـ إلاَّ مِدْرَعة صوف، وقَفْشَيْنِ ـ يعني: خفين ـ، ومِحْذَفة[1].

٩٠ ـ ومنها: اتخاذ القوس، والرمي عنها بالسهام، وتعلم الرماية للحرب.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الرمي» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول من عمل القِسِيَّ إبراهيم عليه السلام[2].

وروى البخاري عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ على نفر من أسلم يتناضلون، فقال: «ارْمُوْا بَنِيْ إِسْمَاعِيْلَ؛ فَإِنَّ أَبَاكُم كانَ رَامِياً، ارْمُوْا وَأَنَا مَعَ بَنِيْ فُلاَنٍ».

فمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: «ما لَكُمْ لاَ تَرْمُوْنَ؟» قالوا: يا رسول اللهِ! كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال: «ارْمُوْا وَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ»[3].

وروى الترمذي، وابن ماجه، وصححه الحاكم، عن عقبة بن

---

(١) ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٦٢١) عن ثابت عن أبي العالية. ووقع في «المصنف»: «مدرعة صوف وخفي راع وقذافة يقذف بها الطير» بدل «مدرعة صوف، وقفشين ـ يعني: خفين ـ، ومحذفة».

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٢٨٣).

(٣) رواه البخاري (٣٣١٦).

عامر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ شَيْءٍ يَلْهُو بِهِ ابْنُ آدَمَ فَهُوَ بَاطِلٌ إِلاَّ ثَلاَثاً: رَمْيُهُ عَنْ قَوْسِهِ، وَتَأْدِيبُهُ فَرَسَهُ، وَمُلاَعَبَتُهُ أَهْلَهُ؛ فَإِنَّهُنَّ مِنَ الحَقِّ، مَنْ تَعَلَّمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ فَهِيَ نِعْمَةٌ كَفَرَهَا»(١).

٩١ ـ ومنها: ارتباط الخيل في سبيل الله، وركوبها لذلك، وإعدادها للحرب.

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴾[ص: ٣١]؛ يعني: سليمان عليه السلام عُرضت عليه الخيل الصافنات.

وروى الزبير بن بكار في «الأنساب» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت الخيل وحوشاً لا تُركب، فأول من ركبها إسماعيل عليه السلام، فلذلك سميت العراب(٢).

وروى ابن أبي شيبة، والشيخان، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن عروة البارقي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «الخَيْلُ مَعْقُوْدٌ بِنَوَاصِيْها الخَيْرُ إِلَىْ يَوْمِ القِيَامَةِ»، قيل: يا رسول الله! وما ذلك؟ قال: «الأَجْرُ وَالغَنِيْمَةُ»(٣).

---

(١) رواه الترمذي (١٦٣٧) مرسلاً وموصولاً، وصححه، وابن ماجه (٢٨١١)، والحاكم في «المستدرك» (٢٤٦٧). إلى قوله: «من الحق».
وروى ابن ماجه (٢٨١٤) تتمة الحديث منفردة عن عقبة رضي الله عنه أيضاً، ولفظه: «من تعلم الرمي ثم تركه فقد عصاني». وهو بلفظ المصنف عن أبي هريرة رضي الله عنه رواه ابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ٣١٣) وقال: قال أبي: منكر.

(٢) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٨٩) إلى الزبير بن بكار في «الأنساب». وكذا رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٣٤٧).

(٣) تقدم تخريجه.

وقد ألف العلماء في فضل الخيل وارتباطها مؤلفات.

٩٢ ـ ومنها: الجهاد في سبيل الله تعالى.

قال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾[البقرة: ٢٤٦ ـ ٢٥١].

وهو داود بن إيشا أبو سليمان عليهما السلام.

والنبي المذكور في أول القصة هو يوشع بن نون.

وقيل: شمعون.

وقيل: أشمويل عليهم السلام.

روى الأول ابن جرير عن مجاهد[١]، والثاني هو، وابن أبي حاتم عن السدي[٢]، والثالث ابن أبي حاتم عن أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود[٣].

وروى ابن عساكر عن جابر ﷺ قال: أول من قاتل في سبيل الله إبراهيم عليه السلام حين أسر لوط واستأسرته الروم، فغزاهم إبراهيم حتى استنقذه من الروم[٤].

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٥٩٦) لكنه قال: شمعون، وأما من قال هو: يوشع بن نون فهو قتادة.

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٥٩٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٤٦٣).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٤٦٢).

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٠/ ٣٠٧).

وعن حسان بن عطية رحمه الله قال: أول من رتَّب العسكر في الحرب ميمنة وميسرة وقلباً إبراهيمُ لمَّا سار لقتال الذين أسروا لوطاً[1].

وروى أبو الحسن علي بن محمد الربعي في «فضائل الشام» عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية قال: أغار ملك نبط على لوط عليه السلام فسباه وأهلَه، فبلغ إبراهيم خليل الله عليه السلام ذلك، فأقبل في طلبه في عدة أهل بدر ثلاث مئة وثلاثة عشرة، فالتقى هو وملك الجبل في صحراء يعفور، فعبأ إبراهيم الحرب ميمنة وميسرة وقلباً ـ وكان أول من عبأ الحرب هكذا ـ فاقتتلوا، فهزمه إبراهيم عليه السلام، واستنقذ لوطاً وأهله، فأتى هذا الموضع الذي في برزة، فصلَّى فيه واتخذه مسجداً[2].

وعن يزيد بن أبي يزيد: أن أول من عقد الألوية إبراهيم عليه السلام؛ بلغه أن قوماً أغاروا على لوط عليه السلام فسبوه، فعقد لواء وسارَ إليهم بعبيده ومواليه حتى أدركهم، فاستنقذه وأهلَه[3].

٩٣ ـ ومنها: التفكر والاعتبار، والمسافرة لذلك، والضرب في الأرض لمطالعة آيات الله والتماس رزقه، وتنفيذ أقضيته وأحكامه.

روى الإمام أحمد في «الزهد»، وابن أبي الدنيا في «التفكر» عن مالك بن دينار رحمه الله قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام:

---

(١) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٢٨٢) إلى ابن عساكر.

(٢) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/ ٣٢٦).

(٣) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٢٧٤).

يا موسى! اتخذ نعلين من حديد وعصا، ثم سُحْ في الأرض، فاطلب الآثار والعبر حتى تنكسر العصا وتنخرق النعلان[1].

٩٤ ـ ومنها: المهاجرة خوفاً من الفتنة في الدين.

سبق عن ابن منبه رحمه الله: أنَّ هوداً وصالحاً وشعيباً هاجروا من بلادهم إلى مكة المشرفة.

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾[العنكبوت: ٢٦].

قال النخعي، وقتادة: وقال؛ يعني: إبراهيم: إني مهاجر؛ قال قتادة: هاجر من كوثى[2].

وروى ابن أبي حاتم عن كعب في قوله: ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ [العنكبوت: ٢٦] قال: إلى حرَّان[3].

وروى ابن عساكر عن قتادة في الآية قال: إلى الشام كان مهاجَرُهُ[4].

وكوثى: قرية من سواد الكوفة هاجر منها إبراهيم عليه السلام

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦١) إلى ابن أبي الدنيا في «التفكر»، وكذا رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٩٥).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ١٤٢).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٣٠٥٠).

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ١٦٣).

إلى حران، ثم إلى الشام، ومعه ابن أخيه لوط وامرأته سارة[1].

وقال الكلبي: هاجر من أرض حران إلى فلسطين، وهو أول من هاجر من أرض الكفر[2].

وقال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧١].

قال أكثر المفسرين: إنها الشام[3].

وفي أثر حسان بن عطية السابق: إشارة إلى أنَّ إبراهيم عليه السلام دخل دمشق مهاجراً.

وروى ابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبي ﷺ قال: «يَتَهاجَرُ خِيَارُ أَهْلِ الأَرْضِ هِجْرَةً بَعْدَ هِجْرَةٍ إِلَى مُهاجَرِ إِبْرَاهِيمَ»[4].

وقد روى أبو داود عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، والحاكم وصححه، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: «سَتَكُوْنُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ؛ فَخِيَارُ أَهْلِ الأَرْضِ أَلْزَمُهُمْ مُهاجَرَ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيَبْقَى فِيْ الأَرْضِ شِرَارُ أَهْلِهَا، وَتَلْفِظُهُمْ أَرَضُوهُمْ، وَتَقْذِرُهُمْ نَفْسُ اللهِ،

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ١٤٢).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٣/ ٣٣٩).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٤٣)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٥٥١).

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ١٦٣)، وعنده: «سيهاجر» بدل «يتهاجر».

وَتَحْشُرُهُمُ النَّارُ مَعَ القِرَدَةِ [والخنازير]»[1].

وقوله: نفس الله؛ أي: ذاته سبحانه الموصوفةُ بأن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهذا من أحاديث الصفات.

وقد قلت متحدثاً بنعمة الله تعالى على أن جعلني من أهل الشام ولاسيما دمشق حرسها الله: [من الطويل]

مُهـــاجَرُ إِبْـــراهِيْمَ دارِيْ وَمَوْلِـــدِيْ
وَمَنْـــشَأُ آبـــائِي الْكِـــرامِ وَمَحْتِـــدِيْ

دِمَـــشْقُ الَّتِـــيْ قَـــدْ بُورِكَـــتْ وَتَقَدَّسَـــتْ
بِمُجْتَمَـــــعٍ لِلـــــصَّالِحِيْنَ وَمَـــــشْهَدِ

لَهـــا البُـــدَلاءُ الأَوْلِيـــاءُ إِذا دُعُـــوْا
لِغَـــوْثٍ أَجـــابُوا بَـــيْنَ مُـــنْجٍ وَمُنْجِـــدِ

بِهِـــمْ يُمْطِـــرُ اللهُ الـــبِلادَ وَيَـــرْحَمُ الْـــ
ـــعِبادَ فَـــأَنْعِمْ بِـــالْكِرامِ وَأَسْـــعِدِ

لَهُـــمْ فِـــيْ حِمَـــىْ مَـــوْلاهُمُ كُـــلُّ سَـــجْدَةٍ
يُؤَمِّـــلُ أَنْ لَـــوْ قالَهـــا كُـــلُّ مَـــسْجِدِ

يَؤُمُّـــوْنَ أَرْضَ الـــشَّامِ مُـــسْتَكْمِلِيْنَ فِـــيْ
ذُراهـــا لِمَجْـــدٍ مُـــسْتَفادٍ وَسُـــؤْدَدِ

---

(١) رواه أبو داود (٢٤٨٢).

بِــلادٌ تَــسَامت فِــيْ الْمُقَــامِ وَبُوْرِكَــتْ

بِكُــلِّ مَــزارٍ أَوْ مَقــامٍ وَمَعْبَــدِ

لَقَــدْ عَمَّنِــيْ فَـضْلُ الْجَـوادِ بِهَـذِهِ الْـبِلا

دِ وَأَوْلانِــيْ بِهــا كُــلَّ مَقْــصِدِيْ

فَــدارِيْ جِــوارَ الْجــامِعِ الأُمَــوِيِّ فِــيْ

ظِــلالِ حُمــاةٍ لا تُطــاوَلُ بِالْيَــدِ

وَمَجْلِـسُ دَرْسٍ فِيْـهِ فِـيْ خَيْـرِ مَـوْطِنٍ

بِقُــرْبِ نَبِــيِّ اللهِ يَحْيَــىْ الْمُــسَيَّدِ

ولِــي مِــنْ إمــامِ الأنبيــاءِ وراثــةٌ

تُطَمِّعُنِــيْ مِنْــهُ الــشَّفاعَةُ فِــيْ غَــدِ

عُلُــوْمٌ تَــسامَىْ أَمْرُهــا عَــنْ مُقــائِسٍ

بِــأُفْقِ سَــماكَ فِــيْ الــسَّماءِ وَفَرْقَــدِ

تَجَلَّــتْ لَنــا مِنْهــا الْمَعــانِيْ كَأَنَّهــا

أَوانِــسُ عِــيْنٌ مَــعْ نَــواعِسَ خُــرَّدِ

نَواطِــــقُ أَنَّ اللهَ لا رَبَّ غَيْــــرُهُ

مَتَــى شــاءَ مِــنْ أَمْــرٍ هُنالِــكُ يَنْفَــذِ

حَقــائِقُ لا تَخْفَــى عَلــى كُــلِّ عــارِفٍ

دَقــائِقُ لا تَبْــدُو لِغَيْــرِ مُوَحِّــدِ

تَنَــزَّهَ عَـــنْ لَــوْثِ الــشَّوائِبِ سِـــرُّهُ
وَعَـــنْ قَـــوْلِ أَفَّـــاكِ الْمَقالَـــةِ مُلْحِـــدِ

وتبين بما ذكرناه: **أنَّ من خصال الأنبياء عليهم السلام:**

٩٥ ـ سكنى الشام.

ولذلك كانت مواطن الأبدال لأنهم بُدلاء عنهم، ولأنَّ قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام وهو شامي، وكان مركز القطب بمكة المشرَّفة لأن قلبه على قلب محمد ﷺ، وقد قدمنا هذا المعنى.

وفي حديث عبدالله بن حوالة ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال له: «عَلَيْكَ بِالشَّامِ؛ فَإِنَّهَا خِيْرَةُ اللهِ مِنْ أَرْضِهِ، يِجْتَبِيْ إِلَيْهَا خِيْرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ». رواه أبو داود وغيره، وصححه ابن حبان، والحاكم[1].

وروى الطبراني من طريقين أحدهما جيد، عنه أنَّه قال: يا رسول الله! خِرْ لي بلداً أكون فيه، فلو أعلم أنك تبقى لم أختر عن قريتك شيئاً؟ فقال: «عَلَيْكَ بِالشَّامِ» قال: فلما رأى كراهيتي للشام قال: «أَتَدْرِي ما يَقُوْلُ اللهُ فِيْ الشَّامِ؟ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُوْلُ: يَا شَامُ! أَنْتِ صَفْوَتِي مِنْ بِلادِي، أُدْخِلُ فِيْكِ خِيْرَتِي مِنْ عِبادِي، إِنَّ اللهَ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ»[2].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٦٠١)، و(٢٩٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٥٩): رواه الطبراني من طريقين، ورجال أحدهما رجال الصحيح، غير صالح بن رستم، وهو ثقة.

روى ابن أبي حاتم من حديثه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَمُوْداً أَبْيَضَ كَأَنَّهُ لُؤْلُؤَةٌ، تَحْمِلُهُ المَلائِكَةُ، قُلْتُ: ما تَحْمِلُوْنَ؟ قَالوا: عَمُوْدَ الإِسْلاَمِ، أُمِرْنَا أَنْ نَضَعَهُ بِالشَّامِ»(١).

وسبق في التشبه بالملائكة عليهم السلام: «طُوْبَى لِلشَّامِ لأَنَّ مَلاَئِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا»(٢).

وفي رواية أخرجها الطبراني في «الكبير»: «طُوْبَى لِلشَّامِ؛ إِنَّ الرَّحْمَنَ لَبَاسِطٌ رَحْمَتَهُ عَلَيْهِ»(٣).

وروى هو فيه، والحاكم وصححه، عن أبي أمامة ﷺ: أَنَّ النبي ﷺ قال: «الشَّامُ صَفْوَةُ اللهِ مِنْ بِلاَدِهِ، إِلَيْهَا يَجْتَبِيْ صَفْوَتَهُ من عِبَادِه، فَمَنْ خَرَجَ مِنَ الشَّامِ إِلَىْ غَيْرِهَا فَبِسُخْطِهِ، وَمَنْ دَخَلَهَا مِنْ غَيْرِهَا فَبِرَحْمَتِهِ»(٤).

وهو يريد بقوله: «من غيرها»، و«إلى غيرها» ما عدا مكة والمدينة؛ لأنهما أفضل من سائر الأرَضين.

وروى الإمام أحمد عن أبي الدرداء ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «فُسْطَاطُ المُسْلِمِيْنَ يَوْمَ المَلْحَمَةِ الكُبْرَىْ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَها: الغُوْطَةُ،

---

(١) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٢٢٧) إلى ابن أبي حاتم.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٩٣٥) عن زيد بن ثابت ﷺ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٦٠): رجاله رجال الصحيح.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٨٥٥٥).

فَيْها[1] مَدِيْنَةٌ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ؛ خَيْرُ مَنَازِلِ المُسْلِمِيْنَ يَوْمَئِذٍ[2]»[3].

وروى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن عساكر بسند صحيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ﴾ يعني: عيسى وأمه عليهما السلام ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[المؤمنون: ٥٠]: إنها دمشق.

وفي لفظ: أُنبئنا أنها دمشق[4].

ورواه ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب، وابن عساكر عن سعيد بن المسيب، وعن الحسن البصري[5].

وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد: أنها الغوطة وما حولها[6].

وروى ابن ناصر الدين حافظ دمشق في جزء له ألَّفه في الربوة بسندٍ له متصل، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها شعب النيرب.

---

(١) في مصدري التخريج: «إلى جانب» بدل «فيها».

(٢) عند أبي داود: «من خير مدائن الشام» بدل «خير منازل المسلمين يومئذ» وهذه الجملة ليست في لفظ «المسند».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٩٧)، وكذا رواه أبو داود (٤٢٩٨).

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٢٠٤).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٤٠٩)، والطبري في «التفسير» (١٨/ ٢٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٢٠٥) عن سعيد بن المسيب.
وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٢٠٨) عن الحسن البصري.

(٦) انظر: «الدر المنثور» (٦/ ١٠٠).

والذي عليه الجمهور من المفسرين[1]، واعتمده الإمام فخر الدين الرازي، ورجَّحه شيخ الإسلام الوالد ما سبق: أن الربوة هي دمشق[2].

وهو المروي عن جماعة آخرين؛ منهم: خالد بن معدان، وقتادة، ويزيد بن سخبرة، ويحيى بن سعيد، ويزيد بن سخبرة صحابي ﷺ، ولفظه: دمشق هي الربوة المباركة. أخرجه ابن عساكر[3].

وعنده بسند ضعيف عن أبي أمامة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[المؤمنون: ٥٠] قال: «هَلْ تَدْرُوْنَ أَيْنَ هِيَ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هِيَ بِالشَّامِ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: الغُوْطَة، مَدِيْنَةٌ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، هِيَ خَيْرُ مَدَائِنِ الشَّامِ»[4].

وأخبرنا شيخ الإسلام والدي رحمه الله عن شيخ الإسلام التقوى ابن قاضي عجلون، عن ابن ناصر الدين: أنه أنشد لنفسه: [من الطويل]

إِذا ذُكِرَتْ أَمْصارُ أَرْضٍ بِمَفْخَرٍ
سِوَى طَيْبَةٍ وَالْقُدْسِ أَيْضاً وَمَكَّةِ

---

(١) ورجح الطبري أنها مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر، دون تحديد لمكان معين، ورجح ابن كثير أنها بيت المقدس. انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ٢٧)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٤٧).

(٢) انظر: «تفسير الرازي» (٢٣/ ٩٠).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١/ ٢٠٧ ـ ٢٠٩).

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٢٠٣).

أَجـــابَ لِـــسانُ الْحَـــالِ ذاكِـــرَ فَخْرِهـــا
أَلا إِنَّ فَخْـــــرَ الــــشَّامِ أَعْـــلا بِرَبْـــوَةِ

وللعلامة ابن الوردي: [من الرجز]

دِمَــــشْقُ فِــــي أَرْجائِهـــا مواضِـــعُ
يَحـــــارُ فِيهـــا نـــاظِرٌ وَســـامِعُ
رَبْوَتُهــــا وَقَــــصْرُها وَالْجـــامِعُ
هُـــنَّ ثـــلاثٌ مـــا لَهُـــنَّ رابِـــعُ

٩٦ ـ ومنها: المجاورة بمكة المشرفة.

روى الأزرقي عن محمد بن سابط، عن النبي ﷺ قال: «كانَ النَّبِيُ مِنَ الأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ إِذا هَلَكَتْ أُمَّتُهُ لَحِقَ بِمَكَّةَ، فَيَتَعَبَّدُ اللهَ فِيْها النَّبِيُّ وَقَومُهُ حَتَّى يَمُوْتَ».

قال: «فَماتَ بِها نُوْحٌ، وَهُوْدٌ، وَصَالِحٌ، وَشُعَيْبُ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ، وَقُبُوْرُهُمْ بَيْنَ زَمْزَمَ وَالْحِجْرِ»[1].

وروى هو، والبيهقي عن عبدالله بن ضمرة السلولي قال: ما بين المقام إلى الركن إلى زمزم إلى الحِجْر قبر سبعة وسبعين[2] نبياً، جاؤوا

---

(١) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٦٨).

(٢) في «أخبار مكة»: «تسعة وتسعين» بدل «سبعة وسبعين».

حاجين فماتوا فقُبروا هنالك[1].

وروى الأزرقي، والجندي عن عبد الرحمن بن سابط قال: كان النبي من الأنبياء إذا هلك قومه فنجا هو والصالحون معه أتى مكة بمن معه، فيعبدون الله حتى يموتوا فيها، وإنَّ قبر نوح، وهود، وشعيب، وصالح بين زمزم والركن والمقام[2].

وروى الجندي عن محمد بن سابط: أنَّ قبر إسماعيل ـ أيضاً ـ ثَمَّ.

ومُقامه هو وأبوه إبراهيم، ومجاورتهما بها معلومة من كتاب الله تعالى.

واعلم أنَّ كثيراً من العلماء استحبوا المجاورة بمكة لفضلها وتضعيف الحسنات بها، ورغبة في الموت بها.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: من قُبر بمكة مسلماً بُعث آمناً يوم القيامة. أخرجه الجندي[3].

وروى البيهقي في «الشعب» عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ١٣٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠٠٦).

(٢) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ١٣٣)، وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٠) إلى الجندي، كلاهما عن عبد الرحمن بن سابط.

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٧٢).

«مَنْ ماتَ فِي أَحَدِ الحَرَمَيْنِ بُعِثَ آمِناً»[1]؛ يعني: من مات من المسلمين.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ماتَ فِي أَحَدِ الحَرَمَيْنِ بُعِثَ مِنَ الآمِنِيْنَ يَوْمَ القِيامَةِ، وَمَنْ زارَنِي مُحْتَسِباً إِلى المَدِيْنَةِ كانَ فِي جِوارِي يَوْمَ القِيامَةِ»[2].

٩٧ ـ ومنها: زيارة بيت المقدس.

ولذلك أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى.

وفي «صحيح مسلم» عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أُتِيْتُ بِالبُراقِ وَهُوَ دابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيْلٌ فَوْقَ الحِمارِ وَدُوْنَ البَغْلِ، يَضَعُ حافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ، فَرَبَطْتُهُ بِالحَلَقَةِ الَّتِي تَرْبِطُ بِها الأَنْبِياءُ عَلَيْهِمُ السَّلامُ»، وذكر حديث الإسراء[3].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن خالد بن معدان رحمه الله قال: كتبت إلى الخليفة أُحَوِّل اسمي إلى فلسطين، قيل له: ولم ذاك؟ قال: إنه لم يبق نبي إلا وقد هاجر إلى بيت المقدس، فأُريد أن أُهاجر إليها.

وروى هو في «المسند»، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم وصححه،

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٨١)، وكذا الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٨٨٣). وضعف ابن عدي إسناده في «الكامل في الضعفاء» (٤/ ١٣٦).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٥٨).

(٣) رواه مسلم (١٦٢).

والبيهقي في «الشعب» عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَمَّا بَنَى بَيْتَ المَقْدِسِ سَأَلَ رَبَّهُ خِلالاً ثَلاَثاً، فَأَعْطَاهُ اللهُ اثْنَتَيْنِ وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَكُوْنَ أَعْطاهُ الثالِثَةَ؛ سَأَلَهُ حُكْماً يُصَادِفُ حُكْمَهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَسَأَلَهُ مُلْكاً لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَسَأَلَهُ: أَيُّمَا رَجُلٍ خَرَجَ مِن بَيْتِهِ لاَ يُرِيْدُ إِلاَّ الصَّلاةَ فِيْ هَذَا الْمَسْجِدِ ـ يَعْنِي: بَيْتَ المَقْدِسِ ـ خَرَجَ مِنْ ذُنُوْبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

قال النبي ﷺ: «وَنَحْنُ نَرْجُوْ أَنْ يَكُوْنَ اللهَ أَعْطاهُ ذَلِكَ»[1].

وروى ابن أبي شيبة، والشيخان، والترمذي، وابن ماجه عن أبي سعيد ـ واللفظ له ـ، وابن أبي شيبة، ومسلم، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنهما قال أبو سعيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تُشَدُّ الرِّحالُ إِلاَّ إِلى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ؛ المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذا، وَالمَسْجِدِ الأَقْصَى»[2].

*** فائِدَةٌ لَطِيْفَةٌ:**

روى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن أبي عمران

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٦)، والنسائي (٦٩٣)، وابن ماجه (١٤٠٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٢٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٧٥).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥٥٤٨)، والبخاري (١١٣٩)، ومسلم (٨٢٧)، والترمذي (٣٢٦)، وابن ماجه (١٤١٠) عن أبي سعيد رضي الله عنه.
ورواه ابن أبي شيبة (١٥٥٤٣)، مسلم (١٣٩٧)، وابن ماجه (١٤٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وكذا البخاري (١١٣٢)، وأبو داود (٢٠٣٣).

الأنصاري قال: كنت أقود بدابة أم الدرداء فيما بين بيت المقدس ودمشق، فكانت إذا مرَّت بالجبال قالت: يا أبا سليمان! أَسْمِعِ الجبال ما وعدها الله ﷻ، فأرفع صوتي بهذه الآيات: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾[الكهف: ٤٧][1].

٩٨ ـ ومنها: بناء المساجد.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾[الحج: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾[البقرة: ١٢٧].

والمساجد الثلاثة أعظم المساجد كل واحد منها بناه نبي؛ المسجد الحرام بناه إبراهيم وإسماعيل، والمسجد الأقصى بناه سليمان، ومسجد المدينة بناه محمد ﷺ.

ولقد سبق إبراهيم آدم إلى بناء البيت، ثم بوأ الله مكانه لإبراهيم عليه السلام فبناه، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾[آل عمران: ٩٦].

روى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد، والشيخان عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أي مسجلوضُِ عَ أول؟ قال: «الْمَسْجِدُ الْحَرامُ»، قلت: ثم أي؟ قال: «الْمَسْجِدُ الأَقْصَى»، قلت: كم بينهما؟

---

(١) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٣٤٢).

قال: «أَرْبَعُوْنَ سَنَةً»[1].

قلت: أراد ـ والله أعلم ـ أنَّ المسجد الحرام أول مسجد وُضع؛ أي: خُلق ووُضع مكانه كما قال السدي: إنه كان يوم كانت الأرض ماء ربوة على الأرض، فلما خلق الله الأرض خلق البيت معها، فهو أول بيت وُضع في الأرض. رواه ابن جرير[2].

وإلا فإنَّ بين بناء المسجد الحرام والمسجد الأقصى أكثر من أربعين سنة، سواءً اعتبرنا بناء آدم أو بناء إبراهيم.

وروى عبد الرزاق، والطبري، والطبراني، وغيرهم عن عطاء رحمه الله قال: قال آدم عليه السلام: أي رب! ما لي لا أسمع أصوات الملائكة عليهم السلام؟ قال: بخطيئتك، ولكن اهبط إلى الأرض فابْنِ لي بيتاً، ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف بيتي الذي في السماء.

فزعم الناس أنه بناه من خمسة أجبل[3].

وروى البيهقي في «دلائله» نحوه عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بَعَثَ اللهُ جِبْرِيْلَ إِلى آدَمَ وَحَوَّاءَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ فَقالَ لَهُما: ابْنِيا لِي بَيْتاً، فَخَطَّ لَهُما جِبْرِيْلُ، فَجَعَلَ آدَمُ يَحْفِرُ وَحَوَّاءُ تَنْقُلُ حَتَّىْ أَجَابَهُ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٩٣٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٥٧)، والبخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٥٢٠).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٤/ ٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٩٠٩٢)، والطبري في «التفسير» (١/ ٥٤٦).

المَاءُ، فَنُوْدِيَ مِنْ تَحْتِهِ: حَسْبُكَ يَا آدَمُ، فَلَمَّا بَنَيَاهُ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنْ يَطُوْفَ بِهِ، وَقِيْلَ لَهُ: أَنْتَ أَوَّلُ النَّاسِ، وَهَذَا أَوَّلُ بَيْتٍ، ثُمَّ تناسَخَتِ القُرُوْنُ حَتَّى حَجَّهُ نُوْحٌ، ثُمَّ تَنَاسَخَتِ القُرُوْنُ حَتَّىْ رَفَعَ إِبْرَاهِيْمُ القَوَاعِدَ مِنْهُ»[1].

وروى الأزرقي، وأبو الشيخ في «العظمة»، وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لمَّا أهبط الله آدم إلى الأرض من الجنة كان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض وهو مثل الفلك من رعدته، فطأطأ الله منه إلى ستين ذراعاً، فقال: يا رب! ما لي لا أسمع أصوات الملائكة ولا حِسَّهم؟ قال: خطيئتك يا آدم، ولكن اذهب فابن لي بيتاً فطُفْ به، واذكُرني حوله كنحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي.

فأقبل آدم يتخطى، فطُويت له الأرض، وقيض الله له المفازة، فصارت كل مفازة يمرُّ بها خطوة، وقبض الله ما كان فيها من مخاض أو بحر فجعله له خطوة، ولم تقع قدمه على شيء من الأرض إلا صار عمراناً وبركة، حتى انتهى إلى مكة فبنى البيت الحرام.

وإنَّ جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الأرض، فأبرز عن أُسٍّ ثابت على الأرض السابعة، فقذفت فيه الملائكة الصخر ما يطيق الصخرة منها ثلاثون رجلاً، وإنه بناه من خمسة أجبل؛ من لسان، وطور زتنا، وطور سيناء، والجودي، وحراء حتى استوى على وجه

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٤٥).

الأرض، فكان أول من أسس البيت.

وصلَّى فيه وطاف به آدم عليه السلام حتى بعث الله الطوفان وكان غضباً ورجساً، فحيث ما انتهى الطوفان ذهب ريح آدم، ولم يقرب الطوفان أرض السند والهند، فدرس موضع البيت في الطوفان حتى بعث الله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فرفعا قواعده وأعلامه، ثم بَنَتْهُ قريش بعد ذلك، وهو بحذاء البيت المعمور؛ لو سقطَ ما سقط إلاَّ عليه[1].

وروى الإمام أحمد، والبخاري، والمفسرون عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ إبراهيم قال: يا إسماعيل! إنَّ الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك، قال: وتُعينني؟ قال: وأُعينك، قال: فإنَّ الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً - وأشار إلى أَكَمَةٍ مرتفعة على ما حولها -، قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له وقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البقرة: ١٢٧][2].

وروى أبو بكر الواسطي في «فضائل بيت المقدس» عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كانت الأرض ماءً، فبعث الله تعالى ريحاً فمسحت الماء مسحاً، فظهرت على الأرض زبدة، فقسمها أربع قطع؛ خلق من قطعة

---

(١) رواه الأزرقي في «تاريخ مكة» (١/ ٣٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٥٤٨).

(٢) رواه البخاري (٣١٨٥).

مكة، ومن الثانية المدينة، والثالثة بيت المقدس، والرابعة الكوفة[1].

وروى ابن أبي شيبة، والطبراني، وغيرهما عن رافع بن عمير ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قالَ اللهُ تَعالى لِداوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ: ابْنِ لِي بَيْتاً فِي الأَرْضِ، فَبَنَى داوُدُ بَيْتاً لِنَفْسِهِ قَبْلَ البَيْتِ الَّذِي أُمِرَ بِهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: يا داوُدُ! نَصَبْتَ بَيْتَكَ قَبْلَ بَيْتِي؟ قالَ: يا رَبِّ! هكذا قُلْتَ: مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ، ثُمَّ أَخَذَ فِي بناءِ المَسجِدِ، فَلَمَّا تَمَّ السُّورُ سَقَطَ ثَلاثاً، فَشَكَى ذَلِكَ إِلَى اللهِ، فَأَوْحَىْ اللهُ إِلَيْهِ: إِنَّكَ لاَ تَصْلُحُ أَنْ تَبْنِيَ لِي بَيْتاً، قالَ: وَلِمَ يَا رَبِّ؟ قالَ: لِمَا جَرَى عَلَى يَدَيْكَ مِنَ الدِّماءِ، قالَ: يَا رَبِّ! أَوَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِيْ هَوَاكَ وَمَحبَّتِكَ؟ قالَ: بَلَى، وَلَكِنَّهُمْ عِبَادِي وَأَنَا أَرْحَمُهُم، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: لاَ تَحْزَنْ؛ فَإِنِّي سَأَقْضِي بِناءَهُ عَلَى يَدَي ابْنِكَ سُلَيْمَانَ، فَلَمَّا ماتَ داوُدُ أَخَذَ سُلَيْمانُ فِي بِنائِهِ، فَلَمَّا تَمَّ قَرَّبَ القَرابِينَ وَذَبَحَ الذَّبَائِحَ وَجَمَعَ بَنِي إِسْرَائِيْلَ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: قَدْ أَرَىْ سُرُوْرَكَ بِبُنْيَانِ بَيْتِي، فَاسْأَلْنِي أُعْطِكَ، قالَ: أَسْأَلُكَ ثَلاَثَ خِصَالٍ: حُكْمَاً يُصَادِفُ حُكْمَكَ، وَمُلْكَاً لاَ يَنْبَغِيْ لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، وَمَنْ أَتَى هذا البَيْتَ لاَ يُرِيْدُ إِلاَ الصَّلاةَ فِيهِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوْبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

قال رسول الله ﷺ: «أَمَّا اثْنَتَيْنِ فَقَدْ أُعْطِيَهُمَا، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَكُوْنَ

---

(١) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٢٢٩) إلى أبي بكر الواسطي في «فضائل بيت المقدس»، ورواه ابن الجوزي في «فضائل القدس» (ص: ٢).

قَدْ أُعطِيَ الثَّالِثَةَ»[١].

وقد سبق ذكر هذه الجملة الأخيرة في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما[٢].

وروى الطبراني، والضياء المقدسي في «المختارة» عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ سُئِلَ عن المسجد الذي أُسس على التقوى فقال: «هُوَ مَسْجِدِي هَذا»[٣].

وثبت بمعناه في «صحيح مسلم» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[٤]. قال الحسن رحمه الله تعالى: لما أسس رسول الله ﷺ المسجد الذي أسسه على التقوى كان كلما رفع لَبِنَةً قال: «اللَّهُمَّ إِنَّ الْخَيْرَ خَيْرُ الآخِرَةِ»، ثم يُناولها أخاه، فيقول ما قال رسول الله ﷺ حتى تنتهي اللَّبِنَةُ منتهاها، ثم يرفع أخرى فيقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلأَنْصارِ وَالْمُهاجِرَةِ»، ثم يُناولها أخاه، فيقول ما قال رسول الله ﷺ حتى تنتهي اللَّبِنَةُ منتهاها. رواه أبو الشيخ[٥].

ولا شك أنَّ بناء المساجد من الأعمال الصالحة المرغوب فيها.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٤٧٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٧): فيه محمد بن أيوب بن سويد الرملي، وهو متهم بالوضع.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٨٥٤).

(٤) رواه مسلم (١٣٩٨).

(٥) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٩٢) إلى أبي الشيخ.

وقد روى ابن ماجه عن علي ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِداً بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ»[1].

ورواه الإمام أحمد من حديث ابن عباس ﷺ ولفظه: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِداً وَلَوْ مِفْحَصَ قَطاةٍ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ»[2].

إلا أن البناء شرطه أن يكون في أرض مُباحة أو مملوكة من مال حلال، وإلا فلا يكون مقبولاً.

وقد روى ابن سعد في «طبقاته» عن سالم أبي النضر رحمه الله قال: لمَّا كثر المسلمون في عهد عمر ﷺ وضاق بهم المسجد، فاشترى عمر ما حول المسجد من الدُّور إلا دار العباس بن عبد المطلب وحُجَرَ أمهات المؤمنين، فقال عمر للعباس ﷺ: يا أبا الفضل! إنَّ مسجد المسلمين قد ضاق بهم، وقد ابتعت ما حوله من المنازل يوسع به على المسلمين في مسجدهم إلا دارَك وحُجَرَ أمهات المؤمنين، فأما حُجَرُ أمهات المسلمين فلا سبيل إليها، وأما دارُك فبعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين، وإما أخطُّك حيث شئت من المدينة وأبنيها لك من بيت مال المسلمين، وإما أن تتصدق بها على المسلمين فتوسع بها في مسجدهم.

فقال: لا، ولا واحد منها.

فقال عمر: اجعل بيني وبينك من شئت.

---

(١) رواه ابن ماجه (٧٣٧). وهو في «الصحيحين» من حديث عثمان.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٤١).

قال: أُبَيٌّ بن كعب.

فانطلقا إلى أُبَيٍّ فقصَّا عليه القصة، فقال أُبَيٌّ: إن شئتما حدثتكما بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، فقالا: حدثنا.

فقال: سـمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ تَعالى أَوْحى إِلى داوُدَ أَنِ ابْنِ لِي بَيْتاً أُذْكَرْ فِيْهِ، فَخَطَّ لَهُ هَذِهِ الخُطَّةَ خُطَّةَ بَيْتِ المَقْدِسِ، فَإِذا تَرْبِيْعُها يَزْوِيْهِ بَيْتُ رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرائِيْلَ، فَسَأَلَهُ داوُدُ أَنْ يَبِيْعَهُ إِيَّاهُ فَأَبَى، فَحَدَّثَ داوُدُ نَفْسَهُ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنْهُ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنْ يا داوُدُ! أَمَرْتُكَ أَنْ تَبْنِيَ لِي بَيْتاً أُذْكَرُ فِيْهِ، فَأَرَدْتَ أَنْ تُدْخِلَ فِي بَيْتِيَ الْغَصْبَ، وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِيَ الْغَصْبُ، وَإِنَّ عُقُوْبَتَكَ أَنْ لا تَبْنِيَهُ، قالَ: يا رَبِّ! فَمِنْ وَلَدِي؟ قالَ: مِنْ وَلَدِكَ».

قال: فأخذ عمر بمجامع ثوب أُبَي بن كعب فقال: جئتك بشيء فجئت بما هو أشد منه، لتخرجن مما قلت، فجاء يقوده حتى أدخله المسجد، فأوقفه على حلقة من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم أبو ذر رضي الله عنه فقال: إني نشدتُ الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يذكر حديث بيت المقدس حيث أمر الله داود أن يبنيه إلاَّ ذكره.

فقال أبو ذر: أنا سمعته من رسول الله ﷺ فأرسلْ أُبيّاً.

فأقبل أُبَي على عـمر فقــال: يـا عمـر! أتتهمـني عـلى حـديث رسول الله ﷺ؟

فقال عمر: لا والله يا أبا المنذر لمَّا أتهمك، ولكني كرهت أن يكون الحديث عن رسول الله ﷺ ظاهراً.

قال: وقال عمر للعباس: اذهب فلا أعرض لك في دارك.

فقال العباس: أمَّا إذا فعلت هذا فإني قد تصدقت بها على المسلمين أُوَسِّعْ بها عليهم في مسجدهم، فأمَّا وأنت تخاصمني فلا.

فخط عمر له داره التي هي له اليوم وبناها من بيت مال المسلمين[1].

ـ ومن أعمال الأنبياء عليهم السلام:

٩٩ ـ ملازمة المساجد للصلاة والعلم والتعليم والخير.

قال الله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وروى الدينوري عن المعتمر بن سليمان رحمهما الله: أنَّ الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام: أين بيتك يا روح الله؟ قال: المساجد[2].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي هريرة ﷺ قال: كان عيسى بن مريم عليهما السلام يقول: يا معشر الحواريين! اتخذوا بيوتكم منازل، واتخذوا المساجد مساكن، وكلوا من بقل البرية، واخرجوا من الدنيا بسلام[3].

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ٢١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١٩٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٤٢٣).

وروى ابن ماجه عن الحكم بن عمير رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «كُونُوا فِي الدُّنْيا أَضْيافاً، وَاتَّخِذُوا الْمَساجِدَ بُيُوتاً»، الحديث[1].

وروى الطبراني في «الكبير»، والبزار ـ وحسنه هو والمنذري[2] ـ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ، وَتَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ كانَ الْمَسْجِدُ بَيْتَهُ بِالرَّوْحِ وَالرَّحْمَةِ وَالْجَوازِ عَلى الصِّراطِ إِلى رِضْوانِ اللهِ إِلى الْجَنَّةِ»[3].

ولا شك أن الأنبياء هم خيار الأتقياء.

قال القرطبي: وكتب أبو صادق الأزدي إلى شعيب بن الحبحاب: أنْ عَلَيْكَ بالمساجد؛ فإنه بلغني أنها كانت مجالس الأنبياء[4].

*** تَنْبِيْهٌ:**

لابد أن تعلم أن الملازم للمسجد لابدَّ أن يكون على نعت الأدب مخلصاً في قعوده، ناوياً لكل خير، منزهاً للمسجد عن اللغط، والبيع والشراء، ونُشْدانِ الضالة، وإنشاد الشعر إلا شعراً فيه ذكر الله تعالى، أو من جنس ما كان ينشد في مسجد رسول الله ﷺ وبين يديه.

---

(١) لم أقف عليه عند ابن ماجه، ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٥٨)، والقضاعي في «مسنده» (٧٣١).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ١٣٨).،.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦١٤٣) واللفظ له، والبزار في «المسند» (٢٥٤٦). لكن كلاهما عن سلمان رضي الله عنه.

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (١٢/ ٢٧٧).

وليحافظ على جميع آداب المسجد، ولا يجعل المسجد مجلساً له لأمور دنياه، ولا يُكثر فيه من ذكر الدنيا.

روي أن عيسى بن مريم عليهما السلام أتى على قوم يبتاعون في المســجد، فجعل رداءه مخرافاً، ثم جعل يسعى عليهم ضرباً ويقول: يا أبناء الأفاعي! اتخذتم مساجد الله أسواقاً؟ هذا سوق الآخرة[1].

وعن نبينا ﷺ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمانِ رِجالٌ يَأْتُونَ الْمَساجِدَ، فَيَقْعُدُونَ حِلَقاً حِلَقاً ذِكْرُهُمُ الدُّنْيا وَحُبُّها، فَلا تُجالِسُوهُمْ؛ فَلَيْسَ لِلَّهِ بِهِمْ حاجَةٌ». نقله القرطبي في تفسير سورة النور[2].

١٠٠ ـ ومنها: تعظيم المساجد وتجهيزها وتنظيفها.

روى ابن أبي شيبة عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال: كان هارون عليه السلام هو الذي يجمِّر الكنائس[3].

قلت: ومن هنا كانت سدانة بيت المقدس في ولد هارون كما دلَّ عليه الأثر الذي رواه ابن جرير، وابن المنذر عن عكرمة: أنَّ أم مريم لما وضعتها خرجت بها تحملها في خرقة إلى بني الكاهن بن هارون

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٢/ ٢٧٠).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٢/ ٢٧٧). والحديث رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٧٦١) ولفظه: «سيكون في آخر الزمان قوم يكون حديثهم في مساجدهم ليس لله فيهم حاجة» عن ابن مسعود رضي الله عنه.

ورواه الحاكم في «المستدرك» (٧٩١٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٥٠٢).

أخي موسى عليهما السلام ـ قال: وهم يومئذٍ يَلُوْنَ من بيت المقدس ما يلي الحَجَبَةُ من الكعبة ـ فقالت لهم: دونَكم هذه النذيرة؛ فإني حررتها وهي ابنتي ولا تدخل الكنيسة حائض، وأنا لا أردها إلى بيتي، فقالوا: هذه ابنة إمامنا ـ وكان عمران يؤمهم في الصلاة ـ فقال زكريا: ادفعوها إليَّ فإن خالتها تحتي، فقالوا: لا تطيب أنفسنا.

فذلك حين اقترعوا عليها بالأقلام التي يكتبون بها التوراة، فقرعهم زكريا فكفلها[1].

١٠١ ـ ومنها: السفر للحج، والجهاد، والهجرة، والزيارة، وطلب الصالحين والعلماء، وطلب العلم، وإعداد الزاد، وحسن النية، وصُحبة الرفيق، واتباع الطريق، وحفظ الأوقات وسائر آداب السفر.

وأدلة هذا الباب واسعة جداً، ولنقتصر هنا على الإشارة إلى قصة موسى والخضر عليهما السلام.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾[الكهف: ٦٠ ـ ٦٥]؛ يعني: الخضر عليه السلام، وقصتهما مذكورة في «الصحيحين» معروفة في مَحالِّها، وقد اشتملت على لطائف من أعمال الأنبياء وأخلاقهم عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٤٣).

١٠٢ ـ ومنها: قراءة القرآن، وتحسين الصوت به، والتخشع والتحزن عند قراءته.

روى الإمام أحمد، والستة إلا الترمذي عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «ما أَذَنَ اللهُ لِشَيْءٍ ما أَذَنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرآنِ وَيَجْهَرُ بِهِ»[١].

وقوله: «ما أذن»؛ أي: ما سمع.

وروى البخاري عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «خُفِّفَ عَلى داوُدَ الْقُرآنُ وَكانَ يَأْمُرُ بِدَوابِّهِ فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوابُّهُ، وَلا يَأْكُلُ إِلاَّ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[٢].

وروى ابن أبي الدنيا في «كتاب البكاء» عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال: كان داود عليه السلام إذا قرأ تصرعت الطير حوله، ووقفت المياه لحُسن صوته، وكان يبكي حتى يُنبت العشب حوله[٣].

وعنه ـ أيضاً ـ قال: كان داود إذا رفع صوته بالزبور لم يسمعه شيء إلا حجل؛ أي: رقص[٤].

وروى الرافعي في «تاريخ قزوين» عن أبي أمامة ﷺ، عن النبي ﷺ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٣٢٣٥).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٣٦٦).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٣٦٨).

أنه قال: «إذا قَرأَ الرَّجُلُ الْقُرْآنَ وَاحْتَشَى مِنْ أَحادِيْثِ رَسُوْلِ الله ﷺ وَكانَتْ هُناكَ غَرِيْزَةٌ، كانَ خَلِيْفَةً مِنْ خُلَفاءِ الأَنْبِياءِ»[1].

وروى ابن النجار في «تاريخه»، وغيره عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَدِّبُوا أَوْلادكُمْ عَلى ثَلاثِ خِصالٍ؛ حُبِّ نَبِيِّكُمْ، وَحُبِّ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَقِراءَةِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ فِي ظِلِّ اللهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ مَعَ أَنْبِيائِهِ وَأَصْفِيائِهِ»[2].

١٠٣ ـ ومنها: صلاة الضحى، والمحافظة على الذكر في الصباح والمساء.

روى الديلمي، وغيره عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾[النجم: ٣٧]: «وَفَّى عَمَلَ يَوْمِهِ بِأَرْبَعِ رَكَعاتٍ فِيْ أَوَّلِ النَّهارِ»[3].

وروى الإمام أحمد، وغيره عن سهل بن معاذ بن أنس التابعي، عن أبيه معاذ بن أنس الصحابي رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «أَلا أُخْبِرُكُمْ لِمَ سَمَّى اللهُ خَلِيْلَهُ إِبْراهِيْمَ: الَّذِي وَفَّى؟ لأَنَّهُ كانَ يَقُوْلُ كُلَّما

---

(١) رواه الرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (١/ ١٢٦).

(٢) قال السيوطي في «بزوغ الهلال في الخصال الموجبة للظلال» (ص: ٣): أخرجه الديلمي، وفي إسناده ضعف، وله شاهد.

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٧١٦٩). وكذا الطبري في «التفسير» (١/ ٥٢٨)، وإسناده ضعيف.

أَصْبَحَ وَأَمْسَى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾[الروم: ١٧] الآية»[١].

وروى الثعلبي عن كعب رحمه الله قال: من قال حين يُصبح: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾[الروم: ١٧] لم يفته خير كان في يومه، ولم يدركه شر كان فيه، ومن قالها حين يُمسي لم يُدركه شر كان في ليلته، ولم يفته خير كان فيها.

قال: وكان إبراهيم خليل الله عليه السلام يقولها كل يوم وليلة ست مرات[٢].

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد في «الزهد» عن جعفر بن برقان رحمه الله قال: كان عيسى عليه السلام يقول: اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره، ولا أملك نفع ما أرجو، وأصبح الأمر بيد غيري، وأصبحت مرتهناً بعملي، فلا فقير أفقر مني، فلا تُشمت بي عدوي، ولا تسؤني في صديقي، ولا تجعل مصيبتي في ديني، ولا تُسلط عليَّ من لا يرحمني[٣].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٣٩). وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٩٢).

(٢) رواه الثعلبي في «التفسير» (٧/ ٢٩٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٩٥)، ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٣٨٥) لكن عن رجل مبهم، وقد تقدم.

١٠٤ ـ ومنها: كثرة الذكر على كل حال وفي كل حين والجلوس في مجالس الذكر.

قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤]؛ يعني: يونس عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى: إنَّ نوحاً عليه السلام كان إذا أكل قال: الحمد لله، وإذا شرب قال: الحمد لله، وإذا لبس قال: الحمد لله، وإذا ركب قال: الحمد لله، فسمَّاه الله عبداً شكوراً. رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد»(١).

وروى أبوه عن عطاء بن يسار رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «قالَ نُوْحٌ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لابْنِهِ: يا بُنَيَّ! إِنِّي مُوْصِيْكَ بِوَصِيَّةٍ وَقاصِرُها عَلَيْكَ حَتَّى لا تَنْساها، أُوْصِيْكَ بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ؛ فَأَمَّا اللَّتانِ أُوْصِيْكَ بِهِما فَإِنِّي رَأَيْتُهُما يُكْثِرانِ الْوُلُوْجَ عَلى اللهِ، وَرَأَيْتُ اللهَ يَسْتَبْشِرُ بِهِما وَصالِحِ خَلْقِهِ؛ قَوْلُ: سُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ؛ فَإِنَّها صَلاةُ الْخَلْقِ وَبِها يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَقَوْلُ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ؛

---

(١) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ٥٠).

فَإِنَّ السَّـماواتِ وَالأَرْضَ لَوْ كُنَّ حَلَقَـةً لَقَمَّتْهُنَّ، وَلَوْ كُـنَّ فِيْ كِـفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ، وَأَمَّا اللَّتانِ أَنْهاكَ عَنْهُما فَالشِّرْكُ وَالْكِبْرُ»[١].

وروى عبد الرزاق، والإمام أحمد في «الزهد» عن كعب رحمه الله تعالى قال: قال موسى عليه الصلاة والسلام: يا رب! أقريبٌ أنت فأُناجيك، أم بعيدٌ فأُناديك؟

قال: يا موسى! أنا جليس من ذكرني.

قال: يا رب! فإنَّا نكون من الحال على الحال، نجلك ونعظمك أن نذكرك؟

قال: وما هي؟

قال: الجنابة والغائط.

قال: يا موسى! اذكرني على كل حال[٢].

قلت: يكفي في مثل الحال الذي ذكره موسى عليه السلام ذكر القلب ويكون بذلك ذاكراً، والمراد بالذكر في الأحوال المذكورة ذكر اسم الله عند مقاربتها، وحمده بعد الخروج من الخلاء.

ويشهد للأول: ما رواه عبد الرزاق عن الأعرج أنَّ الله تعالى قال لموسى عليه السلام: اذكرني في نفسك إذا كنت على الخلاء[٣].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٦٨). وكذا ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٢٤).

(٣) تقدم تخريجه.

وللثاني: ما رواه عبد الرزاق ـ أيضاً ـ عن سعيد المقبري رحمه الله تعالى: أنَّ موسى عليه السلام قال: يا رب! أخبرني بأحب العمل إليك.

قال: يا موسى! اذكرني كثيراً.

قال: يا رب! أُجلك أن أذكرك في مواطن.

قال: ما هي؟

قال: عند الغائط.

قال: يا موسى! اذكرني كثيراً.

قال: يا رب! ماذا أقول إذا ذهبت إلى الغائط؟

قال: قُل: غفرانك، فجنبني الأذى[1].

وروى عبد الرزاق ـ أيضاً ـ عن يزيد بن أبي منصور رحمه الله قال: قال داود النبي: ألا ذاكرٌ الله فأذكرَ معه؟ ألا مذكرٌ فأذكرَ معه؟ ولوددت إذا جزت قوماً يذكرون الله ﷻ فأنفدهم إلى غيرهم أنَّ الرِّجْل التي تليهم تتكسر[2].

وعن أبي الجلد رحمه الله قال: أوحى الله ﷻ إلى موسى عليه السلام: أن يا موسى! إذا دعوتني فاجعل لسانك من وراء قلبك، وكن

---

(١) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٨٨) عن سعيد المقبري، عن أبيه، عن عبدالله بن سلام ﷺ. وقد تقدم مختصراً.

(٢) انظر «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ١٧١).

عند ذكري خاشعاً مطمئناً، وإذا قمت بين يدي فقم مقام الحقير الذليل، وذُمَّ نفسك فهي أولى بالذم، وناجِني حين تناجيني بقلبٍ وَجِلٍ ولسانٍ صادق[1].

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو نعيم عن محمد بن كعب القرظي قال: لو رخص الله لأحدٍ في ترك الذكر لرخص لزكريا حيث قال: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾[آل عمران: ٤١]، ولو رخص لأحدٍ في ترك الذكر لرخص للذين يُقاتلون في سبيل الله؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأنفال: ٤٥][2].

١٠٥ ـ ومنها: الصلاة على النبي ﷺ:

روى الأصبهاني في «الترغيب» عن كعب رحمه الله: أنَّ الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: يا موسى! أتحبُّ أن لا ينالك من عطش يوم القيامة؟

قال: إلهي نعم.

قال: فأكثر من الصلاة على محمد ﷺ[3].

---

(١) ورواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٨٧).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ٢٦١)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٦٤٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢١٥) واللفظ له.

(٣) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١٥٠).

١٠٦ ـ ومنها: تصديق النبي ﷺ والإيمان به وبما جاء به.

وهو داخل في الإيمان الذي هو من أخص أحوال الأنبياء عليهم السلام.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[آل عمران: ٨١].

روى ابن جرير عن علي رضي الله عنه قال: لم يبعث الله نبياً ـ آدم فمن بعده ـ إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ: لئن بُعِثَ وهو حي ليؤمنن به وليُنصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه، ثم تلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾[آل عمران: ٨١][١].

وعن الحسن رحمه الله في الآية قال: أخذ الله ميثاق النبيين ليبلغن آخركم أولكم ولا تختلفوا[٢].

١٠٧ ـ ومنها: كتابة العلم.

روى الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي عن معاوية بن الحكم رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «كانَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِياءِ يَخُطُّ، فَمَنْ وافَقَ

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ٣٣٢).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ٣٣٢).

خَطَّـهَ فَـذاكَ[1]»[2].

وهو يحتمل أن يكون أراد بالخط الخط في الرمل وهو الأقرب.

وفيه أن من أُلْهِمَ من الخط مثل ما ألهمه ذلك النبي كان له العمل به وإلا فلا، وإن كان اعتماده على الحدس.

ويحتمل أن يكون أراد الكتابة.

وروى الحكيم الترمذي عن أبي ذر ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ الرُّسُلِ آدَمُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَأَوَّلُ أَنْبياءِ بَنِي إِسْرائِيْلَ مُوْسى وَآخِرُهُمْ عِيْسَى، وَأَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ إِدْرِيْسُ عَلَيْهِمُ السَّلامُ»[3].

---

(1) قال النووي في «شرح مسلم» (٥/ ٢٣): اختلف العلماء في معناه؛ فالصحيح أن معناه: من وافق خطه فهو مباح له، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة، فلا يباح. والمقصود أنه حرام، لأنه لا يباح إلا يقين الموافقة، وليس لنا يقين بها. وإنما قال النبي ﷺ فيمن وافق خطه: فذاك، ولم يقل: هو حرام بغير تعليق على الموافقة، لئلا يتوهم متوهم أن هذا النهي يدخل فيه ذاك النبي الذي كان يخط، فحافظ النبي ﷺ على حرمة ذاك النبي مع بيان الحكم في حقنا.

(2) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٤٨)، ومسلم (٥٣٧)، وأبو داود (٩٣٠)، والنسائي (١٢١٨).

(3) ورواه الطبري في «التاريخ» (١/ ١٠٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣/ ٢٧٧).

* **تَنْبِيهٌ:**

الكتابة من الكمالات، غير أنَّ الله تعالى جعل محمداً ﷺ كما قال ﷺ: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لا نَحْسُبُ وَلا نَكْتُبُ»[1].

وإنما كان الأمر كذلك كما قيل: [من الطويل]

لِئَلاَّ يَخُوْضَ الْمُبْطِلُوْنَ بِقَوْلِهِمْ أَسَاطِيْرُهُمْ تُتْلَىْ عَلَيْهِ وَتُكْتَبُ

ولذلك لم يجعله الله تعالى شاعراً يقول الشعر وينشئه، مع أن الشعر من كمالات العرب، وهو من سلائق فصحائها لئلا يُقال: شاعر.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾[يس: ٦٩].

ومع ذلك قالوا: شاعر، ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾[الفرقان: ٥]، وكان ذلك منهم مُكابرة وعناداً.

* **فائِدَةٌ:**

لم يثبت عن أحد من الأنبياء عليهم السلام أنه قال الشعر إلا ما رُوي عن مقاتل بن سليمان، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قتل قابيل هابيل، وآدم عليه السلام بمكة اشتاك الشجر، وتغيرت الأطعمة، وحمضت الفواكه، وأَمَرَّ الماء، واغبرت الأرض، فقال آدم: قد حدث في الأرض حادث، فأتى الهند فإذا قابيل قد قتل هابيل، فأنشأ آدم يقول: [من الوافر]

---

(١) رواه البخاري (١٨١٤)، ومسلم (١٠٨٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

تَغَيَّــــرَتِ الْـــبِلادُ وَمَـــــنْ عَلَيْهـــــا
وَوَجْـــــهُ الأَرْضِ مُغْبَـــــرٌّ قَبِـــــيْحُ
تَغَيَّـــــرُ كُـــــلُّ ذِيْ طَعْـــــمٍ وَلَـــــوْنٍ
وَقَـــــلَّ بَـــــشاشَةُ الْوَجْـــــهِ الْمَلِـــــيْحُ
وَمـــا لِـــي لا أَجُـــوْدُ بِـــسَكْبِ دَمْعِـــيْ
وَهابِيْـــــلٌ تَـــــضَمَّنَهُ الـــــضَّرِيْحُ
أَرَى طُـــوْلَ الْحَيـــاةِ عَلَـــيَّ غَمَّـــاً
فَهَـــلْ أَنـــا مِـــنْ حَيـــاتِي مُـــسْتَرِيْح[1]

فإن صحَّ هذا كان دليلاً على جواز الشعر في حق الأنبياء عليهم السلام إلا محمداً ﷺ؛ فإن من خصائصه أن الشعر لا ينبغي له.

وذكر أبو نصر القشيري في «تفسيره»، وغيره رواية أخرى عن ابن عباس أنه قال: كذب من قال: إن آدم قال شعراً، إنَّ محمداً والأنبياء عليهم الصلاة والسلام في النهي عن الشعر سواء، ولكن لما قُتل هابيل رثاه آدم عليهما السلام بالسريانية، ثم توارثه الناس حتى وصل إلى يعرب بن قحطان[2]، فعربه وجعله شعراً[3].

---

(١) رواه الثعلبي في «التفسير» (٤/ ٥١).

(٢) قال الألوسي في «تفسيره» (٦/ ١١٥): ذكر بعض علماء العربية أن في ذلك الشعر لحناً أو إقواءً، أو ارتكاب ضرورة، والأولى عدم نسبته إلى يعرب أيضاً؛ لما فيه من الركاكة الظاهرة.

(٣) ورواه الثعلبي في «التفسير» (٤/ ٥١).

ثم رأيت المعافى بن زكريا أخرج في كتاب «الأنيس والجليس» عن أبي المودع أنه قال: أول من قال بيت شعر يعقوب عليه السلام لما جاؤوا فأخبروه عن يوسف عليه السلام بالذي أخبروه به، فقال: [من الطويل]

فَصَبْرٌ جَمِيلٌ بِالَّذِي جِئْتُمْ بِهِ
وَحَسْبِي إِلَهِي فِي الْمُهِمَّاتِ كافِيا

قال القاضي أبو الفرج المعافى: وقد روي لنا أنَّ أول من قال الشعر آدم عليه السلام حين قتل قابيل أخاه هابيل، وأنَّ إبليس ـ لعنه الله ـ أجاب آدم عن شعره ذلك، قال: وهي رواية معروفة، انتهى[1].

واعلم أنَّ الذي استقرَّ عليه الأمر في الشعر أنه لا يليق ذمه مطلقاً لأنه قد أُنشد بين يدي رسول الله ﷺ منه كثير، وكان ربما تمثل بالشعر، ولا يليق مدحه مطلقاً لأنه قد يَشْتمل على ما هو مذموم وقد يستجر صاحبه إلى الكذب والهَيَمان في واد.

وإنما القول السديد فيه ما قاله الشافعي رحمه الله، بل رواه الطبراني في «الأوسط» عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، وأبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الشِّعْرُ بِمَنْزِلَةِ الكَلاَمِ؛ فَحَسَنُهُ كَحَسَنِ الكَلام، وَقَبِيحُهُ كَقَبِيحِ الكَلامِ»[2].

---

(١) رواه المعافى بن زكريا في «الجليس الصالح والأنيس الناصح» (ص: ٣٠٤).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٦٩٦)، وكذا البخاري في «الأدب المفرد» (٨٦٥) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.
ورواه أبو يعلى في «المسند» (٤٧٦٠) عن عائشة رضي الله عنها بلفظ قريب.

والمعنى أن الشعر لا يُكره لذاته، وإنما يُكره لمضمناته كما يحسن لمضمناته أيضاً.

ومن ثم قال المحققون من العلماء: قد يكون الشعر مستحباً: وهو ما تضمن ذكر الله والثناء عليه، أو ذكر النبي ﷺ ومدحه أو مدح أصحابه، أو الانتصار للدين، أو التقرير لأحكامه والتقييد لشوارده.

فالأول: كقول لبيد: [من الطويل]

أَلا كُـلُّ شَـيْءٍ مـاخَـلا اللهَ بـاطِـلُ

ففي «الصحيح» عن النبي ﷺ: «إِنَّهَا أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قالَها شَاعِرٌ»[1].

والثاني: كقول العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فيما أخرجه الحاكم وغيره عن خريم بن أويس رضي الله عنه قال: سمعت العباس يقول لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! إني أريد أن أمتدحك. قال «قُلْ لاَ يَفْضُضِ اللهُ فاكَ» فقال العباس رضي الله عنه: [من المنسرح]

مِـنْ قَبْلِهـا طِبْـتَ فِـيْ الظِّـلالِ وَفِـي
مُـسْتَوْدَعٍ حَيْـثُ يُخْـصَفُ الْـوَرَقُ
ثُـمَّ هَبَطْـتَ الْـبِلادَ لا بَـشَرٌ
أَنْـتَ وَلا مُـضْغَةٌ وَلا عَلَـقُ

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٣٩٥)، ومسلم (٢٢٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

بَـــلْ نُطْفَـــةٌ تَرْكَـــبُ الـــسَّفِيْنَ وَقَـــدْ

أَلْجَـــمَ نَـــسْراً وَأَهْلَـــهُ الْغَـــرَقُ

وَرَدْتَ نَـــارَ الْخَلِيْـــلِ مُكْتتمـــاً

تَجُـــولُ فِيهـــا وَلَـــسْتَ تَحْتَـــرِقُ

تُنْقَـــلُ مِـــن صَـــالِبٍ إِلَـــى رَحِـــمٍ

إِذا مَـــضى عَـــالَمٌ بَـــدا طَبَـــقُ

حَتَّـــى احتـــوى بيتَـــكَ المهـــيمنُ مـــن

خَنْـــدَقِ عُلْيـــا زانهـــا النَّطَـــق

وَأَنْـــتَ لَمَّـــا وُلِـــدْتَ أَشْـــرَقَتِ الـــ

أَرْضُ وَضَـــاءَتْ بِنُـــوْرِكَ الأُفُـــقُ

فَـــنَحْنُ فِـــيْ ذَلِـــكَ الـــضِّياءِ وَفِـــي

النُّـــوْرِ وَسُـــبْلِ الرَّشَـــادِ نحتـــرقُ(١)

والثالث: كما كان يتمثل به ابن عباس من قول حسان رضي الله عنهم، وقد تقدم: [من البسيط]

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٥٤١٧) وقال: رواته أعراب ومثلهم لا يضعفون. قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٠٣): ولكنهم لا يعرفون.

إذا تَـــذَكَّرْتَ شَـــجْواً مِـــنْ أَخِـــي ثِقَـــةٍ

فَـــاذْكُرْ أَخـــاكَ أَبـــا بَكْـــرٍ بِمـــا فَعَـــلا

الثَّـــانِيَ التَّـــالِيَ الْمَحْمُـــوْدَ سِـــيْرَتُهُ

وَأَوَّلَ النَّـــاس مَـــرْءاً صَـــدَّقَ الرُّسُـــلا

أَزْكَـــى الْبَرِيَّـــةِ أَوْلاهـــا وَأَفْـــضَلَها

إِلاَّ النَّبِـــيَّ وَأَوْفاهـــا بِمـــا حَمَـــلا[1]

والرابع: كقول كعب بن مالك رضي الله عنه: [من الكامل]

جـــاءَتْ مُزَيْنَـــةُ[2] كَـــيْ تُغالِـــبَ رَبَّهـــا

وَلَيُغْلَـــبَنَّ مُغالِـــبُ الْغَـــلاَّبِ

روي أن رسـول الله ﷺ قـال لكعب حيـن قـال ذلك: «لَقَـدْ مَدَحَكَ اللهُ يَا كَعْبُ فِيْ قَوْلِكَ هَذَا».

وفي رواية: «ذلك»[3].

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) في «المستدرك»: «سخينة»، قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٣٤): ومراده بسخينة: قريش، وإنما كانت العرب تسميهم بذلك؛ لكثرة أكلهم الطعام السخن الذي لا يتهيأ لغيرهم غالباً من أهل البوادي.

(3) رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٠٦٥)،

قال ﷺ كما في الحديث الصحيح: «إِنَّ المُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَبِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ»[1].

وفي «الصحيح» أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال لحسان: «اهْجُهُمْ ـ يعني: الكفار ـ وَجِبْرِيْلُ مَعَكَ»[2].

وعندي أنَّ قول الشعر في هجاء الكفار حينئذٍ كان واجباً على حسان، وذلك صورة واضحة لأن الشعر قد يكون واجباً أيضاً.

وقد يكون الشعر مُباحاً: وهو ما خلا عمَّا تقدم ذكره، وعما يأتي في المكروه والمحرَّم كقول كعب بن زهير رضي الله عنه: [من البسيط]

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ
مُتَيَّمٌ إِثْرها لَمْ يُفْدَ مَكْبُوْلُ
وَما سُعادُ غَداةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا
إِلاَّ أَغَنُّ غضيضُ الطَّرْفِ مَكْحُوْلُ[3]

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٥٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧٠٧) عن كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٠٤١)، ومسلم (٢٤٨٦) عن البراء رضي الله عنه.

(٣) انظر: «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد (١/ ٢٣٦).

أما ما يروى أن كعباً رضي الله عنه أنشد هذه القصيدة أمام النبي ﷺ فقد رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٤٧٨) وغيره. قال الحافظ زين الدين العراقي: وهذه القصيدة قد رويناها من طرق لا يصح منها شيء، وذكرها ابن إسحاق بسند منقطع.

وقد يكون محرماً: وهو ما اشتمل على غيبة مسلم غير معلن بفسق ولا متشكٍ من ظلمه، ولا مطلوب منه بيان حاله، أو على هجر مسلم، أو سخف، أو مجون يخل بالمروءة، أو قذف أو شتم لمعين، أو تحسين قبيح في الشرع كشرب الخمر والزنا واللواط، أو على كذب لغير مصلحة، أو على تشبيب بامرأة أجنبية أو زوجة معينة أو أمرد جميل، وما فيه استدعاء الشهوة إلى ما لا يحل له، أو على مدح ظالم أو الدعاء له؛ فإنَّ ذلك كله حرام.

ومن الورع أن لا نورد لهذا النوع مثالاً ولا نتلفظ به، ولعل معظم الأشعار التي يتعاطاها أهل هذه الأعصار لا تخلو من ذلك أو من شيء منه.

وكذلك لا يرغب المنسوب منهم إلى الفضل إلا في العلوم المتلاشية الداعية إلى المباهاة والمباراة والأغراض الفانية، فعلوم الدين قلَّ أو ذهب راغبوها، وعلوم الدنيا واللهو واللعب كثر بل غلب طالبوها.

ومما شاهدنا أن كتب الفقه والورع تدور بها السماسرة فلا يجدون لها طالباً، وكتب الشعر والهزل والغزل والتعمق في الإلحاد والزيغ لا تُعرض على أحد من غالب الناس إلا كان فيها راغباً، وقد قلت في المعنى: [من الخفيف]

كُتُبُ الفِقْهِ وَالْحَدِيْثِ وَمَا لَمْ
تَكُ وَفْقَ الْهَوى مِنَ الإِنْسانِ

أَصْــبَحَتْ فِــي زَمانِنــا لَــيْسَ تُــشْرَى

بِــسِوَى الْــبَخْسِ أَوْ بِــلا أَثْمــانِ

لا تَــرَى غَيْــرَ زاهِــد العلــم فِيهــا

إن شَــراها شَــكَى مِــنَ الْخُــسرانِ

وَإِذا جِئْتَــــهُ بِـــدِيْوانِ شِــعْرٍ

مِــنْ دَواوِيْــنِ حِلْيَــةِ الْعِــصْيانِ

يَتَلَقَّاهـــــا بِـــالْقَبُوْلِ سَــرِيْعاً

بــادِراً قَطْــعَ عُقْــدَةِ الْهِمْيــانِ

لَــمْ يَــرُجْ عِنْــدَهُ سِــوَى اللَّهْــوِ سُــوقاً

لَــيْسَ هَــذا إلاَّ مِــنْ الْخُــذْلانِ

١٠٨ ـ ومن خصال الأنبياء عليهم السلام: الشكر.

وهو أعم أعمالهم لأنه شامل لسائر الأخلاق والأعمال؛ فإن معناه يرجع إلى الطاعة ـ سواء كانت باللسان أو بالجوارح أو بالقلب ـ فهو شامل للذكر، والتسبيح، والتهليل، والتحميد، والتكبير، وكل قول في خير، وشامل للصلاة والصدقة والصوم، وكل عمل صالح، والصدق، والإخلاص وحسن النية، وعدم رؤية النفس وتزكيتها، وكل قصد صالح.

قال الله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[النحل: ١٢١ ـ ١٢٣]؛ أي: المذكورة من التوحيد والقنوت والإخلاص والشكر.

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾[الأعراف: ١٤٤].

وقال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

روى الإمام عبدالله بن المبارك في «الزهد» عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه: أنَّ موسى عليه السلام قال: يا رب! ما الشكر الذي ينبغي لك؟

قال: يا موسى! لا يزال لسانك رطباً من ذكري[1].

ورواه ابن أبي شيبة وزاد فيه: قال: يا رب! إني أكون على حال أُجلك أن أذكرك من الجنابة والغائط وإراقة الماء وعلى غير وضوء؟

قال: بلى.

قال: كيف أقول؟

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٣٣٠).

قال: قل: سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت فاجنبني الأذى، سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت فقني الأذى[1].

وصحح الحاكم عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: كان نوح عليه السلام إذا أكل طعاماً أو لبس ثوباً حمد الله، فسمي عبداً شكوراً[2].

وروى ابن المبارك عن مجاهد قال عن نوحٍ عليه السلام: لم يأكل شيئاً قط إلا حمد الله عليه، ولم يشرب شراباً قط إلا حمد الله عليه، ولم يمش مشياً قط إلا حمد الله عليه، ولم يبطش بشيء قط إلا حمد الله عليه، فأثنى الله عليه أنه كان عبداً شكوراً[3].

وروى هو، وعبدالله ابن الإمام أحمد عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله قال: إنَّ نوحاً عليه السلام كان إذا أكل قال: الحمد لله، وإذا شرب قال: الحمد لله، وإذا ركب قال: الحمد لله، فسمَّاه الله عز وجل عبداً شكوراً[4].

وروى الديلمي عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «نُوحٌ كَبِيْرُ الأَنْبِياءِ، لَمْ يَخْرُجْ مِنْ خَلائِهِ قَطُّ إِلا قالَ: الحَمْدُ للهِ الذِي أَذاقَنِي طَعْمَهُ، وَأَبْقَى مَنْفَعَتَهُ فِي جَسَدِي، وَأَخْرَجَ مِنِّي أَذاهُ»[5].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٣٧١)، وكذا الطبري في «التفسير» (١٥/ ١٩).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٣٣٠) وكذا ابن أبي الدنيا في «الشكر» (ص: ٧٠).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٨٥٤).

وروى ابن حبان، والحاكم وصححاه، عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا نُفِخَ فِيْ آدَمَ الرُّوْحُ مَارت وَطارَت، وَصارَت فِي رَأْسِهِ، [فعطس] فَقالَ: الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِيْنَ، فَقالَ اللهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ»(١).

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «التهجد» عن مسعر رحمه الله قال: لمَّا قيل لهم؛ أي: لآل داود: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾[سبأ: ١٣] لم يأت عليهم ساعة إلا ومنهم مُصلٍّ(٢).

وروى الشيخان عن المغيرة ﷺ قال: قام النبي حتى تورمت قدماه، فقيل له: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «أَفَلا أَكُوْنُ عَبْدَاً شَكُوْرَاً»(٣).

وروى الحكيم الترمذي عن الحسن رحمه الله تعالى قال: قال رسول الله ﷺ: «قالَ مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلامُ: يَا رَبِّ! كَيْفَ شَكَرَكَ آدَمُ؟ قالَ: عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مِنِّي فَذَلِكَ شُكْرُهُ»(٤)؛ أي: علم أن ذلك الشكر مني وبتوفيقي.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن المغيرة، عن عقبة قال: قال

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦١٦٥) مرفوعاً، والحاكم في «المستدرك» (٧٦٨٢) موقوفاً.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (٢١٧).

(٣) رواه البخاري (٤٥٥٦)، ومسلم (٢٨١٩).

(٤) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ١٥٠).

داود عليه السلام: يا رب! هل يأتِ أحد من خلقك الليلة أطول ذكراً لك مني؟

فأوحى الله ﷻ إليه نعم: الضفدع.

قال: وأنزل الله تعالى عليه: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾[سبأ: ١٣] قال: يا رب! كيف أطيق شكرك وأنت الذي تُنعم علي ثم ترزقني على النعمة الشكر، ثم تزيدني نعمة بعد نعمة، فالنعم منك يا رب والشكر منك، وكيف أطيق شكرك؟

قال: الآن عرفتني يا داود حقَّ معرفتي[1].

وعن أبي الجلد رحمه الله قال: قال موسى عليه السلام: إلهي! كيف شكرك وأصغر نعمة وضعتها عندي من نعمك لا يُجاريها عملي كله؟

قال: فأوحى الله إليه أن يا موسى! الآن شكرتني[2].

وعنه أيضاً: أن داود عليه السلام قال في مسألته: إلهي! كيف بي أن أشكرك وأنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك؟

فأوحى الله ﷻ إليه: يا داود! ألست تعلم أنَّ الذي بك من النعمة مني؟

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٦٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٦٧)، وكذا ابن أبي الدنيا في «الشكر» (ص: ٧).

قال: بلى أي رب.

قال: فإني أرضى بذلك منك شكراً[1].

وروى ابن أبي شيبة عن وهب بن منبه رحمه الله قال: قال داود عليه السلام: يا رب! ابن آدم ليس له شعرة إلا تحتها منك نعمة، وفوقها منك نعمة، فمن أين يُكافئك بما أعطيته؟

قال: فأوحى الله تعالى إليه: يا داود! إني أُعطي الكثير وأرضى باليسير، وأداء شكر ذلك لي أن يعلم أنَّ ما به من نعمة مني[2].

وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن الحارث رحمه الله قال: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود! أحبني، وأحب عبادي، وحببني إلى عبادي.

قال: يا رب! هذا أحبك وأحب عبادك، فكيف أحببك إلى عبادك؟

قال: تذكرني عندهم؛ فإنهم لا يذكرون مني إلا الحسن[3].

وروى ابنه عن سعيد بن عبد العزيز، أو عن غيره قال: كان من دعاء داود عليه السلام: سبحان مستخرج الشكر بالعطاء، ومستخرج الدعاء بالبلاء[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥١٧٢).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٧)، وكذا رواه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (ص: ٢٣).

١٠٩ ـ ومن خصال الأنبياء عليهم السلام: الصبر بأقسامه الثلاثة.

ـ الصبر على طاعة الله تعالى: وهذا الصبر مشروط في كل طاعة وخلق حسن، ولذلك أخرت الصبر إلى هنا.

ـ القسم الثاني: الصبر عن معصية الله تعالى.

ـ والقسم الثالث: الصبر على بلاء الله تعالى.

ويشمل الأقسام الثلاثة قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[الأحقاف: ٣٥].

وقال: ﴿فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ﴾[الأنعام: ٣٤].

وقال تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ﴾ [يوسف: ٨٣].

وقال تعالى في أيوب عليه السلام: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾[ص: ٤٤].

وروى الحكيم الترمذي عن ابن أبزي رحمه الله، عن النبي ﷺ(١) قال: «كانَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَعْلَمَ النَّاسِ، وَأَصْبَرَ النَّاسِ، وَأَكْظَمَهُمْ لِلغَيْظِ»(٢).

وروى أبو نعيم عن يزيد بن ميسرة ـ قال: لما ابتلى الله تعالى

---

(١) عند ابن أبي شيبة: «داود» بدل «النبي».

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٩٦). وكذا ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٥٥)، وعندهما: «أحلم» بدل «أعلم».

أيوب عليه السلام بذهاب المال والأهل والولد، فلم يبقَ له شيء، أحْسَنَ الذكر والحمد لله رب العالمين، ثم قال: أحمدك رب الأرباب الذي أحسنت إليَّ، أعطيتني المال والولد فلم يبقَ شعبةٌ من قلبي إلا قد دخله ذلك، فأخذت ذلك كله وفرَّغت قلبي، فليس يحول بيني وبينك شيء، فمن ذا يُعطيه المال والولد فلا يشغله حب المال والولد عن ذكرك؛ لو يعلم عدوي إبليس بالذي صنعت إليَّ حسدني.

قال: فلقي إبليس من هذه شيئاً منكراً[1].

وعن عوسجة العقيلي رحمه الله قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم عليهما السلام: يا عيسى بن مريم! أنزلني من نفسك كهَمِّك، واجعلني ذخراً لك في معادك، وتقرب إليَّ بالنوافل أُدْنِكَ، وتوكل عليَّ أَكْفِكَ، ولا تولَّ غيري فأخذلك، واصبر على بلائي، وارض بالقضاء وكن كمسرتي فيك؛ فإنَّ مسرَّتي فيك أن أُطاع فلا أُعصى، وكُن مني قريباً، وأَحْيِ لي ذكراً بلسانك، ولتكن مودتي في صدرك تيقظ لي من ساعات الغفلة، وأحكم لي لطف الفطنة، وكُن لي راغباً وراهباً، وأَمِتْ قلبك بالخشية لي، وراعِ الليل بتحزي مسرتي، وأظمىء لي نهارك لليوم الذي عندي، نافس في الخيرات جهدك، ولتعرف بالخير أينما توجهت، واحكم في عبادي بالنصيحة، وأقم في الخلائق بعدلي، فقد أنزلت عليك شفاءً من وساوس الصدور، ومن مرض الشيطان، وجلاءً للأبصار ومن عشا الكلال، ولاتكُ كأنك

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٤٠).

حِلْسٌ مقبور وأنت حي تتنفس.

يا عيسى بن مريم! حقاً أقول: ما آمنت فيَّ خليقة إلا خشعت، ولا تخشعت إلا رجت نوالي، وأُشهدك أنها آمنة من عقابي ما لم تبدل أو تغير سُنني.

يا عيسى بن مريم ابن البكر البتول! ابك على نفسك أيام الحياة بكاء من قد ودع الأهل وقَلا الدنيا وترك اللذات لأهلها من بعده، وارتفعت رغبته فيما عند إلهه، وكن على ذلك تُلين الكلام وتُفشي السلام، وكُن يقظان إذا نامت عيون الأبرار، حذراً لما هو آت من أمر المعاد وزلازل الأهوال حيث لا ينفع مال ولا ولد ولا أهل، وأكحل عينك بملمول الحزن إذا ضحك البطَّالون، وابكِ بكاء من قد علم أنه مودع العلم النازل من عند الله الذي هو أقرب إليك من حبل الوريد، وكن في ذلك صابراً محتسباً، فطُوبى لك إن نالك ما وعدتُ الصابرين، فَرُحْ من الدنيا بالله فيوما، وذق مذاقة ما قد هرب منك أين طعمه، وما لم يأتك كيف لذته.

حقاً ما أقول لك: ما أنت إلا بساعتك ويومك فرح ما أخذت وكيف أرتعت، فاعمل على حساب فإنك مسؤول.

لو رأت عيناك ما أعددت لعبادي الصالحين لذاب قلبك وزهقت نفسك اشتياقاً إليه[1].

ومن أحسن ما قيل في الصبر قول الحسين بن الحسن الصوفي

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٠١).

التكريتي: [من الطويل]

تَبـــارَكَ مَـــنْ لا يَعْلَـــمُ الْغَيْـــبَ غَيْـــرُهُ
وَشُـكْراً عَلـى مـا قَـدْ قَـضاهُ وَمـا حَكَـمْ

إِذا كـــانَ رَبِّـــي عالِمـــاً بِـــسَرِيْرَتِي
وَكُنْـــتُ بَرِيْئـــاً عِنْـــدَهُ غَيْـــرَ مُـــتَّهَمْ

فَقُـــلْ لِظَلُـــوْمٍ ســـاءَنِيْ سُـــوْءُ فِعْلِـــهِ
سَيَنْتَـصِفُ الْمَظْلُـوْمُ مِـنْ كُـلِّ مَـنْ ظَلَـمْ

فَيـا نَفْـسُ لِـي فِـي يُوْسُـفٍ خَيْـرُ أُسْـوَةٍ
فَـصَبْراً فَــإِنَّ الــصَّبْرَ خَيْــرٌ مِـنَ النَّـدَمْ

* تَنْبِيْهٌ:

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن وهب قال: قرأت في كتاب رجل من الحواريين: إذا سلك بك طريق أو سبيل أهل البلاء فطب نفساً؛ فقد سلك بك طريق الأنبياء والصالحين، وإذا سلك بك طريق أهل الرخاء فقد خُولف بك طريق الأنبياء والصالحين[1].

وفي الحديث الصحيح: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَل»، وقد سبق[2].

---

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٥٦).

(٢) تقدم تخريجه.

واعلم أن بلاء الأنبياء ومن على طريقتهم مقرون بالصبر والسلامة من الفتنة، وبهذا يفرق بين بلائهم وبلاء من سواهم.

١١٠ ـ ومن أعمال الأنبياء عليهم السلام: الدعاء.

قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[البقرة: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[آل عمران: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[مريم: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾[الأنبياء: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣ ـ ٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ إلى قوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٣٥ ـ ٤١].

وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

إلى غير ذلك من أدعية الأنبياء التي اشتمل عليها القرآن العظيم.

وروى ابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن جرير عن قتادة ومجاهد والحسن رحمهم الله: أنهم قالوا في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧]: هي قوله ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣][(١)].

وروى ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية قال:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٤٣ ـ ٢٤٥)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٩١).

الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي فتُبْ عليَّ إنك أنت التواب الرحيم[1].

ونحوه عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى[2].

وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه: أن الكلمات التي تلقاها آدم هي: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، لا إله إلا أنت، ظلمتُ نفسي فاغفر لي؛ إنَّه لا يغفر الذنوب إلا أنت[3].

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد في «الزهد» عن سلمان رضي الله عنه قال: لمَّا خلق الله تعالى آدم عليه السلام قال: واحدة لي، وواحدة لك، وواحدة بيني وبينك؛ فأما التي لي: تعبدني ولا تُشرك بي شيئاً.

وأما التي لك: فما عملت من شيء جزيتك لك وأنا أغفر وأنا غفورٌ رحيم.

وأما التي بينك وبيني: فمنك المسألة والدعاء، وعليَّ الإجابة والعطاء[4].

وروى الطبراني في «الأوسط» عن عائشة رضي الله عنها، عن

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٢٥١).

(٢) وانظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٨٤).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٧٣).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٦٥٥)، والإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٤٧).

النبي ﷺ قال: «لمَّا أَهْبَطَ اللهُ آدمَ إِلَى الأَرْضِ قامَ وِجاهَ الكَعْبَةِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَأَلْهَمَهُ اللهُ تَعالَى هَذا الدُّعاءَ: اللَّهُمَّ! إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرِّي وَعَلانِيتِي، فَاقْبَلْ مَعْذِرَتِي، وَتَعْلَمُ حاجَتِي فَأَعْطِنِي سُؤْلِي، وَتَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي، اللَّهُمَّ! إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيْماناً يُبَاشِرُ قَلْبِي، وَيَقِيْناً صَادِقاً حتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لاَ يُصِيْبُنِي إِلاَّ مَا كَتَبْتَ لِي، وَرَضِّنِي بِما قَسَمْتَ لِي.

قالَ: فَأَوْحَى اللهُ تَعالى إِلَيه: يا آدَمُ! قَدْ قَبِلْتُ تَوْبَتَكَ، وَغَفَرْتُ لَكَ ذَنْبَكَ، وَلَنْ يَدْعُوَنِي أَحَدٌ بِهذا الدُّعاءِ إِلاَّ غَفَرْتُ لَهُ ذَنْبَهُ، وَكَفَيْتُهُ الهَمَّ مِنْ أَمْرِهِ، وَزَجَرْتُ عَنْهُ الشَّيَاطِيْنَ، وَاتَّجَرْتُ لَهُ مِنْ وراء كُلِّ تاجِرٍ، وَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِ الدُّنْيا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَإِنْ لَمْ يُرِدْها»[1].

وأخرجه الأزرقي في «تاريخ مكة»، والطبراني في «الأوسط» أيضاً، والبيهقي في «الدعوات»، وابن عساكر بسند لا بأس به، من حديث بريدة رضي الله عنه بنحوه، وقال فيه: «وَتَعْلَمُ مَا عِنْدِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوْبِي».

وقال: «حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يُصِيْبَنِي إِلاَّ مَا كَتَبْتَ لِي، وَرَضِّنِي بِقَضائِكَ»[2].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٩٦٤)، وعنده: «المهم» بدل «الهم». قال أبو حاتم: هذا حديث منكر. انظر: «العلل» لابن أبي حاتم (٢/ ١٨٩).

(٢) رواه الأزرقي في «تاريخ مكة» (١/ ٣٤٩)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (١/ ١٧٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٤٢٨).

وروى أبو نعيم عن كعب رحمه الله: أن جبريل أتى آدم عليهما السلام فقال: إنَّ الله تعالى يقول لك: إنه ولدك عن أكل الشهوات؛ فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عني.

قال آدم: فما أقول يا روح القدس؟

قال: قل: اللهم اكفني مؤنة الدنيا وأهوال يوم القيامة، وأدخلني الجنة التي قدرت على الخروج منها.

فقالها آدم، فقال جبريل: وجبت.

ثم قال: قل يا آدم.

قال: ما أقول يا روح القدس؟

قال: قل: اللهم ألبسني العافية حتى تُهنئني المعيشة.

فقالها آدم، فقال جبريل: وجبت.

ثم قال: قل يا آدم.

قال: ما أقول يا روح القدس؟

قال: قل: اللهم اختم لنا بالمغفرة حتى لا تضرنا الذنوب.

فقالها آدم، فقال جبريل: وجبت[1].

وروى الديلمي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما سَبَّحْتُ وَلاَ سَبَّحَتِ الأَنْبِياءُ قَبْلِي بِأَفْضَلَ مِن: سُبْحانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ»[2].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٨٢).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٢١٩).

وإنما أدخلنا هذه الكلمات في أدعية الأنبياء من حيث إنها ثناء وفيه تعرض لمراده كما قيل في الحديث: «أَفْضَلُ الدُّعاءِ الحَمْدُ للهِ»(١).

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الذكر» عن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ لِصَلاَةٍ مَكْتُوْبَةٍ فَأَسْبَغَ الوُضُوْءَ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بابِ دارِهِ وَهُوَ يُرِيْدُ المَسْجِدَ، فَقالَ: بسمِ اللهِ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾[الشعراء: ٧٨] هَداهُ اللهُ لِلصَّواب.

﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾[الشعراء: ٧٩] أَطْعَمَهُ اللهُ مِنْ طَعامِ الجَنَّةِ، وَسَقاهُ مِنْ شَرابِ الجَنَّةِ.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[الشعراء: ٨٠] جَعَلَ اللهُ مَرَضَهُ كَفَّارَةً لِذُنُوْبِهِ، وَأَخْرَجَهُ مِنْهُ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.

﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾[الشعراء: ٨١] أَمَاتَهُ اللهُ مَوْتَةَ الشُّهَدَاءِ، وَأَحْيَاهُ حَياةَ السُّعَداءِ.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[الشعراء: ٨٢] غَفَرَ اللهُ لَهُ خَطَاياهُ كُلَّهَا وَإِنْ كانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ البَحْرِ.

﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[الشعراء: ٨٣] أَلْحَقَهُ اللهُ بِصَالِحِ مِنْ مَضَى وَمَنْ بَقِيَ.

﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾[الشعراء: ٨٤] جَعَلَ اللهُ لَهُ لِسانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِيْنَ، وَكَتَبَ فِي وَرَقَةٍ بَيْضَاءَ: إِنَّ فُلانَ بْنَ فُلانٍ مِنَ

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٨٣) وحسنه، وابن ماجه (٣٨٠٠) عن جابر بن عبدالله ﷺ.

الصَّادِقِيْنَ، ثُمَّ يُوَفِّقُهُ اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ لِلصِّدْقِ وَالصَّوابِ.

﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾[الشعراء: ٨٥] أَعْطَاهُ اللهُ القُصُورَ وَالمَنازِلَ فِي الجَنَّةِ»[١].

وهذه الكلمات المذكورة في الحديث محكية في كتاب الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وروى الطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن، عن الحسن قال: قال سمرة بن جندبٍ ﷺ: ألا أحدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ مراراً، ومن أبي بكر ﷺ مراراً، ومن عمر ﷺ مراراً؟ قلت: بلى، قال: «مَنْ قالَ إذا أَصْبَحَ وَإِذا أَمْسَى: اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنْتَ تَهْدِيْنِي، وَأَنْتَ تُطْعِمُنِي وَأَنْتَ تَسْقِيْنِي، وَأَنْتَ تُمِيْتُنِي وَأَنْتَ تُحْيِيْنِي، لَمْ يَسْأَلِ اللهَ شَيْئاً إلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ».

قال: فلقيت عبدالله بن سلام فقلت: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ مراراً، ومن أبي بكر ﷺ مراراً، ومن عمر ﷺ مراراً؟ قال: بلى، قال: فحدثته بهذا الحديث، فقال ﷺ: بأبي وأمي رسول الله ﷺ، هؤلاء الكلمات كان الله تعالى قد أعطاهنَّ موسى عليه السلام، فكان يدعو بهنَّ كل يوم سبع مرات، فلا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه[٢].

---

(١) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٠٦) إلى ابن أبي الدنيا في «الذكر»، وابن مردويه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٠٢٨). وحسن المنذري إسناده في «الترغيب والترهيب» (١/ ٢٦١).

وروى البيهقي في «الشعب» عن عتبة بن الوليد قال: حدثني بعض الرهابين قال: سمع جبريل إبراهيم عليهما السلام وهو يقول: يا كريم العفو، فقال له جبريل: وتدري ما كريم العفو؟ قال: لا يا جبريل، قال: أن يعفو عن السيئة ويكتبها حسنة[1].

وقرأت ما نصه: دعاء سيدنا الخليل إبراهيم أبي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا أصبح وإذا أمسى: اللهم هذا خلق جديد فافتحه لي بطاعتك، واختمه لي بمغفرتك ورضوانك، وارزقني فيه حسنةً اقبلها مني وزكِّها وضَعِّفها، وما عملت فيه من سيئةٍ فاغفرها لي فإنك غفورٌ ودود.

قال: مَنْ دعا به فقد أدى شكر يومه[2].

وروى الطبراني بسند جيد، عن معاذ بن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «أَلا أُخْبِرُكُمْ لِمَ سَمَّى اللهُ إِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلَهُ: الَّذِي وَفَّى؟ لأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ كُلَّمَا أَصْبَحَ وَأَمْسَى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾[الروم: ١٧]» حتى ختم الآية[3].

وروى ابن أبي شيبة عن عمار رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ كان يعوذ الحسين والحسن رضي الله عنهما بهذه الكلمات: «أُعِيْذُكُما بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٠٤٣)، وعنده: «الرهويين» بدل «الرهابين».

(٢) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (١/ ٢١)، و«إحياء علوم الدين» للغزالي (١/ ٣١٦).

(٣) تقدم تخريجه.

شَرِّ كُلِّ شَيْطانٍ وَهامَّة، وَشَرِّ كُلِّ عِيْنٍ لامَّةٍ».

قال: «وَكانَ إِبْرَاهِيْمُ يَعَوِّذُ بِهِما إِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ»[١].

وروى أبو الشيخ عن مجاهد رحمه الله قال: لمَّا ركب نوح في السفينة فجرت به خاف، فجعل يُنادي: إلاها أتقن؛ قال: يا الله أحسن[٢].

وروى ابن جرير عن الضحاك رحمه الله قال: كان إذا أراد أن ترسي قال: بسم الله فأرسَتْ، وإذا أراد أن تجري قال: بسم الله فجرت[٣].

وروى أبو يعلى، والطبراني، وابن السني، وغيرهم عن الحسين ابن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول ﷺ: «أَمَانٌ لأُمَّتِي مِنَ الغَرَقِ إِذَا رَكِبُوا الفُلْكَ أَن يَقُولُوا: بِسْمِ اللهِ المَلِكِ الرَّحْمَنِ، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[هود: ٤١]، ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعٗا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزمر: ٦٧]»[٤].

وروى أبو الشيخ في كتاب «العظمة» عن عتبة بن الوليد: أن إبراهيم عليه السلام قال يوماً: يا كريم العفو، فقال له جبريل: تدري ما تفسير

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٣٥٧٧) لكن عن ابن عباس رضي الله عنه، وكذا رواه الترمذي (٢٠٦٠)، وابن ماجه (٣٥٢٥).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٤٣٢).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (١٢/ ٤٥).

(٤) رواه أبو يعلى في «المسند» (٦٧٨١)، والطبراني في «الدعاء» (ص: ٢٥٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٤٩٩).

كريم العفو؟ هو إن عفا عن السيئات برحمته، ثم أبدلها حسنات بكرمه[1]

وفي بعض ذلك قدوة بنوح عليه الصلاة والسلام.

وروى ابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا أُلْقِيَ يُوْسُفُ فِيْ الجُبِّ أَتَاهُ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِمَا السَّلامُ فَقالَ لَهُ: يا غُلامُ! مَنْ أَلْقاكَ فِي الجُبِّ؟

قالَ: إِخْوَتِي.

قالَ: وَلِمَ؟

قالَ: لِمَوَدَّةِ أَبِي إِيَّايَ حَسَدُوْنِي.

قالَ: تُرِيْدُ الخُرُوْجَ مِنْ هَاهُنَا؟

قالَ: ذاكَ إِلَى إِلَهِ يَعْقُوْب.

قالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّيْ أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ المَكْنُونِ المَخْزُونِ، يا بَدِيْعَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ، يا ذا الجَلالِ وَالإِكْرامِ أَن تَغْفِر لِي وَتَرْحَمَنِي، وَأَنْ تَجْعَلَ لِي مِنْ أَمْرِي فَرَجاً وَمَخْرَجاً، وَأَنْ تَرْزُقَنِي مِنْ حَيْثُ لاَ أَحْتَسِبُ.

فَقالَها، فَجَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ فَرَجاً وَمَخْرَجاً، وَرَزَقَه مُلْكَ مِصْرَ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ.

فقال النبي ﷺ: «أَلِظُّوا بِهَؤُلاءِ الكَلِماتِ؛ فَإِنَّهُنَّ دُعاءُ المُصْطَفَيْنَ وَالأَخْيارِ»[2].

---

(١) انظر «العظمة» (٢/ ٥٢٧).

(٢) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥١١) إلى ابن مردويه.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الفرج» عن يحيى بن سليم: أنه بلغه أنَّ ملك الموت عليه السلام استأذن ربه أن يسلم على يعقوب عليه السلام، فأذن له، فأتاه فسلَّم عليه فقال له: بالذي خلقك هل قبضت روح يوسف عليه السلام؟

قال: لا.

ثم قال: أفلا أعلمك كلمات لا تسأل الله بها شيئاً إلا أعطاك؟

قال: بلى.

قال: فقل: يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ولا يُحصيه غيره.

قال: فما طلع الفجر حتى أتي بقميص يوسف عليه السلام[1].

وعن إبراهيم بن خلاد قال: نزل جبريل على يعقوب عليهما السلام، فسلَّم عليه، فشكى إليه ما هو فيه، فقال له جبريل: ألا أعلمك دعاء إذا أنت دعوتَ به فرَّج الله عنك؟

قال: بلى.

قال: قل: يا من لا يعلم كيف هو إلا هو، ويا من لا يبلغ كُنه قدرته غيره! فرج عني.

قال: فأتاه البشير[2].

وعن مدلج، عن عبد العزيز، عن شيخ من قريش: أن جبريل

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (ص: ٤٠).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (ص: ٤٢).

عليه السلام هبط على يعقوب عليه السلام فقال: يا يعقوب! تملق إلى ربك؟

فقال: يا جبريل! كيف أقول؟

قال: قُل: يا كثير الخير، يا دائم المعروف.

فأوحى الله إليه: لقد دعوتني بدعاء لو كان ابناك ميتين لنشرتهما لك[1].

وعن أبي سعيد مؤذن الطائف: أنَّ جبريل أتى يوسف عليهما السلام فقال: يا يوسف! اشتدَّ عليك الحبس؟

قال: نعم.

قال: [قل]: اللهم اجعل لي من كل ما أهمني وأكربني من أمر دنياي وآخرتي فرجاً ومخرجاً، وارزقني من حيث لا أحتسب، واغفر لي ذنبي، وثبت رجاءك في قلبي، واقطعه عن من سواك حتى لا أرجو أحداً غيرك[2].

ورواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد»، وقال: عن أبي عبدالله مؤذن الطائف[3].

وروى ابن أبي الدنيا في «الفرج» ـ أيضاً ـ عن بعضهم: أنَّ جبريل

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (ص: ٤٧).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (ص: ٤٦).

(٣) ورواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ٧٩).

عليه السلام حين دخل على يوسف السجن قال له: قل: اللهم يا شاهداً غير غائب، ويا قريباً غير بعيد، ويا غالباً غير مغلوب! اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً، وارزقني من حيث لا أحتسب[1].

وروى ابن أبي شيبة والطبراني في «الدعاء» عن زيد العَمِّي رحمه الله قال: لمَّا رأى يوسف عليه السلام عزيز مصر قال: اللهم إني أسألك بخيرك من خيره، وأعوذ بقوتك من شره.

وفي رواية ابن المنذر: وأعوذ بعزتك من شره[2].

وروى الطبراني في «الدعاء» عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم رحمه الله تعالى قال: بلغني أن يوسف عليه السلام حين دخل على الملك قال: اللهم إني أسألك بخيرك من خيره، وأعوذ بك من شره، وشر غيره، فأعطاه الله ﷻ من الذي أعطاه[3].

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن وهب قال: لما دعي يوسف عليه السلام إلى الملك، وقف بالباب فقال: حسبي ديني من دنياي، وحسبي ربي من خلقه، عزَّ جاره، وجلَّ ثناؤه، ولا إله غيره، ثم دخل، فلما أن نظر إليه الملك نزل عن سريره، وخرَّ له ساجداً، ثم أقعده معه على السرير، فقال: إنك اليوم لدينا مكين أمين، قال

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (ص: ٤١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٨٨٥)، وكذا الطبراني في «الدعاء» (ص: ٣٢٤).

(٣) انظر: «الدعاء» (١/ ٣٢٤).

يوسف عليه السلام: اجعلني على خزائن الأرض وإني حفيظ لهذه السنين وما استودعته، عليم بلغة من يأتيني[1]

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي المليح رحمه الله قال: كان من دعاء يوسف عليه السلام: اللهم إن كان خَلُقَ وجهي عندك فإني أتقربُ إليك بوجه يعقوب أن تجعل لي فرجاً ومخرجاً ويُسراً، وترزقني من حيث لا أحتسب[2].

ومن هذا الباب ـ أعني: التوسل بصالحي الأسلاف ـ قول بعضهم: [من مجزوء الرجز]

لِـــي ســـادَةٌ مِـــنْ عِـــزِّهِمْ أَقْـــدامُهُمْ فَـــوْقَ الْجِبـــاه

إنْ لَـــمْ أَكُـــنْ مِـــنْهُم فَلِـــي فِـــيْ حُـــبِّهِمْ عِـــزٌّ وَجـــاه

وروى أبو الشيخ عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما تِيْبَ على ولد يعقوب عليهم السلام إلا بعد عشرين سنة، وكان أبوهم بين أيديهم فما تِيْبَ عليهم حتى نزل جبريل عليه السلام فعلمه بهذا الدعاء: يا رجاء المؤمنين لا تقطع رجاءنا، يا غياث المؤمنين أغثنا، يا مانع المؤمنين امنعنا، يا محب التوابين تُب علينا.

قال: فأخَّره إلى السحر فدعا به، فتِيْبَ عليهم[3].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٤/ ٤٢).

(٢) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٤٣) إلى الإمام أحمد في «الزهد».

(٣) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٨٦) إلى أبي الشيخ.

وروى ابن أبي حاتم عن الليث بن سعد رحمه الله قال: أقاموا عشرين سنة يطلبون فيما عمل إخوة يوسف بيوسف لا تُقبل منهم حتى أتى جبريل يعقوب، فعلمه هذا الدعاء: يا رجاء المؤمنين لا تخيب رجائي، ويا غوث المؤمنين أغثني، ويا عون المؤمنين أعني، يا حبيب التوابين تُبْ علي، فاستجيب لهم[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن الحسن رحمه الله قال: كان أيوب عليه السلام كلَّما أصابته مصيبة قال: اللهم أنت أخذت وأنت أعطيت، مهما تبق نفسي أحمدك على حسن بلائك[2].

وقد حكى الله عنه أنه قال في دعائه: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٣].

وقد روى الحاكم في «مستدركه» عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ للهِ مَلَكاً مُوكَّلاً بِمَنَ يَقُوْلُ: يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين، فَمَنْ قالَهَا ثَلاثاً قالَ لَهُ المَلَكُ: إِنَّ أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ فَقُلْ حاجَتَكَ»[3].

ولهذا الاسم خاصية في دفع البلاء إذا استحكم وضاق الأمر وعَظُمَ الخطب، ألا ترى كيف أُلْهِمَهُ سيدنا أيوب عليه السلام وهو في

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٧/ ٢٢٠٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٨٩).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٩٦) وقال: صحيح، ورده الذهبي.

مثل هذه الحالة، فليس للمضطر في استحكام البلاء أنفع منه.

وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٣]، أنه لمَّا مسَّه الضر أنساه الله الدعاء أن يدعوه، فيكشف ما به من الضر غير أنه كان يذكر الله كثيراً، فلا يزيده البلاء في الله إلا رغبة وحسن إيقان، فلما انتهى الأجل وقضى الله أنه كاشف ما به من ضُر أَذِنَ له في الدعاء ويسره له، وكان قبل ذلك يقول تبارك وتعالى: لا ينبغي لعبدي أيوب أن يدعوني ثم لا أستجيب له، فلما استجاب له وأبدله بكل شيء ذهب له ضعفين رد الله أهله ومثلهم معهم، وأثنى عليه فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[ص: ٤٤][1].

وروى الطبراني في «الأوسط»، و«الصغير»، والخرائطي في «كتاب الشكر» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلا أُعَلِّمُكَ الكَلماتِ التَي تَكَلمَ بِها مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ حِيْنَ جاوَزَ البَحْرَ بِبَنِي إِسْرائِيْلَ؟» فقلت: بلى يا رسول الله، قال: «قُوْلُوا: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ وَإِلَيْكَ المُشْتكى وَأَنْتَ المُسْتَعانُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللِه العلِيِّ العَظِيمِ».

قال عبدالله: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ.

قال شقيق: فما تركتهن منذ سمعتهن من عبدالله.

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١٧/ ٧٢).

قال الأعمش: فما تركتهن منذ سمعتهن من شقيق.

قال الأعمش: فأتاني آتٍ في منامي فقال لي: يا سليمان! زد في هذه الكلمات: ونستعينك على فسادٍ فينا، ونسألك صلاح أمرنا كله[1].

وروى ابن أبي شيبة عن ابن مسعود ﷺ قال: لمَّا بعث الله موسى عليه السلام إلى فرعون قال: يا رب! أي شيء أقول؟

قال: قل: هيا شرا هيا.

قال الأعمش: تفسير ذلك: الحي قبل كل حي، والحي بعد كل شيء[2].

وعن سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من قال إذا أصبح وإذا أمسى: اللهم أنت خلقتني، وأنت تهديني، وأنت تطعمني، وأنت تسقيني، وتميتني وتحييني، لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه». قال: فحدثت به عبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه فقال: هؤلاء الكلمات أعطاهن الله موسى بن عمران عليه السلام، كان يدعو بهن في كل يوم سبع مرات[3].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٣٩٤)، و«المعجم الصغير» (٣٣٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٨٣): فيه من لم أعرفهم.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٧٣٧)، وعنده: «قبل كل شيء» بدل «قبل كل حي».

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٠٢٨).

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن كعب الأحبار رحمه الله تعالى: أن موسى عليه السلام كان يقول في دعائه: اللهم لين قلبي بالتوبة، ولا تجعل قلبي قاسياً كالحجر[1].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن يحيى بن سليم الطائفي، عن من ذكره قال: طلب موسى عليه السلام من ربه ﷻ حاجة، فأبطأت عليه وأكدت فقال: ما شاء الله، فإذا حاجته بين يديه.

قال: يا رب! أنا أطلب منك حاجتي كذا وكذا أعطيتها الآن؟

قال: فأوحى الله إليه يا موسى! أما علمت أنَّ قولك: ما شاء الله أنجح ما طلبت به الحوائج[2].

وروى النسائي، وابن حبان، والحاكم ـ وصححاه ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قالَ مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلامُ يا رَبِّ! عَلِّمْنِي شَيْئاً أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوْكَ بِهِ.

قالَ: قُلْ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ.

قالَ: يا رَبِّ! كُل عِبادِكَ يَقُوْلُ هذا.

قالَ: قُلْ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ.

قالَ: إِنَّما أُرِيْدُ شَيْئاً تَخُصُّنِي بِهِ.

قالَ: يا مُوْسَى! لَوْ أَنَّ السَّماواتِ السَّبْعَ وَالأَرَضِيْنَ السَّبْعَ فِي

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١/ ٦٧).

(٢) تقدم تخريجه.

كِفَّةٍ، وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ فِي كِفَّةٍ مَالَت بِهِنَّ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»[1].

وروى ابن أبي شيبة عن كعب رحمه الله قال: قال موسى عليه السلام: يا رب! دلني على عمل إذا عملته كان شُكراً لك فيما اصطنعت إلي.

قال: يا موسى! قل: لا إله إلا الله، أو قال: قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

قال: فكان موسى أراد من العمل ما هو أنهك لجسمه مما أمر به قال: فقال له: يا موسى! لو أنَّ السماوات السبع والأرضين السبع وُضعت في كفة، ووُضعت لا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن[2].

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْثَرُ دُعائِي وَدُعاءِ الأَنْبياءِ مِن قَبْلِي بِعَرَفَةَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُل شَيْءٍ قَدِيْرٌ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوْراً وَفِي سَمْعِي نُوْراً وَفِي بَصَرِي نُوْراً، اللَّهُمَّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِيْ أَمْرِي، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ وَسْواسِ الصُّدُوْرِ وَشَتاتِ الأَمْرِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّيْ أَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما يَلِجُ فِي اللَّيْلِ، وَشَرِّ ما يَلِجُ فِي النَّهارِ، وَشَرِّ ما

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٧٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢١٨)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٣٦).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٤٦٣).

تَهُبُّ بِهِ الرِّيَاحُ»[1].

وروى أبو بكر بن مردويه، وأبو بكر الخطيب، وأبو القاسم ابن عساكر عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت: رأيت رسول الله ﷺ بإزاء ثبير وهو يقول: «أَشْرِقْ ثُبَيْرُ، أَشْرِقْ ثُبَيْرُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك بِما سَأَلَكَ أَخِي مُوْسَى أَنْ تَشْرَحَ لِي صَدْرِي، وَأَنْ تُيَسِّرَ لِي أَمْرِي، وَأَنْ تَحُلَّ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يفْقَهْ قَولِي، فَاجْعَلْ لِي وَزِيْراً مِنْ أَهْلِي، عَلِيّاً اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيْراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيْراً، إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيْراً»[2].

وروى البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» عن الضحاك رحمه الله قال: كان دعاء موسى عليه السلام حين توجه إلى فرعون، ودعاء رسول الله ﷺ يوم حنين، ودعاء كل مكروب: كنت وتكون، وأنت حي لا تموت، تنام العيون، وتنكدر النجوم، وأنت حي لا تأخذك سنة ولا نوم، يا حي يا قيوم[3].

وروى الترمذي، والنسائي، وغيرهما، وصححه الحاكم، عن

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥١٣٥)، وكذا البيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ١١٧) وقال: تفرد به موسى بن عبيدة، وهو ضعيف، ولم يدرك أخوه علياً ﷺ.

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/ ٥٢). وكذا رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٦٧٨).

(٣) انظر: «الأسماء والصفات» (١/ ٢٩٠).

سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «دَعْوَةُ ذِيْ النُّوْنِ عَلَيْهِ السَّلامُ إِذْ دَعا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوْتِ: لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيْنَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ»[1].

ورواه الحاكم أيضاً، ولفظه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى اسْمِ اللهِ الأَعْظم الَّذِي إِذا سُئِلَ بِهِ أَعْطى، وَإِذا دُعِيَ بِهِ أَجابَ؟ الدَّعْوَةُ الَّتِي دَعا بِها يُوْنُسُ حَيْثُ نَادَى فِي الظُّلُماتِ الثلاثِ: لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيْنَ».

فقال رجل: يا رسول الله! هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟

فقال رسول الله ﷺ: «أَلا تَسْمَعُ إِلَىْ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنبياء: ٨٨]»[2].

وفي لفظٍ لـه: «هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى اسْـمِ اللهِ الأَعْظَمِ؟ دُعَاءُ يُوْنُسَ: لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيْنَ، فَأَيُّ مُسْلِمٍ دَعا بِها فِيْ مَرَضِهِ أَرْبَعِيْنَ مَرَّةً، فَماتَ فِيْ مَرَضِهِ ذَلِكَ أُعْطِيَ أَجْرَ شَهِيْدٍ، وَإِنَ بَرَأَ بَرَأَ مَغْفُوْراً لَهُ»[3].

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٩٢)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٦٢).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٦٥).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٦٥).

وروى بن مردويه في «تفسيره»، والديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «هذه الآية مفزع الأنبياء عليهم السلام، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، نادى بها يونس عليه السلام في ظلمة بطن الحوت»[1].

وروى الترمذي وحسنه واللفظ له، والحاكم في «صحيحه» عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كانَ مِنْ دُعاءِ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِيَ وَمِنَ المَاءِ البارِدِ».

قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر داود يحدث عنه قال: «كانَ أَعْبَدَ البَشَرِ»[2].

وروى الطبراني عن صهيب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو يقول: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَسْتَ إِلَهاً اسْتَحْدَثْناهُ، وَلا بِرَبٍّ ابْتَدَعْناهُ، وَلاَ كانَ لَنا قَبْلَكَ من إِلَهٍ نَلْجَأُ إِلَيْهِ وَنَذَرُكَ، وَلا أَعانكَ عَلَى خَلْقِنَا أَحَدٌ فَنُشْرِكَهُ فِيْكَ تَبارَكْتَ وَتَعالَيْتَ».

قال كعب: وهكذا كان نبي الله داود عليه السلام يدعو[3].

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٤/ ٣٣١).

(٢) رواه الترمذي (٣٤٩٠) وحسنه.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٣٠٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧٩): فيه عمرو بن الحصين العقيلي، وهو متروك.

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن عبد الرحمن ابن جبير بن نفير رحمه الله: أنَّ داود عليه السلام كان يقول بعد فتنته: اللهم ما كتبت في هذا اليوم من فتنة فخلِّصني منها، ثلاث مرات، وما أنزلت من خير فآتني منه نصيباً ثلاث مرات، وإذا أمسى قال مثل ذلك، فلم يَر بعد ذلك مكروهاً[1].

وروى والده عن عمر بن عبد الرحمن بن دربه قال: بلغني أنه كان من دعاء داود عليه السلام: إلهي لا تُفقرني فأنسى، ولا تُغنني فأطغى[2].

وعن علي الأزدي رحمه الله قال: كان داود عليه السلام يقول: اللهم إني أعوذ بك من غنىً يُطغي، وفقرٍ يُنسِي، وهوىً يردي، وعملٍ يخزي[3].

وروى العسكري في «المواعظ» عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: قال موسى عليه السلام: يا رب! لا مرض يُضنيني، ولا صحة تنسيني، ولكن بين ذلك[4].

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ١٦٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧١).

(٣) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٣٧٨).

(٤) لم أقف عليه مرفوعاً، ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٣٨٢)، والإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٨٩) عن الحسن موقوفاً من قول داود عليه السلام.

وروى ابن أبي شيبة عن كعب رحمه الله تعالى: أنه كان إذا أفطر استقبل القبلة وقال: اللهم خلصني من كل مصيبة أنزلت الليلة من السماء ـ ثلاثاً ـ، وإذا طلع حاجب الشمس قال: اللهم اجعل لي سهماً في كل حسنة نزلت الليلة من السماء إلى الأرض ـ ثلاثاً ـ، فقيل له، فقال: دعوة داود؛ فلينوا بها ألسنتكم، وأشعروها قلوبكم[1].

وعن بريدة ﷺ: أنَّ داود عليه السلام كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من عملٍ يُخزي، وهوىً يُردي، وفقر يُنسي، وغنىً يُطغي[2].

وعن عباس القَمِّيِّ قال: بلغني أن داود عليه السلام كان يقول في دعاءه: سبحانك اللهم أنت ربي، تعاليت فوق عرشك، وجعلت خشيتك على من في السموات والأرض، فأقرب خلقك منك منزلة، أشدهم لك خشية، وما علم من لم يخشك، وما حكمة من لم يطع أمرك[3].

وروى الطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس ﷺ قال: كان من دعاء داود النبي: اللهم إني أعوذ بك من مالٍ يكون عليَّ فتنة، ومن ولدٍ يكون عليَّ وبالاً، ومن امرأة السوء تقرب الشيب من قبل المشيب، وأعوذ بك من جار السوء ترعاني عيناه وتسمعني أذناه، إن رأى حسنةً دفنها، وإن رأى سيئة أذاعها.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٣٨٠).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٣٨٤).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩٣٨١)، والدارمي في «سننه» (٣٣٦).

قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «جارُ السُّوْءِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ فِيْ دَارِ المُقَامَةِ»[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن الحسن رحمه الله قال: كان داود عليه السلام يقول: اللهم لا مرضاً يضنيني، ولا صحة تُنسيني، ولكن بين ذلك، اللهم إني أسألك من الأصحاب والإخوان والجيران والجلساء مَنْ إن نسيت ذكرني، وإذا ذكرتُ أعانني، وأعوذ بك من الأصحاب والإخوان والجيران والجلساء من إن نسيت لم يذكِّرْني، وإن ذكرت لم يعني[2].

وروى ابن أبي الدنيا عن العطاف بن خالد المخزومي قال: غدا سليمان بن داود عليهما السلام إلى بيت المقدس ليفتحه، فأعياه القفل أن ينفتح، فدعا له الإنس والجن وأعياهم، فمرَّ به شيخ من جلساء داود عليه السلام فقال له: يا نبي الله! ما لي أراك مهموماً؟

قال: أعيى علي القفل فلم ينفتح وعلى الجن والإنس.

فقال له الشيخ: ألا أدلُّك على كلمات كان داود إذا أهمَّه أمر دعا بهن، فيفرج الله عنه؟

قال: نعم.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦١٨٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٨٣): فيه من لم أعرفهم.

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٨٩) إلى قوله: «ولكن بين ذلك».

قال: قل: اللهم بنورك اهتديت، وبفضلك استغنيت، وبنعمتك أصبحت وأمسيت، هديي ونومي بين يديك، أستغفرك وأتوب إليك.

فقالها سليمان ففتح عليه[1].

وروى الدينوري في «المجالسة» عن الأحوص بن حكيم رحمه الله قال: كان من دعاء داود النبي: يا رازق النَّعَّابِ في عُشِّه.

قال: وذلك أنَّ الغراب إذا فقس عن فرخه فيخرج بيضاً، فإذا رآها كذلك نفر عنها فتفتح أفواهها، فيرسل الله تعالى لها ذباباً فتدخل في أجوافها، فيكون ذلك غذاء حتى تسود، فإذا اسودت عادَ الغراب فغذاها ورفع الله الذباب عنها[2].

والنعاب ـ بالنون والعين المهملة، وبالموحدة آخره ـ: الغراب.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الشكر»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: أتى بختنصر بدانيال النبي عليه الصلاة والسلام، فأمر به فحبس وضرى عليه أسدين، ثم فتح عليه بعد خمسة أيام فوجد دانيال قائماً يُصلي والأسدين في ناحية الجب لم يعرضا له، فقال بختنصر: أخبرني بما قلت فدفع عنك.

قال: قلت: الحمد لله الذي لا يكل من توكل عليه إلى غيره، والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تنقطع الحيل، والحمد لله الذي هو

---

(١) انظر: «تاريخ بيت المقدس» لابن الجوزي (ص: ٥).

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٣٤).

رجاؤنا يوم يسوء ظننا بأعمالنا، الحمد لله الذي يكشف حزننا عند كربتنا، الحمد لله الذي يُجزي بالإحسان إحساناً، الحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة[1].

وروى الإمام أحمد عن جعفر بن برقان الجزري: أنَّ عيسى بن مريم عليهما السلام كان يقول: اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره، ولا أملك نفع ما أرجو، وأصبح الأمر بيد غيري، وأصبحت مرتهناً بعملي، لا فقير أفقر مني، لا تُشمت بي عدواً، ولا تَسُؤْ بي صديقي، ولا تجعل مصيبتي في ديني، ولا تسلط عليَّ من لا يرحمني[2].

وروى ابن أبي شيبة من طريق آخر بنحوه، وزاد فيه: ولا تجعل الدنيا أكبر همي[3].

وروى الدينوري في «المجالسة» عن وهب بن منبه قال: كان دعاء عيسى عليه السلام الذي يدعو به للمرضى والزَّمْنَى والعميان والمجانين وغيرهم: اللهم أنت إله من في السماء، وإله من في الأرض، لا إله فيهما غيرك، وأنت جبار من في السماء، وجبار من في الأرض، لا جبار فيهما غيرك، قدرتك في الأرض كقدرتك في السماء، وسلطانك في الأرض كسلطانك في السماء، أسألك باسمك

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (ص: ٦٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٩٥)، وكذا عبد الرزاق في «المصنف» (١٩٨٣٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٠).

(٣) تقدم تخريجه.

الكريم ووجهك المنير وملكك القديم، إنك على كل شيءٍ قدير.

قال وهب: هذا للفزع والجنون: تُقرأ عليه، وتُكتب له، ويُسقى ماءه فيشفى إن شاء الله تعالى(١).

وروى ابن جرير عن وهب زعم أنه ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في الجماعة الواحدة خمسون ألفاً، من أطاق منهم أن يبلغه بلغه، ومن لم يطق منهم ذلك أتاه عيسى فمشى إليه، وإنما كان يداويهم بالدعاء إلى الله(٢).

وروى البزار، والحاكم وصححه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ أبو بكر ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «دُعاءٌ عَلَّمَنِيْهُ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ» قلت: ما هو؟ قال: «كانَ عِيْسَى عَلَيْهِ السَّلامُ يُعَلِّمُ أَصْحابَهُ قالَ: لَوْ كانَ عَلَى أَحَدِكُمْ جَبَلُ ذَهَبٍ دَيْناً، فَدَعا بِذَلِكَ لقَضاهُ اللهُ عَنْه: اللَّهُمَّ فارِجَ الهَمِّ وَكاشِفَ الغَمِّ، مُجِيبَ دَعْوَةِ المُضْطَرِّيْنَ، رَحمنَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَرَحِيْمَهُمَا، أَنْتَ تَرْحَمُنِي فَارْحَمْنِي بِرَحْمَةٍ تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِواكَ»(٣).

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٠٩).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ٢٧٨).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٩٨). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٨٢): رواه البزار والحاكم والأصبهاني كلهم عن الحكم ابن عبدالله الأيلي، عن القاسم، عن عنها، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.
قال المنذري: كيف! والحكم متروك متهم، والقاسم ـ مع ما قيل فيه ـ لم يسمع من عائشة رضي الله عنها.

وفي الحديث أن أبا بكر وعائشة رضي الله عنهما جرَّباه، فقُضِيَتْ عنهما ديونها.

وروى ابن أبي الدنيا عن معروف الكرخي رحمه الله قال: اجتمعت اليهود على قتل عيسى عليه السلام بزعمهم، فأهبط الله عز وجل جبريل عليه السلام في باطن جناحه مكتوب: اللهم إني أسألك باسمك الأجل الأعز، وأدعوك باسمك اللهم الأحد الصمد، وأدعوك باسمك اللهم العظيم الوتر، وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعال الذي ملأ الأركان كلها أن تكشف عني ضر ما أمسيت وأصبحت فيه.

فأوحى الله إلى جبريل أن ارفع عبدي إلي[1].

وروى أبو نعيم عن سعيد الجريري رحمه الله تعالى قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: تزعم أنك لا تسألني شيئاً، فإذا قلت: ما شاء الله فقد سألتني كل شيء[2]؛ أي: كل شيء فيه الخيرة لأن قولك: ما شاء الله تفويض لمشيئتي، ومن فوَّض إليَّ مشيئتي فما أشاؤه خيرٌ له مما يشاؤه لنفسه.

وقوله: تزعم أنك لا تسألني شيئاً؛ أي: شيئاً أنت في طلبه بنفسك حتى تطلب مني بي، وإلا فقد كان عليه السلام يسأل الله تعالى.

وروى الإمام أحمد رحمه الله تعالى في «الزهد» عن وهب رحمه

---

(١) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٤٧٢).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٠١).

الله تعالى قال: قال المسيح عليه السلام: أكثروا ذكر الله وحمده وتقديسه، وأطيعوه؛ فإنما يكفي أحدكم من الدعاء إذا كان الله تبارك وتعالى راضياً عنه أن يقول: اللهم اغفر لي خطيئتي، وأصلح لي معيشتي، وعافني من المكاره يا إلهي»[1].

وروى ابن أبي شيبة عن إسماعيل بن أبي خالد رحمه الله قال: ذكر عن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنه قال: اللهم لا تكلفني طلب ما لم تقدره لي، وما قدرت لي به من رزقٍ فأتني به في يُسرٍ منك وعافية، وأصلحني بما أصلحت به الصالحين، فإنما أصلح الصالحين أنت[2].

وعن عثمان بن عبدالله بن أويس رحمه الله قال: كان نبي من الأنبياء عليهم السلام يقول: اللهم احفظني بما تحفظ به الصبي[3].

وروى ابن أبي الدنيا في «الهواتف»، والخطيب، والأصبهاني في «الترغيب» عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بينا أنا أطوف بالكعبة إذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: يا من لا يشغله سمعٌ عن سمع، يا من لا تغلطه المسائل، يا من لا يبرمه إِلْحَاحُ الملحين، أذقني بَرْد عفوك، وحلاوة رحمتك.

فقال علي: أعد عليَّ هذا الكلام يا عبدالله.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٥).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٣٨٧).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٣٠١).

قال: أسمعته؟

قال: نعم.

قال: والذي نفس الخضر بيده ـ وكان هو الخضر عليه السلام ـ ما من عبدٍ يقولهنَّ في دبر كل صلاة مكتوبة إلا غُفرت له ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج، أو مثل زبد البحر، أو ورق الشجر[1].

وروى ابن أبي الدنيا عن عمر بن الخطاب ﷺ: أنه كان جالساً في ظل الكعبة إذ سمع رجلاً يدعو: يا الله يا الله ـ خمساً أو سبعاً ـ الذي لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا إلحاح الملحين! أذقني بَرْدَ عفوك وحلاوة مغفرتك.

فقال عمر لأصحابه: قوموا لعلنا نُرحم بدعائه، فكلَّمه عمر، فكلُّهم يرى أنه الخضر عليه السلام[2].

وعن هشيم رحمه الله قال: كنت يوماً في منزلي فدخل عليَّ رجل فقال: قل: الحمد لله على كل نعمة، وأستغفر الله من كل ذنب، وأسأل الله من كل خير، وأعوذ بالله من كل شر، ثم خرج فطلبه فلم يُوجد، وكنا نراه الخضر عليه السلام[3].

وروى ابن عساكر عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال: بلغني أنَّ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٥٢)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٤/ ١١٨) واللفظ له.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٥٧).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٥٦).

موسى قال للخضر عليه السلام: ادعُ لي، فقال الخضر: يسَّر الله عليك طاعته[1].

وروى الدارقطني في «الأفراد»، وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «يَلْتَقِي الخَضِـرُ وَإِلْيَاسُ عَلَيْهِمَا السَّلامُ فِي كُلِّ عامٍ فِي الْمَوْسِمِ، فَيَحْلِقُ كُل واحِدٍ مِنْهُمْ رَأسَ صَاحِبِـهِ، وَيَتَفَرَّقانِ عَنْ هَؤُلاءِ الكَلِماتِ: بِسْمِ اللهِ ما شـاءَ اللهُ، لا يَسُـوْقُ الْخَيْرَ إِلاَّ اللهُ، ما شـاءَ اللهُ لاَ يَدْفَعُ الشَّرَ إِلاَّ اللهُ، ما شـاءَ اللهُ ما كانَ مِنْ نعمةٍ فَمِـنَ اللهِ، ما شـاءَ اللهُ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ».

قال ابن عباس: من قالهن حين يصبح وحين يُمسي ثلاث مرات آمنه الله من الغرق والحرق والسرق، ومن الشيطان والسلطان، ومن الحية والعقرب[2].

* **فائِدَةٌ:**

روى الأصبهاني في «الترغيب» عن محمد بن نشر ـ بالنون ـ الهمداني قال: أرسلني محمد بن الحنفية رحمه الله إلى الحجاج فقال: قل له: يقول لك محمد: ما لنا وما لك؟ أما تتقي الله؟

قال: قلت: أخاف أن يقتلني.

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦/ ٤١٦).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩/ ٢١١)، وقد تقدم لكن لم يعزه هناك إلى ابن عساكر.

قال: إذا وقعت عيناك عليه فقل: اللهم إني أسألك بما سألك ملائكتك المقربون، وأنبياؤك المرسلون، وعبادك الصالحون أن تصرف عني شره.

قال: فلما وقعت عيناي عليه دعوتُ بها، ثم دنوت منه فأبلغته الرسالة، فقال: أو إنك لتقول ذا؟

ثم قال: إنما أنت رسول فانصرف.

* **فائِدَةٌ أُخْرَى:**

روى أبو نعيم عن يوسف بن الحسين رحمه الله قال: سمعت ذا النون المصري رحمه الله يوماً وقال له رجلٌ: أوصني، فقال: بمَ أوصيك؟ إن كنت ممن أيدت منه في علم الغيب بصدق التوحيد فقد سبق لك قبل أن تخلق إلى يومنا هذا دعاء النبيين والمرسلين والصِّديقين، وذلك خيرٌ لك من وصيتي لك.

وإن يكن غير ذلك فلن ينفعك ابتداء[1].

قلت: كلامه إشارة إلى أنَّ من أخلاق الأنبياء والصديقين رحمة الخلق والدعاء لهم، وهو كذلك.

* **تَنْبِيهٌ:**

أكثر أدعية الأنبياء عليهم السلام طلب المغفرة، وهي جماع كل مطلوب.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٥٤)، وعنده: «النداء» بدل «ابتداء».

قال تعالى حكاية عن آدم وحواء عليهما السلام: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[الأعراف: ٢٣].

وقال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[هود: ٤٧].

وقال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[إبراهيم: ٤١].

وقال تعالى حكاية عن داود عليه السلام: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾[ص: ٢٤].

وعن ولده سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا﴾[ص: ٣٥].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي الجلد: أَنَّ داود عليه السلام أمر منادياً يُنادي: الصلاة جامعة، فخرج الناس وهم يرون أنه سيكون منه يومئذٍ موعظة وتأديب ودعاء، فلما وافى مكانه قال: اللهم اغفر لنا، وانصرف، فاستقبل آخر الناس أوائلهم قالوا: ما لكم؟

قالوا: إنَّ النبي عليه الصلاة والسلام إنما دعا بدعوةٍ واحدة، ثم انصرف.

قالوا: سبحان الله! كنا نرجو أن يكون هذا اليوم يوم عبادة ودعاء وموعظة وتأديب، فما دعا إلا بدعوة واحدة؟

فأوحى الله إليه أن أبلغ عني قومك؛ فإنهم قد استقلوا دعاءك أَنَّ مَنْ أغفر له أُصْلِحُ له أمر آخرته ودنياه[١].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٣).

وعن مالك بن دينار قال: قيل لناحية من الأرض: إنَّ عيسى بن مريم عليهما السلام مارٌّ بكم، فنزلوا من الغيران والحدائر، وأظلة الأشجار ورؤوس الجبال قال: فمرَّ بهم، فقال: اللهم اغفر لنا، اللهم اغفر لنا ـ ثلاثاً ـ.

قالوا: يا روح الله! إنا رجونا أن نسمع منك اليوم موعظةً، ونسمع اليوم منك شيئاً لم نسمعه فيما مضى.

قال: فأوحى الله إلى عيسى أن قل لهم: إني من أغفر له مغفرةً واحدة أُصْلِحُ له بها دنياه وآخرته.

وروى ابنه في «زوائده» عن عبيد بن عمير رحمه الله: أنَّ داود عليه السلام نبت حوله روضة من دموعه، فأوحى الله إليه: يا داود! تريد أن أزيدك في ملكك وولدك؟

قال: أي رب! أريد أن تغفر لي(١).

ـ ومن أخلاق الأنبياء عليهم السلام:

١١١ ـ ترصد أوقات الإجابة، والأحوال الشريفة، والأمكنة العظيمة للدعاء، والمحافظة على آداب الدعاء.

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام لأولاده: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾[يوسف: ٩٨].

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما نحن عند

---

(١) رواه عبدالله بن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ٧٠).

رسول الله ﷺ إذ جاءه علي بن أبي طالب ﷺ قال: بأبي أنت وأمي! تفلَّت هذا القرآن من صدري فما أجدني أقدر عليه.

قال له رسول الله ﷺ: «أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ، وَيَنْتَفِعُ بِهِنَّ مَنْ عَلَّمْتَهُ، وَيَثْبُتُ ما تَعَلَّمْتَ فِي صَدْرِكَ؟»

قال: أجل يا رسول الله.

قال: «إِذا كانَ لَيْلَةُ الجُمُعَةِ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقُومَ فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الآخِرِ؛ فَإِنَّها ساعَةٌ مَشْهُودَةٌ وَالدُّعاءُ فِيْهَا مُسْتَجَابٌ، وَقَدْ قالَ أَخِي يَعْقُوْبُ لِبَنِيْهِ: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي، قالَ: يَقُوْلُ: حَتَىٰ تَأْتِيَ لَيْلَةُ الجُمُعَةِ».

وذكر الحديث في الدعاء لحفظ القرآن[1].

وعن محارب بن دثار عن عمه قال: كنت آتي المسجد في السَّحَرِ فأمرُّ بدار ابن مسعود ﷺ، فأسمعه يقول: اللهم إنك أمرتني فاطلعت، ودعوتني فأجبت، وهذا سَحَرٌ فاغفر لي، قال: فلقيت ابن مسعود فقلت له: كلمات أسمعك تقولها في السحر؟

فقال: إنَّ يعقوب أخر بنيه إلى السَّحَر بقوله: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾[يوسف: ٩٨][2].

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٧٠) وحسنه. قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٢١٧): موضوع.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (ص: ٣٥٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٥٤٨).

ورواه أيوب السختياني عن سعيد بن جبير قال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾[يوسف: ٩٨] في الليالي البيض؛ أي: في الثلاث عشرة والأربع عشرة والخمس عشرة؛ فإنَّ الدعاء فيها مستجاب[(١)].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن خالد الحذَّاء رحمه الله قال: كان عيسى بن مريم إذا سرح رسله يُحيون الموتى، يقول لهم: قولوا كذا، قولوا كذا، فإذا وجدتم قشعريرة ودمعة فادعوا عند ذلك[(٢)].

وعن أبي الجلد قال: أوحى الله ﷻ إلى موسى عليه السلام أن يا موسى! إذا دعوتني فاجعل لسانك من وراء قلبك، وكن عند ذكري خاشعاً مطمئناً، وإذا قمت بين يدي فقم مقام الحقير الذليل، وذُمَّ نفسك فهي أولى بالذم، وناجني حين تُناجيني بقلب وَجِلٍ ولسانٍ صادق[(٣)].

١١٢ ـ ومن آدابهم: رفع اليدين وبسطهما في الدعاء.

روى أبو بكر بن مردويه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: سُئل رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[الأنبياء: ٩٠] قال: «رَغَباً هَكَذَا وَرَهَباً هَكَذَا»؛ وبسط كفيه[(٤)].

وفي «سنن أبي داود»: عن مالك بن يسار السَّكُونِيِّ الْعَوْفِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا سَأَلْتُمُ اللهَ تعالَى فَاسْأَلُوهُ بِبُطُونِ أَكُفِّكُمْ،

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ٢٦٣).
(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٩).
(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٨٧).
(٤) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٧٠) إلى ابن مردويه.

وَلا تَسْأَلُوْهُ بِظُهُورِها»[1].

قال الإمام أبو بكر بن محمد الطرطوشي في كتاب «الأدعية» في آداب الدعاء: فمن أدبه أن يعلم أنَّ سنن الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين إذا أرادوا استقضاء حاجة عند مولاهم أن يُبادروا قبل السؤال، فيقوموا بين يدي ربهم، فيصفوا أقدامهم، ويبسطوا أكفهم، ويُرسلوا دموعهم على خدودهم، ويبدؤوا بالتوبة من معاصيهم، والتنصل من مخالفاتهم، ويستبطئوا الخشوع في قلوبهم، ويتباءسوا ويتمسكنوا ويستقيموا بين يدي من وقفوا ولمناجاة من تعرضوا، انتهى.

١١٣ ـ ومن آدابهم: تصدير الدعاء باسم من أسماء الله تعالى يليق بالترحم والتلطف، أو بما يوافق الدعاء المدعو به.

ولذلك قال بعض العلماء: إنَّ الاسم الأعظم هو أن يدعو بالاسم الموافق للمطلوب كتصدير طلب الرزق بالكريم والجواد، وطلب النجاة من عدو أو ظالم بالواحد والأحد والقهار.

ولما كان الاسم الجليل الله جامعاً لجميع معاني الأسماء الحسنى كان لائقاً لأن يصدر به كل دعاء.

وفي ندائه طريقان:

أن يُقال: يا الله.

وأن يقال: اللهم؛ بالتعويض عن حرف النداء بالميم المشددة.

---

(١) رواه أبو داود (١٤٨٦). وحسن ابن القطان إسناده في «بيان الوهم والإيهام» (٥/ ٢٠٠).

وقد قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾[آل عمران: ٢٦] الآية.

ولمَّا كان الاسم: الرَّبُّ من الأسماء الجامعة لمعاني الرحمة والعطف والجود والكرم؛ لأنه بمعنى المالك أو القائم بمصالح العبد المتولي لتربيته، أو بمعنى السيد، كان معظم أدعية الأنبياء عليهم السلام بلفظ: يا رب، أو: أي رب، أو: رب، أو: ربنا.

وإذا نظرت في أدعية الأنبياء عليهم السلام الواردة في القرآن وجدتُها مصدرة به.

وقد روى ابن أبي الدنيا في كتاب «الدعاء» عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «إِذا قالَ العَبْدُ: يا رَبِّ! يا رَبِّ! قالَ اللهُ تَعالى: لَبَّيْكَ عَبْدِي، سَلْ تُعْطَهْ»(١).

وروى أبو نعيم عن ابن وهب رحمه الله قال سُئِلَ مالك بن أنس رضي الله عنه، عن رجلٍ يدعو يقول: يا سيدي، فقال: يُعجبني أن يدعو بدعاء الأنبياء: ربنا ربنا(٢).

١١٤ ـ ومن آدابهم: الإشارة إلى الحاجة دون التصريح في الدعاء إلا أن يكون الحال يقتضي الانبساط إلى الله تعالى، كما في قول أيوب عليه السلام: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٣].

---

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٩٥): رواه البزار، وفيه الحكم ابن سعيد الأموي، وهو ضعيف.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٠).

وقول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩].

وقول يونس عليه السلام: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وذلك لأن الثناء على الغني من المحتاج دليل الطلب.

وقد روى الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححاه، عن جابر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعاءِ الحَمْدُ للهِ»[1].

وما أحسن ما قيل: [من الوافر]

أَأَذْكُـــــرُ حــــاجَتِي أَمْ قَــــدْ كَفــــانِي
حَيــــاؤُكَ إِنَّ شِـــــيْمَتَكَ الْحَيــــاءُ

إذا أَثْنَـــــى عَلَيْـــــكَ الْمَـــــرْءُ يَوْمــــاً
كَفــــاهُ مِــــنْ تَعَرُّضِــــهِ الثَّنــــاءُ[2]

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) البيتان لأمية بن أبي الصلت، كما في «عيون الأخبار» لابن قتيبة (ص: ٣٣٠)، و«مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (ص: ١٤١).

ولقد علمت قول الله تعالى لعيسى عليه السلام: تزعم أنك لا تسألني شيئاً، فإذا قلت: ما شاء الله فقد سألتني كل شيء[1].

وقوله لموسى عليه السلام: أما علمت أن قولك: ما شاء الله أنجحُ ما طلبت به الحوائج[2].

وبيانه: أنَّ في التفويض إليه إلقاءه باليد في باحة العبودية، وإسلاماً للنفس إلى يد الجبروتية، وأرضى ما يكون السادة من العبيد إذا سلَّموا، وبالرضا تنال المُنى، ويحصل الهنا والغنى، بل مهما كان العبد بذكر مولاه مشغولاً كان المولى على العبد مُقبلاً وله كافياً حاجةً وسؤلاً.

يقول الله تعالى: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين[3].

١١٥ ـ ومن آدابهم: الاختصار في الدعاء والاختيار لجوامعه، وأدعية الأنبياء عليهم السلام في القرآن كلها جوامع.

وقد روى الإمام أحمد في «الزهد» عن بشر الدمشقي رحمه الله قال: قيل لناحية من الأرض: إنَّ عيسى بن مريم عليهما السلام مارٌّ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١١٥)، قال ابن أبي حاتم في «المجروحين» (١/ ٣٧٦): موضوع.

بكم، فنزلوا من الغيران والحدائر، وأظلة الأشجار ورؤوس الجبال، فمرَّ بهم فقال: اللهم اغفر لنا ـ ثلاثاً ـ.

قالوا: يا روح الله! إنا رجونا أن نسمع منك اليوم موعظةً، ونسمع منك شيئاً لم نسمعه فيما مضى.

فأوحى الله ﷻ إلى عيسى عليه السلام: قل لهم: إني من أغفر له مغفرةً واحدة أُصْلِحُ له بها دنياه وآخرته[1].

١١٦ ـ ومن آدابهم: تكرار الدعاء ثلاثاً كما في هذا الأثر.

وكما تقدم عن داود عليه السلام: أنه كان يُكرر دعاءه في الصباح والمساء ثلاثاً[2].

ولا بأس بالزيادة على الثلاث مرات لأنَّ الإلحاح في الدعاء مطلوب من غير اعتداء.

لكن ذكر أبو طالب المكي في «قوته»: أنه استقصى أدعية القرآن فلم يجدها تزيد على سبعة، قال: فأستحب أن لا يزيد الدعاء على سبع مرات.

١١٧ ـ ومن آدابهم: أنهم يسألون الحاجات عند الاضطرار.

روى ابن أبي شيبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لقد قال موسى عليه

---

(١) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٢٠٤) إلى الإمام أحمد.

(٢) تقدم تخريجه.

السـلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص: ٢٤]، وهو أكرم خلقه عليه، ولقد كان افتقر إلى شق تمرة، ولقد أصابه الجوع حتى لصق بطنه بظهره[١].

١١٨ ـ ومن آدابهم: الإسرار في الدعاء والتملق إلى الله تعالى بضعف الحال، والتقرب إلى الله تعالى في الدعاء بما له عليهم من سوابق.

قال الله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[مريم: ٢ ـ ٤]؛ أي: لم أزل أدعوك فتستجيب لي، فلذلك قوي رجائي أن تُجيب دعائي كما عودتني.

وقد حكي أن رجلاً جاء إلى حاتم الطائي يلتمس منه شيئاً، فقال: إني جئتك في وقت كذا فأحسنت إليَّ، فقال: مرحباً بمن توسل بنا إلينا[٢].

١١٩ ـ ومن آدابهم: التوسل إلى الله تعالى بصالح أعمالهم إذا كان الوقت يقتضي الادلال والانبساط:

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن عبدالله بن عبيد بن عمير قال: كان لأيوب عليه السلام أخوان فأتيا ذات يومٍ فوجدا ريحاً، فقالا: لو كان الله ﷻ علم من أيوب خيراً ما بلغ به كل هذا، قال: فما سمع شيئاً

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٣٤٠٠).

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٦/ ١٦٤).

كان أشد عليه من ذلك، فقال: اللهم! إن كنت تعلم أني لم أبت ليلة شبعاناً وأنا أعلم مكان جائع فصدقني، قال: فصدق وهما يسمعان، ثم قال: اللهم! إن كنت تعلم أني لم ألبس قميصاً قط وأنا أعلم مكان عارٍ فصدقني، قال: فصدق وهما يسمعان، ثم خرَّ ساجداً ثم قال: اللهم! إني لا أرفع رأسي حتى تكشف ما بي، فكشف الله ﷻ ما به[1].

١٢٠ ـ ومن آدابهم: البداءة في الدعاء بنفس الداعي، وتعميم الدعاء للمؤمنين.

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾[إبراهيم: ٤١].

وقال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾[نوح: ٢٨]

١٢١ ـ ومن آدابهم: التأمين على الدعاء.

وقد كان ذلك للأنبياء دون الأمم حتى كانت هذه الأمة فآتاهم الله تعالى ذلك.

وقد روى الحكيم الترمذي في «نوادره»، وابن مردويه في «تفسيره» عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيْتُ ثَلاثَ خِصالٍ: أُعطِيتُ صَلاَةً فِي الصُّفُوْفِ، وَأُعْطِيْتُ السَّلامَ وَهُوَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَأُعْطِيْتُ آمِيْنَ وَلَمْ يُعْطَها أَحَدٌ مِمَّنْ كانَ قَبْلَكُمْ إِلاَّ أَنْ يَكُوْنَ اللهُ تَعالى أَعْطاها

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٤٢).

هارُوْنَ؛ فإنَّ مُوْسَى كانَ يَدْعُو وَيُؤَمِّنُ هارُوْنُ»[1].

وفي هذا الحديث إشارة إلى أنه ينبغي أن يقدم بالدعاء الأفضل والأكمل والأقرب إلى الله تعالى، ويؤمن من دونه، ولو كان عكس ذلك جاز، لكن ينبغي أن لا يدعو مع وجود من هو أولى منه إلا بإذنه أو بإشارته؛ لأنَّ الأدب مطلوب في كل مقام.

وقد روى النسائي، والحاكم وصححه، عن زيد بن ثابت ﷺ: أنه كان هو وأبو هريرة ورجل آخر في المسجد يدعون، فخرج رسول الله ﷺ وجلس إليهم، فسكتوا فقال: «عُوْدُوا لِلَّذِي كُنْتُمْ فِيْهِ».

قال زيد: فدعوتُ أنا وصاحبي قبل أبي هريرة، وجعل رسول الله ﷺ يؤمن على دعائنا.

قال: ثم دعا أبو هريرة فقال: اللهم! إني أسألك مثل الذي سأل صاحباي هذان، وأسألك علماً لا يُنسى، فقال رسول الله ﷺ «آمِين»، فقلنا: يا رسول الله! ونحن نسألُ الله علماً لا يُنسى، فقال: «سَبَقَكُما بِهَا الدَّوْسِيُّ»[2].

*** تَنْبِيْهٌ لَطِيْفٌ:**

ذكر القرطبي في «تفسيره» عن شهر بن حوشب، عن عبادة بن

---

(١) ورواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٥٨٦) وتردد في ثبوته. قال ابن حجر في «المطالب العالية» (٤/ ٧٧): لم يثبت لضعف زربي.

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٥٨٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (٦١٥٨).

الصامت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أُعْطِيَتْ أُمَّتِي ثَلاَثاً لَمْ يُعْطَهَا إِلاَّ الأَنْبِياءُ: كانَ اللهُ إِذَا بَعَثَ النَّبِيَّ قالَ لَهُ: ادْعُنِي أَسْتَجِبْ لَكَ، وَقالَ لِهَذِهِ الأُمَّة: ادْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ.

وَكانَ اللهُ إِذا بَعَثَ النَّبِيَّ قالَ لَهُ: ما جَعَلَ عَلَيْكَ فِي الدِّيْنِ مِنْ حَرَجٍ، وَقالَ لِهَذِهِ الأُمَّةِ: وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّيْنِ مِنْ حَرَجٍ.

وَكانَ اللهُ إِذا بَعَثَ النَّبِيَّ جَعَلَهُ شَهِيْداً عَلَى قَوْمِهِ، وَجَعَلَ هَذِهِ الأُمَّةَ شُهَداءَ عَلَىْ النَّاسِ»[1].

وروى الفريابي عن كعب رحمه الله قال: أُعطيت هذه الأمة ثلاث خصال لم تعطها إلا الأنبياء: كان النبي يُقال له: بلغ ولا حرج، وأنت شهيد على قومك، وادعُ أُجبك.

وقال لهذه الأمة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[الحج: ٧٨]، وقال: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[البقرة: ١٤٣]، وقال: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠][2].

وروى النسائي، والحاكم، وأبو نعيم، والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾[القصص: ٤٦] قال: نودوا: يا أمة محمد! استجبت لكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٢/ ١٥٥).

(٢) ورواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٢٦٨).

قبل أن تسألوني[1].

قال العلماء: لا يحول بين هذه الأمة وبين استجابة الدعاء إلا إخلال بشرط من شروط الدعاء أو أدب من آدابه، أو يدخر الله لهم مسألتهم، أو يكتب لهم بالدعوة حسنة، أو يرفع لهم درجة، أو يحطُّ عنهم خطيئة.

وليس هذا محل استيفاء الكلام على الدعاء؛ فإنه يحتمل الإفراد بالتأليف.

١٢٢ ـ ومن خصال الأنبياء عليهم السلام: الاستمطار والاستسقاء لكافة الخلق.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ﴾[البقرة: ٦٠] الآية.

وروى الدارقطني، والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَرَجَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَسْتَسْقِي فَإِذَا هُوَ بِنَمْلَةٍ رافِعَةً بَعْضَ قَوَائِمِهَا إلى السَّمَاءِ، فَقَالَ: ارْجِعُوْا فَقَدِ اسْتُجِيْبَ لَكُمْ مِنْ أَجْلِ شَأْنِ النَّمْلَةِ»[2].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي الصِّدِّيق الناجي قال: خرج سليمان بن داود عليهما السلام بالناس يستسقي، فمرَّ على نملةٍ

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٨٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٣٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٣٨١).

(٢) رواه الدارقطني في «السنن» (٢/ ٦٦)، والحاكم في «المستدرك» (١٢١٥).

مُستلقية على قفاها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول: اللهم! إنا خلقٌ من خلقك ليس بنا غنى عن رزقك، فإما أن تسقينا وإما أن تُهلكنا، فقال سليمان للناس: ارجعوا فقد سُقيتم بدعوة غيركم.

وفي رواية: ارجعوا فقد كُفيتم بغيركم(١).

وعن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب رحمه الله قال: خرج داود يستسقي، فبينما هو في مسيره ـ أو قال: على سريره ـ إذا هو بنملة رافعة يديها تقول: اللهم! إنا خلقٌ من خلقك، لا غنى بنا عن رزقك، فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم، فقال داود: ارجعوا فقد سُقيتم.

قلت: المشهور أن المستسقي سليمان، ويحتمل أنهما واقعتان متفقتان؛ إحداهما له، والأخرى لأبيه.

وروى عبد الرزاق عن شهر بن حوشب رحمه الله: أنَّ عيسى بن مريم عليهما السلام خرج يستسقي فخرج بالناس ثم قال: من كان منكم أذنب ذنباً فليرجع، فجعل الناس يرجعون حتى لم يبقَ منهم معه إلا رجل أعور، فقال له عيسى: ما أذنبت قط، قال: نظرت بعيني هذه مرة واحدة إلى ما لا يحل لي ففقأتها، فقال له عيسى: فأنت، ثم قال له عيسى: ادعُ وأنا أُؤمن، فدعا وأمن عيسى، فسقاهم الله تعالى(٢).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٨٧).

(٢) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ٥) وفيه رجل مبهم.

١٢٣ ـ ومنها: الاستسقاء بالصالحين كما تقدم قريباً عن عيسى عليه السلام.

وذكر حجة الإسلام في «الإحياء»: أنَّ بني إسرائيل قحطوا سبع سنين، فخرج موسى عليه السلام ليستسقي لهم في سبعين ألفاً، فأوحى الله إليه: كيف أستجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم، سرائرهم خبيثة، يدعونني على غير يقين ويأمَنون مكري، ارجع إلى عبدٍ من عبادي يُقال له: برخ، فقل له يخرج حتى أستجيب له، فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف، فبينا موسى ذات يوم يمشي في طريق إذا بعبدٍ أسود قد استعلاه بين عينيه تراب من أثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه، فعرفه موسى بنور الله تعالى فسلَّم عليه وقال: ما اسمك؟

فقال: اسمي برخ.

قال: فأنت طلبنا منذ حين، اخرج فاستسقِ لنا.

فخرج فقال في كلامه: ما هذا من فعالك، ولا هذا من حلمك، وما الذي بدا لك أَنَقُصَتْ عليك غيوثك؟ أم عاندت الرياح عن طاعتك؟ أم نفد ما عندك؟ اشتد غضبك على المذنبين؟ ألست كنت غفاراً قبل خلقك الخطائين؟ خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم ترينا أنك تمتنع؟ أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة؟ قال: فما برح حتى اخضلت بنو إسرائيل بالقطر[١].

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٣٤١).

وذكر في «الإحياء» أيضاً: عن يحيى الغساني قال: أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام، فاختاروا ثلاثة من علمائهم، فخرجوا يستسقون لهم فقال أحدهم: اللهم! أنزلتَ في توراتك أنْ نعفو عن من ظلمنا، اللهم! إنا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا.

وقال الثاني: [اللهم! إنك أنزلت في توراتك أن نعتق أرقاءنا، اللهم! إنا أرقاؤك فأعتقنا.

وقال الثالث][1]: اللهم! إنك أنزلت في توراتك ألا تردوا المساكين إذا وقفوا بأبوابكم، اللهم! إنا مساكينك وقفنا ببابك فلا تردَّ دعائنا.

قال: فسقوا[2].

وفي «صحيح البخاري»: أن عمر استسقى بالعباس رضي الله عنهما[3].

وروى الإمام أحمد: أن معاوية استسقى بأبي مسلم الخولاني رضي الله عنهما[4].

وروى أبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» بإسناد صحيح، واللالكائي في «كرامات الأولياء»: أنَّ معاوية استسقى بيزيد بن الأسود رحمه الله تعالى[5].

---

(١) زيادة من «إحياء علوم الدين».

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (١/ ٣٠٨).

(٣) رواه البخاري (٩٦٤) عن أنس رضي الله عنه.

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٣٩٢).

(٥) قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ١٠١): رواه أبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» بسند صحيح.

١٢٤ ـ ومن أخلاق الأنبياء عليهم السلام: ترك التداوي ثقةً بالله تعالى، واعتماداً عليه، وفعل التداوي تنفيذاً لحكم الله تعالى، وإظهاراً لما استودعه في الأدوية من المنافع من غير اعتماد عليها ولا على من يشير بها من طبيب ونحوه.

فالأول: حال أيوب عليه السلام؛ مَكَث في البلاء سبع سنوات والدواب ترعى في جسده، ولم يُرو عنه أنه تداوى.

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة أيوب عليهما السلام قالت له ذات يوم: يا أيوب! قد والله نزل بي من الجهد والفاقة ما بعت قرناً من قروني برغيف فأطعمتك، فادعُ ربك عز وجل فليشفك.

قال: ويحَكِ! كنا في النعماء سبعين عاماً فاصبري حتى نكون في الضراء سبعين عاماً.

قال: وكان في البلاء سبع سنين[1].

قال: وقعد الشيطان في الطريق فأخذ تابوتاً يتطيب، فأتته امرأة أيوب فقالت له: يا عبدالله! إنَّ هاهنا إنساناً مُبتلى، فهل لك أن تداويه؟

قال: إن شاء فعلت على أن يقول لي كلمة واحدة إذا بَرَأَ؛ يقول: أنت شفيتني.

قال: فأتته فقالت: يا أيوب! إنَّ هاهنا رجلاً يزعم أنه يداويك

---

(١) ورواه الحاكم في «المستدرك» (٤١١٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٩٤).

على أن تقول كلمة واحدة: أنت شفيتني.

قال: ويلك! ذاك الشيطان، لله عليَّ إن شفاني الله عز وجل أن أجلدك مئة جلدة، فبينما هم كذلك إذ جاء جبريل عليه السلام فأخذ بيده فقال: قم.

قال: فقال له: اركض برجلك، فركض، فنبعت عين، فقال: اشرب، فشرب.

قال: يقول الله: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[ص: ٤٢]؛ أي: فشفاه الله تعالى.

والخبر فيه طول[1].

والثاني: حال يعقوب عليه السلام وآخرين من الأنبياء.

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[آل عمران: ٩٣].

روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ اليهود قالوا للنبي ﷺ: فأخبرنا عمَّا حرَّم إسرائيل على نفسه؟ قال: «سَكَنَ الْبَدْوَ فَاشْتَكَى عِرْقَ النِّسا، فَلَمْ يَجِدْ شَيْئاً يُداوِيهِ إلاَّ لُحُوْمَ الإِبِلِ وَأَلْبَانَها، فَلِذَلِكَ حَرَّمَها»، قالوا: صدقت[2].

---

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣٢٤٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠/ ٦٧).

(٢) رواه الترمذي (٣١١٧) وحسنه.

وروى غيره عن ابن عباس قال: لما أصاب يعقوب عليه السلام عرق النسا وصف له الأطباء أن يجتنب لحوم الإبل، فحرَّمها على نفسه، فقالت اليهود: إنما حرَّمنا على أنفسنا لحوم الإبل أنَّ يعقوب حرَّمها، وأنزل الله تحريمها في التوراة، فأنزل الله هذه الآية[1].

وروى البزار، والطبراني، وابن السني، وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ «أَنَّ نَبِـيَّ اللهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ كَانَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي رَأَىْ شَجَرَةً نَابِـتَة بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَقُوْلُ لَهَا: مَا اسْمُكِ؟ فَتَقُوْلُ: كَذَا، فَيَقُوْلُ: لأَيِّ شَيءٍ أَنْتِ؟ فَتَقُوْلُ: لِكَذَا، فَإِنْ كَانَتَ لِدَوَاءٍ كتبت، وَإِنْ كَانَتْ لِغِرَاسٍ غرست»[2].

وروى الطبراني من حديثه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَمْسٌ مِنْ سُنَنِ المُرْسَلِيْنَ: الحَيَاءُ، وَالحِلْمُ، وَالحِجَامَةُ، وَالتَّعَطُّرُ، وَالنِّكَاحُ»[3].

وتقدَّم في الباب حديثا أبي أيوب وحصين الخطمي.

وذكر أبو طالب المكي عن بعض العلماء: أن موسى عليه السلام اعتل علة، فدخل عليه بنو إسرائيل فعزموا عليه فقالوا: لو تداويت بكذا لبرئت، فقال: لا أتداوى حتى يُعافيني من غير دواء، فطالت عليه

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٢٧)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٤٢٣).

(٢) رواه البزار في «المسند» (١١/ ٢٧١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٨١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٠٤).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٤٥).

فقالوا له: إنَّ دواء هذه العلة معروفٌ مجرَّب، وإنَّا نتداوى به فنبرأ، فقال: لا أتداوى، فدامَتْ عليه، فأوحى الله إليه: وعزتي لا أبرأتك حتى تتداوى بما ذكروه، فقال لهم: داووني بما ذكرتم، فداووه فبرأ، فأوجس في نفسه من ذلك، فأوحى الله إليه: أردت أن تبطل حكمتي بتوكلك علي؟ من أودع العقاقير منافع الأشياء غيري.

قال أبو طالب: وروينا في بعض الأخبار: شكى نبي من الأنبياء إلى الله علَّة يجدها، فأوحى الله إليه: كُلِ اللحم باللبن.

قال: وفي خبر آخر: أنَّ نبياً شكا إليه الضعف، فأوحى الله إليه: كُل اللحم باللبن؛ ففيهما القوة.

أحسبه الضعف عن الجماع[1].

قال: وذكر وهب بن منبه: أنَّ ملكاً من الملوك اعتل علَّة وكان حسن السيرة في رعيته، فأوحى الله إلى شعياء النبي ﷺ: قل له: اشرب ماء اللبن؛ فإنه شفاء من علتك.

قال: وقد روينا أعجب من ذلك: أنَّ قوماً شكوا إلى نبي قبح أولادهم، فأوحى الله إليه: مُرْهم أن يُطعموا النساء الحُبالى السَّفرجل؛ فإنه يحسن الولد[2].

ونقل ذلك حجة الإسلام الغزالي في «الإحياء»، وقال: يُروى

---

(١) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٣٤).

(٢) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٣٥)، وعنده «ماء التين» بدل «ماء اللبن».

عن موسى عليه السلام أنه قال: يا رب! ممن الدواء والشفاء؟

فقال تعالى: مِنِّي.

قال: فما يصنع الأطباء؟

قال: يأكلون أرزاقهم، ويُطيبون نفوس عبادي حتى يأتي شفائي أو قبضي[1].

وإلى هذا المعنى أشار النبي ﷺ فيما رواه أبو داود، وابن السني، وأبو نعيم عن أبي رِمْثَةَ قال: انطلقت مع أبي إلى رسول الله ﷺ فقال له أبي: أرني الذي بظهرك؛ فإني رجلٌ طبيب، قال: «اللهُ الطَّبِيْبُ، بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ رَفِيْقٌ»[2].

*** تَنْبِيْهٌ:**

قال قوم: إنَّ شيث عليه السلام أظهر الطب، وإنه ورثه من أبيه آدم عليه السلام.

وقال أبقراط وغيره: إنه إلهام من الله تعالى.

وقيل: إنه حصل من التجارب.

وقيل: بالقياس.

وقيل: إنه مأخوذ عن سليمان عليه السلام، واستدلَّ له بحديث ابن عباس المتقدم، ولذلك أرشد العلماء إلى تعلم الطب لأنه من السنة.

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٢٨٥).

(٢) رواه أبو داود (٤٢٠٧)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢/ ١٠٨٣).

وقال الشافعي رحمه الله: العلم علمان: علم الأديان، وعلم الأبدان[1].

وقال ﷺ: لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطب[2].

وكان ﷺ من أبصر الناس بالطب.

١٢٥ ـ ومن أخلاق الأنبياء عليهم السلام: ترك التضجر والتأوه في المرض.

ولا بأس بالأنين والشكاية إلى الله تعالى لا إلى العُوَّادِ كما قال الله تعالى حكاية عن أيوب عليه السلام: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۝٤١ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[ص: ٤١ ـ ٤٢]؛ شكى إلى الله فشكاه وأزال بلواه.

وقال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن نَوف البِكالي رحمه الله قال: مر نفر من بني إسرائيل بأيوب عليه السلام فقالوا: ما أصابه ما أصابه إلا بذنبٍ عظيم أصابه.

قال: فسمعها أيوب فعند ذلك قال: ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٣]، قال: وكان قبل ذلك لا يدعو[3].

---

(١) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٣٣٥).

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٤٣).

وروى ابنه في «زوائده» عن طلحة قال: قال إبليس: ما أصبت من أيوب عليه السلام شيئاً قط كنت أفرح به إلا أني كنت إذا سمعت أنينه عرفت أني قد أوجعته[1].

١٢٦ ـ ومنها: قصر الأمل، وتوقع الموت خصوصاً للمريض.

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن خيثمة رحمه الله قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام: جربنا العيش؛ لينه وشديده، فوجدناه يكفي منه أدناه[2].

وعن خالد بن معدان رحمه الله: أن النبي ﷺ رأى أبا الدرداء ومعاذاً وهما يمسحان المسجد بقصبة، فقال النبي ﷺ: «خَشَبَاتٌ وَشَيْءٌ مِن ثُمَام، وظُلَّةٌ كَظُلَّةِ مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلامُ»[3].

١٢٧ ـ ومنها: الوصية عند الموت للأولاد والأهل بالمحافظة على الدين.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٠ ـ ١٣٢].

---

(١) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ٩٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٣٩).

(٣) ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (٥١٣٥). وعنده: «أبي بن كعب» بدل «معاذ».

رُوِيَ أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألست تعلم أنَّ يعقوب عليه السلام أوصى بنيه باليهودية يوم مات، فأنزل تعالى في الرد عليهم: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾[البقرة: ١٣٣] الآية[١].

قال عطاء رحمه الله: إنَّ الله تعالى لم يقبض نبياً حتى خيره بين الموت والحياة، فلمَّا خيَّر يعقوب قال: أَنْظرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم، ففعل الله ذلك به، فجمع ولده وولد ولده، وقال لهم: قد حضر أجلٌ فما تعبدون من بعدي؟

قالوا: نعبدُ إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون[٢].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن أبي عمران الجَوني رحمه الله تعالى قال: إنَّ موسى بن عمران عليه السلام لمَّا نزل به الموت جزع، ثم قال: أما إني لست أجزع من الموت ولكن أجزع أن ييس لساني عن ذكر الله ﷻ عند الموت.

قال: وكان لموسى ثلاث بنات فقال: يا بناتي! إنَّ بني إسرائيل سيعرضون عليكم الدنيا فلا تقبَلْنَها، والقُطْنَ هذا السنبل فافركْنَهُ وكُلْنَهُ وتَبَلَّغْنَ به إلى الجنة[٣].

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (١/ ٤٠٥).

(٢) انظر: «تفسير الثعالبي» (١/ ٢٨١).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣١٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١٧٥).

وروى الدارقطني عن أنس بن مالك ﷺ قال: كانوا يكتبون في صدور وصاياهم: هذا ما أوصى به فلان ابن فلان أنه شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعثُ من في القبور، وأوصى من ترك بعده من أهله أن يتقوا الله حقَّ تقاته، وأن يُصلحوا ذات بينهم، ويطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وأوصاهم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٢][(١)].

١٢٨ ـ ومنها: الحذر من الموت على غرَّة، والدعاء بتهوين سكرات الموت.

روى أبو نعيم عن وهيب رحمه الله قال: مرَّت بنوح عليه السلام خمس مئة سنة لم يقرب النساء حذراً من الموت[(٢)].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن علي بن الحسن الصنعاني قال: بلغنا أنَّ عيسى بن مريم عليهما السلام قال: يا معشر الحواريين! ادعوا الله يُخفِّفْ عني هذه السكرة؛ يعني: الموت.

ثم قال عيسى: لقد خفتُ الموت خوفاً أوقفني مخافتي من الموت على الموت[(٣)].

---

(١) رواه الدارقطني في «السنن» (٤/ ١٥٤).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٩).

(٣) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٤٦٩).

١٢٩ ـ ومنها: إخراج ما عسى أن يكون عندهم من أمتعة الدنيا قبل الموت، وخصوصاً عند الموت.

روى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن أبي عمران الجوني رحمه الله تعالى قال: كان نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام يُطعم المجذومين والأيتام النقي، ويأكل الشعير، ولم يَدَع سليمان بن داود يوم مات ديناراً ولا درهماً[١].

١٣٠ ـ ومنها: تفريغ القلب لمُلاقاة الله من كل ما سواه من زوجة وولد ومال وسائر أمور الدنيا.

روى ابن أبي الدنيا عن أبي بن كعب ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَبَاكُمْ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ طوالاً مِثْلَ النَّخْلَةِ السَّحُوْقِ سِتُّون ذِراعاً، وَكَانَ طَوِيْلَ الشَعْرِ مُوَارِي العَوْرَةِ، فَلمَّا أَصَابَ الخَطِيئَةَ بَدَتْ لَهُ سَوْءَتُهُ فَخَرَجَ هَارِباً فِيْ الجَنَّةِ، فَلَقِيَتْهُ شَجَرَةٌ فَأَخَذَتْ بِنَاصِيَتِهِ، فَأَوْحَى اللهُ ﷻ إِلَيْهِ: يَا آدَمُ! أَفِرَاراً مِنِّي؟

قَالَ: لا يَا رَبِّ، وَلَكِنْ حَيَاءً مِمَّا جَنَيْتُ بِهِ.

قَالَ: فَأَهْبَطَهُ اللهُ ﷻ إِلَىْ الأَرْضِ، فَلَمَّا حَضَرَتْ وَفَاتُهُ بَعَثَ اللهُ ﷻ بِكَفَنِهِ وَحَنُوْطِهِ مِنَ الجَنَّةِ، فَلَمَّا رَأَتْ حَوَّاءُ المَلائِكَةَ ذَهَبَتْ لِتَدْخُلَ دُوْنَهُمْ، فَقَالَ: خَلِّي بَيْنِي وَبَيْنَ رُسُلِ رَبِّي ﷻ؛ فَمَا لَقَيْتُ مَا لَقَيْتُ إِلاَّ مِنْ قِبَلِكِ، وَمَا أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي إِلاَّ فِيْكِ.

---

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣١٣).

قَالَ: فَغَسَّلَتْهُ المِلائِكَة بِالمَاءِ وَالسِّدْرِ وِتْراً، وَكَفَّنُوْهُ فِيْ وِتْرٍ مِنَ الثِّيَابِ وَأَلْحَدُوْا لَهُ وَدَفَنُوْهُ وَقَالُوْا: هَذَهِ سُنَّةُ وَلَدِ آدَمَ مِنْ بَعْدِهِ»[1].

وقوله هذا يجوز أن يكون إشارة إلى ما فعلوه به من التغسيل والتكفين والدفن، فيكون ذلك مشروعاً في سائر الملل منذ عهد آدم عليه السلام.

ويجوز أن يكون إشارة إلى الموت؛ والمعنى: كما أن الموت نزل بآدم عليه السلام، فهو سنة باقية في أولاده لابدَّ من استقصائهم بالموت، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[الأنبياء: ٣٥].

وما أحسن قول كعب بن زهير رضي الله عنه: [من البسيط]

كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طالَتْ سَلامَتُهُ
يَوْماً عَلَى آلَةٍ حَدْباءَ مَحْمُولُ[2]

وروى الدينوري في «المجالسة» عن أبي عمرو بن العلاء قال: أول شعر قيل في ذم الدنيا قول يزيد بن حذَّاق بن عبد القيس: [من البسيط]

هَلْ لِلْفَتى مِنْ مَساةِ الدَّهْرِ مِنْ راقِ
أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حِمامِ الْمَوْتِ مِنْ واقِ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٣٠١).

(٢) انظر: «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي (ص: ٢٣٨).

قَــدْ رَجَّلُــونِي وَمـــا بِالــشَّعْرِ مِــنْ شَــعَثٍ

وَأَلْبَـــــسُونِي ثِيابـــــاً غَيْـــــرَ أَخْـــــلاقِ

فَطَيَّبُـــــونِي وَقـــــالُوا أَيُّمـــــا رَجُـــــلٍ

وَأَدْرَجُـــــونِي كَـــــأَنِّي طَـــــيُّ مِخْـــــراقِ

وَأَرْسَـــلُوا فِتْيَـــةً مِـــنْ خَيْـــرِهِمْ حَـــسَباً

وَأَسْــنَدُوا فِــيْ ضَــرِيْحِ التُّــرْبِ أَطْبــاقِي

وَقَــسَّمُوا الْمـــالَ وَارْفَــضَّتْ عَوائِــدُهُمْ

وَقـــالَ قـــائِلُهُمْ مـــاتَ ابْـــنُ حـــذَّاقِ

هَـــوِّنْ عَلَيْـــكَ وَلا تُوْلَـــعْ بِإِشْـــفاقٍ

فإِنَّمـــا مالَنـــا لِلْـــوارِثِ الْبـــاقِي[1]

* **فائِدَةٌ:**

روى الدينوري عن معاذ بن رفاعة رحمه الله قال: مرَّ يحيى بن زكريا عليهما السلام بقبر دانيال النبي عليه السلام، فسمع صوتاً من القبر يقول: سبحان من تعزز بالقدرة، وقهر العباد بالموت، [فإذا هو بصوت من السماء: أنا الذي تعززت بالقدرة، وقهرت العباد بالموت،][2] مَنْ قالهنَّ استغفرت له السماوات السبع والأرضون، ومن فيهن[3].

(١) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري (ص: ١٠٠).

(٢) ما بين معكوفتين من «المجالسة وجواهر العلم».

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٨٥).

هذه نبذة صالحة من أخلاق الأنبياء عليهم السلام، ولم أستوفِ جميع ما ورد في كل مقام، فينبغي لكل مؤمن أن لا يرغب عن الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم إلا فيما نسخ من الشرائع بشريعة نبينا الخاتم الشافع ﷺ وشرفه الله تعالى ومجد وعظم.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾[البقرة: ١٣٠].

وهذه الآية كافية في الزجر والرَّدع عما يقع عن بعض الجهلاء ويتفق من بعض الأغبياء من قولهم: ما يوصلنا إلى مقام الأنبياء، أو إلى مقام الصحابة النبلاء، أو إلى مقام الأولياء الكملاء؟ إذا قيل لهم: افعلوا كذا فقد كان فلان النبي أو الصحابي أو الولي يعمل به، وربما نسب الكثير من أهل عصرنا من يأمر باتباع السلف في الاجتهاد والطاعة والورع والتقشف والقناعة إلى الجنون والرقاعة، وعللوا ذلك بتأخر الزمان واقتراب الساعة.

وهذا مكرٌ من الله تعالى وخذلان، وموافقة منهم لأهواء الشيطان، وطالما قيل لي: إذا دققت في الإرشاد وحمل الناس على السداد لقد حاولت محالاً، وادعيت تقريب ما هو أبعد من الثُّريا منالاً، وأنا أحتج بأدلةٍ سواطع وحجج قواطع.

- منها: إنَّ اليأس من رَوح الله باعتبار تأخر الزمان من جملة أخلاق أهل الغبن والخسران.

- ومنها: أحاديث صحت أسانيدها، وكثر على ألسنة العلماء

ترديدها؛ كحديث المغيرة ﷺ في «الصحيحين»: أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِيْنَ عَلَىْ الحقِّ حتى يَأَتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُون»[1].

وروى الحاكم وصححه، عن عمر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِيْنَ عَلَىْ الحقِّ حَتىْ تَقُوْمَ السَّاعَة»[2].

وروى الإمام أحمد عن عمار، وهو والترمذي وصححه، عن أنس، وأبو يعلى عن علي، والطبراني في «الكبير» عن عبدالله بن عمرو ﷺ قالوا: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ المَطَرِ؛ لاَ يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ»[3].

إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار.

* **وهنا تَنْبِيْهاتٌ:**

الأول: قال الله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾[النجم: ٣٧].

قيل: وفَّى بذبح ولده.

وقيل: وفَّى بالبلاغ.

وقيل: بالطاعة.

وقيل: بصلاة الضحى[4].

---

(١) رواه البخاري (٦٨٨١)، ومسلم (١٩٢١).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٣٨٩).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٦٦٠).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: سهام الإسلام ثلاثون سهماً لم يتمها أحد قبل إبراهيم؛ قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾[النجم: ٣٧]. صححه الحاكم[١].

وجاء بيان السهام المذكورة في رواية ابن مردويه: عشرة في براءة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[التوبة: ١١١] الآيات كلها.

وعشرة في الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾[الأحزاب: ٣٥] الآيات كلها.

وستة في: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[المؤمنون: ١] من أولها الآيات كلها.

وأربع في: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾[المعارج: ١]، ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾[المعارج: ٢٦ ـ ٢٧] الآيات كلها.

فتلك ثلاثون سهماً؛ من وافى الله بسهم منها فقد وافاه بسهمٍ من سهام الإسلام، ولم يُوافه أحد بسهام الإسلام كلها قبل إبراهيم[٢]، وقد قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾[الممتحنة: ٤]، ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[الممتحنة: ٦].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٧٥٣).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٦٦١).

قلت: ومن استتم هذه الأخلاق الخليلية والملل الإبراهيمية فهو من الأقطاب، فقد قيل: إن قلب القطب على قلب إبراهيم؛ أي: من حيث جمعُه لمحامد الخصال.

التَّنْبِيْهُ الثَّانِيْ: روى الإمام أحمد، والشيخان عن أبي سعيد الخدري ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَونَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أَوْ المَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ».

قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء عليهم السلام لا يبلغها غيرهم؟

قال: «بَلَى وَالَّذِيْ نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِيْنَ»[1]؛ أي: رجال غير أنبياء.

وفيه إشارة إلى أنَّ من أولياء الله تعالى من يُرفع إلى منازل الأنبياء عليهم السلام لأنهم لما قالوا: تلك منازل الأنبياء، لم ينكر عليهم أنها منازلهم، ولكنه بيَّن أنه قد ينالها غير الأنبياء ممن آمن بالله وصدَّق المرسلين، ولا يلزم من ذلك المساواة بين الأنبياء وبين غيرهم، بل المنازل التي نالها الأنبياء بالإيمان والتصديق وحُسن الخُلق ونحو ذلك يشاركهم فيها من تخلق بها ممن سواهم، وإنما يختص الأنبياء بما

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٦)، والبخاري (٣٠٨٣)، ومسلم (٢٨٣١).

يُعطونه من الثواب زائداً على ذلك في مقابلة النبوة وتلقي الوحي، وقد تبين أنَّ من تشبه بالأنبياء في مقام من مقاماتهم شاركهم في ثواب ذلك المقام؛ فافهم!

التَّنْبِيْهُ الثَّالِثُ: ينبغي ويتأكد في حق من وفَّقه الله تعالى إلى أعمال الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين أن يحذر من العجب والغرور، ولا يزكي نفسه، ويتهمها، ويلازم الخوف والخشية؛ فإن قليلاً من ذلك يُفسد كثيراً من عمل الخير.

روى الإمام عبدالله بن المبارك في «الزهد» عن كعب رحمه الله تعالى قال: لو أنَّ رجلاً كان له مثل عمل سبعين نبياً لخشي أن لا ينجو من شر يوم القيامة(١).

التَّنْبِيْهُ الرَّابِعُ: قال أبو الحسن بن جهضم في «بهجة الأسرار»: سمعت أبا الحسن أحمد بن محمد يقول: قال أبو محمد سهل ـ يعني: ابن عبدالله التستري ـ: أصولنا سبعة وفروعنا خمسة، فمن تمسك بذلك كان الله دليله، والأنبياء أئمته، والملائكة أعوانه، والصديقون شركاءه، والمؤمنون إخوانه في أي حال تقلب فيه، ومن لم يكن فيه هذه السبعة أصله وهذه الخمسة فرعه فإنَّ إبليس وليه، والشياطين أئمته، والسحرة أعوانه، والكفار شركاؤه، والمنافقين إخوانه.

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٥١).

فالأصول السَّبعة أولها: التمسك بكتاب الله.

والاقتداء بالنبي ﷺ.

وأكل الحلال.

وكف الأذى عن الخلق.

وأداء الحقوق.

واجتناب الآثام.

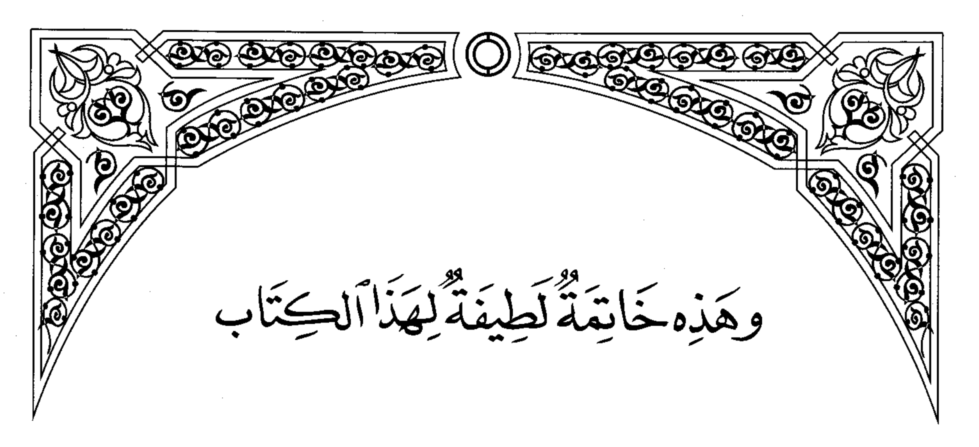
والسابع: التوبة من التقصير في هذه الستة.

وأما الخمسة فهي التي بُني الإسلام عليها.

ثم قال سهل: توزن حسنات العباد يوم القيامة إذا لم يكن معهم شيء من هذه: الشك والبدعة والمظالم والكبائر والرياء[1].

* * *

(١) وانظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (ص: ١٧٠).



وهذه خاتمة لطيفة لهذا الكتاب

من الجاري على ألسنة الناس ما ذكره بعضهم حديثاً عن النبي ﷺ أنه قال: «عُلَمَاءُ أُمَّتِيْ كَأَنْبِيَاءِ بَنِيْ إِسْرَائِيلَ»(١).

وممن نقله جازماً به أنه حديث مرفوع إلى النبي ﷺ الإمام فخر الدين الرازي، والشيخ موفق الدين بن قدامة، والإسنوي، والبارزي، واليافعي.

وأشار إلى الأخذ بمعناه الإمام سعد الدين التفتازاني، والشيخ فتح الدين الشهيد، والشيخ العارف بالله سيدي أبو بكر الموصلي، والحافظ المسند الشيخ جلال الدين السيوطي في «الخصائص الكبرى».

وقال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله الإسكندري في «لطائف المنن» بعد أن أورد الحديث جازماً به: أي: إن علماء أمتي يأتون مقررين ومؤكدين وآمرين بما جئت به، لا أنهم يأتون بشرع جديد؛ فأشار بذلك إلى وجه التشبيه بين علماء هذه الأمة وأنبياء بني إسرائيل.

قلت: ومن وجه التشبيه أيضاً: أنَّ هذه الأمة شهداء على الناس،

---

(١) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٤٥٩): قال شيخنا ـ يعني ابن حجر ـ ومن قبله الدميري والزركشي: إنه لا أصل له، زاد بعضهم: ولا يعرف في كتاب معتبر.

كما أنَّ الأنبياء شهداء على قومهم، وأنَّ الله تعالى لم يجعل على هذه الأمة في الدين من حرج، وأنَّ دعوتهم مستجابة كدعوة الأنبياء عليهم السلام.

وقد قدمت حديثاً في ثبوت ذلك لعموم الأمة، وإنما يكون ذلك لخواصهم، وعامتهم فيه تَبَع.

وللشبه وجوهٌ أُخر ستعرف بعضاً كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ولا يلزم من كون علماء هذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل أن يكونوا مثلهم في كل وصف هو لهم.

وكذلك لا يلزم منه أن يكونوا أفضل من الأنبياء كما فهمه الشيخ برهان الدين الناجي رحمه الله فألجأه ذلك إلى تأليف جزء ردَّ فيه على من قال: إنَّه حديث، وأشار إلى تخطئة من ذكرناهم آنفاً محتجاً بأنه لم يُوجد في كتب الحديث المعتبرة، وبأنه يلزم منه تسوية علماء الأمة بالأنبياء، وقد وقع الإجماع من أهل السنة على أنَّ الأولياء لا يبلغون درجة الأنبياء.

وقد علمت أنه لا يلزم من اللفظ التسوية المذكورة، وقد أطبق البلغاء والعقلاء على أن المشبه لا يفضل المشبه به في وجه التشبيه المشترك بينهما، فإذا قلت: زيد كالأسد، لا يلزم منه تفضيل زيد في الشجاعة على الأسد، بل مفهومه أنَّ الأسد أبلغ منه في الشجاعة.

فقوله ﷺ - إنْ صحَّ عنه -: «عُلماءُ أُمَّتِي كَأَنْبِياءِ بَنِي إِسْرائِيْلَ»؛ أي: في تقرير الشرائع وفهم الأحكام، لا في النبوة؛ لأن ذلك غير لازم.

ثم إنَّ الأنبياء فيما ذُكر أتم حالاً وأبلغ أمراً من علماء هذه الأمة، كما يفهم من صيغة التشبيه، فهذا اللفظ معناه صحيح.

وأما من حيث النقلُ فإنَّ العلماء الذين نقلوه حديثاً ثقات،

فالأولى حمل أمرهم على أنهم ظَفِروا به مسنداً، ولم نظفر نحن به[1].
على أن لهذا الحديث شواهد سنوردها قريباً ـ إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١) ما قاله المصنف هنا ليس بحسن؛ إذ لو اعتمدنا ما أقره المصنف أن نصحح الحديث بناء على ثقة من ذكره في كتابه، لضاعت جهود علماء الحديث سدى طوال قرون طويلة في بحثهم عن الرجال وتقصي أحوالهم، ولما كان لعلم الجرح والتعديل كبير فضل، ولضاعت خصيصة هذه الأمة في الإسناد، وكما قال ابن المبارك: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء». «مقدمة صحيح مسلم» (ص: ١٥).
وقال الزهري عندما سمع أبا فروة ـ يحدث بأحاديث دون إسنادها ـ: قاتلك الله يا ابن أبي فروة! ما أجرأك على الله! لا تسند حديثك! تحدثنا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة. كما في «معرفة علوم الحديث» للحاكم (ص: ٦)
وقال شعبة بن الحجاج: كل حديث ليس فيه: حدثنا وأخبرنا، فهو خل وبقل. كما في «الكامل» لابن عدي (١/ ٣٤).
وأما قول المصنف: «إن العلماء الذين نقلوه حديثاً ثقات» فنحن لا نشك في ثقتهم ولكن عمن رووه!؟
قال عبدالله بن عون: ذكر أيوب لمحمد حديث أبي قلابة، فقال: أبو قلابة إن شاء الله ثقة رجل صالح، ولكن عمن ذكره أبو قلابة؟! . كما في «الكامل» لابن عدي (١/ ١٤٧).
وقال أبو إسحاق الطالقاني: سألت ابن المبارك قلت: الحديث الذي يروى «من صلى على أبويه» فقال: من رواه؟ قلت: شهاب بن خراش. فقال: ثقة، عمن؟ قلت: عن الحجاج بن دينار، فقال: ثقة، عمن؟ قلت: عن النبي ﷺ. فقال: إن ما بين الحجاج بن دينار وبين النبي ﷺ مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل. كما في «مقدمة صحيح مسلم» (ص: ١٦).
قلت: هذا بين الحجاج بن دينار وبين النبي ﷺ! فكيف بمن ذكرهم المصنف وبين النبي ﷺ؟! .

وإذا تقرر لك أن المشَّبه به أفضل من المشبه في العادة، فأي مانع من تشبيه المفضول بالفاضل لتشبه بعض الصحابة ببعض الأنبياء في السمت.

وقد روى أبو يعلى عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سرَّه أَنْ يَنْظُرَ إِلَى تَواضُعِ عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَبِـي ذَرٍّ»[1].

وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي ذر ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْمَسِيْحِ عِيْسَى بْنِ مَرْيَمَ؛ إِلَى بِرِّهِ وَصِدْقِهِ وَجِدِّهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَبِـي ذَرٍّ»[2].

وروى الإمام أحمد، والترمذي، والحاكم وصححاه، عن عقبة ابن عامر ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَوْ كانَ بَعْدِيْ نَبِـيٌّ لَكانَ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ»[3].

وروى ابن عساكر عن مسلم بن يسار رحمه الله مرسلاً، قال: نظر رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان ﷺ فقال: «شَبِـيهُ إِبْراهِيمَ، وإنَّ الملائكةَ لَتَسْتَحْيي مِنْهُ»[4].

وروى الطبراني بأسانيد رجال بعضها رجال الصحيح، وصححه الحاكم وغيره، عن مسروق قال: قال عبدالله ـ يعني: ابن مسعود ﷺ ـ:

---

(١) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٢٦٧).

(٢) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٣٠): رواه الطبراني عن أبي الدرداء ﷺ.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٥٤)، والترمذي (٣٦٨٦) وحسنه، والحاكم في «المستدرك» (٤٤٩٥).

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٩٦).

إن معاذاً كان أمة قانتاً لله حنيفاً، ولم يكُ من المشركين، فقال فروة ـ رجل من أشجع ـ: نسي أن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً، فقال: ومن نسي؟ إنا كنا نشبه معاذاً رضي الله عنه بإبراهيم.

قال: وسُئِلَ ـ يعني: ابن مسعود ـ عن الأمة، قال: معلم الخير، وسئل عن القانت فقال: مطيع الله ورسوله[1].

وروى ابن المبارك عن معقل بن يسار رضي الله عنه: أن الناس كانوا يقولون عن عامر بن عبد قيس رحمه الله: إنه مثل إبراهيم عليه السلام[2].

وروى الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما مِنْ نَبِيٍّ قَطُّ إلاَّ وَلَهُ نَظِيْرٌ فِيْ أُمَّتِي؛ أَبُو بَكْرٍ نَظِيْرُ إِبْراهِيْمَ، وَعُمَرُ نَظِيْرُ مُوسَى، وَعُثْمانُ نَظِيْرُ هارُونَ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِـي طالِبٍ نَظِيْرِي، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عِيْسَى بْنِ مَرْيَمَ فَلْيَنْظُرْ إِلى أَبِـي ذَرٍّ»[3].

وعن أبي الحمراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَرادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلى آدَمَ فِيْ وَقارِهِ، وَإِلى مُوْسَى فِيْ شِدَّةِ بَطْشِهِ، وَإِلَى عِيْسَى فِيْ زُهْدِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذا الْمُقْبِـلِ»، فأقبل علي رضي الله عنه[4].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٩٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٥١٨٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٩): رواه الطبراني بأسانيد ورجال، بعضها رجال الصحيح.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٢٩٨).

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦١٢٤). وكذا رواه ابن الأعرابي في «معجمه» (٢/ ٦٦) وقال: أخاف أن يكون الغلابي كذبه.

(٤) قال الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (ص: ٣٦٧): رواه الحاكم عن أبي الحمراء مرفوعاً، قال ابن الجوزي: موضوع، وفي إسناده =

وروى ابن أبي شيبة عن الماجشون بن أبي سلمة رحمه الله قال: قال سعد بن معاذ ﷺ: ثلاث أنا فيما سواهنَّ ضعيف؛ ما سمعت رسول الله ﷺ يقول قولاً إلا علمت أنه حق من الله تبارك وتعالى، ولا صليت صلاةً قط فألهاني عنها غيرها حتى أنصرف عنها، ولا سمعت جنازة قط فحدثت نفسي بغيرها هي قائلة أو مقول لها.

قال: فحدثت بذلك الزهري قال: إن كان لمأموناً على ما قال، وما كنتُ أرى أنَّ أحداً من الناس يكون هكذا إلا نبي[1].

وفي «سنن أبي داود»: أن رسول الله ﷺ قال لعلي ﷺ: «أَنْتَ مِنِّيْ وَأَنا مِنْكَ».

وقال لجعفر ﷺ: «أَشْبَهْتَ خَلْقِيَ وَخُلُقِي».

وقال لزيد بن حارثة ﷺ: «أَنْتَ أَخُونا وَمَوْلانا»[2].

وروى أبو نعيم عن ابن وهب قال: سمعت مالك بن أنس ﷺ يقول: قال عيسى بن مريم عليهما السلام: تأتي أمة محمد علماء حكماء كأنَّهم من الفقه أنبياء.

قال مالك: أراهم صدور هذه الأمة[3].

= أبو عمر الأزدي متروك، قال في «اللآلىء»: له طريق أخرى عند الديلمي، ثم ذكرها، ورواه ابن شاهين عن أبي سعيد مرفوعاً.

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٧٩٦).

(٢) روى أبو داود (٢٢٧٨) أصل الحديث عن علي ﷺ دون لفظ المؤلف، وأما الحديث كما ذكره المؤلف فقد رواه البخاري (٤٠٠٥) عن البراء ﷺ.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٠).

قلت: إنما قال مالك هذا لأنَّ الصدر الأول مظنة هذه الأخــلاق ما كادوا يخرجون عنها، فأراد أن يرى رأياً يسلمه له كل أحد، وإلا فإنا نعد بعد الصدر الأول خلائق كانوا متخلقين بهذه الخلائق، وناهيك بالأئمة الأربعة وأقرانهم وأصحابهم، وبأبي الحسن الأشعري وأقرانه من أهل السنة، وبالإمام أبي إسحاق الشيرازي، وإمام الحرمين، والشيخ نصر المقدسي، والقشيري، والغزالي، والنووي، والطحاوي، والكرخي، والقاضي عياض، والشيخ أبي عمر بن قدامة، وأخيه الموفق، وأمثالهم مما لا يُعد كثرة.

وروى أبو نعيم عن سعيد بن هارون البرجمي رحمه الله قال: رأيت في المنام كأني في موضع علمتُ أنه ليس من الدنيا، فإذا أنا برجل لم أر قط أجمل منه، فقلت: مَنْ أنت يرحمك الله؟

قال: أنا يوسف بن يعقوب.

فقلت: قد كنت أحبُّ أن ألقى مثلك فأسأله.

قال: سَلْ.

فقلت: ما الرافضة؟

قال: يهود.

وقلت: والإباضية؟

قال: يهود.

قلت: فقوم عندنا نصحبهم.

قال: من هم؟

قلت: سفيان الثوري وأصحابه.

قال: أولئك يُبعثون على ما بعثنا الله عليه معاشرَ الأنبياء[1].

وروى أبو الحسن بن جهضم في «بهجة الأسرار» عن سهل التستري رحمه الله قال: من أراد أن ينظر إلى مجالس الأنبياء عليهم السلام فلينظر إلى مجالس العلماء، يجيء الرجل فيقول: يا فلان! إيش تقول في رجل حلف على امرأته في كذا وكذا؟ فيقول: طلقت امرأته، ويجيئه آخر فيقول: ما تقول في رجُل حلف على امرأته في كذا وكذا؟ فيقول: ليس يحنث بهذا القول، وليس هذا إلا لنبي أو لعالم، فاعرفوا لهم ذلك[2].

وروى ابن المبارك في «الزهد» عن محمود بن الربيع قال: كنا عند عبادة بن الصامت ﵁ فاشتكى، فأقبل الصُّنَابِحِيُّ، فقال عبادة: من سرَّه أن ينظر إلى رجل كأنما رقي به من فوق سبع سماوات فعمل ما عمل على ما رأى فلينظر إلى هذا، فلما انتهى الصنابحي إليه قال عباده: لئن سُئِلْتُ عنك لأشهدنَّ لك، ولئن شفعت لأشفعنَّ لك، ولئن استطعت لأنفعنك[3].

فتأمل في شهادة عبادة للصنابحي؛ واسمه عبد الرحمن بن عُسَيْلَةَ

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٨٥).

(٢) ورواه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٤٩).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٢٩٣). والشطر الأخير منه عند مسلم (٢٩).

من كبار التابعين وعبادهم، قدم بعد وفاة النبي ﷺ بخمس ليال، وكان عبد الملك يجلسه معه على السرير، شهد له عبادة بأن يقينه كيقين أولي العزم من المرسلين.

وروى أبو نعيم عن الأعمش قال: ما زال الحسن البصري يعي الحكمة حتى نطق بها.

قال: وكان إذا ذُكر عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسن قال: ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء[١].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن العوام بن حوشب رحمه الله تعالى قال: ما أشبه الحسن إلا بنبي أقام في قومه ثلاثين عاماً يدعوهم إلى الله ﷻ.

وأخرجه أبو أحمد العسكري، ولفظه: أقام في قومه ستين عاماً يدعوهم إلى الله ﷻ[٢].

وروى العسكري عن مجاهد رحمه الله قال: سمعت عائشة رضي الله عنها كلام الحسن، فقالت: من هذا الذي يُشبه كلامه كلام الأنبياء عليهم السلام[٣]؟

وروى أبو نعيم عن سفيان بن عُيينة قال: رأيتُ منصور بن المعتمر ـ يعني: في المنام ـ، فقلت: ما فعل الله بك؟

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٤٧).

(٢) وانظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٦/ ١٠٥).

(٣) وانظر: «ربيع الأبرار» للزمخشري (١/ ١٢٩).

قال: كدتُ أن ألقى الله بعمل نبي.

قال سفيان: إن منصوراً رحمه الله صام ستين سنة يقوم ليلها ويصوم نهارها[1].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد، ومن طريقه أبو نعيم عن أبي يحيى القتات رحمه الله قال: قدمت مع حبيب بن أبي ثابت الطائف وكأنما قدم عليهم نبي[2].

وقال اليافعي في «الإرشاد»: وقد بلغنا عن بعض الأولياء الأكابر والعلماء الجامعين بين الباطن والظاهر أنه قال: لو كان نبي بعد النبي ﷺ لكان الغزالي، وكان يجعل ثبوت معجزاته ببعض مصنفاته.

قلت: ولعل هذا لا يختص بالغزالي ﷺ، ولعل كل من خرقت له عادة من علماء هذه الأمة في تصنيف أو إملاء أو حفظ، فإن تلك الخارقة صالحة لأن تكون معجزة لو كان باب النبوة منفتحاً، وهو مسدود الآن لختمه بالنبي ﷺ بنص الكتاب والسنة.

وقال بعض فضلاء القاهرة في شيخ الإسلام والدي ﷺ وأقره عليه ولم يُنكره: [من البسيط]

مَـوْلًى هُـوَ النَّـاسِ وَالـدُّنْيا بِمـا رَحُبَـتْ
فَـضْلاً وَعِلْمـاً فَكَيْـفَ النَّـاسُ تَعْدِلُـهُ

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٤١).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٦٠).

لَــوْ يُرْسِــلُ اللهُ بَعْــدَ الْمُــصْطَفى أَحَــداً
لَكَــانَ فِــيْ أَهْــلِ هَــذا الْعَــصْرِ يُرْسِــلُهُ

وروى ابن السمعاني: أنَّ إمام الحرمين ناظر فيلسوفاً في مسألة خلق القرآن، فقذف بالحق على باطله ودمغه دمغاً، ودحض شبهته دحضاً، وأوضح كلامه في المسألة حتى اعترف الموافق والمخالف له بالغلبة، فقال الأستاذ أبو القاسم القشيري: لو ادعى إمام الحرمين النبوة لاستغنى بكلامه هذا عن إظهار المعجزة[1].

وما ذكره الإمام مالك عن عيسى عليه السلام رواه ابن عساكر وغيره بزيادة فيه عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه: أنَّ عيسى ابن مريم عليهما السلام قال: يا رب! أنبئني عن هذه الأمة المرحومة، فقال: أمة محمد ﷺ علماء حنفاء حكماء كأنهم أنبياء، يرضون مني بالقليل من العطاء، وأرضى منهم باليسير من العمل، وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله.

يا عيسى! هم أكثر سكان الجنة لأنه لم تذل ألسنة قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت ألسنتهم، ولم تذل رقاب قومٍ قط بالسجود كما ذلت رقابهم[2].

وروى أبو نعيم عن أبي سليمان الداراني رحمه الله قال: حدثني

---

(١) وانظر: «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار (١٦/ ٩٣).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٣٨٢).

شيخ بساحل الشام يقال له: علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي قال: حدثني أبي عن جدي سويد بن الحارث ﷺ قال: وفدتُ على رسول الله ﷺ سابع سبعة من قومي، فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه ما رأى من سمتنا وزينا، فقال: «ما أَنتُمْ؟»

قلنا: مؤمنون.

فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «إنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيْقَةً، فَمَا حَقِيْقَةُ قَوْلِكُمْ وَإِيْمَانِكُمْ؟»

قال سويد: قلنا: خمس عشرة خصلة؛ خمس منها أمرتْنَا رسلُك أن نؤمن بها، وخمس منها أمرتنا رسلك أن نعمل بها، وخمس منها تخلَّقنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً.

فقال رسول الله ﷺ: «وَمَا الخَمْسُ الَّتِيْ أَمَرَتْكُمْ رُسُلِيْ أَنْ تُؤْمِنُوْا بِهَا؟»

قلنا: أمرتنا رسلك أن نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت.

قال: «وَمَا الخَمْسُ الَّتِيْ أَمَرَتْكُمْ أَنْ تَعْمَلُوْا بِهَا؟»

قلنا: أمرتنا رسلك أن نقول: لا إله إلا الله، ونُقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلاً.

قال: «وَمَا الخَمْسُ الَّتِيْ تَخَلَّقْتُمْ بِهَا أَنْتُمْ فِيْ الجَاهِلِيَّةِ؟»

قلنا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والصدق عند اللقاء، والرضا بمرِّ القضاء، والصبر عند شماتة الأعداء.

فقال النبي ﷺ: «عُلَمَاءُ حُكَمَاءُ كَادُوْا مِنْ صِدْقِهِمْ أَنْ يَكُوْنُوْا أَنْبِيَاءَ»[1].

وروى الديلمي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما في حديث أن النبي ﷺ قال: «كَادَ حَمَلَةُ القُرْآنِ أَنْ يَكُوْنُوا أَنْبِيَاء»[2].

وروى أبو عمر بن عبد البر، والهروي في «ذم الكلام» عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلَىٰ خُلَفَائِي رَحْمَةُ اللهِ»، قيل: ومن خلفاؤك؟ قال: «الَّذِيْنَ يُحْيُوْنَ سُنَّتِيْ وَيُعَلِّمُوْنَهَا عِبَادَ اللهِ»[3].

قيل: الحسن المذكور هو ابن علي رضي الله عنهما.

وقيل: البصري، فيكون الحديث مرسلاً.

لكن يؤيد الأول: أن الحديث رواه ابن السني، وأبو نعيم في «رياض المتعلمين» من حديث علي رضي الله عنه[4].

وروى أبو نعيم في «فضل العالم العفيف» عن ابن عباس رضي الله عنهما

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٧٩).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٢١). قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ١٤٣): فيه من لا يعرف، وأحسبه غير صحيح.

(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٤٦)، والهروي في «ذم الكلام وأهله» (٤/ ٢٢٨).

(٤) رواه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٢٥١)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (ص: ١٦٣). قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١/ ٢٧٠): هذا باطل.

قال: قال رسول الله ﷺ: «أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ دَرَجَةِ النُّبُوَّةِ أَهْلُ العِلْمِ وَالجِهَادِ»[1].

بل قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ٦٨].

وقوله: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ﴾[آل عمران: ٦٨] معناه: إن أحق الناس بنصرته واتباعه، أو أقربهم شبهاً به؛ فإنَّ الآية نزلت رداً على أهل الكتاب القائلين: إن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً، فقال تعالى مبرئاً له عن ذلك ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[آل عمران: ٦٧]، والنبي والمؤمنون حنفاء مسلمون، فهم أولى به ممن سواهم.

وروى أبو نعيم عن ابن مسعود ﷺ: أنَّ النبي ﷺ قال: «لَيْسَ مِنْ عَالِمٍ إِلاَّ وَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيْثَاقَهُ يَوْمَ أَخَذَ مِيْثَاقَ النَّبِيِّيْنَ يَدْفَعُ عَنْه مَسَاوِىءَ عَمَلِهِ بِمَحَاسِنَ عمله[2] إِلاَّ أَنَّهُ لا يُوْحَىْ إِلَيْهِ»[3].

وروى الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «الأَبْدَالُ فِيْ هَذِهِ الأُمَّةِ ثَلاَثُوْنَ مِثْلُ إِبْرَاهِيمِ خَلِيْلِ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ

---

(١) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٢): رواه أبو نعيم في «فضل العالم العفيف» من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف.

(٢) في «مسند الفردوس»: «بمجالس علمه» بدل «بمحاسن عمله».

(٣) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥١٦١).

السَّلامُ، كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ رَجُلاً»(١).

وروى الطبراني عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَنْ تَخْلُوَ الأَرْضُ مِنْ أَرْبَعِيْنَ رَجُلاً مِثْلَ خَلِيْلِ الرَّحْمنِ، فَبِهِمْ تُسْقَوْن وَبِهِمْ تُنْصَرُوْنَ، مَا مَاتَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلاَ أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ آخَرَ»(٢).

وروى أبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ للهِ فِيْ الخَلْقِ ثَلاَثَ مِئَةٍ قُلُوْبُهُمْ عَلَى قَلْبِ آدمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وللهِ فِيْ الخَلْقِ أَرْبَعُوْنَ قُلُوْبُهُمْ عَلَىْ قَلْبِ مُوْسَىْ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَللهِ فِي الخَلْقِ سَبْعَةٌ قُلُوْبُهُمْ عَلَىْ قَلْبِ إبْراهِيْم عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَللهِ فِيْ الخَلْقِ خَمْسَةٌ قُلُوْبُهُم عَلَىْ قَلْبِ جِبْرِيل عَلَيْه السَّلام، وللهِ فِيْ الخَلْقِ ثَلاَثَةٌ قُلُوبُهُم عَلَىْ قَلْبِ مِيْكَائِيْلَ عَلَيْه السَّلاَمُ، وَللهِ فِيْ الخَلْقِ وَاحِدٌ قَلْبُهُ عَلَىْ قَلْبِ إِسْرَافِيْلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، بِهِمْ يُحْيِي وَيُمِيْتُ وَيُمْطِرُ وَيُنْبِتُ وَيرْفَعُ البَلاءَ»(٣).

فلا يقال: يلزم من كون الأبدال مثل إبراهيم أو قلوبهم على قلبه أن يكونوا في رتبته في الفضل، وإنما جعل الله تعالى هؤلاء أبدالاً عن الأنبياء وخلفاء عنهم بطريق النيابة والوراثة، والأنبياء مفضلون عليهم بالنبوة

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٢٢) وقال: منكر.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤١٠١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٦٣): إسناده حسن.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٩). قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٥/ ٦٤): قاتل الله من وضع هذا الإفك.

والدرجة الرفيعة، وكذلك من كان من أولياء الله تعالى على قلب آدم أو موسى لا يكون في رتبتهما، وإنما ينوبان عنهما في النصيحة والمنفعة.

وروى أبو نعيم، والبيهقي عن كعب الأحبار رحمه الله تعالى: أنه سمع رجلاً يقول: رأيت في المنام كأنَّ الناس جُمعوا للحساب، فَدُعِيَ الأنبياء، فجاء مع كل نبي أمته، ورأى لكل نبي نورين، ولكل من اتبعه نوراً يمشي به، فدعي محمد ﷺ فإذا لكل شعرة من رأسه ووجهه نور على حدة يثبته من نظر إليه، ولكل من اتبعه نوران يمشي بهما كنور الأنبياء، فقال كعب: والله الذي لا إله إلا هو! لقد رأيتُ هذا في منامك؟

قال: نعم.

قال: والذي نفسي بيده إنها لصفة محمد ﷺ في التوراة[1].

وروى أبو نعيم عن كعب رحمه الله قال: قال موسى عليه السلام: إني لأجد في الألواح صفة قومٍ على قلوبهم من النور مثل الجبال الرواسي، تكاد الجبال والرمال أن تخرَّ لهم سجداً من النور، فسأل ربه وقال: اجعلهم من أمتي، قال الله تعالى: يا موسى! إني اخترت أمة محمد ﷺ وجعلتهم أئمة الهدى، وهؤلاء طوائف من أمته.

قال: يا رب! فبمَ بلغ هؤلاء حتى آمر بني إسرائيل يعملوا مثل عملهم وأبلغ نعتهم؟

قال: يا موسى! إنَّ الأنبياء كادوا يعجزون عمَّا أعطيت أمة محمد ﷺ.

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٣٩).

يا موسى! بلغوا أنهم تركوا الطعام الذي أحللت لهم رغبةً فيما عندي، وكان عيشهم في الفلق من الخبز، والخلِقِ من الثياب، أيسوا من الدنيا وأيست الدنيا منهم، أقربهم مني وأحبهم إلي أشدهم جوعاً وأشدهم عطشاً[1].

وروى البيهقي عن وهب بن منبه رحمه الله قال: إن الله أوحى في الزبور: يا داود! إنه سيأتي بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد صادقاً نبياً، لا أغضب عليه أبداً، ولا يغضبني أبداً، وقد غفرتُ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأمته أمة مرحومة، أعطيهم من النوافل مثلما أعطيت الأنبياء، وأفترض عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء، وذلك أني افترضت عليهم أن يتطهروا لي كل صلاة كما افترضت على الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالغُسل من الجنابة كما أمرتُ الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الأنبياء قبلهم.

يا داود! إني فضلت محمداً وأمته على الأمم كلهم، أعطيتهم ست خصال لم أُعطها غيرهم من الأمم، لا أُؤاخذهم بالخطأ والنسيان، وكل ذنبٍ ركبوه على غير عمد إذا استغفروني منه غفرته، وما قدموه لإخوتهم من شيءٍ طيبةً به أنفسهم عجلت لهم أضعافاً مضاعفة، ولهم عندي أضعاف مضاعفة، وأفضل من ذلك أعطيهم على المصائب والبلايا إذا

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٨٨).

صبروا وقالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون الصلاة والرحمة والهدى إلى جنات النعيم، وإن دعوني استجبت لهم؛ فإما أن يروه عاجلاً، وإما أن أصرف عنهم سوءاً، وإما أن أدخره لهم في الآخرة[1].

وفي هذا القدر من هذا النوع كفاية، والله ولي الهداية.

*** فائِدَتانِ:**

الأُوْلَى: قال ابن عطاء الأدوي رحمه الله: من تأدب بآداب الصالحين فإنه يصلح لبساط الكرامة، ومن تأدب بآداب الصديقين فإنه يصلح لبساط المشاهدة، ومن تأدب بآداب الأنبياء فإنه يصلح لبساط الأنس والانبساط. رواه السلمي في «طبقاته»[2].

والكلام على الكرامة والمشاهدة والأنس والانبساط مستوفى في كتابنا «منبر التوحيد».

الفائِدَةُ الثَّانِيَةُ: كانت الأنبياء في بني إسرائيل كثيرين، وروى ابن أبي الدنيا، ومن طريقه الدينوري في «المجالسة» عن فَرقد السَّبخي رحمه الله تعالى قال: إنَّما كان يولد لبني إسرائيل الأنبياء لأنهم كانوا يجعلون مهور نسائهم من أطيب كسبهم[3].

قلت: وينبغي للمستولد أن يستطيب مهر الزوجة أو ثمن السرية،

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٣٨٠).

(٢) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢١٠).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥١٨).

ثم يستطيب نفقته عليها وعلى أولاده لعلهم يكونون صالحين علماء وارثين، ولمَّا كثر الخبث في الناس وفي أموالهم حتى لم يبالوا من أين بذلوا مهور الأزواج وأثمان الإماء لو لم يكن إلا الأموال التي لم تزكَّ، فضلاً عن مال اليتيم والربا والرشا والمكوس والغصب، كثرت أخلاق السوء والجهالة والفجور في أولادهم؛ ولا قوة إلا بالله.

* **تَتِمَّةٌ:**

ما ذكرناه في التشبه بالصالحين من اشتراط موافقتهم في السرائر والظواهر هو أولى بالاعتبار هنا، فعلى العاقل أن يجتهد في الاقتداء بالأنبياء والتشبه بهم في البواطن أكثر من الاجتهاد في الاقتداء بهم في الظواهر.

وقد روى العقيلي، والديلمي عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أَبْغَضُ الْعِبادِ إِلَى اللهِ مَنْ كانَ ثَوْباهُ خَيْراً مِنْ عَمَلِهِ؛ أَنْ تَكُوْنَ ثِيابُهُ ثِيابَ الأَنْبِياءِ وَعَمَلُهُ عَمَلَ الْجَبَّارِيْنَ»[1].

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد في «الزهد» عن محمد بن واسع رحمه الله تعالى قال: كان لقمان يقول لابنه: يا بني! اتق الله، ولا تُرِ الناس أنك تخشى الله لِيُكْرِمُوك بذلك وقلبك فاجر[2].

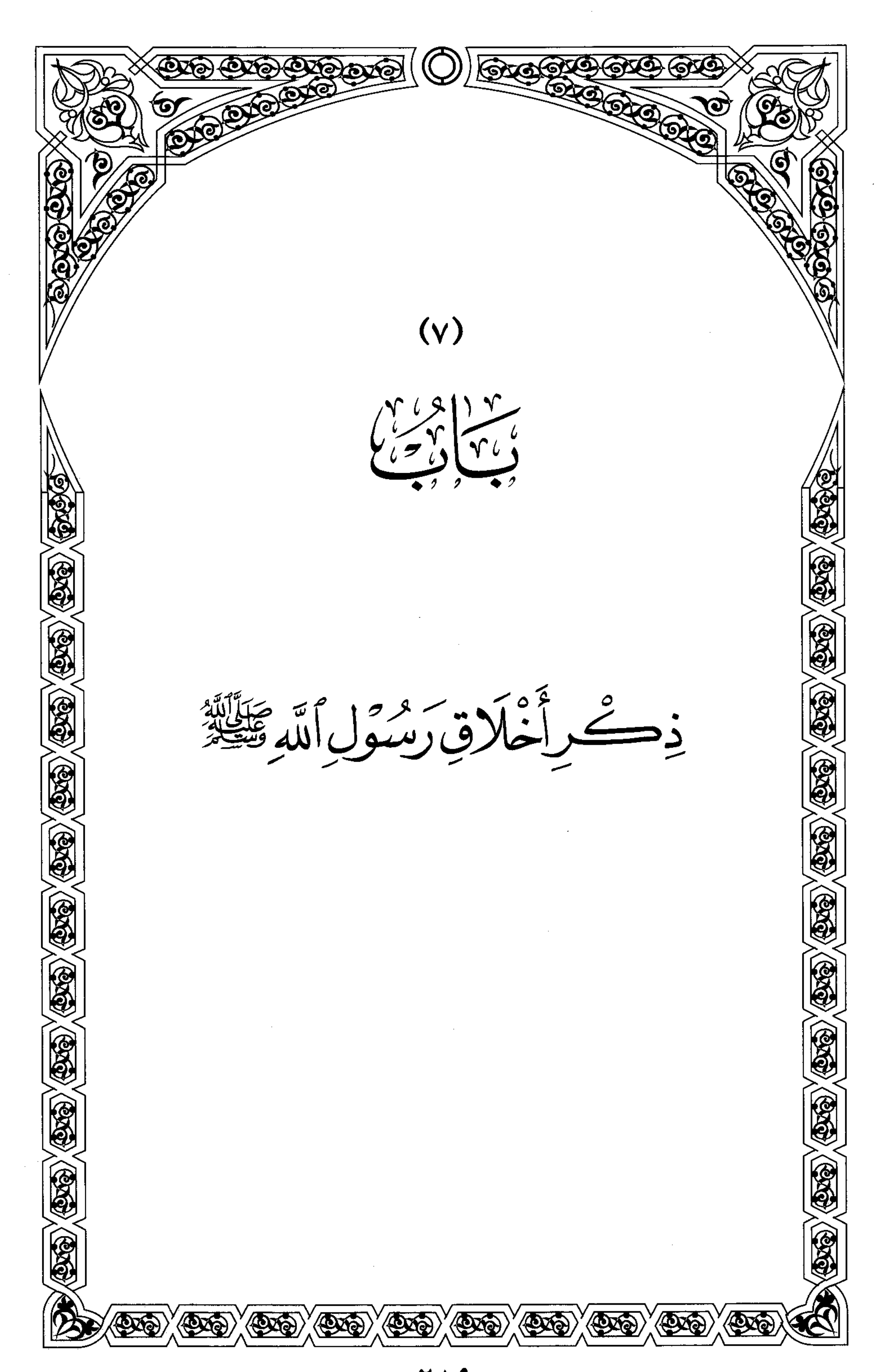
❐❐❐

---

(١) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٦٣) وقال: سليم بن عيسى مجهول في النقل، حديثه منكر غير محفوظ. ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (١٤٨١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٩٣)، والإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٤٩).





(٧)

باب

ذكر أخلاق رسول الله ﷺ





(٧)

باب

ذكر أخلاق رسول الله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب: ٢١].

روى الإمام مالك، والستة غير أبي داود عن سعيد بن يسار قال: كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما بطريق مكة، فلما خشيتُ الصبح نزلت فأوترت، فقال ابن عمر: أليس لك في رسول الله ﷺ أسوة؟ قلت: بلى، قال: فإنه كان يُوتر على البعير(١).

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ عمر رضي الله عنه أكبَّ على الركن فقال: إني لأعلم أنك حجر، ولو لم أرَ أن حِبِّيَ ﷺ قبَّلك واستلمك، ما استلمتك ولا قبلتك: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: ٢١](٢).

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ١٢٤)، والبخاري (٩٥٤)، ومسلم (٧٠٠)، والترمذي (٤٧٢)، والنسائي (١٦٨٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢١). ورواه البخاري (١٥٢٨) بلفظ قريب.

وروى عبد الرزاق عن قتادة رحمه الله قال: همَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن ينهى عن الحِبَرَة[1] من صباغ البول، فقال له رجل: أليس قد رأيتَ رسول الله ﷺ يلبسها؟ قال عمر: بلى، قال الرجل: ألم يَقُلْ الله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[الأحزاب: ٢١]؟ فتركها عمر[2].

وروى أبو بكر بن مردويه، والخطيب في «رواة مالك»، وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[الأحزاب: ٢١]؛ قال: في جوع رسول الله[3].

والحق أن الأسوة الحسنة فيه عامة في كل أحواله قولاً أو عملاً، أو نية، فعلاً أو تركاً.

قال محمد بن علي الترمذي رحمه الله: الأسوة الحسنة في رسول الله ﷺ الاقتداء به، والاتباع لسنته، وترك مخالفته في قول أو فعل[4].

وروى الخطابي في «الغريب» عن عبيد بن خالد رضي الله عنه قال: كنت رجلاً شاباً بالمدينة، فخرجت في بردين وأنا مُسبلهما، فطعنني رجل من خلفي إما بأصبعه وإما بقضيب كان معه، فالتفت فإذا رسول الله ﷺ، قال: فقلت: إنما هي ملحاء، قال: «وَإِنْ كَانَتْ مَلْحَاءَ، أَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٌ؟»[5].

---

(١) الحبرة: هي الثياب المنقوشة الموشية.

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٤٩٣١).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ١٢٨).

(٤) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (٢/ ٩).

(٥) رواه الخطابي في «غريب الحديث» (٢/ ٢٩٨).

والمعنى أن عبيد بن خالد ﵁ فهم أن فعل النبي ﷺ به إنما أراد به الإنكار عليه إذ أَسبل البردين، فقال: إنما هي ملحاء ـ يعني: الحلة ـ، والعرب تسمي الثوبين حلة، والملحاء: بردة صفيقة فيها خطوط من بياض وسواد، ويعني: إن حلتي صفيقة لا خيلاء فيها، فقال: «وَإِنْ كَانَتْ مَلْحَاءَ»؛ أي: إن الخيلاء في الإسبال وإن كان الثوب صفيقاً.

وقوله: «أَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٌ؟» أي: إني لا أسبل فاقتدِ بي فعلاً وتركاً.

وفي «صحيح البخاري»، وغيره عن أبي وائل قال: جلست مع شيبة على الكرسي في الكعبة، فقال: لقد جلس هذا المجلس عمر ﵁ فقال: لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمته، قلت: إنَّ صاحبيك لم يفعلا، قال: هما المرآن أقتدي بهما[1].

يعني بصاحبيه: النبي ﷺ، وأبا بكر ﵁.

وفيه عن نافع، عن ابن عمر ﵄: أنه كان إذا دخل الكعبة مشى قِبَلَ الوجه حين يدخل، يجعل الباب قِبَلَ الظَّهْر، يمشي حتى يكون بينه وبين الجدار الذي قِبَلَ وجهه قريب من ثلاثة أذرع، فيصلي يتوخى المكان الذي أخبره بلال ﵁ أن رسول الله ﷺ صلى فيه، وليس على أحدٍ بأس أن يصلي في أي نواحي البيت شاء[2].

وفي «صحيح مسلم» عن أنس ﵁ قال: لما قبض النبي ﷺ قال

---

(١) رواه البخاري (١٥١٧).

(٢) رواه البخاري (٤٨٤).

أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: انطلق بنا نزور أم أيمن كما كان النبي ﷺ يزورها، قال: فانطلقا إليها، الحديث[1].

وروى البزار، والطبراني ـ بإسناد حسن ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ شاور في أمر الحرب فعليك به[2].

وذكر السلمي في «الحقائق» عن أبي عثمان الحيري رحمه الله قال: من أمَّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه نطق بالبدعة لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾[النور: ٥٤][3].

وروى عبد بن حميد عن الحسن رحمه الله مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»، ثم تلا هذه الآية: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ٣١] الآية[4].

وروى أبو نعيم عن الأوزاعي رحمه الله قال: رأيتُ رب العزة جلَّ وعلا في المنام فقال لي: يا عبد الرحمن! أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قلت: بفضلك يا رب.

---

(١) رواه مسلم (٢٤٥٤).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣١٩): ورجاله قد وثقوا.

(٣) انظر: «حقائق التفسير» للسلمي (٢/ ٥٥).

(٤) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ١٧٨).

قال: فقلت: يا رب! أمتني على الإسلام، فقال: وعلى السنة[1].

والسنة هي أقوال النبي ﷺ، وأفعاله، وأخلاقه، وشمائله المأخوذة عنه التي حملها الصحابة رضي الله عنهم، ثم حملها عنهم التابعون لهم بإحسان، ثم من بعدهم من ثقات العلماء طبقة بعد طبقة، وجيلاً بعد جيل حتى وصلت إلينا، فعلينا الاقتداء به ﷺ فيها.

قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[هود: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[الحشر: ٧].

ولا يزكو العبد ويرتفع قدره ويكمل ويتم نبله إلا باتباعه آثار النبي ﷺ.

وقد روى ابن أبي شيبة عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه كان إذا رآه أحد ظنَّ أنَّ به شيئاً من تتبعه آثار النبي ﷺ[2].

وعن نافع: أن ابن عمر كان في طريق مكة يقود برأس راحلته يثنيها ويقول: لعلَّ خُفَّاً يقع على خُف؛ يعني: خف راحلة النبي ﷺ[3].

وقد كان السلف لا يُنكرون شيئاً أشد مما يُنكرون ترك اتباع النبي ﷺ والاقتداء به.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٤٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٦٣٣).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٦٤٨).

وقال عمرو بن العاص ﷺ على المنبر: والله ما رأيتُ قوماً قط أرغب فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه منكم، والله ما مرَّ برسول الله ﷺ ثلاث إلا والذي عليه أكثر من الذي له. صححه الحاكم، وأخرجه الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه» بنحوه[1].

واعلم أنه لا يتأتى لنا في هذا الكتاب الاتساع في تفاصيل طرائق الاقتداء والاتباع؛ فإن ذلك موضوعه كتب الشرع الشريف من تفسير، أو حديث، أو فقه.

وإنما غرضنا الآن التنبيه على نبذة من أخلاقه ﷺ حملاً لمن يُريد الاقتداء به عليها، وندباً لمن يُحب التشبه به إليها.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤].

روى مسلم عن سعيد بن هشام قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فسألتها عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت: كان خُلقه القرآن[2].

وقال الحسن: كان خُلقه آداب القرآن[3].

وقال الجنيد رحمه الله: إنما سمي خلقه عظيماً لأنه لم يكن له

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٨٨١)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٠٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٣٧٩). ولفظ الإمام أحمد: «ما أبعد هديكم من هدي رسول الله ﷺ؟ كان من أزهد الناس في الدنيا، وأنتم أرغب الناس فيها».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: «تفسير الثعالبي» (١٠/ ٩).

همة سوى الله تعالى[1].

وكان رسول الله ﷺ شديد الاهتمام بمكارم الأخلاق لأنه ﷺ بُعثَ ليتممها وتتم به كما تقدم عنه ﷺ، ولذلك كان ﷺ مع ما وصف به من الخلق العظيم يقول في افتتاح صلاته: «اللَّهُمَّ اهْدِنِيْ لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِيْ لأَحْسَنِهَا إِلا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّيْ سَيِّءَ الأَخْلاَقِ لاَ يَصْرِفُ سَيِّئَهَا إِلا أَنْتَ». رواه مسلم من حديث علي رضي الله عنه[2].

وروى الإمام أحمد بسند جيد، عن عائشة رضي الله عنها: أنه ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِيَ فَحَسِّنْ خُلُقِي»[3].

وروى هو وابن حبان في «صحيحه» عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ حَسَّنْتَ خَلْقِيَ فَحَسِّنْ خُلُقِي»[4].

وروى الخرائطي في «مكارم الأخلاق» عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ قَدْ حَسَّنَ اللهُ خَلْقَكَ، فَأَحْسِنْ خُلُقَكَ»[5].

وفي هذا الحديث إشارة إلى أن تحسين الخُلق يدخل تحت

---

(١) انظر: «تفسير الثعالبي» (١٠/ ٩)، و«تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٢٧).

(٢) رواه مسلم (٧٧١).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٦٨).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٥٩).

(٥) رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص: ٢٧).

اختيار العبد، وذلك بالتخلق وحمل النفس على الأخلاق الحسنة والخصال الحميدة مع سؤال الله تعالى التوفيق لذلك والمعونة عليه، وكلما حسَّن العبد أخلاقه قرب سمته وهديه من النبي ﷺ.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «أَقْرَبُكُمْ مِنِّيْ مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ خُلُقَاً». رواه ابن النجار في «تاريخه» من حديث علي رضي الله عنه[1].

فقرب العبد من نبيه ﷺ يكون على حسب قربه منه في الخلق، واتباعه له فيه وفي غيره من الأعمال.

قال أنس رضي الله عنه: خدمت النبي ﷺ ثماني حجج، فقال لي: «يَا أَنَسُ وَقِّرِ الكَبِيْرَ، وَارْحَمِ الصَّغِيْرَ تُرَافِقْنِي يَوْمَ القِيَامَةِ». رواه الخرائطي[2].

وفي «صحيح «البخاري»، وغيره عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيْمِ فَيْ الجَنَّةِ هَكَذَا»؛ وأشار بالسبابة والوسطى[3].

وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «كَافِلُ اليَتِيْمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِيْ الجَنَّةِ»؛ وأشار بالسبابة والوسطى[4].

---

(١) ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢١٧) لكن عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه.

(٢) رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص: ٧٨)، وكذا البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٩٨١).

(٣) رواه البخاري (٤٩٩٨).

(٤) رواه مسلم (٢٩٨٣).

وروى أبو يعلى من حديثه ـ وحسنه المنذري ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْتَحُ بَابَ الجَنَّةِ إِلاَّ أَنِّي أَرَىٰ امْرَأَةً تُبَادِرُنِيْ، فَأَقُوْلُ لَهَا: مَا لَكِ؟ وَمَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُوْلُ: أَنَا امْرَأَةٌ قَعَدَتْ عَلَىٰ أَيْتَامٍ لِيْ»[1].

* **تَنْبِيْهٌ:**

روى البزار، والطبراني، والبيهقي بإسناد ضعيف، عن أنس رضي الله عنه قال: قالت أم حبيبة رضي الله عنها: يا رسول الله! رأيت المرأة مهما يكون لها زوجان في الدنيا، فتموت ويموتان، ويدخلان الجنة لأيهما هي، قال: «لأَحْسَنِهِمَا خُلُقاً كَانَ عِنْدَهَا فِيْ الدُّنْيَا، يَا أُمَّ حَبِيْبَةَ! ذَهَبَ حُسنُ الخُلُقِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»[2].

قلت: وهذا مخالف لما ذكرناه سابقاً عن أبي بكر رضي الله عنه: أن المرأة لآخر أزواجها، وهو الراجح لما رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي الدرداء رضي الله عنه والخطيب عن عائشة رضي الله عنها قالا: قال رسول الله ﷺ: «المَرْأَةُ لآخِرِ أَزْوَاجِهَا»[3].

---

(١) رواه أبو يعلى في «المسند» (٦٦٥١) وحسن المنذري إسناده في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٣٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٢٢٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٩): فيه سليمان بن أبي كريمة، ضعفه أبو حاتم وابن عدي.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣١٣٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٧٠): فيه أبو بكر بن أبي مريم، وقد اختلط.

ولو صحَّ حديث أنس لكان محمولاً على أن النبي ﷺ أخبر أن المرأة لأحسن أزواجها خلقاً، ثم أعلم بأنها لآخرهما.

وروى أبو نعيم عن عروة بن رويم رحمه الله قال: قالت الصفراء امرأة موسى عليهما السلام لموسى: بأبي أنت وأمي! أنا أيم منك منذ كلمك ربك.

قال: فكأن موسى لن يأتي النساء منذ كلمه ربه، وكان قد ألبس على وجهه حريرة أو برقعاً، وكان أحد لا ينظر إليه إلا مات، فكشف لها عن وجهه فأخذها من حسنه مثل شعاع الشمس، فوضعت يدها على وجهها وخرَّت له ساجدة، فقالت: ادعُ الله أن يجعلني زوجتك في الجنة، فقال: ذاك إن لم تزوجي بعدي؛ فإنَّ المرأة لآخر أزواجها.

قالت: فأوصني، قال: لا تسألي الناس شيئاً[1].

ومن هنا نذكر أخلاق النبي ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٢١).

روى البخاري في «الأدب»، والنسائي، وصححه الحاكم، عن يزيد بن بَابَنُوسَ قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: كيف كان خُلق رسول الله ﷺ؟ قالت: كان خُلُقُه القرآن، ثم قالت: تقرأ سورة المؤمنين؟ فقرأ حتى بلغ العشر، فقالت: هكذا كان خُلق رسول الله ﷺ[1].

وروى الحاكم عن أبي أمامة رضي الله عنه: أنَّ الله تعالى أنزل على إبراهيم عليه السلام مما أنزل على محمد ﷺ: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[التوبة: ١١٢]، و﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[المؤمنون: ١ ـ ١١]، و﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾[الأحزاب: ٣٥] الآية، والتي في: ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج: ١] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾[المعارج: ٢٣]، إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾[المعارج: ٣٣] فلم يَفِ بهذه السهام إلا إبراهيم، ومحمد صلى الله عليهما وسلم[2].

وقال البراء بن عازب رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً. رواه الخرائطي بسند حسن[3].

وقال أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً. رواه

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٨١).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٠٢١).

(٣) ورواه البخاري (٣٣٥٦)، ومسلم (٢٣٣٧).

مسلم، وأبو داود[1].

وقال بريدة ﷺ: كنا إذا قعدنا عند رسول الله ﷺ لم نرفع رؤوسنا إليه إعظاماً له[2].

وقال أنس ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد لم يرفع أحد منا إليه رأسه غير أبي بكر وعمر ﵄؛ فإنهما كانا يبتسمان إليه ويبتسم إليهما[3].

وقال البراء ﷺ: جلس رسول الله وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير[4].

وقال أسامة بن شريك ﷺ: أتيتُ رسول الله ﷺ وأصحابه عنده كأن على رؤوسهم الطير. رواه الحاكم[5].

وقال أنس ﷺ: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أفٍ قط، وما قال لشيءٍ صنعته: لِمَ صنعته، ولا لشيءٍ تركته: لِمَ تركته، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً، ولا مَسَسْتُ خزاً قط ولا حريراً قط ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممتُ

---

(١) رواه مسلم (٢٣٠٧)، وأبو داود (٤٧٧٣). وكذا رواه البخاري (٢٦٦٥). لم يقل البخاري ومسلم «وجهاً»، وعند أبي داود: «خلقاً» بدل «وجهاً».

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤١٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٥٢٦).

(٣) رواه الترمذي (٣٦٦٨) وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث الحكم ابن عطية، وقد تكلم بعضهم في الحكم بن عطية.

(٤) رواه النسائي (٢٠٠١).

(٥) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤١٦).

مسكاً قط ولا عطراً كان أطيب من عَرَقِ رسول الله ﷺ[1].

وعنه أنه ﷺ كان عنده رجل به أثر صُفرة، قال: وكان رسول الله ﷺ لا يكاد يواجه أحداً بشيء يكرهه، فلما قام قال للقوم: «لَوْ قُلْتُمْ لَهُ يَدَعُ هَذِهِ الصُّفْرَةَ». رواهما الترمذي في «الشمائل»[2].

وقال رضي الله عنه: لم يكن رسول الله ﷺ سبَّاباً، ولا لَعَّاناً، ولا فَحَّاشاً، كان يقول لأَحدِنا عند المَعْتَبَة: «مَا لَهُ تَرِبَ جَبِيْنُهُ؟». رواه الإمام أحمد[3].

وقال: إن كانت الوليدة من ولائد المدينة تجيء فتأخذ بيد رسول الله ﷺ، فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت. رواه أبو الشيخ بن حيان[4].

وقال: كان رسول الله ﷺ إذا لقي الرجل فكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو المنصرف. رواه ابن ماجه[5].

وقال: كان رسول الله ﷺ إذا لقيه الرجل فصافحه لا ينزع يده من

---

(١) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص: ٢٨٥)، وروى البخاري (٥٦٩١) طرفاً منه.

(٢) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص: ٢٨٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٤٤)، وكذا رواه البخاري (٥٦٩٩).

(٤) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (١/ ١٣٨)، وكذا البخاري (٥٧٢٤)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٧٤)، وابن ماجه (٤١٧٧).

(٥) رواه ابن ماجه (٣٧١٦).

يده حتى يكون الرجل يدع. رواه الترمذي[1].

وقال: ما رأيت رجلاً التقم أذن النبي ﷺ فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي يدع أذنه. رواه أبو داود[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال: «لَبَّيْكَ»، فلذلك أنزل الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤]. رواه أبو الشيخ[3].

وقالت: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح. رواه الإمام أحمد، والترمذي[4].

وقالت: ما رأيت رسول الله ﷺ ضرب بيده امرأة قط ولا خادماً. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «المداراة»[5].

وقالت: كان رسول الله ﷺ أبرَّ الناس، وأكرم الناس، ضحَّاكاً

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٩٠) وقال غريب. قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ١١٣): وهذا الحديث ضعيف من الطريقين ـ يعني طريق الترمذي وابن ماجه ـ لأن مدار الحديث على زيد العمي، وهو ضعيف.

(٢) رواه أبو داود (٤٧٩٤).

(٣) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (١/ ٧٥).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٧٤)، والترمذي (٢٠١٦) وصححه.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (ص: ١٣٩).

بسَّاماً. رواه أبو الشيخ[1].

وقالت: رأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا أسأم فأقعد؛ فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن. رواه الشيخان[2].

وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ طويل الصمت، قليل الضحك، وكان أصحابه يذكرون عنده الشِّعر وأشياء من أمورهم فيضحكون ويبتسم. رواه الإمام أحمد[3].

وقال أنس رضي الله عنه: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد! مر لي من مال الله الذي عندك؟ فالتفت إليه رسول الله ﷺ، ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء. رواه البخاري[4].

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً له قط، ولا ضرب بيده إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء فانتقمه من صاحبه إلا أن تُنْتهك محارم الله فينتقم لله عز وجل، وما عُرض عليه أمران، أحدهما أيسر من الآخر إلا أخذ بأيْسرهما إلا أن

(١) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (١/ ١٣٠).

(٢) رواه البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٨٩٢).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٨٦).

(٤) رواه البخاري (٢٩٨٠)، وكذا مسلم (١٠٥٧).

يكون مأثماً، فإن كان مأثماً كان أبعد النـــاس منه. رواه الإمـام أحمد هكذا مجموعاً، ومسلم مفرقاً[1].

وقالت له ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟ قال: «قَدْ لَقِيْتُ مِنْ قَوْمِكِ [ما لقيت]، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيْتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى [ابن عبد ياليل] بْنِ عَبْدِ كُلاَل، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، [فَانْطَلَقْتُ وأنا مَهْمُومٌ على وَجْهِي فلم أَسْتَفِقْ إلا وأنا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ] فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيْهَا جِبْرِيْلُ عَلَيهِ السَّلاَمُ فَنَادَانِي: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوْا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيْهِمْ، فَنَادَانِيْ مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! ذَلِكَ كَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ، قَالَ النبي ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِن أَصْلاَبِهِم مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً. رواه البخاري[2].

وقال ابن مسعود ﷺ: لما كان يوم حُنين آثر النبي ﷺ أُناساً في القِسْمة.. الحديث، فقال رجلٌ: والله إنَّ هذه لقسمة ما عُدِلَ فيها وما أُريد بها وجه الله، فقلت: والله لأُخبرنَّ النبي ﷺ، فأتيته فأخبرته فقال: «مَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُوْلُهُ؟ رَحِمَ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوْذِيَ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٣٠)، ومسلم (٢٣٢٧) و(٢٣٢٨)، وكذا روى البخاري (٣٣٦٧) طرفاً منه.

(٢) رواه البخاري (٣٠٥٩)، وكذا مسلم (١٧٩٥).

بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ». رواه البخاري[1].

وقال أبو هريرة ﷺ: قيل: يا رسول الله! ادعُ على المشركين، فقال: «إِنِّيْ لَمْ أُبْعَثْ لعَّاناً، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً، وَلَمْ أُبْعَثْ عَذَاباً»[2].

وقال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّما أَنا رَحْمَةٌ مُهْداةٌ». رواه الحاكم، وصححه[3].

وقال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يستعينه في شيء، فأعطاه شيئاً ثم قال: «أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ؟» قال: لا، ولا أجملت، قال: فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كفوا، ثم قام فدخل منزله، ثم أرسل إلى الأعرابي فدعاه إلى البيت؛ يعني: فأعطاه فَرضِـي، فقال: «إِنَّكَ جِئْتَنَا فَسَأَلْتَنَا فَأَعْطَيْنَاكَ، فَقُلْتَ مَا قُلْتَ وَفِيْ أَنْفُسِ الْمُسْلِمِيْنَ شَيءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ مَا قُلْتَهُ بَينَ يَدَيَّ حَتَّى يَذْهَبَ مِنْ صُدُوْرِهِمْ مِا فِيْهَا عَلَيْكَ»، قال: نعم، فلما كان الغداء أو العشاء جاء فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا كانَ جَائِعاً، فَسَأَلَنَا فَأَعْطَيْنَاهُ فَقالَ ما قالَ، وَإِنَّا دَعَوْنَاهُ إِلَى البَيْتِ فَأَعْطَيْنَاهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ قَدْ رَضِـيَ، أَكَذَلِكَ؟»، قال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً.

---

(١) رواه البخاري (٢٩٨١)، وكذا مسلم (١٠٦٢).

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٩).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٠٠). قال الترمذي في «العلل» (ص: ٣٦٩): سألت محمداً عن هذا الحديث، فقال: يروون هذا عن أبي صالح عن النبي ﷺ مرسلاً.

فقال النبي ﷺ: «أَلا إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ هَذا الأَعْرابِيِّ كَمَثَلِ رَجُلٍ كانَتْ لَهُ ناقَةٌ فَشَرَدَتْ عَلَيْهِ، فَاتَّبَعَها النَّاسُ فَلَمْ يَزِيْدُوها إِلاَّ نُفُوراً، فَناداهُمْ صاحِبُ النَّاقَةِ: خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ ناقَتِي فَأَنا أَرْفَقُ بِها، فَتَوَجَّهَ لَها صاحِبُ النَّاقَةِ بَيْنَ يَدَيْها، فَأَخَذَ لَها مِنْ قُمامِ الأَرْضِ فَجاءَتْ فَاسْتَأْنَسَتْ، فَشَدَّ عَلَيْها رَحْلَها فَاسْتَوَى عَلَيْها، وَإِنِّي لَوْ تَرَكْتُكُمْ حِيْنَ قالَ ما قالَ فَقَتَلْتُمُوْهُ دَخَلَ النَّارَ». رواه أبو الشيخ[١].

وروى أيضاً عن عبد الرحمن بن أبزى رحمه الله ـ مرسلاً ـ قال: كان النبي ﷺ من أَحْلم الناس، وأَصْبرهم، وأكظمهم للغيظ[٢].

وقال أنـس ﷺ: كُسِـرَت رَباعيـة النبـي ﷺ يوم أُحـد، فجعل يسيل الدم على وجهه وهو يمسح الدم ويقول: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوْا وَجْهَ نَبِيِّهِم بِالدَّمِ ويَدْعُوْهُم إِلَى اللهِ؟» فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمـران: ١٢٨] رواه مسـلـم، وعـلقـه البخاري[٣].

وقال ابن مسعود ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «لا يُبَلِّغنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحابِي شَيْئاً؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ لا أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ إِلاَّ وَأَنا سَلِيْمُ

---

(١) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (١/ ٤٧٢).

(٢) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (١/ ٤٧٢). وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٦٧٨).

(٣) رواه مسلم (١٧٩١)، والبخاري (٤/ ١٤٩٣) معلقاً.

الصدرِ». رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي[1].

وقال أنس رضي الله عنه: عن النبي ﷺ: «إِنِّيْ لأَدْخُلُ فِيْ الصَّلاَةِ وَأَنَا أُرِيْدُ أَنْ أُطِيْلَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِيْ صَلاَتِيْ مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ [شدة] وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ». رواه الإمام أحمد، والشيخان[2].

وقال: كان رسول الله ﷺ رحيماً بالعيال. رواه الطيالسي، وابن أبي الدنيا في «المداراة»، ولفظه: ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ[3].

وقال: كان رسول الله ﷺ رحيماً، وكان لا يأتيه أحد إلا وعَدَه وأنجز له إن كان عنده. رواه البخاري في «الأدب»[4].

وقال: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي ﷺ عندها يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: «غارَتْ أُمُّكُم»، ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٩٥)، وأبو داود (٤٨٦٠)، والترمذي (٣٨٩٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٠٩)، والبخاري (٦٧٧)، ومسلم (٤٧٠).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «العيال» (ص: ٣٣٨)، وكذا رواه مسلم (٢٣١٦).

(٤) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٨).

الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت. رواه البخاري[1].

وقال أبو سعيد الخدري ﷺ: كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العـذراء في خـدرها، وكـان إذا كره شـيئاً عرفنـاه في وجـهه. رواه الشيخان[2].

وقال سهل بن سعد ﷺ: كان رسول الله ﷺ حَيِيًّا لا يُسْأَلُ شيئاً إلا أعطى. رواه أبو الشيخ[3].

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج فصلَّى. رواه البخاري[4].

وقال: كان رسول الله ﷺ يفل ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه. رواه أبو نعيم[5].

وقال ابن عبـاس ﷺ: كان رســول الله ﷺ يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعتقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك على خبز

---

(١) رواه البخاري (٤٩٢٧).

(٢) رواه البخاري (٥٧٥١)، ومسلم (٢٣٢٠).

(٣) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (١/ ٢٢٧)، وكذا رواه الدارمي في «سننه» (٧١).

(٤) رواه البخاري (٥٦٩٢).

(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٣١)، وكذا رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٥٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٦٧٥).

الشعير. صححه الحاكم[1].

وقال أنس ﷺ: كان رسول الله ﷺ يردف خلفه، ويضع طعامه على الأرض، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار. صححه أيضاً[2].

وقال: كان رسول الله ﷺ يعود المريض، ويشهد الجنازة، ويأتي دعوة المملوك، ويركب الحمار، ولقد رأيته يوماً على حمار عليه خطامه ليف. رواه ابن الجوزي في «الوفا»[3].

وقال أبو هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ دُعِيْتُ إِلَىٰ ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لأَجَبْتُ، وَلَو أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لقَبِلْتُ». رواه الإمام أحمد، والبخاري[4].

وروى ابن شاهين عن قيس بن أبي حازم رحمه الله مرسلاً: أنَّ رجلاً أتى النبي ﷺ فلما قام بين يديه استقبلته رعدة، فقال له النبي ﷺ:

---

(١) ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٤٩٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨١٩٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٠): رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧١٢٨). ورواه أيضاً الترمذي (١٠١٧)، وابن ماجه (٤١٧٨) مع بعض الاختلاف.

(٣) انظر: «الوفا بأحوال المصطفى» لابن الجوزي (ص: ٤٤٠)، ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٧١).

(٤) رواه البخاري (٢٤٢٩).

«هَوِّنْ عَلَيْكَ؛ فَإِنِّيْ لَسْتُ مَلِكاً، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ القَدِيْدَ[1]»[2].

وأخرجه الحاكم وصححه البيهقي، عن قيس بن أبي حازم، عن أبي مسعود ﷺ: أن رجلاً كلم رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، فأخذته الرعدة، فقال ﷺ: «هَوِّنْ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّما أَنا ابْنُ امْرَأَةٍ كانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيْدَ»[3].

ثم أخرجه البيهقي عن قيس ـ مرسلاً ـ بنحو لفظ ابن شاهين، وقال: المرسل هو المحفوظ[4].

وقالت عائشة رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله! كُلْ ـ جعلني الله فداك ـ مُتكئاً؛ فإنه أَهْون عليك، قال: «لا، آكُلُ كَمَا يَأكُلُ العَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ العَبْدُ». رواه أبو الشيخ[5].

وكان ابن عباس ﷺ يحدث أن الله تعالى أرسل إلى نبيه ﷺ ملكاً من الملائكة معه جبريل عليهم السلام، فقال الملك: يا رسول الله!

---

(١) القديد: هو اللحم المملح المجفف في الشمس.

(٢) ورواه ابن ماجه (٣٣١٢) عن أبي مسعود ﷺ موصولاً، وكذا رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٢٦٠) عن جرير موصولاً.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٣٦٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٦٩).

(٤) انظر: «دلائل النبوة» للبيهقي (٥/ ٦٩).

(٥) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (١/ ٣٩١). وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٦٨٥).

إنَّ الله خيرك بين أن تكون عبداً نبيَّاً وبين أن تكون مَلكاً نبيَّاً، فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل كالمستشير، فأشار جبريل بيده أن تواضع، فقال: «لا، بَلْ أَكُوْنُ عَبْداً نَبِيَّاً». رواه الحسن بن سفيان[1].

وقال عكرمة: قال العباس ﷺ: لأعلمن ما بقاء رسول الله ﷺ فينا، فقلت: يا رسول الله! لو اتخذت عرشاً فكلمت الناس؛ فإنهم قد آذوك، قال: «لا أَزَالُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ يَطَؤُونَ عَقِبِي، وَيَتَنَازَعُوْنِي رِدَائِي، وَيُصِيبُنِي غُبَارُهُمْ، حَتَّى يَكُوْنَ اللهُ يُرِيحُنِي مِنْهُم». رواه ابن أبي شيبة[2].

وقال جابر بن عبدالله ﷺ: ما رؤي ـ أو قال: ما رأيت ـ رسول الله ﷺ مادَّاً رجليه بين أصحابه. رواه أبو نعيم من طريق ابن خزيمة؛ وإسناده صحيح[3].

وقال أبو هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْداً لَمْ تُخْلِفْنِيهُ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّ المُؤْمِنِيْنَ آذَيْتُهُ، أَو شَتَمْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، أَوْ لَعَنْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلاَةً وَزَكَاةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ القِيَامَةِ». رواه الشيخان[4].

---

(١) ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (٦٧٤٣).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٢٦)، وكذا الدارمي في «السنن» (٧٥).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٥٠). قال الذهبي في «المغني في الضعفاء» (١/ ٣٧٦): منكر.

(٤) رواه البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٦٠١) واللفظ له.

وقال ﷺ لأم سليم رضي الله عنها: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ! أَمَا تَعْلَمِيْنَ أَنَّ شَرْطِي عَلَىٰ رَبِّي أَنِّيْ اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَىٰ كَمَا يَرْضَىٰ البَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ البَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ أَن يَجْعَلَهَا لَهُ طُهُوْراً وَزَكَاةً وَقُرْباً تُقَرِّبُهُ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ». رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه[1].

وقال جابر رضي الله عنه: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً فقال: لا. رواه الإمام أحمد، والشيخان[2].

ورووا أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان. الحديث[3].

وقال جبير بن مطعم رضي الله عنه: بينا رسول الله ﷺ ومعه أُناس مَقْفَلَهُ من حنين عَلِقَه الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة، فاختطف رداؤه، فوقف ﷺ وقال: «ردُّوا عليَّ رِدائِي أَتَخْشَوْنَ عَلَيَّ البُخْلَ؟ فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدَ هَذِهِ العِضاه[4] نَعَماً لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لا تَجِدَوْنِيْ بَخِيْلاً وَلا كَذَّاباً وَلا جَبَاناً»[5].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٠٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٠٧)، والبخاري (٥٦٨٧)، ومسلم (٢٣١١).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٧٥)، والبخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

(٤) العِضَاه: كل شجر ذي شوك.

(٥) رواه البخاري (٢٦٦٦).

وقال عمر رضي الله عنه: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله أن يُعطيه فقال: «مَا عِنْدِيْ شَيْءٌ، وَلَكِنِ ابْتَعْ عَلَيَّ، فَإِذَا جَاءَنِي شَيْءٌ قَضَيْتُهُ».

فقال عمر: يا رسول الله! قد أعطيته وما يكلفك الله ما لا تقدر، فَكَرِه النبي ﷺ قول عمر، فقال رجلٌ من الأنصار: يا رسول الله! أَنْفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا، فتبسم رسول الله ﷺ وعُرِف البِشر في وجهه لقول الأنصاري، ثم قال: «بِهَذَا أُمِرْتُ». رواهما الترمذي[1].

وقال أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس. رواه الشيخان، والترمذي، وابن ماجه[2].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: ما رأيت أحداً أنجد، ولا أجود، ولا أشجع، ولا أوضأ من رسول الله ﷺ. رواه الدارمي[3].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إنَّا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، وكان علي بن أبي طالب وأبو لبابة زميلي رسول الله ﷺ، فإذا كانت عقبة رسول الله ﷺ قالا: يا رسول الله! اركب حتى نمشي عنك، فقال: «مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّيْ، وَلا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الأَجْرِ مِنْكُمَا». رواه أبو نعيم[4].

---

(١) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص: ٢٩٤).

(٢) رواه البخاري (٢٨٧٥)، ومسلم (٢٣٠٧)، والترمذي (١٦٨٧)، وابن ماجه (٢٧٧٢).

(٣) رواه الدارمي في «السنن» (٥٩).

(٤) ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٩)، وأبو يعلى في «المسند» (٥٣٥٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧٣٣).

وقال علي ﷺ: لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذُ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس بأساً. رواه أبو الشيخ[1].

وقال رجل من قيس للبراء بن عازب ﷺ: فررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين، فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر، كانت هوازن ناساً رماة، وإنَّا لمَّا حملنا عليهم انكشفوا وأكببنا على الغنائم، فاستقبلوا بالسهام، ولقد رأيتُ رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وإنَّ أبا سفيان بن الحارث آخذ بلجامها وهو يقول: «أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ». رواه الإمام أحمد، والشيخان[2].

وقال عبدالله بن أبي الحَمْسَاء ﷺ: بايعتُ النبي ﷺ ببيع قبل أن يُبعث، فبقيَتْ له بقية فوعدته آتيه بها في مكانه ذلك، فنسيتُ يومي والغد، فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه، فقال: يا فتى! لقد شققتَ عليَّ إني هاهنا منذ ثلاث. رواه أبو داود[3].

وما أحسن ما قيل فيه ﷺ: [من الطّويل]

فَما حَمَلَتْ مِنْ ناقَةٍ فَوْقَ رَحْلِها ... أَتَمَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدِ[4]

---

(1) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (1/ 313)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (1/ 86).

(2) رواه الإمام أحمد في «المسند» (4/ 281)، والبخاري (4063)، ومسلم (1776).

(3) رواه أبو داود (4996). وجاء في النسخ الثلاث: «ابن أبي داود».

(4) انظر: «المعجم الكبير» للطبراني (6510)، و«جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي (ص: 29). وقد نُسب هذا البيت لكثيرين.

وقال أبو هريرة ﷺ: كان رسول الله ﷺ يدلع لسانه للحسن بن علي ﷺ، فيرى الصبي حُمرة لسانه فيهش[1] إليه. رواه ابن أبي شيبة[2].

وقال ابن عباس ﷺ: كانت في النبي ﷺ دعابة[3].

وقال أنس ﷺ: كان النبي ﷺ من أفكه الناس[4].

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ مزَّاحاً، وكان يقول: «إِنَّ اللهَ لا يُؤَاخِذُ المَزَّاحَ الصَّادِقَ فِي مُزَاحِهِ»[5]. روى الثلاثة ابن الجوزي[6].

وقالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّيْ لأَمْزَحُ وَلا أَقُوْلُ إِلا حَقَّاً». رواه أبو الشيخ[7].

---

(١) كذا عند ابن حبان، وعدَّها العسكري من تصحيفات المحدثين وأن الصواب: «بهش إليه» وقال: بهش إليه؛ أي: نظر اليه وأعجبه واشتهاه فتناوله بسرعة وأسرع اليه. انظر: «تصحيفات المحدثين» للعسكري (١/ ٣٨٤).

(٢) ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٥٥٦٩).

(٣) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٨/ ٣٠٨) وقال: المحفوظ أنه مرسل عن عكرمة.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (ص: ٦٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٣٦١) وزاد: «مع صبي»، وقال: تفرد به ابن لهيعة.

(٥) رواه المعافى بن زكريا في «الجليس الصالح» (ص: ٣١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ٣٧) وقال: ليس هذا الإسناد بمتصل.

(٦) انظر: «الوفا بأحوال المصطفى» لابن الجوزي (ص: ٤٥٠).

(٧) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (١/ ٤٨٥).

وهو عند الطبراني في «الكبير» عن ابن عمر، وعند الخطيب عن أنس ﵁[1].

وقال أبو أمامة ﵁: كان رسول الله ﷺ من أضحك الناس سناً، وأطيبهم نفساً. رواه ابن أبي الدنيا في «المداراة»[2].

وقال جرير ﵁: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمتُ، ولا رآني إلا تبسم في وجهي. رواه الترمذي[3].

وقال عبدالله بن الحارث بن جَزْء ﵁: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ. رواه هو، والإمام أحمد[4].

وقال صهيب ﵁: ضحك رسول الله ﷺ حتى بَدَتْ نواجذه. رواه الإمام أحمد، والشيخان[5].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٤٤٣) عن ابن عمر ﵁، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣/ ٣٧٨) عن أنس ﵁.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (ص: ١٢٢)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٣٨)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٧): فيه علي بن يزيد الألهاني، وهو ضعيف.

(٣) رواه الترمذي (٣٨٢١)، وكذا البخاري (٢٨٧١)، ومسلم (٢٤٧٥).

(٤) رواه الترمذي (٣٦٤١)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٩١).

(٥) ورواه البزار في «مسنده» (٢٠٩٥). ولم أقف عليه من حديث صهيب لا في «الصحيحين» ولا في «المسند»، والله أعلم.

رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٢٩)، والبخاري (٦٩٧٨)، ومسلم (٢٧٨٦) عن عبدالله بن مسعود ﵁.

وقال عكرمة رحمه الله: عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان عبدالله بن رواحة رضي الله عنه مضطجعاً إلى جنب امرأته، فقام إلى جاريةٍ له في ناحية الحجرة فوقع عليها، وفزعت امرأته فلم تجده في مضجعها، فقامت فخرجت، فرأته على جاريته، فرجعت إلى البيت فأخذت الشفرة ثم خرجت، وفرغ فقام، فلقيها تحمل الشفرة، فقال: مَهْيم، قالت: لو أدْركتكَ حين رأيتك لوجأتُ بين كتفيكَ بهذه الشفرة، قال: وأين رأيتني؟ قالت: رأيتك على الجارية، قال: ما رأيتني وقد نهانا رسول الله ﷺ أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جُنب، قالت: فاقرأ، فقال:

[من الطّويل]

أَتانا رَسُوْلُ اللهِ يَتْلُو كِتابَهُ
كَما لاحَ مَشْهُورٌ مِنَ الْفَجْرِ ساطِعُ
أَتَى بِالْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوْبُنا
بِهِ مُوْقِنَاتٌ أَنَّ ما قالَ واقِعُ
يَبِيْتُ يُجافِي جَنْبَهُ عَنْ فِراشِهِ
إِذا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِيْنَ الْمَضاجِعُ

فقالت: آمنت بالله وكذبت البصر.

ثم غدا على رسول الله ﷺ فأخبره، فضحك حتى بَدَتْ نواجذه. رواه الدّارقطني[1].

---

(١) رواه الدارقطني في «السنن» (١/ ١٢٠).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت هذه الآية: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾[النجم: ٥٩ ـ ٦٠] ما رُؤِيَ النبي ﷺ بعدها ضاحكاً حتى ذهب من الدُّنيا. رواه ابن مردويه[١].

والمراد أنه ما ضحك ضحكاً له صوت، كما يدل عليه ما رواه ابن أبي شيبة، والإمام أحمد في «الزهد»، وغيرهما عن صالح أبي الخليل قال: لمَّا نزلت هذه الآية ما ضحك النبي ﷺ إلا أن يتبسم[٢].

وقال علي رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا رأى ما يكره قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلى كُلِّ حالٍ»، وإذا رأى ما يسرُّه قال: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتِ». رواه أبو الشَّيخ[٣].

وروى ابن ماجه عن عائشة نحوه[٤]، وزاد بعد: «الحَمْدُ للهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، رَبِّ أَعُوْذُ بِكَ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ»[٥].

وقال ابن مسعود، وأم سلمة رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ إذا غضب احمرَّتْ وجنتاه. رواهما الطَّبراني في «الكبير»[٦].

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٦٦٦).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٣٥٦) لكن لفظه: «ما رئي رسول الله ﷺ ضاحكا أو متبسماً منذ نزلت» وذكر الآيتين.

(٣) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (١/ ٥٠٨).

(٤) رواه ابن ماجه (٣٨٠٣).

(٥) رواه ابن ماجه (٣٨٠٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٧٩١) عن ابن مسعود رضي الله عنه، و(٢٣/ ٣٢٨) عن أم سلمة رضي الله عنها.

وقال البراء ﷺ: كان النبي ﷺ إذا غضب رُؤِيَ لوجهه ظلال. رواه أبو الشيخ[1].

وقال جابر بن سمرة ﷺ: كان النبي ﷺ طويل الصَّمت، قليل الضَّحك. رواه الإمام أحمد[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان كلام النبي ﷺ كلاماً فَصْلاً يفهمه كل مَنْ يسمعه[3].

وقال أبو طيبة رحمه الله: إن عمرو بن العاص ﷺ قام يوماً وقام رجل فأكثر القول، فقال عمرو: لو قصد في قوله لكان خيراً له، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لَقَدْ رَأَيْتُ ـ أَوْ أُمِرْتُ ـ أَنْ أَتَجَوَّزَ فِيْ القَوْلِ؛ فَإِنَّ الجَوَازَ هُوَ خَيْرٌ». رواهما أبو داود[4].

وقال أبو هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ». رواه الشيخان[5].

وقال أبو سعيد ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَعْرَبُ العَرَبِ». رواه الطبراني[6].

---

(١) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (١/ ٥٢١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٨٦).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٣٩).

(٤) رواه أبو داود (٥٠٠٨).

(٥) رواه البخاري (٢٨١٥)، ومسلم (٥٢٣).

(٦) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٤٣٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢١٨): فيه مبشر بن عبيد، وهو متروك.

وقال جابر بن عبدالله ﷺ: كان في كلام النبي ﷺ ترتيل أو ترسيل. رواه أبو داود(١).

وله عن ابن عمرو ﷺ قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: تكتب كل شيء ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكتُ عن الكتابة، وذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بأصبعه إلى فِيْه وقال: «اكْتُبْ؛ فَوَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلاَّ حَقٌّ»(٢).

وقيل لعائشة رضي الله عنها: هل كان رسول الله ﷺ يتمثل بشيءٍ من الشعر؟

قالت: كان يتمثل بشعر ابن رواحة، ويتمثل بقوله: «وَيَأْتِيْكَ بِالأَخْبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ». رواه الترمذي(٣).

وقال جندب بن سفيان البجلي ﷺ: أصاب حجر أصبع رسول الله ﷺ فدميَتْ، فقال: «هَلْ أَنْتِ إِلاَّ أُصْبَعٌ دَمِيَتِ وَفِيْ سَبِيْلِ اللهِ مَا لَقِيْتِ». رواه الشيخان، والترمذي(٤).

وقال النابغة ﷺ: أنشدتُ النبي ﷺ: [من الطّويل]

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٣٨).

(٢) رواه أبو داود (٣٦٤٦).

(٣) رواه الترمذي (٢٨٤٨) وصححه.

(٤) رواه البخاري (٥٧٩٤)، ومسلم (١٧٩٦)، والترمذي (٣٣٤٥).

بَلَغْنـــا الـــسَّماءَ مَجْـــدُنا وَجُـــدُودُنا

وَإِنَّـــا لنَرْجُـــو فَـــوْقَ ذَلِـــكَ مَظْهَـــرا

فقال: «أَيْنَ الْمَظْهَرُ يا أَبا لَيْلَى؟» قلت: الجنة، قال: «إِنْ شاءَ اللهُ»، ثم قلت:

وَلا خَيْـــرَ فِـــيْ حِلْـــمٍ إِذا لَـــمْ يَكُـــنْ لَـــهُ

بَـــوادِرُ تَحْمِـــي صَـــفْوَهُ أَنْ يُكَـــدَّرا

وَلا خَيْـــرَ فِـــيْ جَهْـــلٍ إِذا لَـــمْ يَكُـــنْ لَـــهُ

حَلِـــيْمٌ إِذا مـــا أُوْرِدَ الأَمْـــرُ أَصْـــدَرا

فقال النبي ﷺ: «أَجَدْتَ؛ لا يَفْضُضِ اللهُ فَاكَ»، مرَّتين. رواه أبو القاسم البغوي[1].

والأحاديث التي تشهد بإنشاد الشعر بين يديه ﷺ كثيرة.

وقالت حفصة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يجعل يمينَه لأكله وشربه، ووضوئه، وثيابه، وأخذه وعطائه، وشمالَه لما سوى ذلك. رواه الإمام أحمد[2].

---

(١) ورواه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ١٠٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٣٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٨٧)، وكذا رواه أبو داود (٣٢).

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يحبُّ التيامن ما استطاع في طهوره، وتنعله، وترجله، وفي شأنه كله. رواه الأئمة الستة[1].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ يتختم في يمينه. رواه البخاري، والترمذي[2].

وهو عند مسلم، والنسائي عن أنس رضي الله عنه، وعند الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه عن عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما[3].

وقال عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ يتختم بالفضة. رواه الطبراني في «الكبير»[4].

وقال أنس، وابن عمر رضي الله عنهم: كان رسول الله ﷺ يجعل فصه مما يلي كفه. رواهما ابن ماجه[5].

---

(١) رواه البخاري (٤١٦)، ومسلم (٢٦٨)، وأبو داود (٤١٤٠)، والترمذي (٦٠٨)، والنسائي (٥٢٤٠)، وابن ماجه (٤٠١).

(٢) رواه البخاري (٥٥٣٨)، والترمذي (١٧٤١). وكذا مسلم (٢٠٩١). لكن في حديث ابن عمر وأنس رضي الله عنهما أنه ﷺ لبس الخاتم في اليمين. أما عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما فكما جاء عند المؤلف رحمه الله.

(٣) رواه مسلم (٢٠٩٤)، والنسائي (٥٢٨٣) عن أنس رضي الله عنه.
ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٠٥)، والترمذي (١٧٤٤)، وابن ماجه (٣٦٤٧) عن عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما.

(٤) كذا عزاه السيوطي في «الشمائل الشريفة» (ص: ٢٧٨) إلى الطبراني.

(٥) رواه ابن ماجه (٣٦٤٦) عن أنس رضي الله عنه وكذا رواه مسلم (٢٠٩٤).
ورواه ابن ماجه (٣٦٤٥) عن ابن عمر رضي الله عنه.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا عَطَسَ وضع يده أو ثوبه على فيه، وخفض بها صوته. رواه أبو داود، والترمذي، والحاكم، وصححه[1].

وقال أبو سعيد رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا جلس في المجلس[2] احتبى بيديه. رواه الترمذي[3].

وله عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ متكئاً على يساره[4].

وقال أنس رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا مشى كأنه يتوكأ. رواه أبو الشيخ[5].

وقد قدمنا شيئاً من وصف مَشْيه في التشبه بالصالحين ﷺ.

وقال أنس رضي الله عنه: كان يُعجب النبي ﷺ إذا خرج لحاجته أن يسمع يا راشد يا نجيح. رواه الترمذي[6].

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٢٩)، والترمذي (٢٧٤٥) وصححه، والحاكم في «المستدرك» (٧٧٩٦).

(٢) في «الشمائل المحمدية»: «في المسجد» بدل «في المجلس».

(٣) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص: ١١٦)، وكذا أبو داود (٤٨٤٦) وقال: عبدالله بن إبراهيم شيخ منكر الحديث.

(٤) رواه الترمذي (٢٧٧٠) وحسنه.

(٥) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٢/ ٢٠)، وكذا رواه أبو داود (٤٨٦٣).

(٦) رواه الترمذي (١٦١٦) وصححه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يتفاءل ولا يتطير، وكان يحب الاسم الحسن. رواه الإمام أحمد[1].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: سمع رسول الله ﷺ كلمة فأعجبته، فقال: «أَخَذْنا فَأْلَكَ مِنْ فِيْكَ». رواه أبو الشيخ[2].

وهو عند أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه[3].

وقال: كان رسول الله ﷺ يُغير الاسم القبيح إلى الاسم الحسن. رواه أبو الشيخ[4].

وهو عند الترمذي عن عائشة رضي الله عنها[5].

وقالت رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويُثيب عليها. رواه الإمام أحمد، والبخاري، وأبو داود، والترمذي[6].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٥٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٤٧): رواه أحمد والطبراني، وفيه ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف بغير كذب.

(٢) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٤/ ٧١).

(٣) رواه أبو داود (٣٩١٧).

(٤) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٤/ ٨٣).

(٥) رواه الترمذي (٢٨٣٩). قال الترمذي في «العلل» (ص: ٣٤٥): سألت محمداً عن هذا الحديث، فقال: إنما يروى هذا عن هشام بن عروة عن أبيه عن النبي ﷺ مرسلاً.

(٦) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٩٠)، والبخاري (٢٤٤٥)، وأبو داود (٣٥٣٦)، والترمذي (١٩٥٣).

وقال أبو هريرة رضي الله عنها: كـان رسـول الله ﷺ إذا أُتي بطعام يسأل عنه: «أَهَدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ؟» فإن قيل: صدقة قال لأصحابه: «كُلُوا»، ولم يأكل، وإنْ قيل هدية ضربَ بيده فأكل معهم. رواه الشيخان[1].

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت رجلاً أكثر استشارة للرجال من رسول الله ﷺ. رواه أبو الشيخ[2].

وله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكشف عن رأسه في أول مطر يكون من السماء في ذلك الغمام، ويقول رسول الله ﷺ: «هُوَ أَحْدَثُ عَهْداً بِرَبِّنَا، وَأَعْظَمُهُ بَرَكَةً»[3].

وقال: كان رسول الله ﷺ إذا أتي بباكورة التمر[4] وضعها على عينيه ثم على شفتيه، وقال: «اللَّهُمَّ كَما أَرَيْتَنا أَوَّلَهُ فَأَرِنا آخِرَهُ»، ثم يُعطيه من يكون عنده من الصبيان. رواه ابن السني[5].

وهو عند الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، وعند الحكيم الترمذي عن أنس رضي الله عنهما[6].

---

(١) رواه البخاري (٢٤٣٧)، ومسلم (١٠٧٧).

(٢) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٤/ ١٨).

(٣) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٤/ ١٢٨).

(٤) في «عمل اليوم والليلة»: «الثمرة» بدل «التمر».

(٥) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٢٤٧).

(٦) انظر: «الشمائل الشريفة» للسيوطي (ص: ٦١).

وقالت عائــشة رضي الله عنها: كان رســول الله ﷺ إذا أتي بلبن قال: «بَرَكَة». رواه الحاكم، وصححه[1].

وقـال أنـس رضي الله عنه: ما أكل رسـول الله ﷺ على خِـوان[2]، ولا في سُكُرُّجَةٍ[3]، ولا خُبـِزَ له مُرَقَّقٌ. رواه البخاري[4].

وسُئِلَ سهل بن سعد رضي الله عنه: أكان رسول الله ﷺ أكل النقي؟ قال: لا والله ما رُؤِيَ رسول الله ﷺ آكل النقي حتى لقيَ الله. رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد»[5].

وقال عبدالله بن بُسر رضي الله عنه: كانت للنبي ﷺ قصعة يقال لها: الغراء، يحملها أربعة رجال. رواه أبو الشيخ[6].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعات طاوياً وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير[7].

وقال أبو أمامة رضي الله عنه: ما كان يفضل عن بيت رسول الله ﷺ خبز

---

(١) ورواه ابن ماجه (٣٣٢١).

(٢) الخوان: وهو ما يوضع عليه الطعام ليؤكل.

(٣) السكرجة: إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم، وهي فارسي معرب.

(٤) رواه البخاري (٥٠٩٩).

(٥) ورواه البخاري (٥٠٩٧).

(٦) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٣/ ٢٥٢)، وكذا رواه أبو داود (٣٧٧٣).

(٧) رواه الترمذي (٢٣٦٠) وصححه.

الشعير. رواهما الترمذي[1].

وقال عطاء بن أبي رباح رحمه الله: دُعِيَ أبو سعيد الخدري ﷺ وأنا معه، فرأى صفرة وخضرة فقال: أما تعلمون أن رسول الله ﷺ كان إذا تغدى لم يتعش، وإذا تعشى لم يتغد. رواه أبو نعيم[2].

وقال أنس ﷺ: كان النبي ﷺ إذا أكل لَعَقَ أصابعه الثلاث. رواه الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي[3].

وقال كعب بن مالك ﷺ: كان رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع، ويَلْعق يده قبل أن يمسحها. رواه الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود[4].

وقال: كان النَّبيُّ ﷺ يلعق أصابعه ثلاثاً. رواه الترمذي[5].

وقال عامر بن ربيعة ﷺ: كان رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع، ويستعين بالرابعة. رواه الطَّبراني في «الكبير»[6].

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٥٩) وصححه.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٢٣).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٩٠)، ومسلم (٢٠٣٤)، وأبو داود (٣٨٤٥)، والترمذي (١٨٠٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦٧٦٥).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٣٨٦)، ومسلم (٢٠٣٢)، وأبو داود (٣٨٤٨).

(٥) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص: ١٢٣).

(٦) كذا عزاه السيوطي في «الشمائل الشريفة» (ص: ٢٦٨) إلى الطبراني.

وقال عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما: إنَّ رسول الله ﷺ كان إذا أكل لم تَعْدُ يده ما بين يديه. رواه أبو الشيخ[1].

ورُوِيَ من طُرق أخرى.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يأكل الطعام مما يليه حتى إذا جاء التمر جالت يده. رواه أبو الشيخ[2].

وقال أبو جحيفة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «أمَّا أَنَا فَلا آكُلُ مُتَّكِئاً[3]». رواه البخاري، والترمذي[4].

---

(١) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٣/ ٢١٠).

(٢) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٣/ ٢٨٩). وفيه عبيد بن القاسم، قال ابن أبي حاتم في «المجروحين» (٢/ ١٧٥): ممن يروي المعضلات عن الثقات، روى عن هشام بن عروة بنسخة موضوعة لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب.

(٣) قال ابن الأثير في «جامع الأصول» (٧/ ٣٩٤): قال الخطابي: يحسب أكثر العامة أن المتكىء هو المائل على أحد شقيه، لا يعرفون غيره... وليس معنى الحديث ما ذهبوا إليه، إنما المتكىء ها هنا: هو المعتمد على الوطاء الذي تحته، فكل من استوى قاعداً على وطاء فهو متكىء، والاتكاء مأخوذ من الوكاء، وهو افتعال منه، فالمتكىء هو الذي أوكأ مقعدته، وشدها بالقعود على الوطاء الذي تحته، أراد: أنه إذا أكل لم يقعد على الأوطئة والوسائد، فعل من يريد أن يستكثر من الأطعمة، ويتوسع في الألوان، ولكني آكل علقة، وآخذ من الطعام بلغة، فيكون قعودي مستوفزاً، لا مستوطناً.

(٤) رواه البخاري (٥٠٨٣)، والترمذي (١٨٣٠).

وقال ابن عمرو رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ لا يأكل متكئاً، ولا يطأ عقبه رجلان[1]. رواه الإمام أحمد[2].

وقال أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ لا يأكل وحده، ولا يطأ عقبه رجلان. رواه الإمام أحمد.

وقال: كان رسول الله ﷺ لا يأكل وحده. رواه الخرائطي بسند ضعيف[3].

وقال أبو جحيفة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يأكل تمراً، فإذا مرَّت حشفة أمسكها في يده، فقال له قائل: أعطني هذا الذي بقيته، قال: «أَرْضَى لَكُم مَا أَسْخَطُهُ لِنَفْسِي؟» رواه أبو نعيم[4].

وقالت أم سلمة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ لا يعيب مأكولاً؛ إن أعجبه أكله، وإلاَّ تركه. رواه الشيخان.

ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما عابَ رسول الله ﷺ طعاماً قط إذا أُتيَ به؛ إنْ اشتهاه أكله، وإلا تركه[5].

وقالت أم هانىء رضي الله عنها: دخل عليَّ النبي ﷺ فقال:

---

(١) أي: لا يمشي خلفه رجلان ولا أكثر كما يفعل الملوك يتبعهم الناس كالخدم.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٥)، وكذا أبو داود (٣٧٧٠).

(٣) رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص: ٧٥).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٥٦).

(٥) رواه البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٢٠٦٤).

«أَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟» فقلت: لا إلا خبز يابس وخَلٌّ، فقال: «هَاتِ؛ مَا افْتَقَرَ بَيْتٌ مِنْ أُدُمٍ فِيْهِ خَلٌّ». رواه الترمذي(١).

وهو عند مسلم عن جابر بنحوه، وقال فيه: «هَاتُوْهُ؛ فَنِعْمَ الإِدَامُ الخَلُّ».

قال جابر رضي الله عنه: فالخل يُعجبني منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول فيه ما يقول(٢).

وقالت أم سعد رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «نِعْمَ الإِدَامُ الخَلُّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي الخَلِّ؛ فَإِنَّهُ كانَ إِدَامَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي، وَلَمْ يَفْتَقِرْ بَيْتٌ فِيْهِ خَلٌّ». رواه ابن ماجه(٣).

وقال الحسن البصري رحمه الله: ما رُفِعَتْ مائدة النبي ﷺ قط وعليها شيء. رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد»(٤).

وقال يزيد بن عبدالله بن قسيط رضي الله عنه: أتي رسول الله بسويق من سويق اللوز، فلما خيض قال: «ما هذا؟» قالوا: سويق اللوز، قال: «أَخِّرُوْهُ عَنِّيْ، هَذَا شَرَابُ المُتْرَفِيْنَ». رواه أبوه في «الزهد»(٥).

---

(١) رواه الترمذي (ص: ١٤٥).

(٢) رواه مسلم (٢٠٥٢).

(٣) رواه ابن ماجه (٣٣١٨).

(٤) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ٩).

(٥) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٦).

وقال مَنْ خدم رسول الله ﷺ ثماني سنين: إنه كان يسمع رسول الله ﷺ إذا قرب إليه طعام يقول: «بِسْمِ اللهِ». رواه النسائي[1].

وقال أبو أيُّوب رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا أكل أو شرب يقول: «الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ أَطْعَمَ وَسَقَىْ، وَسَوَّغَهُ، وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجاً». رواه أبو داود، والنسائي، وصححه ابن حبان[2].

وقال أبو سعيد رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من طعامه قال: «الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَجَعَلَنَا مُسْلِمِيْنَ». رواه الإمام أحمد، وأصحاب السنن[3].

وقال رجل من سليم: كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من طعامه قال: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَطْعَمْتَ وَسَقَيْتَ، فَأَشْبَعْتَ وَأَرْوَيْتَ، فَلَكَ الحَمْدُ غَيْرَ مَكْفُوْفٍ وَلا مَوَدَّعٍ وَلا مُسْتَغْنى عَنْكَ». رواه الإمام أحمد[4].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا شرب في الإناء

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٦٨٩٨).

(٢) رواه أبو داود (٣٨٥١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦٨٩٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٢٢٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٢)، وأبو داود (٣٨٥٠)، والترمذي (٣٤٥٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠١٢٠)، وابن ماجه (٣٢٨٣).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٣٦)، وعنده: «مكفور» بدل «مكفوف». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٩): فيه عبدالله بن عامر الأسلمي، وهو ضعيف.

تنفس ثلاثاً، يُسمي عند نفس، ويشكر في آخرهن. رواه ابن السني، والطبراني في «الكبير»[1].

وقال أنس ﷺ: كان رسول الله ﷺ يسقي أصحابه، قالوا: يا رسول الله! لو شربت، فقال: «سَاقِي القَوْمِ آخِرُهُمْ». رواه أبو الشيخ[2].

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: من سره أن ينظر إلى هدي رسول الله ﷺ، فلينظر إلى هدي عمرو بن الأسود ﷺ[3]. رواه الإمام أحمد بإسناد جيد.

قال عمرو: لا ألبس مشهوراً أبداً، ولا أنام عل دِثار أبداً، ولا أركب على مأثور أبداً، ولا أملأ جوفي من طعام أبداً[4].

وقال أبو بردة: أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساءً ملبداً، وإزاراً غليظاً، فقالت: قبض رسول الله ﷺ في هذين. رواه الشيخان وأبو داود والترمذي وغيرهم[5].

---

(١) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٤٢٤)، وضعف النووي إسناده في «الأذكار» (ص: ١٨٧).

(٢) ورواه مسلم (٦٨١) عن أبي قتادة ﷺ.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٨).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٥٦).

(٥) رواه البخاري (٢٩٤١)، ومسلم (٢٠٨٠)، وأبو داود (٤٠٣٦)، والترمذي (١٧٣٣).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ يلبس قميصاً فوق الكعبين مستوي الكُمين بأطراف أصابعه. رواه ابن عساكر[1].

وقالت عائشة رضي الله عنها: لبس رسول الله ﷺ بردة سوداء. رواه ابن أبي شيبة[2].

وقال الأشعث بن سليم: سمعت عمتي تحدث عن عمها رضي الله عنه قال: بينا أنا أمشي إذا إنسان خلفي يقول: «ارْفَعْ إِزَارَكَ؛ فَإِنَّهُ أَبْقَى وَأَنْقَى»، وإذا هو رسول الله ﷺ، قلت: يا رسول الله! إنما هي بردة ملحاء، قال: «أَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٌ؟» فنظرتُ فإذا إزاره إلى نصف ساقيه. رواه الترمذي[3]، وتقدم من رواية الخطابي.

وقال بديل العقيلي رضي الله عنه: كان كُم النبي ﷺ إلى الرسغ[4].

وأخرج نحوه عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها[5].

وقال جابر رضي الله عنه: ما رأيت أحسن من رسول الله ﷺ في حلة حمراء. رواه الطبراني، وغيره[6].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ١٩٥).

(٢) ورواه أبو داود (٤٠٧٤).

(٣) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص: ١٠٨).

(٤) ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٦٦٧).

(٥) رواه الترمذي (١٧٦٥) وحسنه.

(٦) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٨٠). وأصل الحديث في «السنن».

وقال: كان ﷺ يلبس برده الأحمر في العيدين والجمعة. رواه البيهقي في «سننه»[1].

وقالت أم سلمة رضي الله عنها: كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص. رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان لرسول الله ﷺ ثلاث قلانس؛ قَلَنْسُوة بيضاء مضربة، وقَلَنْسوة برد حبرة، وقَلَنْسوة ذات آذان يلبسها في الحرب[3]. رواه أبو الشيخ[4].

وقال جابر رضي الله عنه: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء. رواه الترمذي[5].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ إذا اعتمَّ أسدل عمامته بين كتفيه.

قال نافع: وكان ابن عمر يفعل ذلك. رواه الترمذي وحسنه، وأبو الشيخ[6].

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢٨٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٠٢٥)، والترمذي (١٧٦٢) وحسنه، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٦٦٨).

(٣) في «أخلاق النبي وآدابه»: «السفر» بدل «الحرب».

(٤) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٢/ ٢١١).

(٥) رواه الترمذي (١٧٣٥)، وكذا رواه مسلم (١٣٥٨).

(٦) رواه الترمذي (١٧٣٦) وحسنه، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٢/ ١٩٩).

وقال أنس ﷺ: لبس رسول الله ﷺ الصوف، واحتذى المخصوف، ولبس خشناً، وأكل بشعاً، فسُئِلَ الحسن: ما البشع؟ قال: غليظ الشعير ما كان يسيغه إلا بجرعة ماء. رواه الحاكم وصححه، وأبو الشيخ[1].

ودخل الصلت بن راشد على محمد بن سيرين رحمهم الله وعليه جبة صوف، وإزار صوف، وعمامة صوف، فاشمأزَّ منه محمد وقال: أظنُّ أنَّ أقواماً يلبسون الصوف يقولون: قد لبسه عيسى بن مريم عليهما السلام، وقد حدثني من لا أتهم أن رسول الله ﷺ قد لبس الكتان، والقطن، واليمنية، وسنة نبينا ﷺ أحق أن تُتبع[2].

وقال أنس ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوباً لبسه يوم الجمعة. رواه أبو الشيخ، والخطيب[3].

وقال أبو سعيد ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا استجدَّ ثوباً ـ سمَّاه باسمه: عمامة، أو قميصاً، أو رداء ـ يقول: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كَمَا كَسَوْتَنِيْهُ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ».

وفي لفظ: «لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيْهُ». رواه الإمام أحمد، وأبو

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٦١)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٢/ ٢٢٦)، وكذا ابن ماجه (٣٣٤٨).

(٢) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٢/ ٢٢٦).

(٣) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٢/ ١٠٣)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٤/ ١٣٦).

داود، والترمذي، والحاكم، وصححه[1].

وقال سهل بن سعد ﷺ: كان رسول الله ﷺ يُكثر القناع[2]، ويُكثر دهن الرأس، ويُسرح لحيته [بالماء]. رواه البيهقي في «الشعب»[3].

وقال ابن عباس ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا نظر وجهه في المرآة قال: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي حَسَّـنَ خَـلْقِي وَخُلُقِي، وَزَانَ مِنِّي مَا شَـانَ مِنْ غَيْرِي».

وإذا اكتحل جعل في كل عين اثنتين وواحدة بينهما.

وكان إذا لبس نعليه بدأ باليمين، وإذا خلع خلع اليسرى.

وكان إذا دخل المسجد أدخل رجله اليمنى، وكان يحب التيمن في كل شيء أخذ وأعطى. رواه أبو يعلى، والطبراني في «الكبير»[4].

وقال ابن عمر ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا لبس شيئاً من الثياب بدأ بالأيمن، وإذا نزع بدأ بالأيسر. رواه أبو الشيخ، وسنده ضعيف[5].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٠)، وأبو داود (٤٠٢٠)، والترمذي (١٧٦٧) وصححه، والحاكم في «المستدرك» (٧٤٠٨).

(٢) يكثر القناع: المراد هنا تغطية الرأس وأكثر الوجه برداء أو بغيره لنحو برد أو حر.

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٤٦٥).

(٤) رواه أبو يعلى في «المسند» (٢٦١١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٧١): فيه عمر بن حصين، وهو متروك.

(٥) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٤/ ١٣٥).

وقال أبو عبدالله الأغر ﷺ: كان رسول الله ﷺ يقص شاربه، ويأخذ من أظفاره قبل أن يروح إلى الجمعة. رواه أبو الشيخ[1].

وقال أبو هريرة ﷺ: كان رسول الله ﷺ يُقَلم أظفاره، ويقص شاربه يوم الجمعة قبل أن يروح إلى الصلاة. رواه البيهقي في «الشعب»[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يكتحل كل ليلة، ويحتجم كل شهر، ويشرب الدواء كل سنة. رواه ابن عدي[3].

وقال حذيفة ﷺ: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل شاص فاه بالسواك. رواه الأئمة إلا الترمذي[4].

وقال البراء ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا نام وضع يده اليمنى تحت خده وقال: «اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ». رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه[5].

---

(١) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٢/ ٢٢٦).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٦٣) وقال: في هذا الإسناد من يجهل، وكذا الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٤٢).

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٤٣٤). وفيه سيف بن محمد ابن أخت سفيان الثوري وهو كذاب.

(٤) رواه البخاري (٢٤٢)، ومسلم (٢٥٥)، وأبو داود (٥٥)، والنسائي (٢)، وابن ماجه (٢٨٦).

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٠٠)، والترمذي (٣٣٩٩) وحسنه.

وهو عند أحمد، والترمذي عن حذيفة، وعند أحمد، وابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنهما[1].

وأدعية النوم والاستيقاظ، والصباح والمساء الواردة عنه كثيرة جداً؛ ذكرنا أكثرها في كتاب «منبر التوحيد».

وقال الحسين رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يرفع يديه إذا ابتهل ودعا كما يستطعم المسكين. رواه الخطيب[2].

والابتهال: الاجتهاد في الدعاء، وإخلاصه؛ قاله في «القاموس»[3].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ إذا دعا جعل باطن كفيه إلى وجهه. رواه الطبراني في «الكبير»[4].

وقال بريدة رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ كان إذا دعا فرفع يديه مسح وجهه بيديه. رواه أبو داود[5].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٢٨)، والترمذي (٣٣٩٨) عن حذيفة رضي الله عنه. وكذا رواه البخاري (٥٩٥٥) عنه مع اختلاف في اللفظ.
ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٤٣)، وابن ماجه (٣٨٧٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه.
وكذا رواه أبو داود (٥٠٤٥) عن حفصة رضي الله عنها.

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٨/ ٦٢).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٢٥٣) (مادة: بهل).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٢٢٦).

(٥) رواه أبو داود (١٤٩٢) لكن عن السائب بن يزيد عن أبيه رضي الله عنهما.

وقال أبو أيوب ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا دعا بدأ بنفسه. رواه الطبراني في «الكبير»[1].

وقال أُبَيٌّ ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر أحداً بدعائه بدأ بنفسه. رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه؛ وصححه ابن حبان، والحاكم[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه. رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه[3].

وقالت: كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء، ويدعُ ما سوى ذلك. رواه أبو داود، وصححه الحاكم[4].

وقال ابن مسعود ﷺ: كان رسول الله ﷺ يدعو ثلاثاً، ويستغفر ثلاثاً. رواه البيهقي في «الدعوات»[5].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٠٨١)، وله شاهد عند أبي داود (٣٩٨٤) باللفظ نفسه عن أبي بن كعب ﷺ.

(٢) رواه أبو داود (٣٩٨٤)، والترمذي (٣٣٨٥) واللفظ له، وكذا رواه مسلم (٢٣٨٠).

(٣) رواه مسلم (٣٧٣)، وأبو داود (١٨)، والترمذي (٣٣٨٤)، وابن ماجه (٣٠٢).

(٤) رواه أبو داود (١٤٨٢)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٧٨).

(٥) رواه البيهقي في «الدعوات الكبير» (٢/ ٣٨)، وكذا رواه أبو داود (١٥٢٤).

وقال أنس ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تُفهم، وإذا أتى على قوم سلم عليهم يُسلم عليهم ثلاثاً. رواه الإمام أحمد، والبخاري، والترمذي[1].

وقالت عائشة رضي الله عنها: إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه من أدم حشوه ليف.

وفي رواية: كان وساد رسول الله ﷺ الذي يتكىء عليه من أدم حشوه ليف. رواه الشيخان، وغيرهما[2].

وقالت: صنعت للنبي ﷺ فراشين، فأبى أن يضطجع إلا على واحد[3].

وقالت: دخلت عليَّ امرأة من الأنصار، فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مثنية، فرجعت إلى منزلها فبعثت إليَّ بفراش حشوه الصوف، فدخل عليَّ رسول الله ﷺ فقال: «مَا هَذَا؟» فقلت: فلانة الأنصارية دخلت علي فرأت فراشك، فبعثت إليَّ بهذا، فقال: «رُدِّيهِ»، فلم أرده وأعجبني أن يكون في بيتي حتى قال لي ذلك ثلاث مرات، فقال: «يا عَائِشَةُ! رُدِّيهِ فَوَاللهِ لَوْ شِئْتُ لأَجْرَى اللهُ مَعِيَ جِبَالَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ»،

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢١٣)، والبخاري (٩٥)، والترمذي (٢٧٢٣).

(٢) رواه البخاري (٦٠٩١)، ومسلم (٢٠٨٢).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٤).

فرددته. رواهما الإمام أحمد في «الزهد»[1].

وسُئِلَتْ حفصة رضي الله عنها عن فراش رسول الله ﷺ فقالت: مسح ثنيته ثنتين فينام عليه، فلما كان ذات ليلة قلت: لو ثنيته بأربع ثنيات كان أوطأ له، قالت: فثنيناه بأربع ثنيات، فلما أصبح قال: «مَا فَرَشْتُمْ لِيَ اللَّيْلَةَ؟» قلنا: هو فراشك إلا ثنيناه بأربع ثنيات، قلنا: هو أوطأ لك، قال: «رُدُّوْهُ لِحَالَتِهِ الأُوْلَى؛ فَإِنَّهُ مَنَعَتْنِيْ وَطَاءَتُهُ صَلاَتِيَ اللَّيْلَةَ». رواه الترمذي[2].

وقال أنس رضي الله عنه: كان لرسول الله ﷺ ملحفة مورسة[3] تدور بين نسائه. رواه أبو الشيخ[4].

وقال: دخلت على النَّبيِّ ﷺ وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف. رواه أبو الشيخ[5].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٤)، وكذا ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٦٥).

(٢) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص: ٢٧٠). قال ابن طاهر المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (٣/ ١٨١٦) فيه سلام بن أبي خبزة متروك الحديث.

(٣) مِلحفةٌ مورَّسة: مصبوغة بالوَرْسِ، وهو صِبْغ أصفرِ، وقيل نَبَت طيّب الرائحة يزرع في اليمن.

(٤) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٢/ ٥١٢).

(٥) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٣/ ١٣)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٣٩).

وقال ابن مسعود ﷺ: نام رسول الله ﷺ على حصير، وقد أثر في جنبه قلنا: يا رسول الله! لو اتخذت لك وطاء، فقال: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِيْ الدُّنْيَا إِلا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا». رواه ابن ماجه، والترمذي، وصححه[1].

وقال عمرو بن العاص ﷺ: لقد أصبحتم وأمسيتم ترغبون فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه، أصبحتم ترغبون في الدنيا وكان رسول الله ﷺ يزهد فيها، والله ما أتت على رسول الله ﷺ ليلة من دهره إلا كان الذي عليه أكثر من الذي له. رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح[2].

وقال أبو أمامة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَباً، فَقُلْتُ: لا يَا رَبِّ، وَلَكِنْ أَجُوْعُ يَوْماً وَأَشْبَعُ يَوْماً، فَإِذَا شَبِعْتُ حَمَدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ، وَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ». رواه الإمام أحمد، والترمذي[3].

وقال أبو هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوْتاً». رواه الشيخان.

وفي رواية: «كَفافاً»[4].

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٠٩)، والترمذي (٢٣٧٧) وصححه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٠٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٤٥)، والترمذي (٢٣٤٧) وحسنه.

(٤) رواه البخاري (٦٠٩٥)، ومسلم (١٠٥٥).

وقال أنس ﷺ: كان النبي ﷺ لا يدخر شيئاً [لغد]. رواه الترمذي[1].

والمعنى: كان لا يدخر لنفسه، وصحَّ أنه كان يدخر لعياله.

وفي «الصحيحين» عن عمر ﷺ: أن النبي ﷺ كان يبيع نخل بني النضير، ويحبس لأهله قوت سنتهم[2].

وقال أنس ﷺ: أُهديت للنبي ﷺ ثلاثة طوائر، فأطعم خادمه طائراً، فلما كان من الغد أتته به، فقال لها رسول الله ﷺ: «أَلَمْ أَنْهَكِ أَنْ تَرْفَعِي شَيْئاً لِغَدٍ؛ فَإِنَّ اللهَ عَزَ وَجَلَّ يَأْتِي بِرِزْقِ كُلِّ غَدٍ». رواه الإمام أحمد في «الزهد»[3].

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما رفع رسول الله ﷺ قط عشاء لغداء، ولا غداء لعشاء، ولا اتخذ من شيء زوجين، ولا قميصين، ولا رداءين، ولا إزارين، ولا من النعال، ولا رُؤي قط فارغاً في بيته؛ إما يخصف نعلاً لرجلٍ مسكين، أو يخيطُ ثوباً لأرملة. رواه ابن الجوزي في «الوفا»[4].

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٦٢) وقال: غريب، ويروى مرسلاً.

(٢) رواه البخاري (٥٠٤٢) واللفظ له، ومسلم (١٧٥٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٨). وحسن الهيثمي إسناده في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٠٣).

(٤) انظر: «الوفا بأحوال المصطفى» لابن الجوزي (ص: ٤٨٠)، وروى طرفه ابن أبي الدنيا في «القناعة» (ص: ٧٢).

وقال الحسن رحمه الله: كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه فأتناول سقفها بيدي[1].

وقال داود بن قيس رحمه الله: رأيت الحجرات من جريد النخل مغشى من خارج بمسوح الشعر، وأظنُّ عرض البيت من باب الحجرة إلى باب البيت نحواً من ستة أذرع أو سبعة أذرع، وأحزر البيت الداخل عَشر أذرع، وأظن سمْكه بين الثمان والسبع. رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وابن أبي الدنيا، والبيهقي[2].

والمراد بالذراع ذراع الآدمي، جمعاً بين قول داود بن قيس: وأظن سمكه بين الثمان والسبع، وقول الحسن: فأتناول سقفها بيدي.

وقال عطاء الخراساني رحمه الله: أدركت حُجَرَ أزواج النبي ﷺ من جريد النخل، على أبوابها المسوح من الشعر أسود، قال: فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ يأمر بإدخال حُجَر أزواج النبي ﷺ في مسجد رسول الله ﷺ، فما رأيت يوماً أكثر باكياً من ذلك اليوم، فسمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذٍ: والله لوددتُ أنهم تركوها على حالها ينشأ ناشيء من أهل المدينة، ويقدم القادم من الأفق فيرى ما اكتفى به رسول الله ﷺ في حياته، فيكون ذلك مما يزهد

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٥٠)، وابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (ص: ١٦٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٧٣٤).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٥١)، وابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (ص: ١٦٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٧٣٥).

الناس في التكاثر والتفاخر فيها.

وقال يومئذٍ أبو أمامة بن سهل بن حنيف رحمه الله: ليتها تُركَتْ فلم تُهدم حتى يقتصر الناس عن البناء، ويَرون ما رضي الله لنبيه ﷺ ومفاتح خزائن الدُّنيا بيده. رواه ابن سعد في «طبقاته»[1].

وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ عَنِّيْ، أَوْ مَنْ سرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ فَلْينظُرْ إِلَىْ أَشْعَثَ شَاحِبٍ مُشَمِّرٍ لَمْ يَضَعْ لَبِنَةً عَلَىْ لَبِنَةٍ، وَلا قَصَبَةً عَلَىْ قَصَبَةٍ، رُفِعَ لَهُ عَلَمٌ فَشَمَّرَ إِلَيْهِ؛ اليَوْمَ المِضْمَارُ وَغَداً السِّبَاقُ، وَالغَايَةُ الجَنَّةُ أَوِ النَّارُ». رواه الطبراني في «الأوسط»، وسنده ضعيف[2].

وقال أبو سعيد رضي الله عنه: اشترى أسامة بن زيد رضي الله عنهما وليدة بمئة دينار إلى شهر، فسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أُسَامَةَ لَطَوِيْلُ الأَمَلِ، وَالَّذِيْ نَفْسِي بِيَدِهِ مَا طَرَفَتْ عَيْنَايَ إلا ظَنَنْتُ أَنَّ شفريَّ لا يَلْتَقِيَانِ حَتَى يَقْبِضَ اللهُ رُوْحِي، وَلا لَقَمْتُ لُقْمَةً إِلاَّ ظَننتُ أَنِّيْ لا أَسِيغُهَا حَتَى أَغُصَّ بِهَا مِنَ المَوْتِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّمَا تُوْعَدُوْن لآتٍ وَمَا أَنْتُم بِمُعْجِزِيْن». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «قصر الأمل»، وأبو نعيم، والبيهقي[3].

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٦٧).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٢٤١).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (ص: ٢٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٩١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٦٤).

وقال المغيرة بن شعبة ﷺ: إن النبي ﷺ كان إذا ذهب المذهب أبعد. رواه أبو داود[1].

وأخرجه ابن ماجه عن بلال بن الحارث ﷺ، وهو والنسائي عن عبد الرَّحمن بن أبي قراد بلفظ: «إذا أراد الحاجة أبعد»[2].

وقال أنس، وابن عمر ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا أراد الحاجة لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض. رواهما أبو داود، والترمذي[3].

وأخرجه الطبراني في «الأوسط» عن جابر ﷺ[4].

وقال أنس ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعوُذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ». رواه الإمام أحمد، والستة[5].

زاد ابن أبي شيبة: «بِسْمِ اللهِ» في أوله، وفي لفظ: «أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ

---

(١) رواه أبو داود (١)، وكذا الترمذي (٢٠)، وابن ماجه (٣٣١).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٣٦) عن بلال بن الحارث ﷺ.

ورواه ابن ماجه (٣٣٤) والنسائي (١٦) عن عبد الرَّحمن بن أبي قراد ﷺ.

(٣) رواه أبو داود (١٤)، والترمذي (١٤) وقال: كلا الحديثين مرسل.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥١١٨). قال ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٣٦٤): باطل، وحسين بن عبيدالله العجلي يشبه أن يكون ممن يضع الحديث.

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٠١)، والبخاري (١٤٢)، ومسلم (٣٧٥)، وأبو داود (٤)، والترمذي (٥)، والنسائي (١٩)، وابن ماجه (٢٩٨).

الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ»[1].

وقال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء وضع خاتمه. رواه الأربعة، وصححه ابن حبان والحاكم[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء غطى رأسه. رواه الخطيب في «تلخيص المتشابه»[3].

وأخرجه ابن سعد عن حبيب بن صالح مرسلاً، ولفظه: إذا دخل المرفق لبس حذاءه، وغطى رأسه[4].

وقال المهاجر بن قنفذ ﷺ: أتيتُ النبي ﷺ وهو يبول، فسلمت عليه فلم يرد علي حتى توضأ، ثم اعتذر إليَّ وقال: «إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَذْكُرَ اللهَ إِلاَّ عَلَىٰ طُهْرٍ». رواه أبو داود، وغيره[5].

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يُؤتى بالصبيان

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥).

(٢) رواه أبو داود (١٩) وقال: منكر، والترمذي (١٧٤٦) وحسنه، والنسائي (٥٢١٣)، وابن ماجه (٣٠٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١٤١٣)، والحاكم في «المستدرك» (٦٧٠).

(٣) وروواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٨٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٩٦) وقال: وهذا الحديث أحد ما أنكر على محمد بن يونس الكديمي.

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٨٣)، وكذا البيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٩٦).

(٥) رواه أبو داود (١٧)، وكذا النسائي (٣٨)، ابن ماجه (٣٥٠).

ليدعو لهم، فأُتي بصبي فَبَالَ على ثوبه، فدعا بماء فأتبعه إيَّاه. رواه الشيخان[1].

زاد مسلم: ولم يغسله[2].

وقال أنس ﷺ: كان رسول الله ﷺ أرحم النَّاس بالصبيان والعيال. رواه ابن عساكر[3].

وقال عبدالله بن أبي قتادة رحمه الله: كان أبو قتادة ﷺ يصغي الإناء للهرة فتشرب، ثم يتوضأ به، فقيل له في ذلك فقال: ما صنعتُ إلا ما رأيتُ رسول الله ﷺ يصنع. رواه البيهقي في «سننه»[4].

وقال بهز ﷺ: كان رسول الله ﷺ يستاك عرضاً، ويشرب مصّاً، ويتنفس ثلاثاً، ويقول: «هُوَ أَهْنَأُ، وَأَمْرَأُ، وَأَبْرَأُ». رواه البغوي، وغيره[5].

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا توضأ خلل لحيته بالماء. رواه الإمام أحمد، والحاكم، وصححه[6].

---

(١) رواه البخاري (٥٩٩٤)، ومسلم (٢٨٦).

(٢) ورواها البخاري كذلك.

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ٨٨).

(٤) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٢٤٦)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٠٩).

(٥) رواه ابن قانع في «معجم الصحابة» (١/ ١٠٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٤٢). قال ابن أبي حاتم: رواه ثبيت بن كثير الضبي وهو منكر الحديث.

(٦) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٥٣١).

وأخرجه هو والترمذي عن عثمان، وعن عمار بن ياسر، والحاكمُ عن بلال، وعن أنس، والطبرانيُّ في «الأوسط» عن ابن عمر، وفي «الكبير» عن أبي أمامة، وعن أبي الدرداء، وعن أم سلمة رضي الله عنهم[1].

وقال جابر رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا توضأ أدار الماء على مرفقيه. رواه الدارقطني[2].

وقال أبو رافع رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا توضأ حرَّك خاتمه. رواه ابن ماجه[3].

وقال المستورد رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا توضأ دلك أصابع رجليه بخنصره. رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه[4].

---

(١) رواه الترمذي (٣١) وصححه عن عثمان رضي الله عنه.
ورواه الترمذي (٢٩) وكذا ابن ماجه (٤٢٩) عن عمار بن ياسر رضي الله عنه.
ورواه الحاكم في «المستدرك» (٥٣٠) وكذا ابن ماجه (٤٣١) عن أنس رضي الله عنه.
ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٣٦٣) عن ابن عمر رضي الله عنه.
ورواه في «المعجم الكبير» (٨٠٧٠) عن أبي أمامة رضي الله عنه، و(٢٦/ ٢٩٨) عن أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) رواه الدارقطني في «السنن» (١/ ٨٣) وقال: ابن عقيل ليس بقوي.

(٣) رواه ابن ماجه (٤٤٩)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٥٦). قال ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٤٥٠): معمر بن محمد بن عبيدالله بن أبي رافع عن أبيه منكر الحديث.

(٤) رواه أبو داود (١٤٨)، والترمذي (٤٠) وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، وابن ماجه (٤٤٦). وابن لهيعة ضعيف.

وقال سفينة ﷺ: كان رسول الله ﷺ يتوضأ بالمد، ويغتسل بالصاع. رواه مسلم[1].

واتفق عليه هو والبخاري عن أنس ﷺ بزيادةِ: إلى خمسة أمداد[2].

وقال أنس ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيْبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِيَ فِي الصَّلاَةِ». رواه الإمام أحمد، والنسائي، والحاكم، وصححه[3].

وقال: كان رسول الله ﷺ لا يَرُدُّ الطِّيب. رواه الإمام أحمد، والبخاري، والترمذي، والنسائي[4].

وقال ابن مسعود ﷺ: كان رسول الله ﷺ لا يكون في المصلين إلا كان أكثرهم صلاة، ولا يكون في الذاكرين إلا كان أكثرهم ذكراً. رواه الخطيب، وابن عساكر[5].

وقال عطاء بن يسار رحمه الله مرسلاً: كان رسول الله ﷺ إذا كان

---

(١) رواه مسلم (٣٢٦).

(٢) رواه مسلم (٣٢٥)، والبخاري (١٩٨).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٣٣)، والبخاري (٢٤٤٣)، والترمذي (٢٧٨٩)، والنسائي (٥٢٥٨).

(٥) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٩٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ١٥٣).

في قومٍ يصلون كان آخرهم، وإذا كان في قوم يذكرون كان آخرهم.

وقـال يحيى بن أبـي كثير رحمـه الله: قيل لابن عمر رضي الله عنهما: أكـان رسول الله ﷺ يلتفت في صلاته؟ قال: لا، ولا في غيرها. رواهما الإمام أحمد في «الزهد».

وقال عبدالله بن الشِّخِّير رضي الله عنه: أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ولصدره أزيز كأزيز المِرجل. رواه ابنه في «زوائده»، وغيره[1].

وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى الفجر قَعَد في مُصَلاَّه حتى تطلع الشمس. رواه الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي[2].

وقال أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى الغداة في سفر مشى عن راحلته قليلاً. رواه أبو نعيم، والبيهقي[3].

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى صلاة أثبتها[4]. رواه مسلم[5].

---

(١) ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٥)، والنسائي (١٢١٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٩١)، ومسلم (٦٧٠)، وأبو داود (١٢٩٤) والترمذي (٥٨٥)، والنسائي (١٣٥٧).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٨٠)، والبيهقي في «الآداب» (٢/ ٣٧٥).

(٤) قال إسماعيل بن جعفر ـ وهو أحد رواه الحديث ـ: يعني: داوم عليها.

(٥) رواه مسلم (٨٣٥).

وقالت: كان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً أثبته. رواه مسلم، وأبو داود[1].

وقالت هي وأم سلمة رضي الله عنهما: كان أحب العمل إلى رسول الله ﷺ ما دُوْوِمَ عليه وإنْ قَلَّ. رواه الترمذي، والنسائي[2].

وقال أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ أخف الناس صلاة في تمام. رواه مسلم، والترمذي، والنسائي[3].

وقال أبو واقد رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ أخف الناس صلاة على الناس، وأطول الناس صلاةً لنفسه. رواه الإمام أحمد، وأبو يعلى[4].

وقال عبدالله بن أبي أوفى، وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يُكثر الذكر، ويقل اللغو، ويُطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، وكان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته. رواهما الحاكم.

وحديث ابن أبي أوفى عند النسائي[5].

---

(١) رواه مسلم (٧٤٦)، وأبو داود (١٣٦٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٥٦)، والنسائي (١٦٥٥)، وتقدم تخريجه من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه مسلم (٤٦٩)، والترمذي (٢٣٧)، والنسائي (٨٢٤).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢١٨)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٣١٠).

(٥) رواه النسائي (١٤١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤٢٢٥) عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه. =

وقال أنس رضي الله عنه: تعبد رسول الله ﷺ حتى صار كالشَّنِّ البالي[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ جَعَلَ لِكُلِّ نَبِيٍّ شَهْوَةً، وَإِنَّ شَهْوَتِي قِيَامُ هَذَا اللَّيْلِ». رواهما أبو الشيخ[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُوْنَ عَبْداً شَكُوْراً؟» رواه الشيخان، وتقدم من طريق آخر[3].

وقال أبو ذر رضي الله عنه: صلَّى رسول الله ﷺ ليلةً، فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[المائدة: ١١٨]، فلما أصبح قلت: يا رسول الله! مازلْتَ تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها، قال: «إِنِّيْ سَأَلْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ الشَّفَاعَةَ لأُمَّتِي فَأَعْطَانِيْهَا، وَهِيَ نَائِلَةٌ ـ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىْ ـ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً». رواه الإمام أحمد[4].

= ورواه الحاكم في «المستدرك» (٤٢٢٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(١) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٣/ ١٦٥). وفيه عبد الحكم القسملي منكر الحديث.

(٢) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٣/ ١٢٦)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٥٥٢).

(٣) رواه البخاري (٤٥٥٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٤٩)، وكذا النسائي (١٠١٠)، وابن ماجه (١٣٥٠).

وقال أبو هريرة ﷺ: كانت قراءة رسول الله ﷺ بالليل يرفع طوراً ويخفض طوراً. رواه أبو الشيخ[1].

وقال جابر ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتدَّ غضبه كأنه منذر جيشٍ يقول: «صَبَّحَكُم مَسَّاكُم». رواه ابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، وصححاه[2].

وقال جابر بن سمرة ﷺ: كانت صلاة النبي ﷺ قصداً وخطبته قصداً. رواه مسلم[3].

وقال: كان رسول الله ﷺ لا يطيل الموعظة يوم الجمعة. رواه أبو داود، والحاكم، وصححه[4].

وقال جابر بن عبدالله ﷺ: كان رسول الله ﷺ يغدو يوم الفطر والأضحى في طريق، ويرجع في آخر[5].

وقال بريدة ﷺ: كان رسول الله ﷺ لا يخرج يوم الفطر حتى

---

(١) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٣/ ١٤٨)، وكذا أبو داود (١٣٢٨).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٠٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (٨٥٩٥)، وكذا رواه مسلم (٨٦٧).

(٣) رواه مسلم (٨٦٦).

(٤) رواه أبو داود (١١٠٧)، والحاكم في «المستدرك» (١٠٦٧).

(٥) رواه البخاري (٩٤٣)، ولفظه: «كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيدٍ خالف الطريق».

يَطْعَم، ولا يَطْعَم يوم النحر حتى يذبح. رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، والدارقطني، وصححه ابن القطان[1].

وقال أنس ﷺ: كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات. رواه البخاري.

زاد تعليقاً: ويأكلهنَّ إفراداً[2].

ووصل هذه الزيادة أحمد[3].

وقال جابر بن سمرة ﷺ: كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل سبع تمرات[4].

وقال جابر بن عبدالله ﷺ: كان للنبي ﷺ بردٌ يلبسه في العيدين والجمعة. رواه البيهقي في «سننه»[5].

وقال ابن عباس ﷺ: ما هبت ريحٌ قط إلا جثا النبي ﷺ على

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٦٠)، والترمذي (٥٤٢) وقال: غريب، وابن ماجه (١٧٥٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٨١٢)، والحاكم في «المستدرك» (١٠٨٨)، والدارقطني في «السنن» (٢/ ٤٥)، وصححه ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٥/ ٣٥٦).

(٢) رواه البخاري (٩١٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٢٦).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠٣٩).

(٥) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢٤٧).

ركبته وقال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رَحْمَةً وَلا تَجْعَلْهَا عَذَاباً، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَاحاً وَلا تَجْعَلْهَا رِيْحاً». رواه الشافعي في «الأم»، والطبراني في «الكبير»، ولفظه: كان إذا هاجت الريح استقبلها بوجهه، وجثا على ركبتيه، ومدَّ يديه، وقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيْحِ وَخَيْرِ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رَحْمَةً» إلى آخره[١].

وقال عباد بن تميم: عن عمه ـ وهو عبدالله بن زيد بن عاصم المازني ﷺ ـ: إن رسول الله ﷺ خرج بالنَّاس يستسقي لهم، فصلَّى ركعتين جَهَرَ فيهما بالقراءة، وحوَّل رداءه، ودعا، واستسقى، واستقبل القبلة. رواه البخاري، وأبو داود[٢].

وقال جابر ﷺ: إنَّ النبي ﷺ استسقى وحوَّل رداءه ليتحول القحط. رواه الحاكم[٣].

وقال أنس ﷺ: إن النبي ﷺ استسقى فأشار بظهر كفيه إلى السَّماء. رواه مسلم[٤].

---

(١) رواه الإمام الشافعي في «الأم» (١/ ٢٥٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٥٣٣).

(٢) رواه البخاري (٩٧٩)، وأبو داود (١١٦١) واللفظ له، وكذا رواه مسلم (٨٩٤).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٢١٦).

(٤) رواه مسلم (٨٩٦).

وقال خلاد بن السائب، عن أبيه ﷺ: كان النبي ﷺ إذا سأل جعل باطن كفيه إليه، وإذا استعاذ جعل ظاهرها إليه. رواه الإمام أحمد[1].

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا رأى المطر قال: «اللَّهُمَّ صَيِّباً نَافِعاً». رواه البخاري[2].

وقال كعب بن مالك ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر. رواه الشيخان[3].

وقال ابن مسعود ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا غضب احمرت وجنتاه. رواه الطبراني في «الكبير»[4].

وقال أنس ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا كره شيئاً رُؤِيَ ذلك في وجهه. رواه الطبراني في «الأوسط»[5].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٥٦).

(٢) رواه البخاري (٩٨٥).

(٣) رواه البخاري (٣٣٦٣)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٧٩١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٧٨): فيه إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى التيمي، وهو ضعيف.

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٧٥٦)، وكذا أبو يعلى في «المسند» (٣١٢٤)، والبزار في «المسند» (٧١٨٢) وقال: إنما يعرف هذا الحديث عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

وقال أبو بكرة ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه أمر يُسَرُّ به خرَّ ساجداً شُكراً لله تعالى. رواه أبو داود، وابن ماجه، وصححه الحاكم[1].

وقال أبو هريرة ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا اغتمَّ أخذ لحيته بيده ينظر فيها. رواه الشيرازي في «الألقاب»[2].

وقال هو وعائشة: كان رسول الله ﷺ إذا اهتمَّ أكثر من مسِّ لحيته. رواهما أبو نعيم في «الطِّب»[3].

وقال: كان رسول الله ﷺ إذا أهمَّه الأمر رفع رأسَهُ إلى السَّماء وقال: «سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ»، وإذا اجتهد في الدُّعاء قال: «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ». رواه الترمذي[4].

وقال حذيفة ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا حَزَبه أمر صلَّى. رواه الإمام أحمد، وأبو داود[5].

---

(١) رواه أبو داود (٢٧٧٤)، وابن ماجه (١٣٩٤)، والحاكم في «المستدرك» (١٠٢٥).

(٢) انظر: «الشمائل الشريفة» للسيوطي (ص: ٩٤).

(٣) ورواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (١/ ٤٢٥) عن عائشة رضي الله عنها. وحسن إسناده العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٦٧٧).
ورواه البزار في «المسند» (٧٩١٤) عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) رواه الترمذي (٣٤٣٦) وحسنه.

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٨)، وأبو داود (١٣١٩).

وقال عبدالله بن سلام ﷺ: كان النبي ﷺ إذا نزل بأهله شدة أو ضيق أمرهم بالصَّلاة، وتلا: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾[طه: ١٣٢] الآية. رواه أبو عبيد القاسم بن سلام، والطبراني في «الأوسط»، وأبو نعيم، والبيهقي في «الشعب» بسند صحيح[١].

وقال عبدالله بن جعفر ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذ حزبه أمر قال: «لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الحَلِيْمُ الكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ العَظِيْمِ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ». رواه الإمام أحمد[٢].

وقال البراء بن عازب ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا أصابته شدة فدعا رفع يديه حتى يُرى بياض إبطيه. رواه أبو يعلى.

وقال قتادة رحمه الله: ما بعث الله نبياً إلا حسن الصوت، وكان نبيكم ﷺ حسن الوجه حسن الصوت. رواه الترمذي مرسلاً، وأوصله بعضهم[٣].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٨٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٧٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣١٨٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٠٦)، وكذا النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٨٢).

(٣) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص: ٢٦١) مرسلاً. قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٥٠٦٥): ورويناه متصلاً في «الغيلانيات» من رواية قتادة عن أنس ﷺ، والصواب الأول، قاله الدارقطني، ورواه ابن مردويه في «التفسير» من حديث علي بن أبي طالب ﷺ، وطرقه كلها ضعيفة.

وقال جابر ﷺ: كان رسول الله ﷺ يمدُّ صوته بالقراءة مداً. رواه الإمام أحمد، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم، وصححه[1].

وسئل بعض أزواج النبي ﷺ عن قراءة النبي ﷺ فقالت: إنكم لا تستطيعونها، فقيل لها: أخبرينا بها، فقرأت قراءة ترسلَتْ فيها. رواه ابن أبي شيبة عن ابن أبي مليكة رحمه الله[2].

ونعتت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله ﷺ فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً. رواه أبو داود، والترمذي وصححه، والنَّسائي[3].

وقال حذيفة ﷺ: صليت مع النَّبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المئة، ثم مضى فقلت: يُصلي بها في ركعة، فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح سورة النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرَّ بآية سؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوذ، ثم ركع فجعل يقول: «سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيْمِ»، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٩٢)، والنسائي (١٠١٤)، وابن ماجه (١٣٥٣).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٧٣٤)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٨٨) وقال: قال أبو عامر ـ أحد رواة الحديث ـ: أراها حفصة رضي الله عنها.

(٣) رواه أبو داود (١٤٦٦)، والترمذي (٢٩٢٣) وصححه، والنسائي (١٠٢٢).

حَمِدَهُ»، ثم قام قياماً طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد فقال: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَىٰ»، وكان سجوده قريباً من قيامه.

وفي رواية: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ»[1].

وقال أنس ﷺ: كان النبي ﷺ إذا ختم جمع أهله ودعا. رواه أبو نعيم[2].

وقال داود بن قيس ـ وهو من تابعي التابعين رحمهم الله ـ: كان رسول الله ﷺ يقول عند ختم القرآن: «اللَّهُمَّ ارْحَمني بِالقُرْآنِ، وَاجْعَلْهُ لِيْ إِمَاماً وَنُوْراً، وَهُدَىً وَرَحْمَةً، اللَّهُمَّ ذَكِّرْنِيْ مِنْهُ مَا نُسِّيْتُ، وَعَلِّمْنِيْ مِنْهُ مَا جَهِلْتُ، وَارْزُقْنِيْ تِلاوَتَهُ آناءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَاجْعَلْهُ لِيْ حُجَّةً يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ». رواه أبو منصور المظفر بن الحسين الأرجاني في «فضائل القرآن»، وأبو بكر بن الضحاك في «الشَّمائل»[3].

وقال ابن عباس ﷺ: كان ﷺ لا يكل طهوره إلى أحد، ولا صدقته التي يتصدق بها، يكون هو الذي يتولاها بنفسه. رواه ابن ماجه[4].

---

(١) رواه مسلم (٧٧٢).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٦٠)، وكذا ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٠٣٨).

(٣) انظر: «تخريج أحاديث الإحياء» للعراقي (١/ ٢٢٦).

(٤) رواه ابن ماجه (٣٦٢)، وضعف ابن الملقن إسناده في «البدر المنير» (٢/ ٢٤٥)، وكذلك ابن حجر في «التلخيص الحبير» (١/ ٩٧).

وقال أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يصوم إذا صام حتى يقول القائل: لا يفطر، ويفطر إذا أفطر حتى يقول القائل: لا والله لا يصوم. رواه الشيخان[1].

ولهما نحوه عن ابن عباس[2].

وقال أسامة بن زيد رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يصوم الأيام حتى يُقال: لا يفطر، ويفطر الأيام حتَّى لا يكاد يصوم إلا يومين من الجمعة إن كانا في صيامه وإلا صامهما، فقلت: يا رسول الله! إنك تصوم لا تكاد تفطر، وتفطر حتى لا تكاد تصوم إلا يومين إن دخلا في صيامك، وإلا صمتهما، قال: «أَيُّ يَوْمَيْنِ؟» قلت: الاثنين والخميس، قال: «ذَانِكَ يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيْهِمَا الأَعْمَالُ عَلَىْ رَبِّ العَالَمِيْنَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ». رواه الإمام أحمد[3].

وقال علي رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يصوم عاشوراء، ويأمر به. رواه أبو نعيم[4].

وقال أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن

---

(١) رواه البخاري (١٠٩٠)، ومسلم (١١٥٨).

(٢) رواه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١١٥٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٠١)، وكذا النسائي (٢٣٥٨).

(٤) ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٢٩)، والبزار في «المسند» (٦٠١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٨٤): فيه جابر الجعفي، وثقه شعبة والثوري، وفيه كلام كثير.

يُصلي، فإن لم تكن رطبات فتمرات، فإن لم تكن تمرات حَسَا حَسَوات من ماء. رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي[1].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ إذا أفطر قال: «ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ العُرُوْقُ، وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللهُ». رواه أبو داود، والحاكم[2].

وقال أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا أفطر عند قوم قال: «أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُوْنَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْكُمُ المَلائِكَةُ». رواية الإمام أحمد، والبيهقي[3].

وعند الطبراني نحوه عن ابن الزبير رضي الله عنهما، وقال: «وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ المَلائِكَةُ»[4].

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أمراً قال: «اللَّهُمَّ خِرْ لِي، وَاخْتَرْ». رواه الترمذي[5].

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٦٤)، وأبو داود (٢٣٥٦)، وكذا الترمذي (٦٩٦) وحسنه.

(٢) رواه أبو داود (٢٣٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (١٥٣٦).

(٣) رواية الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١١٨)، والبيهقي. وكذا أبو داود (٣٨٥٤).

(٤) رواه الطبراني في «الدعاء» (٩٢٧)، وكذا ابن ماجه (١٧٤٧).

(٥) رواه الترمذي (٣٥١٦) وضعفه.

الأواخر من رمضان حتى توفَّاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده. رواه الشيخان[1].

وقال علي ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً قال: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصُوْلُ، وَبكَ أَحُوْلُ، وَبِكَ أَسِيْرُ». رواه الإمام أحمد[2].

وقال عبدالله بن سَرْجس ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا سافر يتعوذ من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحَور بعد الكَور، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر في الأهل والمال. رواه مسلم[3].

وله عن ابن عمر بمعناه[4].

وقال فَضَالة بن عبيد ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا نزل منزلاً في سفر، أو دخل بيته لم يجلس حتى يركع ركعتين. رواه الطبراني في «الكبير»[5].

وقال أنس ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا نزل منزلاً لم يرتحل حتى يُصلي فيه ركعتين. رواه البيهقي في «السنن»[6].

---

(١) رواه البخاري (١٩٢٢)، ومسلم (١١٧٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٥٠).

(٣) رواه مسلم (١٣٤٣).

(٤) رواه مسلم (١٣٤٢).

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٣٠٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٨٣): فيه الواقدي، وقد وثقه مصعب الزبيري وغيره، وضعفه جماعة كثيرون من الأئمة.

(٦) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٥٣).

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقصر في السفر ويتم، ويصوم ويفطر. رواه الدارقطني، والبيهقي في «سننهما»(١).

وقالت: كان رسول الله ﷺ لا يدع ركعتي الفجر في السَّفر ولا في الحضر، ولا في الصحة ولا في السَّقم. رواه الخطيب(٢).

وقال أبو هريرة ﷺ: صحبت رسول الله ﷺ في سفر في ليلة، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، فبكى حتى سقط، فقرأها عشرين مرَّة؛ كل ذلك يبكي حتى يسقط، ثم قال في آخر ذلك: «لَقَدْ خَابَ مَنْ لا يَرْحَمُهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيْمُ»، فبكى حتى سقط. رواه أبو الشيخ(٣).

وقال أنس ﷺ: حجَّ رسول الله ﷺ على رحل ـ أو قال: على راحلة، أو كانت زاملته(٤)، وفي لفظ: على راحلته وكان تحته رحلٌ ـ رث وقطيفة قيمتها أربعة دراهم. رواه باللفظ الأول الشيخان، وبالثاني الترمذي في «الشَّمائل»، وابن ماجه بسند ضعيف، ولفظه: حجَّ على رحلٍ رث وقطيفة تسوى أربعة دراهم ولا تسوى.

---

(١) رواه الدارقطني في «السنن» (٢/ ١٨٩) وصحح إسناده، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ١٤١).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٨٥).

(٣) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٣/ ١٨١).

(٤) الزاملة: البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع، وعادة الكبراء أن تكون الزاملة غير الراحلة.

ثم قال: «اللَّهُمَّ حَجَّةً لا رِيَاءَ فِيْهَا وَلا سُمْعَةَ»[1].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: استقبل رسول الله ﷺ الحَجَرَ، ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلاً، ثم التفت فإذا هو بعمر بن الخطاب رضي الله عنه [يبكي]، فقال: «يَا عُمَرُ! هَاهُنَا تُسْكَبُ العَبَرَاتُ». رواه ابن ماجه[2].

وقال قتادة رحمه الله: سألتُ أنساً رضي الله عنه: كم حجَّ رسول الله ﷺ؟ قال: حجة واحدة، واعتمر أربع عمر[3].

وقال أبو إسحاق رحمه الله: سألتُ زيد بن أرقم رضي الله عنه: كم غَزَوْتَ مع رسول الله ﷺ؟ قال: سبع عشرة[4].

قال: وحدثني زيد بن أرقم: أنَّ رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة، وأنه حجَّ بعد ما هاجر حجة واحدة حجة الوداع؛ قال أبو إسحاق: وبمكة أخرى. رواهما الشيخان[5].

وقال جابر رضي الله عنه: أفاض النبي ﷺ في حجة الوداع وعليه السكينة والوقار وأمرهم أن يرمُوا بمثل حصى الخذف، وأوضع في وادي مُحَسِّرٍ، وقال: «لِتَأْخُذُوْا عَنِّيْ نُسُكَهَا؛ فَإِنِّي لا أَدْرِيْ لَعَلِّيْ لا أَلْقَاهُمْ

---

(١) رواه البخاري (١٤٤٥)، والترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص: ٢٧٥)، وابن ماجه (٢٨٩٠).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٩٤٥)، وكذا ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٧١٢).

(٣) رواه البخاري (١٦٨٧)، ومسلم (١٢٥٣) واللفظ له.

(٤) رواه البخاري (٤٢٠١)، ومسلم (١٢٥٤).

(٥) رواه البخاري (٤١٤٢)، ومسلم (١٢٥٤).

بَعْدَ عَامِيَ هَذَا»[١].

وقال قدامة بن عبدالله العامري ﵁: رأيت النَّبيَّ ﷺ رمى الجمرة يوم النحر على ناقةٍ له صهباء[٢]، لا ضرب ولا طرد، ولا إليك إليك[٣]. رواهما ابن ماجه، وغيره[٤].

وقال ابن عباس ﵄: كان رسول الله ﷺ لا تدفع عنه الناس، ولا يضربون عنه. رواه الطبراني في «الكبير»[٥].

وقال عبدالله بن عمرو ﵄: كان رسول الله ﷺ يكره أن يطأ أحدٌ عقبه، ولكن يمين وشمال. رواه الحاكم[٦].

وقال جابر ﵁: كان رسول الله ﷺ إذا مشى مشى أصحابه أمامه، وتركوا ظهره للملائكة. رواه ابن ماجه، والحاكم[٧].

وقال جارية الأنصاري ﵁: كان رسول الله ﷺ إذا لم يحفظ اسم الرجل قال: يا ابن عبدالله. رواه ابن السني[٨].

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٠٢٣)، وكذا أبو عوانة في «المسند» (٣٥٤٣).

(٢) صهباء: الذي يخالط بياضها حُمرة.

(٣) ولا إليك: اسم فعل بمعنى ابتعد وتنحَّ. ويفسره الحديث التالي.

(٤) رواه ابن ماجه (٣٠٣٥)، وكذا النسائي (٣٠٦١).

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٦٢٨).

(٦) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٧٤٤).

(٧) رواه ابن ماجه (٢٤٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٤٤).

(٨) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٣٥٥)، وكذا الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٤٣٦).

وقال أنس ﷺ: كان رسول الله ﷺ لا يُواجه أحداً في وجهه شيء يكرهه. رواه الإمام أحمد، والبخاري في «تاريخه»، وأبو داود، والنسائي[1].

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيءُ لم يقل: ما بال فلان يقول، ولكن يقول: ما بال أقوامٍ يقولون كذا وكذا. رواه أبو داود[2].

وقالت: كان أبغض الخُلُق إلى رسول الله ﷺ الكذب. رواه البيهقي في «الشعب»[3].

وقالت: كان رسول الله ﷺ إذا اطلع على أحد من أهل بيته كذب كذبة لم يزلْ معرضاً عنه حتى يحدث توبة. رواه الإمام أحمد، والحاكم[4].

وقال أنس ﷺ: إنَّ النبي ﷺ كان يزور الأنصار، ويُسلم على صبيانهم، ويمسح برؤوسهم. رواه النسائي، وصححه البغوي في «شرح السنة»[5].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٣٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٣٧)، وأبو داود (٤٧٨٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٦٥).

(٢) رواه أبو داود (٤٧٨٨).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨١٧) وقال: قال البخاري: هو مرسل.

(٤) ورواه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٩).

(٥) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٨٣٤٩)، وصححه البغوي في «شرح السنة» (١٢/ ٢٦٤).

وقال: كان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده. رواه أبو يعلى[1].

وقال أسامة بن زيد رضي الله عنهما: إن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكاف تحته قطيفة فَدَكِيَّةٌ، وأردف وراءه أسامة بن زيد وهو يَعُود سعد بن عبادة رضي الله عنه في بني الحارث بن الخزرج ـ وذلك قبل وقعة بدر ـ حتى مرَّ بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفيهم عبدالله بن أُبيٍّ وفي المجلس عبدالله بن أبي رواحة رضي الله عنه، فلما غشيت المجلس عَجَاجَةُ الدابة فخمر عبدالله بن أُبيٍّ أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم عليهم النبي ﷺ، ثم وقف فنزل، ودعا إلى الله عز وجل، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبدالله بن أُبيٍّ: أيها المرء! لا أحسن من هذا؛ إن كان ما تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه.

فقال عبدالله بن رواحة رضي الله عنه: اغشنا في مجالسنا؛ فإنا نحبُّ ذلك.

فاستبَّ المسلمون والمشركون حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة رضي الله عنه، فقال: «أَيْ سَعْدُ! أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُوْ حُبَاب؟ ـ يُرِيْدُ: عَبْدَاللهِ بْنَ أُبَيٍّ ـ

---

(١) رواه أبو يعلى في «المسند» (٣٤٢٩).

قَالَ كَذَا وَكَذَا».

قال: اعفُ عنه واصفح يا رسول الله، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوجوه فيعصبوه بالعصائب، فلما ردَّ الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شَرِقَ بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه النبي ﷺ. رواه الشَّيخان[1].

والبحيرة: تصغير البحرة، وهي القرية؛ يعني: المدينة.

وقوله: فيعصبوه؛ أي: يسودوه، والعرب يسمون السيد معصباً.

وقال عبدالله بن بُسْرٍ ﷺ: كان النبي ﷺ إذا أتى باب قومٍ لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: «السَّلاَمُ عَلَيْكُم، السَّلاَمُ عَلَيْكُم»، وذلك أن الدُّور لم يكن عليها يومئذٍ ستور. رواه الإمام أحمد، وأبو داود[2].

وقال أنس ﷺ: لم يكن شخص أحب إليهم رؤيةً من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك. رواه الترمذي، وصححه[3].

وقال: عطس عند رسول الله ﷺ رجلان، فشمَّت أحدهما

---

(١) رواه البخاري (٥٨٩٩)، ومسلم (١٧٩٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٩)، وأبو داود (٥١٨٦) واللفظ له.

(٣) رواه الترمذي (٢٧٥٤) وصححه.

ولم يُشمِّت الآخر، فقال الرجل: يا رسول الله! شَمَّتَّ فلاناً ولم تُشمِّتني، فقال: «إِنَّ هَذا حَمِدَ اللهَ وَأَنْتَ لَمْ تَحْمَدْ». رواه الشيخان، وغيرهما[1].

وقال أبو هريرة ﵁: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا بَعَثْتُمْ إِلَيَّ رَسُوْلاً فَابْعَثُوْا حَسَنَ الوَجْهِ، حَسَنَ الاسمِ». رواه البزار، والطبراني في «الأوسط»، وأبو الشيخ[2].

وقال: كان النَّبي ﷺ يُغير الاسم القبيح إلى الاسم الحسن. رواه البغوي في «شرح السنة»[3].

وقال ابن عباس ﵄: كانت جويرية اسمها برَّة، فحوَّل رسول الله ﷺ اسمها جويرية، وكان يكره أن يُقال: خرج من عند برة. رواه مسلم، وغيره[4].

وقال يزيد بن جارية الأنصاري ﵁: إن النبي ﷺ كان إذا لم يحفظ اسم الرجل قال: «يا ابْنَ عَبْدِاللهِ». رواه الطبراني في «الكبير»،

---

(١) رواه البخاري (٥٨٧١)، ومسلم (٢٩٩١).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٧٤٧)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٤/ ٩١). قال ابن القيم في «المنار المنيف» (ص: ٦٣): فيه عمر بن راشد، قال ابن حبان: يضع الحديث، وذكر أبو الفرج بن الجوزي هذا الحديث في «الموضوعات».

(٣) رواه البغوي في «شرح السنة» (١٢/ ٣٤٢).

(٤) رواه مسلم (٢١٤٠).

و«الأوسط» وسنده جيد[1].

وقال أنس: كان رسول الله ﷺ يأتي أبا طلحة كثيراً، قال: فجاءه يوماً وقد مات نُغَيْرٌ لابنه، فوجده حزيناً، فسألهم عنه فأخبروه، فقال له النبي ﷺ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ! مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟»[2].

وفي لفظ: إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ! مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟». رواهما الشيخان[3].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في حديث: وكان من خُلُقِه ﷺ أن يسمي سلاحه، ودوابه، ومتاعه. رواه الروياني، وابن عساكر[4].

وقال سهل بن سعد رضي الله عنه: كان للنبي ﷺ فرس يُقال لها: اللحيف. رواه البخاري[5].

وقال: كان له ﷺ فرس يسمى الضرب، وآخر يسمى اللِّزاز. رواهما البيهقي في «السنن»[6].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٤٣٦)، وفي «المعجم الصغير» (٣٦٠)، وقد تقدم لكن عزاه هناك إلى ابن السني فقط.

(٢) رواه بهذا اللفظ النسائي في «السنن الكبرى» (١٠١٦٤).

(٣) رواه البخاري (٥٧٧٨)، ومسلم (٢١٥٠).

(٤) انظر: «الشمائل الشريفة» للسيوطي (ص: ٣٦٧).

(٥) رواه البخاري (٢٧٠٠).

(٦) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٥).

وقال علي ﷺ: كان فرسه ﷺ يقال له: الْمُرتجز، وناقته: القصواء، وبغلته: الدلدل وحماره: عفيره، ودرعه: ذات الفضول، وسيفه: ذو الفقار. رواه أبو داود[1].

وأخرج الإمام أحمد منه: كان له حمار اسمه عفير[2].

وقال ابن عباس ﷺ: كان له ﷺ سيف محلى قائمته من فضة، ونعله من فضة، وفيه حلق من فضة، وكان يسمى: ذا الفقار.

وكان له قوس يُقال له: ذا السداد.

وكان له كنانة تسمى: ذا الجمع.

وكان له درع موشحة بنحاس تسمى: ذات الفضول.

وكان له حربة تسمى: النبغاء[3].

وكان له مِجَنٌّ تسمى: الذقن.

وكان له فرس أشقر يسمى: المرتجز.

وكان له فرس أدهم يسمى: السكب.

وكان له سرج يسمى: الداج.

وكان له بغلة شهباء تسمى: دُلدل.

وكان له ناقة تسمى: القصواء.

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١١١).

(٣) في «المعجم الكبير»: «النعباء».

وكان له حمار يسمى: يعفور.

وكان له بساط يسمى: الكز.

وكان له عنزة تسمى: النمر.

وكان له ركوة تسمى: الصادر.

وكان له مرآة تسمى: المدلة.

وكان له مقراض يسمى: الجامع.

وكان له قضيب من شوحط يسمى: الممشوق. رواه الطبراني في «الكبير»[1].

وقال عبدالله بن بسر ﷺ: كان للنَّبي ﷺ قصعة يقال لها: الغراء، يحملها أربعة رجال. رواه أبو داود[2].

وقال حنظلة بن حِذْيَم ﷺ: كان رسول الله ﷺ يُعجبه أن يدعى الرجل بأحب أسمائه إليه وأحب كُناه. رواه أبو يعلى، والطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات، وغيرهما[3].

وروى أبو هريرة، وأبو ذر ﷺ: أنه ﷺ لم يكن يعرف مجلسه من مجالس أصحابه، وكان يجلس بين ظهراني أصحابه، فيجيء

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٢٠٨).

(٢) رواه أبو داود (٣٧٧٣).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٤٩٩)، وكذا البخاري في «الأدب المفرد» (٨١٩).

الغريب فلا يدري أيُّهم هو حتى يسأل. رواه أبو داود، والنَّسائي[1].

وقالت قيلة بنت مخرمة رضي الله عنها: رأيت رسول الله ﷺ في المسجد، وهو قاعد القرفصاء.

قالت: فلما رأيت رسول الله ﷺ المتخشع أرعدت من الفَرَق. رواه الترمذي[2].

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا جلس في المجلس احتبى بيديه. رواه أبو داود[3].

وقال قرة بن إياس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا جلس جلس إليه أصحابه حِلَقاً حِلقاً. رواه البزار[4].

وقال عبدالله بن سلام رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا جلس يتحدث يكثر أن يرفع بصره إلى السَّماء. رواه أبو داود[5].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ إذا دخل على مريضٍ

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٩٨)، والنسائي (٤٩٩١).

(٢) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص: ١١٥)، وكذا أبو داود (٤٨٤٧).

(٣) تقدم تخريجه، لكن عزاه هناك إلى الترمذي فقط.

(٤) رواه البزار في «المسند» (٣٣١١) وقال: وهذا الحديث لا نعلم رواه عن خالد بن ميسرة إلا سعيد بن سلام، وسعيد لين الحديث، وإنما يكتب من حديثه ما ينفرد به ويبين العلة في ذلك.

(٥) رواه أبو داود (٤٨٣٧).

يعوده قال: «لا بَأْسَ، طَهُورٌ إن شاءَ اللهُ». رواه البخاري[1].

وقال: كان رسول الله ﷺ إذا شهد جنازة رُؤيت عليه كآبة، وأكثر حديث النفس. رواه الطبراني في «الكبير»[2].

وقال أنس رضي الله عنه: إن كان رسول الله ﷺ ليصيب التمرة فيقول: «لَوْلاَ أَنِّيْ أَخْشَى أَنَّهَا مِنَ الصَّدَقَةِ لأَكَلْتُهَا» رواه الإمام أحمد، والشيخان[3].

وقال عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أَرِقَ رسول الله ﷺ ليلةً فقال له بعض نسائه: أرقتَ يا رسول الله؟ قال: «أَجَلْ؛ وَجَدْتُ تَمْرَةً فَأَكَلْتُهَا فَخَشِيْتُ أَنْ تَكُوْنَ مِنَ الصَّدَقَةِ». رواه الإمام أحمد بإسناد حسن[4].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة ـ وكان صغيراً ـ فقال النبي ﷺ: «كِخْ كِخْ أَلْقِهَا». رواه البخاري[5].

وقال عمر رضي الله عنه: دخل رسول الله ﷺ غَيضة مع بعض أصحابه،

---

(١) رواه البخاري (٥٣٣٨).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١١٨٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٨٤)، والبخاري (٢٢٩٩)، ومسلم (١٠٧١).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٩٣). وحسن العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٤٤١).

(٥) رواه البخاري (١٤٢٠). وكذا مسلم (١٠٦٩).

فـاجتنى منهـا سـواكين ـ أحدهمـا معـوج، والآخـر مســتقيم ـ فدفع المستقيم إلى صاحبه، فقال له: يا رسول الله! كنتَ أحقَّ بالمستقيم، فقال ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِباً سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ إلاَّ سُئِلَ عَنْ صُحْبَتِهِ: هَلْ أَقَامَ مِنْهَا حَقَّ اللهِ أَمْ أَضَاعَهُ». رواه إبراهيم بن الجنيد في كتاب «الصحبة والإخاء» بسند ضعيف[1].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس يقول: «رَبِّ اغْفِرْ لِيْ وتُبْ عَلَيَّ؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَوَّابُ الغَفُوْرُ» مئة مرة. رواه الإمام أحمد، وغيره[2].

وقـال عبدالله الحضرمي رضي الله عنه: كان رسـول الله ﷺ إذا قـام من المجلس اسـتغفر الله عشرين مرة، فأعلن. رواه ابن السني[3].

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ لا يقوم من مجلس إلا قـال: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي وَبِحَمْـدِكَ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوْبُ إِلَيْكَ».

وقال: «لا يَقُوْلُهُنَّ أَحَدٌ حَيْثُ يَقُوْمُ مِنْ مَجْلِسِهِ إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ فِيْ ذَلِكَ المجْلِسِ». رواه الحاكم، وصححه[4].

---

(١) ورواه ابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٤٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢١). وكذا أبو داود (١٥١٦)، وابن ماجه (٣٨١٤).

(٣) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٤٠١).

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٢٧).

وقال أبو معبد الخزاعي ﷺ: إنَّ رسول الله ﷺ خرج ليلةَ هاجرَ هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ﵄، ودليلهم عبدالله بن الأريقط الليثي، فمروا بخيمتي أم معبد الخزاعية رضي الله عنها، وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء الخيمة، فتطعم وتسقي، فسألوها هل معها لحم أو لبن يشترونه منها، فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك، فقالت: لو كان عندها شيء ما أعوزكم القرى، وإذا القوم مرملون مسنتون، فنظر رسول الله ﷺ فإذا شاة في كسر الخيمة، فقال: «مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ؟».

قالت: شاة خلَّفَها الجَهْد عن الغنم.

قال: «فَهَلْ بِها مِنْ لَبَنٍ؟».

قالت: بأبي أنت هي أجهد من ذلك.

قال: «تَأْذَنِيْنَ لِيْ أَنْ أَحْلِبَهَا؟».

قالت: إن كان لها حلب فاحلبها.

قال: فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسحها، وذكر اسم الله ودعا بإناء لها تربض الرَّهط، فتفاجت ودرت واجترت، فحلب فيه ثجاً حتى علاه الثُّمال، فسقاها، وسقى أصحابه فشربوا عللاً بعد نهل حتى أراضوا وشرب آخرهم، وقال: «سَاقِي القَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبَاً»، ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء فغادره عندها، ثم ارتحلوا.

قال: فقَلَّ ما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً حِيَلاً عِجافاً ما تُساوك هُزلاً لا نقيَّ بهنَّ، مخهن قليل، فلما رأى اللبن

عَجِبَ، وقال: من أين اللبن يا أم معبد ولا حَلُوبة في البيت والشاة عازبة؟

فقالت: لا والله، إلا أنه مرَّ بنا رجلٌ مبارك وكان من حديثه كيت وكيت.

فقال: صِفِيْه يا أم معبد؛ فوالله أراهُ صاحب قريش الذي تطلب.

فقالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة حسن الخَلْق، مليح الوجه، لم تَعِبْه ثُجْلة، ولم تزر به صعلة، وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وَطَف، وفي صوته صَحَل، أَحْوَر، أَكْحَل، أَزَجَّ، أقْرَن، في عنقه سطَع، وفي لحيته كثافة، إذا صمَت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البَهَاء، حُلُو المنطق، فَصْلٌ لا نزْر ولا هذْر، كأن منطقه خرزات نَظْم ينحدرن، أجهر الناس وأجمله من بعيد وأحسنه من قريب، رَبْعَةٌ لا تَشْنَؤه من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، وهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إن قال استمعوا لقوله، وان أمر تباروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مُفند.

قال: هذا والله صاحب قريش الذي يطلب، ولو صادفتهُ لالتمست أني أصحبه، ولأجهدن إن وجدتُ إلى ذلك سبيلاً.

قال: وأصبح صوت بمكة عالياً بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقوله، وهو يقول: [من الطويل]

جَـــزى اللهُ رَبُّ النَّـــاسِ خَيْــرَ جَزائِــهِ
رَفِيْقَـــيْنِ حَــلاَّ خَيْمَتَــي أُمِّ مَعْبَــدِ

هُمــا نَــزَلا بِالْبِــرِّ وَارْتَحَــلا بِــهِ
فَــأَفْلَحَ مَــنْ أَمْــسَى رَفِيْــقَ مُحَمَّــدِ

فَيــا لِقُــصَيٍّ مــا زَوَى اللهُ عَــنْكُمُ
بِــهِ مِــنْ فِعــالٍ لا تُجــازَى وَسُــؤْدَدِ

سَــلُوا أُخْــتَكُمْ عَــنْ شَــأْنِها وَإِنائِهــا
فَــإِنَّكُمُ إِنْ تَــسْأَلُوا الــشَّاةَ تَــشْهَدِ

دَعاهــا بِــشاةٍ حائِــلٍ فتَحَلَّبَــتْ
لَــهُ بِــصَرِيْحٍ صَــرَّةُ الــشَّاةِ مُزْبِــدِ

فَغــادَرَهُ رَهْنــاً لَــدَيْها لِحالِــبٍ
بِــدَرَّتِها فِــي مُــصْدِرٍ ثُــمَّ مُــوْرِدِ

قال: فأصبح الناس قد فقدوا نبيهم، فأخذوا على خيمتي أم معبد حتى لحقوا برسول الله ﷺ، قال: وأجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه:

[من الطويل]

لَقَــدْ خــابَ قَــوْمٌ زالَ عَــنْهُمْ نَبِــيُّهُمْ
وَقُــدِّسَ مَــنْ يَــسْرِي إِلَــيْهِمْ وَيَغْتَــدِي

تَرَحَّـــلَ عَـــنْ قَـــوْمٍ فَزالَـــتْ عُقُـــوْلُهُمْ
وَحَـــلَّ علـــى قَـــوْمٍ بِنُـــوْرٍ مُجَـــدَّدِ

وَهَـــلْ يَـــسْتَوِي ضُـــلاَّلُ قَـــوْمٍ تَـــسَكَّعُوا
عَمَـــىً وهُـــداةٌ يَهْتَـــدُوْنَ بِمُهْتَـــدِ

نَبِـــيٌّ يَـــرَى مـــا لا يَـــرَى النَّـــاسُ حَوْلَـــهُ
وَيَتْلُـــو كِتَـــابَ اللهِ فِـــيْ كُـــلِّ مَـــشْهَدِ

وَإِنْ قـــالَ فِـــيْ يَـــوْمٍ مَقالَـــةَ غائِـــبٍ
فَتَـــصْدِيْقُها فِـــيْ ضَـــحْوَةِ الْيَـــوْمِ أَوْ غَـــدِ

لِـــيَهْنِ أَبَـــا بَكْـــرٍ سَـــعادَةُ جَـــدِّهِ
بِـــصُحْبَتِهِ مَـــنْ يُـــسْعِدِ اللهُ يَـــسْعَدِ

وَيَهْـــنِ بَنِـــي كَعْـــبٍ مَكَـــانُ فَتَـــاتِهِمْ
وَمَقْـــصِدُها لِلْمُـــسْلِمِيْنَ بِمَرْصَـــدِ

أخرجه ابن السَّمعانيِّ في «أماليه» بهذا اللفظ، ورواه البخاري في «تاريخه» مختصراً[١].

قوله: كانت امرأة برزة؛ أي: خلالها سن، فهي تبرز لا تتحجب لصغرها.

---

(١) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٨٤)، وكذا ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٣١)، والحاكم في «المستدرك» (٤٢٧٤).

جلدة؛ أي: قوية.

مرملون؛ أي: نَفِدَ زادهم.

مسنتون؛ أي: داخلون في السنة، وهي الجدب والمجاعة.

وروي مشتون: داخلون في الشتاء.

كسر الخيمة ـ بالفتح، أو الكسر لغتان ـ: أسفل الشقة التي تلي الأرض.

تفاجات ـ بالجيم ـ: فتحت ما بين رجليها للحلب.

تربض الرهط ـ بالموحدة، والمعجمة ـ أي: ترويهم حتى يشبعوا فيربضوا.

والثج ـ بالمثلثة، والجيم ـ: السيلان.

والثمال ـ بضم المثلثة ـ: جمع ثمالة، وهي الرغوة.

والنهل: الشرب الأول.

والعلل: الثاني.

وأراضوا: رووا، وامتلئوا.

والحيل: جمع حائل؛ أي: لم تحمل.

ما تساوك هزلاً؛ أي: لا تتمايل من الضعف، وروي: ما تساق ـ بالقاف ـ.

والشاء عازبة؛ أي: بعيدة في المرعى.

متبلج الوجه: مضيئه كالصبح.

والثجلة ـ بضم المثلثة، وبالجيم ـ: عظم البطن واسترخاء أسفله.

وفي رواية: نحلة ـ بالنون، والحاء المهملة ـ: الرقة والضمور.

والصعل ـ بالمهملتين؛ مفتوحة فساكنة ـ: صغر الرأس.

وسيم قسيم؛ أي: حسن وضيء.

والدعج: سوادَ العينين.

أزج أقرن: كثير شعر الحاجبين مقرونهما.

والوَطَف: الطول.

والصحل كالبُحَّة.

والسطع: طول العنق.

إذا تكلم سما؛ أي: علا برأسه أو يديه.

فصل لا نزر ولا هذر؛ أي: وسط لا قليل ولا كثير؛ أي: كلامه بقدر الحاجة.

لا تشنؤه؛ أي: لا تبغضه ولا تعيبه.

لا تقتحمه عين من قصر؛ أي: لا تزدريه ولا تحتقره.

محفود محشود؛ أي: له حفدة؛ أي: خدم تجتمع عليه.

والمفند: الملوم، وروي: ولا معتد؛ أي: ظالم.

والصريح في قول الهاتف: الخالص من اللبن.

والصرة ـ بمهملتين ـ: لحم الضرع، وهي فاعلُ فَتَحَلَّبَتْ.

وتسكعوا: تحيروا[1].

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: سألت خالي هند بن أبي هالة رضي الله عنه عن حلية رسول الله ﷺ ـ وكان وصَّافاً ـ وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به؛ قال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، يتلألأ وجهه تلألؤَ القمر ليلة البدر، أطولَ من المربوع، وأقصرَ من المشذَّب، عظيمَ الهامة، رَجِلَ الشعر؛ إن انفرقت عقيقته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره، أزهرَ اللون، واسعَ الجبين، أزجَّ الحاجبين سوابغ من غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقْنَى العِرْنين، له نور يعلوه، ويحسبه من تأمله[2] أشم، كثَّ اللحية، أدعجَ، سهلَ الخدين، ضليعَ الفم، أشنبَ، مفلجَ الأسنان، دقيقَ المسربة، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدلَ الخلق، بادناً متماسكاً، سواءَ البطن والصدر، مشيحَ الصدر، بعيدَ ما بين المنكبين، ضخمَ الكراديس، أنورَ المتجرد، موصولَ ما بين اللِّبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاريَ الثديين ما سوى ذلك أشعرَ الذراعين والمنكبين وأعالي الصَّدر، طويلَ الزندين، رحبَ الراحة، شَثْنَ الكفين والقدمين، سائلَ الأطراف ـ أو قال: سائن ـ، سبطَ العصب، خمصانَ الأخمصين، مسيحَ القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال زال تقلعاً، ويخطو تكفؤاً ويمشي هوناً، ذريعَ المشية إذا مشى كأنما ينحط

---

(١) التسكع: التمادي في الباطل.

(٢) في «الشفا»: «لم يتأمله» بدل «تأمله».

من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافضَ الطرف، نظرُهُ إلى الأرض أطولُ من نظره إلى السماء، جلُّ نظره الملاحظة، يسوق أصحابه ويَبْدأ من لَقِيَه بالسَّلام.

قلت: صف لي مَنْطِقَهُ.

قال: كان رسول الله ﷺ متواصلَ الأحزان، دائمَ الفكر، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويلَ السكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير، دمثاً ليس بالجافي ولا المَهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم شيئاً، لم يكن يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قَلَبَها، وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غضَّ طرفه، جُلُّ ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام.

قال الحسن: فكتمتها عن الحسين بن علي رضي الله عنهما زماناً، ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه فسأل أباه عن مدخل رسول الله ﷺ ومخرجه، ومجلسه وشكله، فلم يدع منه شيئاً.

قال الحسين رضي الله عنه: سألت أبي عن دخول رسول الله ﷺ، فقال: كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك، وكان إذا أوى إلى منزله جزَّأ دخوله ثلاثة أجزاء؛ جزءاً لله تعالى، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزَّأ جزءَه بينه وبين النَّاس، فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر

عنهم شيئاً، وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين؛ منهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم [ذو الحوائج] فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمةَ من مسألته عنهم، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، ويقول: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغائِبَ، وَأَبْلِغُونِي حاجَةَ مَنْ لا يَسْتَطِيْعُ إِبْلاغِي حاجَتَهُ؛ فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ سُلْطاناً حاجَةَ مَنْ لا يَسْتَطِيْعُ إِبْلاغَها ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ الْقِيامَةُ»؛ لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحدٍ غيره.

وقال في رواية: يدخلون رواداً، ولا يتفرقون إلا عن ذواق، ويخرجون أدلة؛ يعني: فقهاء.

قال: فأخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟

قال: كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا بما يُعينهم ويؤلفهم ولا يفرقهم، يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي بشره وخلقه، ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عمَّا في الناس، ويحسِّن الحسن ويصوبه، ويُقبِّح القبيح ويُوهنه، معتدلَ الأمر غيرَ مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، لكل حالٍ عنده عتاد، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره، الذين يلونه من الناس خيارهم، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلةً أحسنهم مواساة ومؤازرة.

قال: فسألته عن مجلسه عمَّا كان يصنع فيه.

فقال: كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا عن ذكر،

ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، ويُعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أنَّ أحداً أكرم عليه منه، مَنْ جالسه أو قاومه لحاجة صابرة حتى يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، قد وسَّع للناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين بالتقوى ـ وفي الرواية الأخرى: صاروا عنده في الحق سواء ـ مجلسُه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، متعاطفون بالتقوى، متواضعون، يُوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير، ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب.

قال: فسألته عن سيرته ﷺ في جلسائه.

فقال: كان رسول الله ﷺ دائمَ البشر، سهلَ الخلق، لينَ الجانب، ليس بفظٍ ولا غليظ ولا سَخَّاب ولا فحَّاش، ولا عيَّاب ولا مدَّاح، يتغافل عما لا يشتهى ولا يؤسى منه، قد ترك نفسه من ثلاث؛ [الرياء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً، ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلَّم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول: «إِذا رَأَيْتُمْ صاحِبَ الْحاجَةِ يَطْلُبُها

فارْفِدُوْهُ»، ولا يطلب الثناء إلا من مكافىء، ولا يقطع على أحدٍ حديثه حتى يتجاوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام.

قلت له: كيف كان سكوته ﷺ؟

قال: كان سكوته ﷺ على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكير.

فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس.

وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى.

وجمع له الحلم في الصَّبر، وكان لا يغضبه شيء يستفزه.

وجمع له في الحذر أربع: أخذه بالحسن ليقتدى به، وتركه القبيح لينهى عنه، واجتهاد الرأي بما أصلح أمته، والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة. رواه القاضي عياض في «الشفا» مجموعاً هكذا من روايتين، ورواه الترمذي، وأبو الشيخ كلاهما في «الشَّمائل» مفرقاً[1].

وقوله: المشذب: البائن الطويل في نحافة.

والشعر الرجل: هو الذي كأنه مشط فتكسر قليلاً.

والعقيقة: شعر الرأس، ويروى: عقيصته بالصاد.

وأزهر اللون: نيِّرُه، أو: أحسنه.

---

(١) رواه القاضي عياض في «الشفا» (١/ ١٢٣)، ورواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص: ٣٥) و(ص: ٢٧٦)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٤/ ٢٨٢).

والأزج: المقوس الطويل.

والقرن ـ بفتحتين ـ: اتصال شعر الحاجبين.

وأقنى العرنين: سائل الأنف المرتفع وسطه.

والأشم: الطويل قصبة الأنف.

والأدعج: الشديد سواد الحدق.

والضليع: الواسع.

والشنب: ريق الأسنان، وقيل: دقتها.

والفلج: الفرق بين الثنايا.

والمسربة: الشعر الذي بين الصَّدر والسُّرة.

والدمية ـ بضم المهملة، وبالتحتية ـ: الصورة من العاج.

مشيح ـ بضم الميم: وكسر المعجمة ـ كذا في الرواية؛ من أشاح؛ أي: أقبل بادي الصدر.

قال القاضي عياض: ولعلَّ اللفظة: مسيح ـ بالسين؛ أي: المهملة، وفتح الميم ـ بمعنى: عريض كما في الرواية الأخرى.

والكراديس: رؤوس العظام.

وشثن الكفين والقدمين؛ أي: فخيمهما.

وخُمصان ـ بضم المعجمة ـ الأخمصين: أي: متجافي أخمص القدم، وهو ما لا تتناوله الأرض من وسطه.

والتقلع: رفع الرِجل بقوة.

والتكفؤ: الميل إلى سنن المشي.

والهون: الرفق.

والذريع: الواسع الخطو.

وحب الغمام: البَرَد.

ويدخلون رواداً؛ أي: محتاجين إليه طالبين لما عنده.

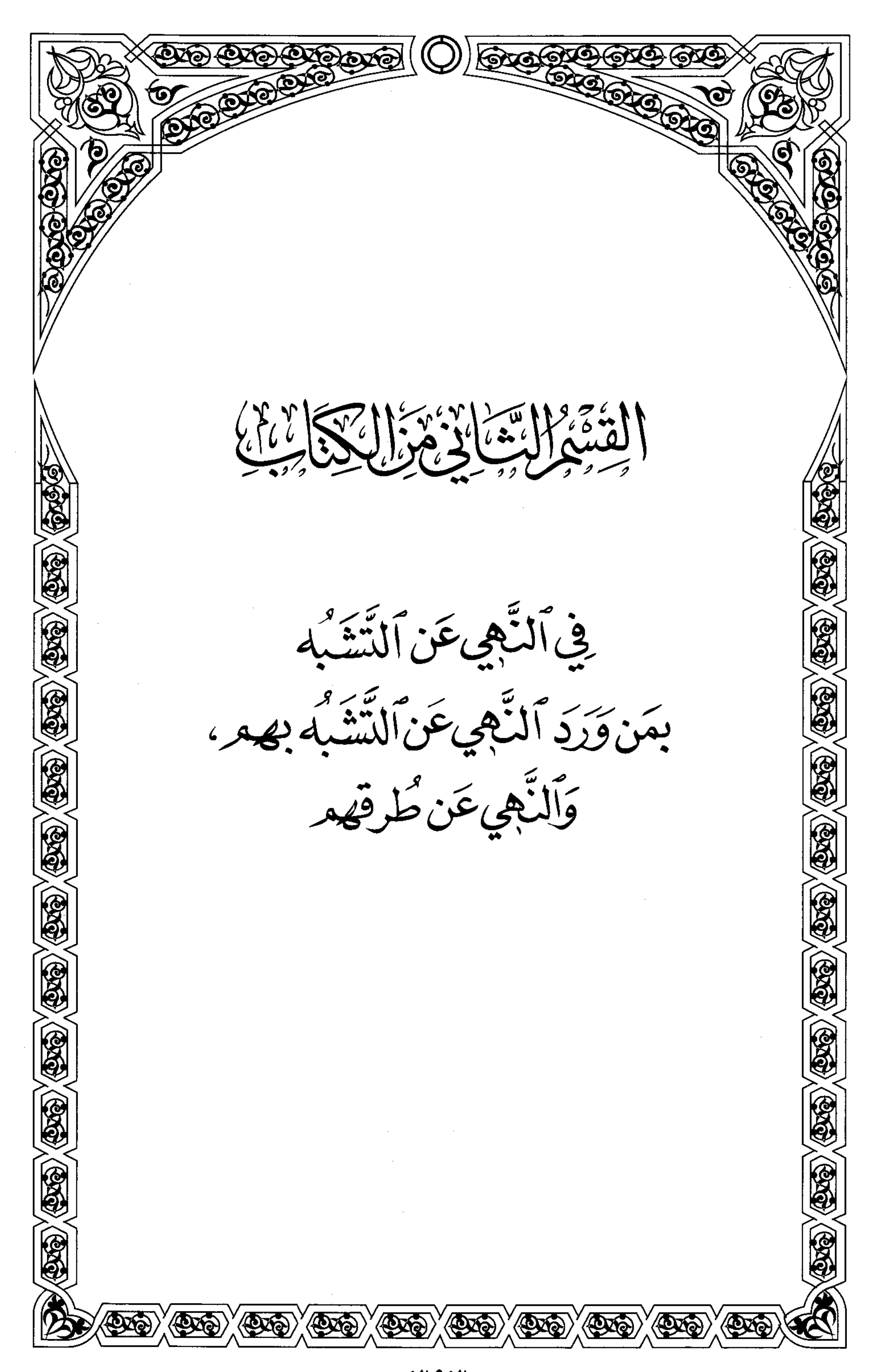
والعتاد - بفتح المهملة، والمثناة فوق -: العدة.

ولا يوطن الأماكن؛ أي: لا يتخذ لمصلاه موضعاً معلوماً.

ولا يقبل الثناء إلا من مكافىء؛ أي: مقتصد في المدح، وقيل: من مسلم، وقيل: من مكافىء على يد سبقت.

وبقية الألفاظ التي في الحديث قريبة؛ والله الموفق.





القسم الثاني من الكتاب

في النهي عن التشبه بمن ورد النهي عن التشبه بهم، والنهي عن طرقهم





والنهي عن طرقهم

قال الله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس: ١٠٤ ـ ١٠٥].

هذه الآية أصل عظيم في الأمر بالتشبه بالمؤمنين، والنهي عن التشبه بالمشركين.

والشرك المتصفون به شامل للشرك الأكبر، والشرك الأصغر الشامل لسائر المعاصي، فهي دليل لقسمي الكتاب.

واعلم أنا نذكر في هذا القسم قبائح الأخلاق، وسفاسف الأمور، وسيئات الأعمال لتُحذر وتجتنب.

فقد قال حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه، وعلمت أن الخير لا يسبقني(١).

---

(١) رواه البخاري (٣٤١١)، ومسلم (١٨٤٧) دون قوله: «وعلمت أن الخير لا يسبقني».

وفي رواية عنه: فعرفت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير[1].

وقال بعضهم في معناه: [من الهزج]

عَرَفْنـا الـشَّرَّ لا لِلـشَّرِّ لَكِـنْ لِتَوَقِّيْـهِ

وَمَنْ لا يَعْرِفِ الـشَّرَّ مِـنَ النَّـاسِ يَقَـعْ فِيْـهِ

وروى الإمام عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزُّهد» عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى قال: ليس العالم الذي يعرف الخير من الشَّر، إنَّما العالم الَّذي يعرف الخير فيتبعه، ويعرف الشر فيجتنبه[2].

ثم اعلم أن من لم يتخلق بأخلاق الله تعالى، ولا أخلاق عباده المخلصين فهو إما شيطان، وإما قرين شيطان.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[الزخرف: ٣٦].

والمراد بالذكر: الطَّاعة؛ لما رواه الطبراني عن واقد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: أنه قال: «مَنْ أَطَاعَ اللهَ فَقَدْ ذَكَرَ اللهَ، وَإِنْ قَلَّتْ صَلاتُهُ، وَصِيَامُهُ، وَتِلاوَتُهُ الْقُرْآنَ، وَمَنْ عَصَى اللهَ لَمْ يَذْكُرْهُ، وَإِنْ كَثُرَتْ صَلاتُهُ،

---

(١) ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (١/ ٧٨).

(٢) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ١٦٧)، وكذا أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٧٤).

وَصِيَامُهُ، وتِلاوتُهُ لِلْقُرْآنِ»[1].

فالمراد بالعشو عن الذكر: إغفال الطاعة، وفعل المعصية، والاسترسال في الغفلة.

وقوله تعالى: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾؛ نسخر له شيطاناً يدعوه إلى خلق سيىء، أو فعل ذميم.

أو المعنى: نقيِّض له خلقاً شيطانياً يرتكبه، ويغلب على قلبه؛ وتسمية الخلق الشيطاني شيطاناً مجاز، ولا يخفى ما فيه من المبالغة.

وقوله تعالى: ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾؛ أي: فالشيطان للعاشي عن الذكر قرين؛ أي: ملازم له، أو موافق له في الأخلاق والأفعال.

ويجوز أن يكون المعنى: فالعاشي عن الذكر للشيطان مقارن أو موافق؛ فالإنسان متى غفل عن الطَّاعة فقد خُلِّي بينه وبين الشَّيطان، ولذلك كان بعض السلف لا يفعل من المباحات شيئاً إلا بنية حسنة كالنوم، والأكل، والجماع، وغير ذلك لتكون مباحاته طاعات، ومتى كان في طاعة الله تعالى كان في ذكره، وذكر الله تعالى حصن حصين من الشَّيطان اللعين.

وروى ابن الدُّنيا في «مكائد الشيطان»، وأبو يعلى، والبيهقي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّيطَانَ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٥٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٥٨): فيه الهيثم بن حماد، وهو متروك.

واضـعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابنِ آدمَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللهَ تَعَالَى خَنَسَ، وَإِذَا نَسِيَ التَقَمَ قَلْبَهُ»(١).

فمتى فتر العبد عن الذكر، وانتهى من الطاعة ـ ولا بد لكل عامل من فترة ـ فإن تلافى أمره بالشُّروع في طاعة أخرى فقد ضيق مجاري الشيطان إلى قلبه، وسبقه إلى حفظ سره، وكان متحققاً بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾[الشرح: ٧ـ٨]، وإن استرسل في فترته، وتمادى في غفلته سبقه الشَّيطان إلى قلبه فالتقمه؛ لأنه حينئذ صدق عليه أنه نسي الله فنسيه الله؛ أي: تركه للشَّيطان كما قال تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[التوبة: ٦٧]؛ أي: تخلى عن توفيقهم، وخلى بينهم وبين شياطينهم.

وقـال تعـالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[الحشر: ١٩]؛ أي: أنساهم إنسانية أنفسهم حتَّى غلبت عليهم أخلاق قرنائهم من الشَّياطين فبعدت نفوسهم عن الخير، فالعبد إذا لم يأت بالطَّاعة التي تنحصر في أفعال الصَّالحين فهو إما خالٍ بطالٌ، وإما عاصٍ ضالٌّ؛ فإن كان الأول فإنه ـ وإن كان لا يستحق عقاباً، ولا يستوجب ثواباً ـ فهو متشبه بالشَّيطان قبل أن يكون شيطاناً رجيماً، وذلك حين خلا بنفسه ورأيه، وكان عاقبة أمره أن أبى واستكبر عن السجود لآدم وقد أمر به؛ إذ لم يكن له يومئذ شيطان وسوس إليه بذلك إلا نفسه

(١) رواه ابن الدنيا في «مكائد الشيطان» (ص: ٤٣)، وأبو يعلى في «المسند» (٤٣٠١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٤٠).

الخبيثة حيث لم تكن مشغولة بالله تعالى، ولا بطاعته، ولذلك قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: إني لأكره الرجل يكون بطالاً؛ لا في أمر دنياه، ولا في أمر آخرته[1].

وإنما كرهت البطالة خشية أن يخلو الإنسان بخواطر نفسه فتوسوس إليه نفسه بشيء لا تحمد عاقبته، كما وسوست نفس إبليس إليه بأن السُّجود لآدم سجود لغير الله تعالى، وفاته أن الله تعالى حيث أمر بذلك فالسجود لآدم عليه السلام عين طاعة الله تعالى، ومن هنا قيل: [من البسيط]

إِيَّـاكَ نَفْـسَكَ لا تَـأْمَنْ غَوائِلَهـا　　　فَالنَّفْسُ أَقْبَحُ مِنْ سَبْعِيْنَ شَيْطان

وقد تكلمنا على التحذير من النفس في كتاب «منبر التوحيد» بما ليس عليه مزيد.

وإن كان الثاني فهو في معصية وضلالة؛ إما متشبه بالشيطان في أخلاقه وأحواله، وإما متشبه باتباع المغلولين في أغلال إضلاله، فناسب أن نتكلم في هذا القسم من كتابنا على النهي عن التشبه بالشَّيطان، وعلى التشبه بأتباعه ـ وهم الكفار والفساق ـ فانقسم هذا القسم إلى ثلاثة أنواع:

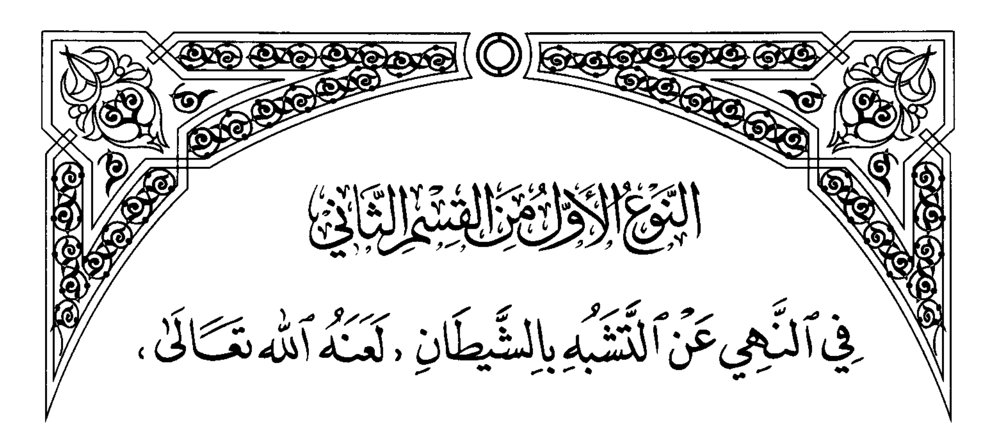
١ ـ النوع الأول: في النهي عن التشبه بالشيطان.

٢ ـ النوع الثاني: في النهي عن التشبه بالكفار.

٣ ـ النوع الثالث: في النهي عن التشبه بالفساق، والله الموفق.

* * *

(١) رواه البيهقي في «الزهد الكبير» (ص: ٢٩٤).



النوع الأول من القسم الثاني

في النهي عن التشبه بالشيطان، لعنه الله تعالى،

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

ومتبع غير سبيل المؤمنين متبع لسبيل الكافرين، وإبليس أشدهم كفراً؛ فالآية دليل لهذا النوع والذي بعده.

وكذلك قوله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيرِنَا». رواه الترمذي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما[1].

وروى الديلمى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ عَمِلَ بِسُنَّةِ غَيْرِنَا»[2].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٢٦٨)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٣٥٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٩١): رواه بطوله الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» باختصار، وفيه يوسف بن ميمون، وثقه ابن حبان، وضعفه الأئمة أحمد وغيره.

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦]؛ أي: أعمال الطاغوت، وهو الشيطان أو عبادته.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ﴾؛ أي: عبده ـ سبحانه ـ، واجتنب أعمال الطَّاغوت.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

وهذه الآية تدل على أن كل أمة أمرها الله تعالى باجتناب التَّشبه بالشَّيطان.

ثم قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾[النحل: ٦٣]؛ أي: الخبيثة لأنه لا يزين أعمال الخير.

نعم، قد يزينها للتوصل إلى إغواء العبد بها إلى السوء والضلال.

﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾؛ أي: يواليهم اليوم في الآخرة لأنهم كانوا على مثل أعماله في الدُّنيا.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقد علمت مما سبق أن المرء على دين خليله ومواليه، وموالاة الشيطان دعت أولياءه إلى مثل أعماله؛ لأن مَنْ أَحَبَّ أحداً أَحَبَّ أن يتخلق بأخلاقه، كما سبق.

وقال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ

﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾؛ أي: عن طريق الجنة.

﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج: ٣ ـ ٤].

وهذه الآية ـ وإن نزلت في النضر بن الحارث ـ[1] فإنها قاضية على كل من تولى الشَّيطان واتبعه بأن مصيره إلى عذاب السَّعير.

وفي إطلاق الهداية على القيادة إلى العذاب غاية التهكم والاستهزاء بأتباع الشياطين.

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٨].

وقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: من ذرية آدم، وفيه إشارة إلى أنَّ التشبه بالشَّيطان وأتباعه في أعماله وأخلاقه ممنوع منه سائر الأمم في سائر الأديان، متوعد عليه بنار جهنَّم.

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝١٦٨ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨ ـ ١٦٩].

هذه الآية دليل واضح على المنع من التشبه بالشيطان.

قال ابن عطية: المعنى ـ أي: بهذه الآية ـ: النهي عن اتباع الشَّيطان، وسلوك سبيله وطرائقه.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ١١٥).

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: خطوات الشيطان أعماله. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم[1].

وقال غيره: آثاره[2].

وقال شيخ الإسلام ـ والدي ـ في «تفسيره»: [من الرجز]

قَـالَ وَلا تَتَّبِـعُوا خُطُـواتِ ... أَيْ طُـرُقِ الـشَّيْطانِ وَالـزَّلاَّتِ

لا تَقْتَـدُوْا بِـهِ تُحَرِّمُـوْا الْحَـلالْ ... ثُـمَّ تُحَلِّلُـوْا الْحَـرامَ بِالـضَّلالْ

كناية عن ترك الاقتداء به فيما يضل بعضهم بسببه.

قال ابن عطية: وكل ما عدا السُّننَ، والشَّرائعَ من البدع، والمعاصي فهو خطوات الشَّيطان. انتهى[3].

ويدل له ما رواه ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن قتادة رحمه الله تعالى: كل معصية لله فهي من خطوات الشَّيطان[4].

قلت: وحيث انحصر الحق في الشَّرائع والسنن، ثم انحصر آخراً في شريعة النبي ﷺ، فقد انحصر الحق في اتباع شريعته، وبقي ما سواها من الشُّعب والطرق على غير الحق، وهي طرق الشيطان، فأي طريق أخذ فيه العبد غير طريق النبي ﷺ فهي طريقة من

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٧٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٣٧١).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٧٧).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٢٣٧).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٢٨١).

طرائـق الشَّيطان، وخطوة من خطواته.

وقد روى الدَّارمي ـ بإسناد صحيح، واللفظ له ـ والإمام أحمد، والنَّسائي، والبزار، وغيرهم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: خطَّ لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً، ثم قال: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ»، ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال: «هَذِهِ سُبُلٌ؛ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهَا»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[الأنعام: ١٥٣][1].

وروى عبد بن حميد، وأبو الشيخ عن قتادة رحمه الله تعالى: أنه قرأ الآية وقال: اعلم أنما السبيل سبيل واحد جِماعُهُ الهدى، ومصيرها الجنة، وأن إبليس شرع سبلاً متفرقة جِماعُها الضلال، ومصيرها النار[2].

وإنما كانت طرق الشَّيطان متعددة لأنه يَهيم في كل واد فلا يبالي في أي واد من أودية النار ألقى أتباعه؛ فإن مراده إضلال العبد بأي طريق أمكنه ذلك ـ سواء عبد نفس الشيطان، أو عبد صنماً، أو نجماً، أو درهماً، أو ديناراً، أو غير ذلك ما دام لم يعبد الله وحده.

فأمَّا طريق رسول الله ﷺ الموصل إلى الله تعالى وإنه ـ وإن تعددت شعبه ـ فهو طريق واحد؛ لأن كل من سلك شعبة من شعب

---

(١) رواه الدارمي في «السنن» (٢٠٢)، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٣٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٧٤)، والبزار في «المسند» (١٧١٨).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٣٨٥).

الإيمان فهو في طريق الله تعالى، ولا ينتهي إلى غير الله تعالى، فكان طريق رسول الله ﷺ واحداً لأنه لا ينتهي إلى غير مراد واحد، وهو الله تعالى.

وأيضاً في تعدد طرق الشيطان إشارة إلى ضعف كيده كما قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[النساء: ٧٦]؛ فإن طرقه تخييلات وتزيينات، فتعددت ليغوي أتباعه تارة بهذا، وتارة بهذا، فيكون الشقي المخذول مأخوذاً بكيده لا محالة، وأمَّا السعيد الموفق ـ وإن تعددت طرق الشَّيطان ـ لا يضره، ولكن يكثر بسبب تعددها أجره لأنه يجاهد الشيطان من كل طريق يأتيه منه، فتزيد بذلك حسناته، وترتفع به درجاته.

وقد روى الإمام أحمد، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه» عن سَبُرة ـ بفتح المهملة وضم الموحدة ـ بن فاكه رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لابْنِ آدَمَ بِطُرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الإِسْلامِ، فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِيْنَكَ، وَدِيْنَ آبَائِكَ، وَآبَاءِ أَبِـيْكَ؟ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الهِجْرَةِ، فَقَـالَ لَـهُ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ المُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ؟ فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الجِهَادِ، فَقَالَ: تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ وَيُقْسَمُ المَالُ؟ فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ

يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَمَنْ وَقَصَتْهُ دَابَّةٌ كانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»[1].

ومعنى الحديث: أن العبد متى عصى الشَّيطان وأطاع الرَّحمن فلا يبالي بعد ذلك كيف انتهى أمره؛ فإنه لا ينتهي إلا إلى رحمة الله، ودار السلام، وأين هذا ممن كان سريعاً إلى إجابة الشيطان بطيئاً عن إجابة الرحمن؛ فإنه من بغضاء الله تعالى الحائرين في مَهامِهِ الخسران، كما روى أبو الشيخ في كتاب «التوبيخ»، وابن عساكر في كتاب «التاريخ»، عن الوَضِين بن عطاء رحمه الله تعالى مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَمَانِيةٌ أَبْغَضُ خَلِيْقَةِ اللهِ تَعَالَى إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ؛ السَّقَّارُونَ ـ وَهُمْ الْكَذَّابُونَ ـ، وَالْخَيَّالُونَ ـ وَهُمْ الْمُسْتَكْبِرُونَ ـ، وَالَّذِيْنَ يَكْنِزُونَ الْبَغْضَاءَ فِي صُدُورِهِم لإِخْوانِهِم، فَإِذَا لَقُوْهُم تَحَلَّفُوا لَهُم، وَالَّذِيْنَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ كانُوا بُطَآءَ، وَإِذَا دُعُوا إِلَى الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ كَانُوا سِرَاعاً، وَالَّذِيْنَ لا يَشْرُفُ لَهُم طَمَعٌ مِنَ الدُّنْيا إِلاَّ اسْتَحَلُّوهُ بِأَيْمَانِهِم، وَالمَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيْمَةِ، وَالْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ الْبُرَآءَ العَنتَ؛ أُولَئِكَ يَقْذُرُهُم الرَّحْمَنُ»[2].

وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراوي المصري في كتاب «البحر

---

(1) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٨٣)، والنسائي (٣١٣٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٥٩٣).

(2) رواه أبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» (ص: ٣٩) عن حسان بن عطية، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٨٦).

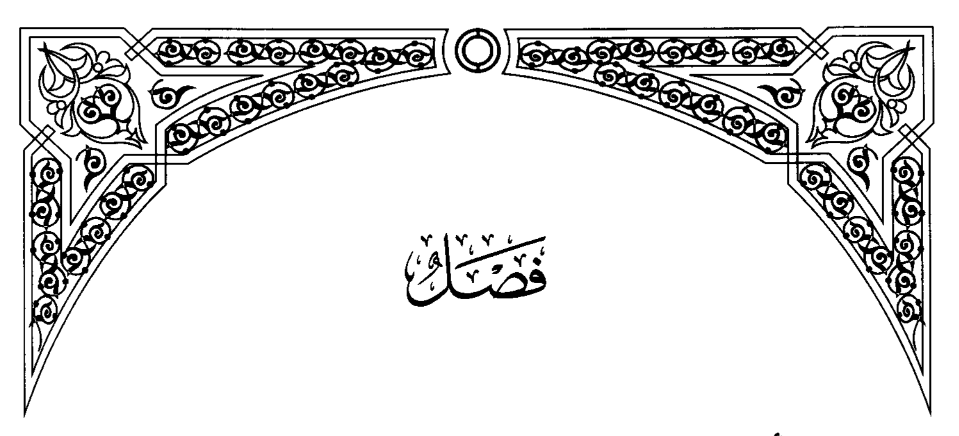
المورود فيما أخذ عليه من المواثيق والعهود» عن نفسه: أنه سمع مرة هاتفاً يقول: إن أردت أن لا تخرج من حضرتي فلا تتخلق بأخلاق أعدائي، وكن على أخلاق ملائكتي وأنبيائي وأوليائي؛ فمن تخلق بخلق واحد من أخلاق الشياطين أخرجته من حضرتي، ومن أخرجته من حضرتي سلطت عليه أعدائي.

وروى ابن عدي، وغيره عن عمر ﷺ: أَن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ دَاعِياً وَمُبَلِّغاً، وَلَيْسَ إِلَيَّ مِنَ الْهُدَى شَيْءٌ، وَخُلِقَ إِبْلِيسُ مُزَيِّناً وَلَيْسَ إِلَيْهِ مِنَ الضَّلالِ شَيْءٌ»[1].

وهذا الحديث فيه رد على القدرية، وفيه ـ وهو المقصود من ذكره هنا ـ أن النبي ﷺ كما أنه إمام الأئمة الداعين إلى الهدى والجنَّة، فإن إبليس ـ لعنه الله ـ رأس الأئمة الدَّاعين إلى الضَّلالة والنَّار.

* * *

(١) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٣٩) وقال: في قلبي من هذا الحديث شيء.



فصل

وكما أن رسول الله ﷺ ما دعا إلى الهدى والصراط المستقيم حتى سلكه ودرج عليه عملاً بقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[هود: ١١٢]، وليكون ذلك أَدعى للنَّاس للاتباع، وأَبعث لهم على سلوك الطريق الذي يدعو إليه؛ لأن من دُعي إلى طريق يطمئن قلبه إلى سلوكها إذا وجد الداعي قد سلكها ما لا يطمئن إليه قلبه لو وجد الدَّاعي غير دارج عليها ولا سالك فيها، ولذلك قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: ٢١]، فكذلك الشَّيطان ما أَمر بخصلة إلا كان قد نازلها وعمل بها ليكون ذلك أبلغ في الإغواء والاستزلال، ولأن بُرْقُعَ الحياء قد ارتفع عن الشَّيطان وزال.

و«إن ممَّا أدركَ الناسُ مِنْ كلامِ النُّبوةِ الأُولى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»، كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن حذيفة.

وهو والبخاري، وأبو داود، وابن ماجه عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه[1].

وبمقتضى ذلك فلا يعصي العبد بمعصية ـ قلَّت، أو جلَّت ـ إلا كان

---

(١) تقدم تخريجه.

بها متشبهاً بالشيطان، إلا أنه إن استغفر نفعه الاستغفار، فإذا أصر على ذنبه ولم يستغفر فقد كمل تشبهه بالشَّيطان حينئذ؛ لأن الإصرار خلق اللعين، وقد قضى الله تعالى عليه بلزومه إلى يوم القيامة بدليل اللعنة المؤبدة له، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[ص: ٧٨].

ومن ثم لا شيء أقصم لظهر الشَّيطان من الاستغفار لأنه محروم منه، ومن بلوغ أمنيته من المؤمن بسببه لأن أمنيته من كل أولاد آدم أن يشاركوه في اللَّعنة والعذاب، وفي الاستغفار أمان من ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الأنفال: ٣٣].

وروى الإمام أحمد، وغيره، وصححه الحاكم، عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ: أنه قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ! لا أَزَالُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِم، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: وَعِزَّتِي وَجَلالِيْ! لا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُم مَا اسْتَغْفَرُونِي»[1]؛ أي: زيادة في نكايتك أعطيهم ما أنت ممنوع منه ـ وهو المغفرة ـ إذا طلبوها مني لأنك أنت لم تطلبها، ولم ترغب فيها، فمنعتها منعاً مؤبداً.

وقد يمن الله تعالى على بعض أولاد آدم بالمغفرة ـ وإن لم يطلبها ـ لأن طلبها في جِبِلَّتِه، والرغبة فيها من خليقته، فأمَّا من لم

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (٧٦٧٢).

يطلب المغفرة إما إعراضاً عن طلبها بالكلية، وإما إيثاراً لهوى نفسه على طلبها كمن يعصي الله تعالى ويعاود إلى المعصية وهو يستغفره بلسانه، ولم يستوف أركان التوبة التي هي طريق طلب المغفرة، أو يصر على المعصية ويتطاول إلى المغفرة مجاناً مع ارتكاب ما يقتضي العذاب، فهذا بعيد عن المغفرة، أو ممنوع منها ما دام على هذه الحالة، فهو أشبه الخلق بإبليس حين يتطاول إلى رحمة الله تعالى يوم القيامة لما يرى من سعتها ـ كما ورد في الحديث ـ مع عدم رغبته فيها في الدنيا، وقعوده عن طلبها في وقت الطلب، وقد سمى النبي ﷺ من كان بهذه الصفة عاجزاً أو أحمق، فقال: «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوتِ، وَالْعَاجِزُ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: وَالأَحْمَقُ ـ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَىْ اللهِ». رواه الإمام أحمد، وابن ماجه، والترمذي، والحاكم وصححاه، من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه[1].

ثم لما كان مَنْ هذا وصفُهُ أشبهَ الخلق بالشيطان الرجيم، جمع بينهما في نار الجحيم.

قال الله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤ ـ ٩٥].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٤)، وابن ماجه (٤٢٦٠)، والترمذي (٢٤٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (١٩١).

روى عبد الرزاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وغيرهم عن قتادة رحمه الله تعالى في قوله: ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾؛ قال: الشَّياطين[1].

وروى ابن أبي حاتم، وغيره عن مجاهد رحمه الله تعالى في قوله: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾؛ قال: ذريته[2].

وروى الإمام أحمد في «الزُّهد»، وابنه في «زوائده» عن أبي عمران الجوني رحمه الله تعالى قال: إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى بكل جبَّار، وكل شيطان، وكل من كان يخاف النَّاس شره في الدُّنيا، فأوثقوا في الحديد، ثم أمر بهم إلى النَّار، ثم أوصدها عليهم ـ أي: أطبقها ـ قال: فلا ـ والله ـ لا تستقر أقدامهم على قرار أبداً، ولا ـ والله ـ لا تلقى جفونهم على غمض أبداً، ولا ـ والله ـ لا ينظرون إلى أديم السَّماء أبداً، ولا ـ والله ـ لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً؛ قال: ثم يقول لأهل الجنة: فتحوا الأبواب، ولا تخافوا اليوم شيطاناً ولا جباراً، وكلوا اليوم واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية[3].

فتأمل كيف جمع الله تعالى بين أهل الشَّر والشِّياطين، وإبليس رأسهم وقائدهم لما كان قائداً لهم في الدُّنيا إلى كل سوء.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ٧٤)، والطبري في «التفسير» (١٩/ ٨٨)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٧٨٦).

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٠٨) إلى السدي.

(٣) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣١٢).

وقال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾[مريم: ٦٨ - ٧٠].

قال قتادة رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾[مريم: ٦٩]؛ قال: لننزعن من أهل كل دين قادتهم، ورؤوسهم في الشر[١].

وقال أبو الأحوص رحمه الله تعالى في الآية: نبدأ بالأكابر فالأكابر جرماً[٢]. رواهما ابن أبي حاتم.

وروى الثاني هو، والبيهقي في «البعث» عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه[٣].

فيبدأ بإبليس، ثم يلحق بالأشد عتياً، والأكبر جرماً، فالأشد، فقرب كل عاتٍ من الشَّيطان في العذاب على قدر عُتُوِّه في الدُّنيا؛ أي: على قدر طاعته للشيطان، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[مريم: ٨٣].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أي: تغويهم إغواءً.

وقال مجاهد رحمه الله تعالى: تشليهم إشلاءً.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٥٣٣).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٥٣٣)، ورواه الطبري في «التفسير» (١٦/ ١٠٧).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٥٣٣).

وقال قتادة رحمه الله تعالى: تزعجهم إزعاجاً إلى معاصي الله. رواها ابن أبي حاتم[1].

فاجتمع في النار المغوون والغاوون:

المغوون: الشياطين.

والغاوون: الطائعون لهم، العاملون بأعمالهم.

وذكر الشهرستاني في كتاب «الملل والنحل»: أن أول شبهة وقعت في البرية شبهة إبليس ـ لعنه الله تعالى ـ، ومصدرها أخذه بالرأي في مقابل النص، واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره بمادة النار التي خلق منها على مادة الطين التي خلق منها آدم عليه السلام، وتشعبت عن شبهته هذه سبع شبهات صارت في أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلال.

وقد حكي أنه صارت بينه ـ لعنه الله ـ وبين الملائكة عليهم السلام مناظرة بعد أمره بالسجود، وامتناعه منه، فقال: سلمت أن الباري إلهي وإله الخلق، وأنه عالم قادر مريد مهما أراد شيئاً قال له: كن فيكون، وهو حكيم، إلا أنه يتوجه على سياق حكمته أسئلة.

قالت الملائكة: ما هي؟ وكم؟

قال: سبعة:

الأول منها: أنه علم قبل خلقي ما الذي يصدر عني فَلِمَ خلقني؟

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨).

وما الحكمة في خلقه إياي؟

الثاني: إذ خلقني على مقتضى إرادته ومشيئته فَلِمَ كلفني معرفته وطاعته؟ وما الحكمة في التكليف وهو لا ينتفع بطاعة، ولا يتضرر بمعصية؟

الثالث: كيف كلفني بمعرفته وطاعته وهو لا يريد ذلك مني؟

الرابع: ما الحكمة في أنه لما لم أسجد لآدم لعنني، وأخرجني من الجنة وأنا لم أرتكب قبيحاً إلا قولي: لا أسجد إلا لك؟

الخامس: حيث لعنني وطردني وأخرجني من الجنة فَلِمَ سلطني على آدم حين دخلت الجنة ثانياً، وغررته في ذلك، ولو منعني من ذلك لاستراح مني آدم وبقي خالداً في الجنة؟

السادس: هب أن الخصومة كانت بيني وبين آدم فَلِمَ سلطني على ذريته حتى أراهم من حيث لا يروني، وتؤثر فيهم وسوستي، ولو خلقهم على الفطرة دون من يغتالهم عنها، فيعيشون طاهرين سميعين مطيعين كان أحرى بهم، وأليق بالحكمة؟

السابع: سلمت هذا كله، فَلِمَ إذ استمهلته أمهلني المدة الطويلة، ولو أهلكني في الحال استراح الخلق مني، ولم يبق في العالم شر، أليس بقاء العالم على نظام الخير خيراً من امتزاجه بالشر؟

فأوحى الله ﷻ إلى الملائكة عليهم السلام: قولوا له: إنك في تسليمك الأول أني إلهك، وإله الخلق غير صادق ولا مخلص؛ إذ لو

صدقت بألوهيتي ما احتكمت على حكمتي؛ فأنا الله الذي لا إله إلا أنا، لا أسأل عما أفعل وهم يُسألون.

قال الشهرستاني: وكنت بُرْهة من الزمان أتفكر، وأقول: من المعلوم الذي لا مراء فيه أن كل شبهة وقعت فهي من هذه الشبهات السبع لإبليس... إلى أن قال: فاللعين الأول لما حكم العقل على من لم يحكم عليه العقل لزمه أن يجري حكم الخالق في الخلق، وحكم الخلق على الخالق؛ فالأول غلو، والثاني تقصير.

قال: فبان من هذه الشبهة الأولى مذاهب الحلول، والتناسخية، والمشبهة، والغلاة من الرافضة حيث غلوا في شخص من الأشخاص حتى وصفوه بصفات الجلال.

وثار من الشبهة الثانية مذاهب القدرية، والجبرية، والْمُجَسِّمة.

قال: فالمعتزلة مشبهة الأفعال، والمشبهة: حلولية الصفات، وكل واحد منهم أعور بأي عينيه شاء.

قال: وسنح للقدرية طلب العلة في كل شيء فذلك ما سنح للَّعين الأول؛ إذ طلب العلة في الخلق، ثم في التكليف، ثم في تكليف السجود لآدم، وعنه نشأ مذهب الخوارج؛ إذ لا فرق بين قولهم: لا حكم إلا لله، ولا حكم للرجال، وبين قوله: لا أسجد إلا لك، أأسجد لمن خلقت من صلصال، انتهى[1]، وفيه تلخيصٌ.

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٦ ـ ٢٠).

وصدَقَ ـ رحمه الله ـ؛ فإن كل شبهة من شبهات إبليس فإنها مشابهة لشبهة فرقة من الفرق الهالكة، وكيف لا وهو الذي استزلهم حتى وقعوا في الشبهة والبدعة، فهو إمامهم في ذلك كله، وسابقهم إليه وباعثهم عليه؟

وفي «الحلية» لأبي نعيم عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما موقوفاً قال: إن إبليس موثق بالأرض السفلى، فإذا تحرك كان كل شر على الأرض بين اثنين فصاعداً من تحركه[1].

فبان بذلك أن كل خصلة قبيحة وخلق سيىء ناشىء عن الشَّيطان، وكل من تلبس بشيء من ذلك فهو متشبه بالشيطان، غير أنا أردنا أن نذكر هنا جملة مما ورد النص بالنهي عن التشبه به فيه، أو بنسبته إليه من الأخلاق والأعمال تنفيراً منها، وإرشاداً إلى التنزه عنها.

١ ـ فمنها: الكفر بكل أنواعه:

قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾[البقرة: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٣٤].

قال العلماء: كفر إبليس إنما كان من حيث نسبة الله تعالى إلى الظلم، واستقباح ما أمره به من السجود لآدم، كما قال: ﴿ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾[الإسراء: ٦١].

وهل كان كفر اللعين عناداً، أو جهلاً؟

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٨٩).

قولان، ولا خلاف أنه كان قبل السجود من العلماء.

فمن قال بالأول يقول: كفر وعلمه معه عناداً، وهو أبلغ في الإثم.

ومن قال بالثاني قال: سلبه الله تعالى العلم عند الإباء والاستكبار، وهو أبلغ في النكال والمكر، نسأل الله العافية.

ومن أشنع ما وقع من كفر إبليس دعواه الألوهية.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: ٢٩].

قوله ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: من الملائكة.

وقوله ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾؛ أي من دون الله.

قال قتادة رحمه الله تعالى في الآية: إنما كانت هذه خاصة لإبليس. رواه عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[١].

وقال الضَّحَّاك رحمه الله تعالى: ولم يقل ذلك من الملائكة أحد إلا إبليس؛ دعا إلى عبادة نفسه، وشرع الكفر. رواه ابن أبي حاتم[٢].

وقوله: «شرع الكفر»؛ أي: ابتدأه، وسَنَّهُ، وفتح طريقه، فعليه إثم نفسه وإثم كفر كل كافر من غير أن ينقص من آثامهم شيء.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ٢٣)، وكذا الطبري في «التفسير» (١٧/ ١٧).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٦٢٥).

وكذلك كل من سَنَّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من يعمل بها إلى يوم القيامة؛ بل الشيطان سَنَّ كل سنة سيئة.

وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾[يس: ٦٠ ـ ٦٢].

وعبادة الشيطان مجرد الميل إليه، والتعلق به على غير وجه الإعراض واللعن، وهي أعم من الطاعة والسجود له، والانقياد إليه، واتخاذه إلهاً ـ وإن كان هذا أشد أنواع العبادة ـ ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾[يس: ٦٢]؛ أي: تعقلون ما يمنعكم عن الميل إليه، وإلى ما يأمر به؛ فإنه لا يجر إلا إلى الضَّلال، وأنتم لا تجدون أحداً عبده وأطاعه إلا ضل.

* **تَنْبِيهٌ:**

في قوله تعالى: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٣٤] إشارة إلى أنه قد يكون الاستكبار سبباً للعمى عن الحق، كما صار في إبليس على القول الثاني بأنه كان عالماً فسُلب العلم.

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[الأعراف: ١٤٦].

ثم الأرجح أن إبليس أول من كفر، بل أول من عصى.

قال النيسابوري: ما كفر أحد قبل إبليس.

وروي: أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: أول من مات إبليس لأنه أول من عصاني[1].

وقالت طائفة: كان تقدمه من الجن من كفر، فشبهه الله تعالى بهم في الكفر، وجعله منهم لَمَّا فعل فعلهم، فقال: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٣٤].

قلت: وفي هذا تقريرٌ لما حرَّرنا سابقاً من أن من تشبه بقوم فهو منهم.

وفيه نكتة لطيفة، وهي أن الشيطان كان في كفره متشبهاً بكفرة الجن، فهو أول من تشبه بالكفار والفجار، كما أنه أول من امتنع من التشبه بالأخيار، وأول من منعه من ذلك الاستكبار، وأول من باء بسبب ذلك باللعن والعار والبوار.

قال الله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣٢ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٣٣ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[الحجر: ٣٠ ـ ٣٥].

وقد نقل الإمام الوالد في «تفسيره»: أن المراد بقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾[الكهف: ٥٠]: تشتبه أفعاله بأفعالهم؛ لأنه إن كان منهم حقيقة فإنه

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٠٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١٥٤).

كان من الملائكة على قول ابن عباس وأكثر المفسرين كما نقله البغوي، وحكاه القرطبي ـ أيضاً ـ عن ابن مسعود، وابن جريح، وابن المسيب، وقتادة، وغيرهم؛ قال: وهو قول الشيخ أبي الحسن الأشعري، ورجحه الطبري[1].

قلت: وروى ابن جرير، وابن عساكر عن ابن مسعود، وناس من الصحابة ﷺ: أن إبليس كان من قبيلة من الملائكة يقال لهم: الجن، وإنما سموا الجن لأنهم خُزَّان الجنة[2].

وعليه: فالجن الذي كان إبليس منهم غير الجن الذين هم أحد الثقلين، وبينهم فرق في الاشتقاق أيضاً؛ فالجن أحد الثقلين سموا جناً لتسترهم عن الناس، والجن الحي من الملائكة سموا جناً لأنهم خُزَّان الجنَّة.

وهذا الذي ذكرناه هنا قول ثالث في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾[الكهف: ٥٠].

وروى عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة رحمه الله تعالى في الآية؛ قال: كان من قبيل من الملائكة يقال لهم: الجن.

قال: وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول: ولو لم يكن

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١/ ٢٩٤).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١/ ٢٠٣).

من الملائكة لم يؤمر بالسجود[1].

قلت: وهذا دليل واضح.

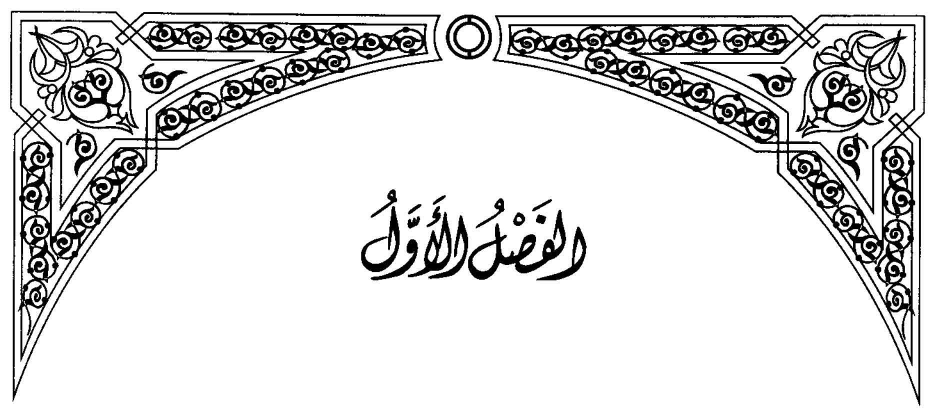
وروى أبو الشيخ عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال: لما لعن إبليس تغيرت صورته، فجزع لذلك، فَرَنَّ؛ فكل رنة في الدُّنيا إلى يوم القيامة فهي منها[2].

وهنا فصلان ينبغي التنبه عليهما.

* * *

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٢/ ٤٠٤)، والطبري في «التفسير» (١/ ٢٢٥).

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٧٨).



الفَصْلُ الأوَّلُ

علم مما اختاره الشيخ الوالد في تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾[الكهف: ٥٠]: أن الجن غير الشَّياطين، وهو ما عليه المحققون أن الجن خلقٌ على حِدَتِهم، خُلِقَ أبوهم ـ وهو الجان ـ من مارج من نار السَّموم كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[الرحمن: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾[الحجر: ٢٧].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: الجان أبو الجن، كما أن آدم أبو البشر[1].

وأما قوله تعالى حكايةً عن إبليس: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾[الأعراف: ١٢]، فالمراد أنه خلق من النار التي خلقت منها الملائكة، وهي النور.

وقد وقعت تسمية النور ناراً ـ أيضاً ـ في قوله تعالى: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾[القصص: ٢٩] الآية.

ثم لما لعن إبليس وطرد صار له ذرية، كما قال تعالى:

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٩).

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾[الكهف: ٥٠]؛ فذريته هم الشياطين، وهو أبو الشياطين.

وأما قوله تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾[الأنعام: ١١٢]، وقوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾[الناس: ٤ ـ ٦]، وقوله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ! تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ»، قال: قلت: يا رسول الله! وللإنس شياطين؟ قال: «نَعَمْ». رواه الإمام أحمد، والبيهقي في «الشعب»[1].

فالمراد بشياطين الجن والإنس من كان من الثقلين على قدم الشيطان.

سُمُّوا شياطين لتلبسهم بأخلاق الشيطان.

فأعتى الشياطين إبليس ـ وهو المراد بالشيطان عند الإطلاق ـ ثم أعتاهم من كان من ذريته، ثم من كان من الجن، ثم من كان من الإنس.

إلا أن من الناس من قال: إن شيطان الإنس أشد لأنه أبلغ في الاستزلال والإضلال؛ بسبب أن الجنس أميل إلى الجنس، فرب مستمال بشيطنة الإنسي ما لا يستمال بشيطنة الجني.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٧٦).

والذي تلخص مما سبق ـ على القول الأصح ـ: أن آدم عليه السلام أبو البشر، وإبليس ـ لعنه الله ـ أبو الشياطين، والجان أبو الجن، ثم إن الجن والإنس هما الثقلان، وعليهما التكليف، ولهما ثواب الطاعة، وعليهما عقاب المعصية على الأصح.

خلافاً لمن يقول: لا ثواب للجن إلا الخروج من النار، ثم يكونون تراباً، أو في رَبَض الجنة.

وقيل: هم أصحاب الأعراف.

وقيل غير ذلك.

وعلى الأصح: فالجن منهم كافرون، ومنهم مسلمون، فالمسلمون لا يخلد عاصيهم في النار، ولا يدخل الجنة منهم الكفار، وقد نطق القرآن العظيم بأن نفراً من الجن صرفوا إلى النبي ﷺ، وسمعوا منه القرآن، فلما حضروه قالوا: أنصتوا، وصح الحديث، وأصله عند مسلم: أن رسول الله ﷺ بعثهم رسلاً إلى قومهم، وسألوه الزاد، فقال: «لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِيْ أَيْدِيْكُمْ أَوْفَى ما يَكُوْنُ لَحْماً، وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوابِّكُمْ».

قال ﷺ: «لا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا؛ فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمُ الْجِنِّ»[1].

وروى الإمام الشافعي، والبيهقي: أن رجلاً من الأنصار خرج يصلي العشاء، فَسَبَتْهُ الجن، وقعد أعواماً، وتزوجت امرأته، ثم أتى المدينة،

---

(١) رواه مسلم (٤٥٠).

فسأله عمر رضي الله تعالى عنه، فقال: اختطفتني الجن، فلبثت فيهم زماناً طويلاً، فغزاهم جن مؤمنون، وقاتلوهم، فأظهرهم الله تعالى عليهم، فَسَبَوْا منهم سبايا، وسَبَوْني معهم، فقالوا: نراك رجلاً مسلماً، ولا يحل لنا سباؤك، فخيروني بين المقام عندهم والقفول إلى أهلي، فاخترت أهلي، فأتوا بي المدينة، فقال له عمر: ما كان طعامهم؟ قال: كل ما لم يذكر اسم الله عليه، قال: فما كان شرابهم؟ قال: الحذف[1]، وهو الرغوة؛ لأنها تحذف عن الماء، وقيل: كل إناء كشف عنه غطاؤه.

ودلَّ هذا الخبر أن مطعوم كفار الجن ما لم يذكر اسم الله عليه، كما دل الذي قبله أن مطعوم مؤمنيهم ما ذكر اسم الله عليه، وهو تشرع منهم.

ومَا دل عليه من سباء الجن للإنس دلَّ عليه ما رواه الإمام أحمد، والترمذي، وأبو يعلى بإسناد صحيح عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ حدث ذات ليلة نساءه حديثاً، فقالت امرأة منهن: يا رسول الله! هذا حديث خرافة، قال: «أَتَدْرُوْنَ مَا خُرَافَةُ؟ إِنَّ خُرَافَةَ كانَ رَجلاً مِنْ بَنِي عَذْرَةَ أَسَرَتْهُ الْجِنُّ فِيْ الْجَاهِلِيَّةِ، فَمَكَثَ فِيْهِمْ دَهْراً، ثُمَّ رَدُّوهُ إِلَى النَّاسِ، فَكَانَ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِمَا رَأى فِيْهِم مِنَ الأَعَاجِيْبِ، فَقَالَ النَّاسُ: حَدِيْثُ خُرَافَةَ»[2].

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٤٤٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٥٧)، وأبو يعلى في «المسند» (٤٤٤٢).

قال ابن الأثير: ويروى عنه ﷺ أنه قال: «خُرَافَةُ حَقٌّ»[1]؛ أي: حديثه.

وقد نطق القرآن العظيم أن من الجن صالحين ـ كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ـ وهم إخوان المؤمنين من الإنس، وكذلك قال ﷺ في العظم والبعر: «فَإِنَّهما طَعامُ إِخْوانِكُمْ مِنَ الْجِنِّ»[2] ـ كما تقدم ـ وقال في الطاعون: «[وخز] أَعْدائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ»[3]، فسماهم أعداء لأن المؤمنين من الجن لا يطعنون المؤمنين من الإنس، وأما ما اشتهر على الألسنة: «وَخْزُ إِخْوانِكُمْ» فإنه لفظ منكر لم ترد به الرواية، كما نبه عليه ابن حجر في «بذل الماعون»[4].

وبذلك يتضح أن إخبار الأنصاري عن طعام الجن أنه كل ما لم يذكر اسم الله عليه أراد به الإخبار عن الجن الكفار الذين سبَوه أولاً، فلا تعارض بينه وبين قوله ﷺ: «لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ» لأنه في مقام الدعوة والتكليف لمؤمنيهم، ممَّا يدل على أن الجن متعبدون بشريعته ﷺ كما نقل ابن عطية، وغيره الإجماع على ذلك، [ويدل عليه]: ما رواه الإمام أحمد، والطبراني في «الأوسط»، والبيهقي، وأبو نعيم كلاهما في «الدلائل» عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٢٥).

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) وانظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ١٨٢).

عنهما قال: أول خبر قدم المدينة عن رسول الله ﷺ: أن امرأة من أهل المدينة كان لها تابع، فجاء في صورة طائر حتى وقع على حائط دارهم، فقالت له المرأة: انزل، قال: إنه بعث بمكة نبي منع منا القرار، وحرم علينا الزناء[1].

وروى أبو نعيم في «الدلائل» عن تميم الداري رضي الله تعالى عنه قال: كنت بالشام حين بعث رسول الله ﷺ، فخرجت إلى بعض حاجتي، فأدركني الليل، فقلت: أنا في جوار عظيم هذا الوادي، فلما أخذت بمضجعي إذا أنا بمناد ينادي لا أراه: عُذْ بالله؛ فإن الجن لا تجير على الله أحداً، قلت: ويم الله! ما تقول؟ قال: قد خرج الأمين رسول الله، وصلينا خلفه بالحجون، فأسلمنا، واتبعناه، وذهب كيد الجن، ورميت بالشهب، فانطلق إلى محمد رسول رب العالمين، فأَسْلِمْ.

قال تميم: فلما أصبحت ذهبت إلى راهب فأخبرته الخبر، فقال: قد صدقوك؛ يخرج من الحرم، ومهاجره الحرم، وهو خير الأنبياء، فلا تُسْبَقْ إليه[2].

وروى أبو سعد الخركوشي في «شرف المصطفى ﷺ» عن الجعد

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٥٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٦٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٦١).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (ص: ١٥٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٧٣).

ابن قيس المرادي قال: خرجنا أربعة أنفس نريد الحج في الجاهلية، فمررنا بواد من أودية اليمن، فلما أقبل الليل استعذنا بعظيم الوادي، وعقلنا رواحلنا، فلمَّا هدأ الليل ونام أصحابي إذا هاتف من بعض أرجاء الوادي يقول: [من الطويل]

أَلا أَيُّها الرَّكْبُ الْمُعَـرِّسُ بَلِّغُـوْا ... إِذا مـا وَقَفْـتُمْ بِـالْحَطِيْمِ وَزَمْزَمـا

مُحَمَّـداً الْمَبْعُـوْثَ مِنَّـا تَحِيَّـةً ... تُـشَيِّعُهُ مِـنْ حَيْـثُ سـارَ وَيَمَّمـا

وَقُوْلُـوا لَـهُ إِنَّـا لِـدِيْنِكَ شِـيْعَةٌ ... بِذَلِكَ أَوْصانا الْمَسِيْحُ بْنُ مَرْيَما[1]

ومن أشهر ما في هذا الباب قصة سواد بن قارب رضي الله تعالى عنه، وقد أخرجها البخاري في «تاريخه»، والطبراني عن سعيد بن جبير، عن سواد، والحسن بن سفيان في «مسنده» عن عبدالله بن عبد الرحمن قال: دخل سواد بن قارب على عمر رضي الله تعالى عنه.

وهو وأبو يعلى، والحاكم، والطبراني، والبيهقي عن محمد بن كعب قال: دخل سواد بن قارب رضي الله تعالى عنه على عمر رضي الله تعالى عنه.

والبيهقي عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما: أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لسواد بن قارب رضي الله تعالى عنه: حَدِّثْنا ببدء إسلامك، قال: كان لي رَئِي من الجن، فبينما أنا ذات ليلة نائم إذ جائني فقال: قم، وافهم، واعقل إن كنت تعقل؛ قد بعث

---

(١) انظر: «الخصائص الكبرى» للسيوطي (١/ ١٨٢).

رسول من لؤي بن غالب، ثم أنشأ يقول: [من السريع]

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَأَنْحاسِها ... وَشَدِّها الْعِيْسَ بِأَحْلاسِها

تَهْوِيْ إِلَىْ مَكَّةَ تَبْغِيْ الْهُدَىْ ... ما مُؤْمِنُوْها مِثْلُ أَرْجاسِها

فَانْهَضْ إِلَىْ الصَّفْوَةِ مِنْ هاشِمٍ ... وَاسْمُ بِعَيْنَيْكَ إِلَىْ راسِها

ثم أنبهني، وأفزعني، وقال: يا سواد بن قارب! إن الله تعالى بعث نبياً، فانهض إليه تَهْتَدِ وترشد، فلما كانت الليلة الثانية أتاني فأنبهني، ثم أنشأ يقول: [من السريع]

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَطْلابِها ... وَشَدِّها الْعِيْسَ بِأَقْتابِها

تَهْوِيْ إِلَىْ مَكَّةَ تَبْغِيْ الْهُدَىْ ... لَيْسَ قُداماها كَأَذْنابِها

فَانْهَضْ إِلَىْ الصَّفْوَةِ مِنْ هاشِمٍ ... ما صادِقُ الْجِنِّ كَكَذَّابِها

فلمَّا كان في الليلة الثالثة أتاني فأنبهني، ثم أنشأ يقول: [من السريع]

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَخْبارِها ... وَشَدِّها الْعِيْسَ بِأَكْوارِها

تَسْعَىْ إِلَىْ مَكَّةَ تَبْغِيْ الْهُدَىْ ... لَيْسَ ذَوُوْ الشَّرِّ كَأَخْيارِها

فَانْهَضْ إِلَىْ الصَّفْوَةِ مِنْ هاشِمٍ ... ما مُؤْمِنُ الْجِنِّ كَكُفَّارِها

قال: فلما سمعته تكرر ليلة بعد ليلة دخل في قلبي حب الإسلام، فانطلقت إلى النبي ﷺ، فلما رأني قال: «مَرْحَباً بِكَ يا سَوادُ بْنُ قارِبٍ، قَدْ عَلِمْنا ما جاءَ بِكَ»، قلت: يا رسول الله! قد قلت شعراً، فاسمعه مني، فقلت: [من الطويل]

أَتـانِيْ رَئِـيٌّ بَـيْنَ لَيْـلٍ وَهَجْعَـةٍ وَلَمْ أَكُ فِيْما قَـدْ بَلَـوْتُ بِكـاذِبِ

ثَـلاثَ لَيـالٍ قَوْلُـهُ كُـلَّ لَيْلَـةٍ أَتاكَ رَسُوْلٌ مِنْ لُـؤَيِّ بْـنِ غالِـبِ

فَشَمَّرْتُ عَنْ ساقِيْ الإِزارَ وَوَسَّطَتْ بِيَ الذِّعْلِبُ الْوَجْناءُ بَيْنَ السَّباسِبِ

فَأَشْـهَدُ أَنَّ اللهَ لا رَبَّ غَيْـرُهُ وَأَنَّـكَ مَـأْمُوْنٌ عَلَـىْ كُـلِّ غائِـبِ

وَأَنَّـكَ أَدْنَـىْ الْمُرْسَـلِيْنَ شَـفاعَةً إِلَىْ اللهِ يا ابْنَ الأَكْرَمِيْنَ الأَطايِبِ

فَمُرْنا بِما يَأْتِيْكَ يا خَيْرَ مَنْ مَشَىْ وَإِنْ كانَ فِيْما جاءَ شَيْبُ الذَّوائِبِ

وَكُنْ لِيْ شَفِيْعاً يَوْمَ لا ذُو شَفاعَةٍ سِواكَ بِمُغْنٍ عَنْ سَوادِ بْنِ قارِبِ[1]

وروى الطبراني، وابن عساكر عن خريم بن فاتك رضي الله تعالى عنه قال: خرجت في طلب إبل لي، وكنا إذا نزلنا بواد قلنا: نعوذ بعزيز هذا الوادي، فتوسدت ناقة، وقلت: أعوذ بعزيز هذا الوادي، فإذا هاتف يهتف وهو يقول: [من الرجز]

وَيْحَـكَ عُـذْ بِـاللهِ ذِيْ الْجَـلالِ مُنَـزِّلِ الْحَـرامِ وَالْحَـلالِ

وَوَحِّـدِ اللهَ وَلا تُبـالِيْ ما كَيْدُ ذِيْ الْجِنِّ مِـنَ الأَهْـوالِ

---

(١) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٢٠٢) وقال: لا يصح، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٤٧٦) عن سعيد بن جبير، عن سواد.
وأبو يعلى في «معجمه» (٣٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (٦٥٥٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٤٧٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٥٢) عن محمد بن كعب.
والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٤٩) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

إِذْ يُــذْكَرُ اللهُ عَلَــىْ الأَمْيــالِ   وَفِـيْ سُـهُوْلِ الأَرْضِ وَالْجِبـالِ
وَصـارَ كَيْـدُ الْجِـنِّ فِـيْ سَـفالِ   إِلاَّ التُّقَـىْ وَصـالِحَ الأَعْمـالِ

فقلت له:

يـا أَيُّهـا الْقائِـلُ مـا تَقُـوْلُ   أَرَشَـدٌ عَنْـكَ أَمْ تَـضْلِيْلُ

فقال:

هَـذا رَسُـوْلُ اللهِ ذُوْ الْخَيْـراتِ   جـاءَ بِياسِـيْنَ وَحامِيْمـاتِ
وَسُـوَرٍ بَعْـدُ مُفَـصَّلاتِ   يَـأْمُرُ بِالـصَّلاةِ وَالزَّكـاةِ
وَيَزْجُـرُ الأَقْـوامَ عَـنْ هِنَـاتِ   قَـدْ كُـنَّ فِـيْ الأَيَّـامِ مُنْكَـراتِ

فقلت له: من أنت؟ قال: مالك بن مالك الجني، بعثني رسول الله ﷺ على جن نجد، فقلت: أما لو كان لي من يؤدي إبلي هذه إلى أهلي لأتيته حتى أسلم، قال: أنا أؤديها، فركبت بعيراً منها، ثم قدمت فإذا النبي ﷺ على المنبر، فلما رآني قال: «ما فَعَلَ الرَّجُلُ الَّذِيْ ضَمِنَ لَكَ أَنْ يُؤَدِّيَ إِبِلَكَ؟ أَما إِنَّهُ قَدْ أَدَّاها»[1].

وذكر ابن خميس في «مناقب الأبرار»، والدميري في «حياة الحيوان» عن الجنيد رحمه الله تعالى قال: سمعت سرياً السقطي رحمه الله تعالى يقول: كنت مرة في البادية فأواني الليل إلى جبل لا أنيس فيه، فلما تهور

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤١٦٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦/ ٣٤٧).

الليل ناداني مناد، فقال: لا تدور القلوب في الغيوب حتى تذوب النفوس من مخافة فوت المحبوب، فعجبت، فقلت: أَجِنِّيٌّ أنت أم إِنْسِيٌّ؟ فقال: بل جني يؤمن بالله سبحانه، ومعي إخواني، فقلت: وهل ما عندك عندهم؟ قال: وزيادة.

قال: فناداني الثاني منهم، فقال: لا تذهب من البدن الفترة إلا بدوام الفكرة، قال: فقلت: ما أنفعَ كلامَ هؤلاء، فناداني الثالث، فقال: من أَنِسَ به في الظلام نشر له غداً الأعلام، قال: فصعقت، فلما أفقت فإذا أنا بنرجسة، فشممتها، فذهب ما كان بي من الوحشة، واعتراني الأُنس، فقلت: وصيةً ـ رحمكم الله تعالى ـ، فقالوا: إِيْ؛ أبى الله أن يحيي بذكره، ويأنس به إلا قلوب المتقين، فمن طمع في غير ذلك فقد طمع في غير مطمع، ومن اتبع طبيباً مريضاً دامت علته، ومن اتبع الدليل الحائر رجع وهو كليل.

قال: وودعوني، ومضوا، وقد أتى عليَّ حينٌ وأنا أرى برد كلامهم في خاطري.

وفي رواية: فلا أزال أرى بركات كلامهم في خاطري[1].

وذكر ابن خميس عن أبي سعيد الخزاز رحمه الله تعالى قال: بقيت إحدى عشرة سنة أتردد من مكة إلى المدينة، ومن المدينة إلى مكة أريد أن أحج حجة لا أرى فيها مكة، وأرى رب مكة، فما صح لي منه نفس، فلمَّا كان بعد إحدى عشرة سنة أنا راجع من المدينة إلى

---

(١) ورواه ابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» (١٨/ ٣٣٢).

مكة تراءى لي بعض الجن، فقال: يا أبا سعيد! قد ـ والله ـ رحمتك من كثرة ترددك في هذا، وقد حضرني شيء فيك، فاسمعه، فقلت: هات، فانشأ يقول: [من الطويل]

أَتِيْـهُ فَـلا أَدْرِيْ مِـنَ التِّيْـهِ مَـنْ أَنـا
سِـوَىْ ما يَقُـوْلُ النَّاسُ فِـيَّ وَفِـيْ جِنْسِيْ

أَتِيْـهُ عَلَـىْ جِـنِّ الْبِـلادِ وَإِنْـسِها
فَـإِنْ لَـمْ أَجِـدْ خَلْقـاً أَتِيْـهُ عَلَـىْ نَفْـسِيْ

قال أبو سعيد: فقلت له: اسمع يا من لا يحسن أن يقول إن كنت تحسن أن تسمع، وقلت: [من الطويل]

أَيـا مَـنْ يَـرَىْ الأَسْـبابَ أَعْـلا وُجُـوْدِهِ
وَيَفْـرَحُ بِالتِّيْـهِ الـدَّنِيِّ وَبِـالإِنْسِ

فَلَـوْ كُنْـتَ مِـنْ أَهْـلِ الْعُلُـوِّ لَغِبْـتَ عَـنْ
مُباشَـرَةِ الأَفْـلاكِ وَالْعَـرْشِ وَالْكُرْسِـيْ

وَكُنْـتَ بِـلا حـالٍ مَـعَ اللهِ واقِفـاً
تُـصانُ عَـنِ التِّـذْكارِ لِلْجِـنِّ وَالإِنْـسِ

في أبيات أخرى[1].

---

(١) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ١٤٠)، وعنده: «الأملاك» بدل «الأفلاك».

وذكر الأستاذ أبو القاسم القشيري هذه القصة على خلاف هذا الوجه.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الصمت» عن طارق بن شهاب قال: بعث سليمان بن داود عليهما السلام بعض عفاريته، وبعث نفراً ينظرون ما يقول، ويخبرونه، فأخبروه أنه مر على السوق، قال: فرفع رأسه إلى السماء، ثم نظر إلى الناس، وهز رأسه، فسأله سليمان: لِمَ فعل ذلك؟ قال: عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما يكتبون، ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يملون[1].

فهذه الآثار ونظائرها تدل على أن في الجن أخياراً، وأبراراً، وعارفين، ومقربين، وحكماء، ومكاشفين، وأن لهم مناصحات لأخيار بني آدم، ومكاشفات.

والنظر الآن في أنه هل يشرع التشبه بهم، أو لا؟

احتمالان.

وقد يستدل للأول بما رواه الترمذي، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الدلائل»، وغيرهم عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: «مَا لِيَ أَرَاكُمْ سُكُوتاً؟ لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةَ الْجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُوداً مِنْكُمْ، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٨٤).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[الرحمن: ١٣] قَالُوا: وَلا بِشَيْءٍ مِنْ آلائِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ، فَلَكَ الْحَمْدُ»[1].

وروى البزار، والدارقطني في «الأفراد»، والخطيب في «التاريخ» بسند صحيح، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن على أصحابه، فسكتوا، فقال: «مَا لِيْ أَسْمَعُ الْجِنَّ أَحْسَنَ جَوَاباً مِنْكُم؟ مَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[الرحمن: ١٣] إِلاَّ قَالُوا: وَلا بِشَيءٍ مِنْ آلائِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ، فَلَكَ الْحَمْدُ»[2].

والذي يترجح عندي الاحتمال الثاني؛ لأن في التشبه بالصالحين من البشر غنية عن التشبه بهم، ولأنهم مستورون عنا، ولذلك سموا جناً ـ كما علمت ـ فلا يتحقق الأخذ عنهم.

ومن ثم أفتى شيخ الإسلام الوالد رحمه الله تعالى بأن الجماعة لو تمت أربعين بِجِنِّيٍّ لا تصح الجمعة لعدم تحققنا الذكورة فيه، والحرية، والحضور، والصحة ـ وإن كان التكليف يعم الفريقين ـ كما احتج به القمولي في إجازته لنكاح الجنية، واختاره شيخ الإسلام

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٩١) وقال: غريب، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٦٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٣٢).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٠١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٧): رواه البزار عن شيخه عمرو بن مالك الراسبي، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

الجد، ومنعه العماد بن يونس وغيره جاعلين اختلاف الجنسيَّة من موانع النكاح لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾[النحل: ٧٢]، ومشى عليه شيخ الإسلام الوالد، وهو المعتمد، ونص على ذلك جماعة من الحنابلة، وبعض الحنفية.

وحكم تزويج المرأة الإنسية الجني كذلك، وفيه محذور آخر لأنه يفتح باب البغي على النساء ـ خصوصاً من لا ولي لها ـ حتى لو حملت لقالت: إن زوجي جني.

وأما ما رواه ابن عدي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحَدُ أَبَوَيْ بَلْقِيسَ كَانَ جِنِّيّاً»[1]، فلا حجة فيه ـ إن صح الحديث ـ لأنهم كانوا كفاراً يعبدون الشمس.

ولو كان ذلك جائزاً في شرع بعض الأنبياء عليهم السلام لقلنا: إنه منسوخ بشرعنا، أو: ليس بشرع لنا.

ولا كلام في أنه لا يجوز التشبه بكفرة الجن، ولا بفسقتهم، وقد علمت أن الله تعالى ذم إبليس بتشبهه بالجن الذين كانوا قبل خلق آدم في الأرض، فعتوا وكفروا على أحد القولين في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٣٤]، وفي قوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾[الكهف: ٥٠].

ويلوح لي في هذه الآية أنها واردة على طريقة العرب في قولهم

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٣٧٢). وقد تقدم لكن لم يعزه هناك لابن عدي.

إذا وصفوا أحداً بالشر، أو بالمكر، ودقة الحيلة، وسرعة الحركة، أو نحو ذلك: إن فلاناً من الجن، وكان من الجن.

٢ ـ ومن أعمال فجرة الجن: مسيس بني آدم بالصرع، والقتل، والأمراض، وغير ذلك.

وقد روى الإمام أحمد بأسانيد أحدها صحيح، وأبو يعلى، والبزار، والطبراني عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فَنَاءُ أُمَّتِي بِالطَّعْنِ، وَالطَّاعُونِ»، فقيل: يا رسول الله! هذا الطعن عرفناه، فما الطاعون؟ قال: «وَخْزُ أَعْدَائِكُم مِنَ الجِنِّ، وَفِيْ كُلٍّ شَهادَةٌ»[1].

وروى أبو يعلى بإسناد حسن عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «فَنَاءُ أُمَّتِي بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ»، فقيل: يا رسول الله! هذا الطعن قد عرفناه، فما الطاعون؟ قال: «وَخْزَةٌ تُصِيبُ أُمَّتِيْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ مِنَ الْجِنِّ كَغُدَّةِ الْبَعِيْرِ؛ مَنْ أَقَامَ عَلَيْهَا كانَ مُرَابِطاً، وَمَنْ أُصِيْبَ بِهِ كَانَ شَهِيْدَاً، وَمَنْ فَرَّ مِنْهُ كانَ كَالْفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ»[2].

واشتهر أن سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه قتلته الجن.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٩٥)، وأبو يعلى في «المسند» (٧٢٢٦)، والبزار في «المسند» (٢٩٨٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٤٢٢).

(٢) رواه أبو يعلى في «المسند» (٤٦٦٤).

قيل: إنه بال في سرب فقتلوه، وأنشدوا: [من مجزوء الرمل]

نَحْـــنُ قَتَلْنــا سَــيِّدَ الْـــ   خَــزْرَجِ سَــعْدَ بْــنَ عُبــادَةْ
وَرَمَيْنـــــاهُ بِــــسَهْمَيْـ   ــــنِ فَلَــمْ يُخْــطِ فُــؤادَه

ذكر ذلك الحافظ ابن عساكر وغيره[1].

وقد رفع بعض فضلاء المغاربة إلى شيخ الإسلام الوالد سؤالاً منظوماً في حكم تطبيب الممسوس، وفي حقيقة الجن ومسهم، فقال:

[من الرمل]

يا إمامَ الْعَصْرِ يـا نَجْـمَ الْهُـدَىٰ   فِيْ سَماءِ الْعِلْمِ يـا بَـدْرَ الْعَمَـلْ
ما تَرَىٰ فِيْ طِبِّ مَنْ طُـبَّ وَمَـنْ   عَقْلُـهُ مِـنْ مَـسِّ جِـنٍّ مُخْتَبَـلْ
هَـلْ تَـراهُ سُـنَّةً أَوْ واجِبـاً   أَمْ حَراماً أَمْ عَلَىٰ الْكُرْهِ اشْـتَمَلْ
وَالَّـذِيْ قَـدْ يَقَـعُ النَّـاسُ بِـهِ   هَلْ مُثابٌ أَمْ عَلَىٰ الإِثْمِ حَصَلْ
وَإِذا عــالَجَ بِالرُّقْيَــةِ أَوْ   غَيْرِهـا مِمَّـا إِلَـيْكُمْ قَـدْ وَصَـلْ
كَيْفَ أَصْلُ الْجِـنِّ مَـعْ خِلْقَـتِهِمْ   فَهْـوَ نـارٌ أَمْ عَـنِ النَّـارِ انْتَقَـلْ
وَإِذا هُـــمْ لِبَنِـــيْ آدَمَ هَـــلْ   صَـحَّ أَوْ ذا قَـوْلُ زُوْرٍ مُفْتَعَـلْ
وَالَّـــذِيْ يُنْكِــرُ وُجْــدانَهُمُ   هَلْ أَصابَ الْحَقَّ أَوْ عَنْـهُ عَـدَلْ
فَتَــصَدَّقْ بِجَــوابٍ وَاغْتَــنِمْ   أَجْرَ عَبْـدٍ ذِيْ افْتِقـارٍ قَـدْ سَـأَلْ

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠/ ٢٦٩)، وكذا الحاكم في «المستدرك» (٥١٠٣).

فأجابه الشيخ رضي الله عنه بقوله:

أَحْمَــدُ اللهَ عَلَــىْ إِحْــسانِهِ ... شــاكِراً إِنْعامَــهُ عَــزَّ وَجَــلّْ

وَعَلَــىْ الْمُخْتــارِ مَــعْ شِــيْعَتِهِ ... صَــلَواتٌ مَــعْ سَــلامٍ لَــمْ يَــزَلْ

طِبُّ مَنْ طُــبَّ وَمَــنْ فِــيْ عَقْلِــهِ ... خَلَلٌ يُنْدَبُ حَيْــثُ الْفِعْــلُ حَــلّ

وَالرُّقَىْ بِالــذِّكْرِ أَوْ مــا قَــدْ أَتَــىْ ... نَقْلُــهُ عَــنْ سَــلَفٍ نِعْــمَ الْعَمَــلْ

صَــحَّ فِــيْ ذَلِــكَ مِــنْ أَخبارِهــا ... ذِيْ الْوَرَىْ وَالآلِ وَالصَّحْبِ جُمَلْ

وَالَّــذِيْ يَفْعَلُــهُ مَــعْ نِيَّــةٍ ... صَــلُحَتْ فَهْــوَ مُثــابٌ إِنْ فَعَــلْ

يَــسْتَحِقُّ الْجُعْــلَ بِالْعَقْــدِ إِذا ... عَــيَّنَ الْجُعْــلَ إِذا الْفِعْــلُ كَمَــلْ

فَعَــنِ الْخُــدْرِيِّ يُــرْوَىْ أَنَّــهُ ... مَــعْ أَقْــوامٍ عَلَــىْ حَــيٍّ نَــزَلْ

فَاسْتَــضافُوْهُمْ فَــشَحُّوْا ثُــمَّ قَــدْ ... لُدِغَ الــسَّيِّدُ مِــنْ بَعْــضِ الأَهَــلْ

فَاسْــتَغاثُوْا لَهُــمْ وَالْتَمَــسُوْا ... رُقْيَــةً تُــذْهِبُ عَنْــهُ مــا حَــصَلْ

فَــأَبَىْ إِلاَّ بِجُعْــلٍ وَارْتَــضَىْ ... عَــنْ رُقــاهُ بِقَطِيْــعٍ لا أَقَــلّْ

وَرَقَىْ الْخُــدْرِيُّ بِالْفاتِحَــةِ الْمَــوْ ... ضــعَ الْمَلْــدُوْغَ مِنْــهُ وَتَفَــلْ

فَاشْــتَفَىْ الْمَلْــدُوْغُ فَــوْراً مِثْلَمــا ... مِنْ عِقــالٍ يَنْــشَطُ الَّــذِيْ اعْتُقِــلْ

وَارْتَضَىْ الْهادِيْ بِذا قالَ اضْرِبُوْا ... لِــيْ بِــسَهْمٍ ثُــمَّ مِنْــهُ قَــدْ أَكَــلْ

ثُمَّ أَصْــلُ الْجِــنِّ مِــنْ نــارٍ وَكَــمْ ... جاءَ مِنْ نَصٍّ عَلَىْ ذا الأَمْــرِ دَلّ

وَهْــوَ إِجْمــاعٌ كَمــا آدَمُ مِــنْ ... طِيْنِ أَرْضٍ قَــدْ عَــلا لِما سَــفَلْ

نُقِلُوْا مِنْ عُنْصُرِ النَّارِ إِلَىْ عُنْصُرٍ آخَرَ عَنْهَا مُعْتَدَلْ

مِثْلَما الإِنْسانُ مِنْ طِيْنٍ إِلَىْ الْعُنْصُرِ الْمَعْهُوْدِ فِيْ الْخَلْقِ انتُقَلْ

وَأَذاهُمْ لِبَنِيْ آدَمَ لا شَكَّ فِيْهِ وَكَثِيْراً ما قَتَلْ

وَوُجُوْدُ الْجِنِّ إِجْماعٌ وَلَمْ تَلْقَ فِيْهِ مِنْ خِلافٍ في الْمِلَلْ

وَالَّذِيْ يُنْكِرُ هَذا كُلَّهُ ذُوْ ابْتِداعٍ أَوْ جُنُوْنٍ أَوْ خَبَلْ

وَهْوَ قَوْلٌ باطِلٌ قالَ بِهِ كُلُّ مَنْ ضَلَّ عَنِ الْحَقِّ وَزَلّ

خُذْ جَواباً فائِقاً مُنْتَظَماً مِثْلَ دُرٍّ جاءَ مِنْ بَحْرِ الرَّمَلْ

قالَهُ مُحَمَّدُ الْغَزِّيُّ وَالْـ ـعامِرِيُّ الشَّافِعِيُّ بِالْعَجَلْ

حامِدَ اللهِ عَلَىْ إِنْعامِهِ حَسْبُنا اللهُ عَلَيْهِ الْمُتَّكَلْ

* * *



الفَصْلُ الثَّاني

الشياطين كلهم كفار لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾[البقرة: ١٠٢]، والمراد إبليس وذريته.

فأمَّا شياطين الجن والإنس فقد يكون منهم من ينقله الله تعالى من الشيطانية إلى الطاعة، فيوفقه إلى الإسلام بعد الكفر، وإلى التوبة بعد المعصية؛ فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

وقد يكون منهم من يدوم على الشيطنة إلى الممات، فيطبع الله على قلبه، ويكون شيطاناً رجيماً، ويحشر مع إبليس وجنوده.

قال الله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤ ـ ٩٥].

وقال ﷻ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾[مريم: ٦٨ ـ ٦٩].

روي في تفسير الآية: أنه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة،

ثم يحضرون حول جهنم مغلولين، ثم يقدم الأكفر فالأكفر فيلقى في النار.

وقال مجاهد: يقدم الأعتى فالأعتى[1].

وكذلك روي في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾[الصافات: ٢٢]؛ أي: قرناءهم من الشياطين لأنهم نظراؤهم كزوجَي النعل والخف.

ثم الكلام في الشياطين الذين هم من ذرية إبليس هل يسلم منهم أحد، أم لا؟

قولان.

روى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَمَعَهُ شَيْطَانٌ»، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وَأَنَا، إِلاَّ أَنَّ اللهَ أَعَانَنِيْ عَلَيْهِ فَأَسْلَم»[2]؛ روي بفتح الميم؛ أي: فأسلمَ شيطاني، وهو المختار عند الأكثرين.

وكان سفيان يروي الحديث: «فأسلمُ» ـ بضم الميم ـ؛ أي: فأنا أسلمُ منه، وكان يقول: إن الشيطان لا يُسلم[3].

لكن يشهد للأول: ما رواه الإمام أحمد، ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٠٣).

(٢) رواه مسلم (٢٨١٥).

(٣) انظر: «سنن الترمذي» (١١٧٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ١٠١).

والطبراني عن المغيرة رضي الله تعالى عنه قالا: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِيْنُهُ مِنَ الْجِنِّ، وَقَرِيْنُهُ مِنَ الْمَلائِكَةِ»، قالوا: وإياك؟ قال: «وَإِيَّايَ، إِلاَّ أَنَّ اللهَ أَعَانَنِيْ عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَمْ[1] يَأْمُرْنِيْ إِلاَّ بِخَيْرٍ»[2].

وروى أبو نعيم، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلْتُ عَلَى آدَمَ بِخَصْلَتَيْنِ؛ كانَ شَيْطَانِيْ كَافِراً فَأَعَانَنِيْ اللهُ عَلَيْهِ حَتَى أَسْلَمَ، وَكُنَّ أَزْوَاجِيْ عَوْناً لِي عَلَى الطَّاعَةِ، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ عَوْناً عَلَى خَطِيْئَتِهِ»[3].

والحق أن هذ خصوصية للنبي ﷺ، وأن شيطانه أسلم حقيقة كما جزم به السيوطي في «الخصائص»، والقسطلاني في «المواهب اللدنية»[4].

ولا بدع أن يشذَّ عن الأبالسة واحد فيسلم كما شذَّ عن الملائكة واحد فكفر بالله تعالى، وهو إبليس على قول ابن عباس وغيره: أنه كان من الملائكة، كما تقدم.

ولم أر أن أحداً من الشياطين أسلم غير شيطان النبي ﷺ، إلا ما رواه أبو نعيم في «الدلائل» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كنت

---

(١) عند مسلم: «فلا» بدل «فلم».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٩٧)، ومسلم (٢٨١٤).

(٣) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٤٨٨) وقال: هذا رواية محمد بن الوليد بن أبان، وهو في عداد من يضع الحديث.

(٤) انظر: «الخصائص الكبرى» للسيوطي (٢/ ٣٢٣).

عند رسول الله ﷺ وهو بظاهر المدينة إذ أقبل شيخ يتوكأ على عكاز، فقال النبي ﷺ: «إِنَّهَا لَمِشْيَةُ جِنِّيٍّ»، ثم سلم، فقال النبي ﷺ: «إِنَّهَا لَنَغْمَةُ جِنِّيٍّ».

فقال: أجل يا رسول الله! أنا الهامة بن الهام بن لاقيس بن إبليس.

فقال له النبي ﷺ «لا أَرَى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ إِلاَّ أَبَوَيْنِ».

قال: أجل يا رسول الله.

قال: «كَمْ أَتَى عَلَيْكَ مِنَ الْعُمُرِ؟».

قال: أكلت عمر الدنيا إلا القليل، كنت ليالي قتل قابيل هابيل غلاماً ابن أعوام، وكنت أتسوف على الآكام، وأصطاد الهام، وأفسد الطعام، وأورش بين الأنام.

فقال له النبي ﷺ: «بِئْسَ الْعَمَلُ».

فقال: يا رسول الله! دعني من العتب؛ فإني ممن آمن مع نوح عليه السلام، وعاتبته في دعوته، فبكى وأبكاني، وقال: إني والله لمن النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، ولقيت هوداً عليه السلام فعاتبته في دعوته، فبكى وأبكاني، وقال: إني لمن النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، ولقيت إبراهيم عليه السلام فآمنت به، وكنت بينه وبين الأرض إذ قذف به في المنجنيق، وكنت معه في النار إذ ألقي فيها، وكنت مع يوسف عليه السلام إذ ألقي في الجب، فسبقته إلى قعره، ولقيت موسى بن عمران عليه السلام

بالمكان الأيمن، وكنت مع عيسى بن مريم عليهما السلام فقال لي: إن لقيت محمداً ﷺ فاقرأ عليه السلام.

فقال النبي: ﷺ «عَلَيْهِ السَّلامُ، وَعَلَيْكَ يَا هَامَّةُ، مَا حَاجَتَكَ؟».

قال: إن موسى علمني التوراة، وإن عيسى علمني الإنجيل، فعلمني القرآن.

فعلمه رسول الله ﷺ، وقُبض رسول الله ﷺ ولم ينعه إلينا[1].

وهذا الحديث رواه العقيلي، والبيهقي، وأبو نعيم ـ أيضاً ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بنحوه، ولم يذكر فيه لقيه إبراهيم عليه السلام، وزاد فيه: وكنت زواراً ليعقوب عليه السلام، وكنت من يوسف عليه السلام بالمكان الأمين، وكنت ألقى إلياس عليه السلام بالأودية، وأنا ألقاه الآن، وإني لقيت موسى بن عمران عليه السلام فعلمني التوراة، وقال: إني لقيت عيسى بن مريم فأقرئه مني السلام.

وذكر الحديث وزاد فيه: فعلمه رسول الله ﷺ إذا وقعت، والمرسلات، وعم يتسألون، وإذا الشمس كورت، والمعوذتين، وقل هو الله أحد، وقال: «اِرْفَعْ إِلَيْنَا حَاجَتَكَ يَا هَامَّةُ، وَلا تَدَعْ زِيَارَتَنَا».

فقال عمر رضي الله تعالى عنه: فقُبض رسول الله ﷺ ولم ينعه

---

(١) ورواه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٩٦) وقال: وكلا هذين الإسنادين ـ يقصد حديث أنس وحديث عمر ـ غير ثابت، ولا يرجع منهما إلى صحة.

إلينا، فلست أدري أحي هو أم ميت[1].

* تَنْبِيهٌ:

ما تقدم من قوله ﷺ في حديث عائشة رضي الله عنها: «ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَلَهُ شَيْطانٌ»[2]، يدل على أنه لا بد لكل عبد من شيطان يقارنه.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «مكائد الشيطان» عن يونس بن يزيد الأيلي رحمه الله تعالى قال: بلغنا أنه يولد مع أبناء الإنس من أبناء الجن من ينشأ معهم ويعلمهم، ما سمعت من منكر[3].

وأراد أولاد الشياطين، فعبر عنهم بالجن كأنه كان يرى أن الشياطين والجن جنس واحد.

ولا يلزم أن لا يكون للعبد إلا شيطان واحد، فقد يكون له شياطين متعددة زيادة في ابتلائه.

ويؤيد ذلك ما يأتي أن العبد لا يخرج حتى يفك عنها لحي سبعين شيطاناً، وما روي أن لكل عمل صالح شيطاناً موكلاً بالمنع من ذلك العمل كما ستعلم قريباً.

---

(١) رواه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٩٨) وقال: ليس له أصل، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٤١٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) وذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٣/ ٣٩).

وروى ابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ عن مجاهد رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ﴾[الكهف: ٥٠] قال: هم أولاده يتوالدون كما يتوالد بنو آدم، وهم أكثر عدداً[1].

وروى ابن أبي حاتم، وغيره عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى قال: بلغني أنه يجتمع على مؤمن واحد أكثر من ربيعة ومضر[2]؛ يعني: من الشياطين.

وروى البيهقي في «الشعب»، وابن عساكر عن ثابت البناني رحمه الله تعالى قال: بلغني أن إبليس قال: يا رب! إنك خلقت آدم وجعلت بيني وبينه عداوة، فسلطني على أولاده، قال: صدورهم مساكن لك، قال: رب! زدني، قال: لا يولد لآدم ولد إلا ولد لك عشرة، قال: رب! زدني، قال: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾[الإسراء: ٦٤].

فشكى آدم إبليس إلى ربه قال: يا رب! إنك خلقت إبليس وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضاً، وسلطته علي، وأنا لا أطيقه إلا بك، قال: لا يولد لك ولد إلا وكلت به ملكين يحفظانه من قرناء السوء، قال: رب! زدني، قال: الحسنة بعشرة أمثالها، قال: رب! زدني، قال: لا أحجب عن ولدك التوبة ما لم يغرغر[3].

---

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٨٥) عن قتادة.

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٤٠٤).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٠٧١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٤٣٩).

وقال مجاهد رحمه الله تعالى: من ذرية إبليس لاقيس، وولهان؛ وهو صاحب الصلاة والطهارة، واللهفان، ومرَّة، وبه يكنَّى.

وزلنبور؛ وهو صاحب الأسواق يزين اللغو، والحلف الباطل، ومدح السلعة.

ونسوطاً صاحب الصخب والغضب.

وثبر؛ وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه، ولطم الخدود، وشق الجيوب.

والأعور؛ وهو صاحب الزنا، ينفخ في إحليل الرجل وعَجُز المرأة.

ومطوس ـ وفي رواية: مسوط ـ؛ وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلاً.

وداسم؛ وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم، ولم يذكر اسم الله، دخل معه، وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه.

والأبيض؛ وهو الموكل بالأنبياء عليهم السلام، وهو الذي أضل بَرْصِيصا.

وخنزب، وهو بالخاء المعجمة المفتوحة، والنون الساكنة، والزاي المفتوحة؛ وهو شيطان الصلاة.

روى ذلك مفرقاً عن مجاهد، ابن جرير، وابن أبي حاتم، وغيرهما[1].

وقرأت بخط العلامة البرهان ابن الباعوني رحمه الله تعالى عن

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢٦٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٤٠٣).

عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: أنه قال: من ذرية إبليس تسعة؛ زلنبور، ووثين، وأعوان، ولهفان، ومرة، ولقوس، والمسوط، وداسم، وولهان.

أما زلنبور فهو صاحب الأسواق ينصب فيها رايته.

وأما وثين فهو صاحب المصائب.

وأما أعوان فهو صاحب أبواب السلطان؛ أي: المترددين إليه والملازمين له؛ عبر عنهم بالأبواب وأراد الأبواب حقيقة.

وأما اللهفان فهو صاحب الشراب.

وأمَّا مرة فهو صاحب المجوس.

وأمَّا المسوط فهو صاحب الأخبار الزور يلقيها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلاً.

وأمَّا داسم فهو صاحب البيوت، فإذا دخل الرجل منزله ولم يسم ولم يذكر الله، أوقع بينهم المنازعة حتى يقع الضرب، والطلاق، والخلع.

وأما ولهان فهو يوسوس في الصدور في الصلاة والعبادات.

وقال في «القاموس»: والولهان شيطان يغري بكثرة صب الماء في الوضوء[1].

وفي «القاموس» أيضاً: إن عمل زلنبور أن يفرق بين الرجل وأهله،

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٦٢١) (مادة: وله).

ويبصر الرجل بعيوب أهله[1].

وفيه: أن سوطاً ـ وهو على وزن السوط الذي يجلد به بدون لام التعريف ـ ولد لإبليس يغري على الغضب[2].

وقال فيه: والأزب ـ أي: بالهمزة، والزاي، والموحدة المشددة ـ من أسماء الشياطين.

ومنه حديث ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما: أنه وجد رجلاً طوله شبران، فأخذ السوط، فأتاه، فقال: من أنت؟ قال: أزب، قال: وما أزب؟ قال: رجل من الجن، فقلب السوط فوضعه في رأس أزب حتى باص[3]؛ أي: هرب، أو خفي واستتر.

وقال فيه: والسرحوب ـ أي: بضم السين المهملة، وإسكان الراء، وضم الحاء المهملة، وبالموحدة ـ ابن آوى، أو شيطان أعمى يسكن البحر[4].

وقال فيه: والزوبعة: اسم شيطان رئيس للجن، ومنه الإعصار زوبعة، وأم زوبعة، وأبو زوبعة يقال فيه: شيطان مارد[5].

وذكر القرطبي عن شيخه عبد المعطي: أن شيطاناً يقال له

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٥١٣) (مادة: زلبر).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٨٦٨) (مادة: سوط).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١١٩) (مادة: زبب).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٢٤) (مادة: سرحب).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٩٣٥) (مادة: زبع).

البيضاوي يتمثل للفقراء الواصلين في الصيام، فإذا استحكم منهم الجوع وأضر بأدمغتهم، يكشف لهم عن سناء ونور حتى يملأ عليهم البيوت، فيظنون أنهم قد وصلوا، وأن ذلك من الله، وليس كما ظنوا[1].

وروى البيهقي في «الشعب» عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ شِهَاباً اِسْمُ شَيْطَانٍ»[2].

وروى ابن سعد في «طبقاته» عن عروة بن الزبير، والشعبي مرسلاً قالا: قال رسول الله ﷺ: «الْحُبَابُ شَيْطَانٌ»[3].

وروى ابن أبي شيبة، وأبو داود، وابن ماجه عن مسروق قال: لقيت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال: ما اسمك؟ قلت: مسروق بن الأجدع، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أَجْدَعُ اسْمُ شَيْطَانٍ؛ أنت مسروق بن عبد الرحمن[4].

وذكر بعضهم: أن من ذرية إبليس صخراً، وهو الذي انتزع خاتم سليمان بن داود عليهما السلام؛ وهذا رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما[5].

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٠/ ٤٢٢).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٢٢٧).

(٣) رواهما ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٥٤٢).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٩٠٢)، وأبو داود (٤٩٥٧)، وابن ماجه (٣٧٣١).

(٥) ورواه الطبري في «التفسير» (٢٣/ ١٥٧).

وروى هو عن قتادة رحمه الله تعالى: أنه مارد يقال له: أسيد.

وعن السدي: أنه شيطان اسمه حبقيق[1].

وروى عبد الرزاق عن مجاهد: أن اسمه آصف[2]، وهو غير آصف بن برخيا الذي عنده علم الكتاب، وهو ابن خالة سليمان عليه السلام، ووزيره من الإنس.

قلت: ولعله تصحيف.

ويؤيده ما رواه ابن جرير عن مجاهد نفسه: أن اسمه ـ أعني: الشيطان الذي انتزع خاتم سليمان ـ آصِر[3] ـ بالراء ـ، وهو محبوس في البحر.

وروى ابن أبي حاتم عن نوف البكالي: أن الشيطان الذي مس أيوب عليه السلام يقال له: سوط[4].

وقال مجاهد رحمه الله تعالى: عطس ابن لعبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما فقال: أب، أو: أشهب، [فقال ابن عمر]: لا تقل أب أو أشهب؛ فإنه اسم شيطان.

وقال إبراهيم رحمه الله تعالى: إن شيطاناً يسمى إهاب؛ فمن عطس

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ١٨٣ ـ ١٨٦).

(٢) ورواه الطبري في «التفسير» (٢٣/ ١٥٧).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٢٣/ ١٥٧).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٢٤٥) عن ابن عباس ﷺ، وعنده: «مسوط» بدل «سوط».

فليخفض من صوته، ولا يقل: إهاب. نقلهما البغوي في «شرح السنة»[1].

وروى ابن أبي حاتم عن عبدالله بن جحين الأكبر: أن رجلاً أتاه فقال: إني نذرت أن لا أكلم أخي، فقال: إن الشيطان ولد له ولد فسماه نذراً، وإنه من قطع ما أمر الله به أن يوصل فقد حلت عليه اللعنة[2].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن قتادة رحمه الله تعالى قال: إن لإبليس شيطاناً يقال له: قيقب يخمه أربعين سنة، فإذا دخل الغلام في هذا الطريق ـ يعني: طاعة الله ـ يقول له: دونك إنما كنت أخمك لمثل هذا، أجلب عليه، وافتنه[3].

وروى الخطيب في «تاريخ بغداد» عن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال: لا يقال: بغذاذ بالذال ـ يعني المعجمة ـ؛ فإن بغ شيطان، وذاذ عطية، ولكن يقول: بغداد وبغذاد كما تقول العرب[4].

وفي «القاموس»: إن الشيصبان قبيلة من الجن واسم الشيطان، انتهى[5].

---

(١) انظر: «شرح السنة» للبغوي (١٢/ ٣١٤).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٧٢).

(٣) ورواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص: ١٧٦).

(٤) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١/ ٥٩).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص: ١٣٠) (مادة: شصب).

ويحتملها قول الشاعر: [من المتقارب]

وَلِيْ صاحِبٌ مِنْ بَنِيْ الشَّيْصَبانِ فَطَـوْراً أَقُـوْلُ وَطَـوْراً يَقُـوْلْ

وروى ابن أبي الدنيا في «المكائد»، والطبراني في«الكبير» عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وُكِّلَ بِالْمُؤْمِنِ مِئَةٌ وَستُّونَ[1] مَلَكاً يَذبُّونَ عَنْهُ مَا لَمْ يُقَدَّرْ عَلَيْهِ؛ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْبَصَرِ سَبْعَةُ أَمْلاكٍ يَذبُّوْنَ عَنْهُ كَمَا يُذَبُّ عَنْ قَصْعَةِ الْعَسَلِ الذُّبَابُ فِيْ الْيَوْمِ الصَّائِفِ، وَمَا لَوْ بَدَا لَكَ لَرَأَيْتُمُوْهُ عَلَى كُلِّ سَهْلٍ وَجَبَلٍ؛ كُلُّهُم بَاسِطٌ يَدَيْهِ فَاغِرٌ فَاهُ، وَمَا لَو وُكِلَ الْعَبْدُ إِلَى نَفْسِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ لاخْتَطَفَتْهُ الشَّيَاطِيْنُ»[2].

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبـي ﷺ: أنه لما نزل ليلة الإسراء إلى سماء الدنيا نظر أسفل منه، فإذا هو بريح وأصوات ودخان، فقال: «ما هَذَا يَا جِبْرِيْلُ؟» فقال: «هذه شياطين يحومون على أعين بني آدم لئلا يتفكروا في ملكوت السموات والأرض، ولولا ذلك لرأوا العجائب»[3].

وروى الخرائطي في «مكارم الأخلاق» عن وهب بن منبه

---

(1) اختلفت روايات هذا الحديث في عدد الملائكة، وفيها: «مئة وستون»، «ثلاث مئة وستون»، «تسعون ومئة».

(2) تقدم تخريجه.

(3) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٥٣).

رحمه الله تعالى قال: إن رجلاً من بني إسرائيل صام سبعين سبتاً يفطر في كل سبعة أيام، وهو يسأل الله تعالى أن يريه كيف تغوي الشياطين الناس، فلما طال عَلَيْه ذلك ولم يجب، فقال: لو اطلعت على خطيئتي وذنبي وما بيني وبين الله ربي لكان خيراً لي من هذا الأمر الذي طلبته، فأرسل الله تعالى ملكاً فقال له: إن الله أرسلني إليك وهو يقول لك: إن كلامك هذا الذي تكلمت به أعجب إليَّ مما مضى من عبادتك، وقد فتح الله بصرك فانظر، فإذا جنود إبليس قد أحاطت بالأرض، وإذا ليس أحد من الناس إلا وحوله الشياطين مثل الذباب، فقال: أي رب! من ينجو من هذا؟ قال: الوادع اللين[1].

وروى ابن أبي الدنيا عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما قال: إن آدم عليه السلام لما أهبط قال: رب! هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة ألا تعينني عليه؟ لا أقوى عليه، قال: لا يولد لك ولد إلا وكلت به ملكاً، قال: ربي! زدني، قال: أجزي بالسيئة سيئة، وبالحسنة عشراً إلى ما أريد، قال: ربي! زدني، قال: باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح.

قال إبليس: يا رب! هذا العبد الذي كرمته ألا تعينني عليه؟ لا أقوى، قال: لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد، قال: ربي! زدني، قال: تجري منه مجرى الدم، وتتخذون صدورهم بيوتاً، قال: ربي! زدني،

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٩/ ٢٨١).

قال: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ إلى قوله: ﴿غُرُورًا﴾[الإسراء: ٦٤][1].

* تَتِمَّةٌ:

سبق أن إبليس كنيته أبو مرة، وهذا مشهور عند الناس.

وروى عبد بن حميد عن سفيان رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾[الأعراف: ١٩٠]، قال: أشركاه في الاسم، قال: وكنية إبليس أبو كدوس[2].

٣ ـ ومن أخلاق الشيطان ـ لعنه الله تعالى ـ الدعاء إلى الكفر، بل هو أشد من الكفر.

قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الحشر: ١٦].

ذكر البغوي، والقرطبي، وغيرهما عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنه قال في هذه الآية: كان راهب في الفترة يقال له: برصيصا قد تعبد في صومعته سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين حتى أعيا إبليس، فجمع إبليس مردة الشياطين، فقال: لا أحد منكم يكفيني أمر برصيصا؟ فقال الأبيض ـ وهو صاحب الأنبياء، وهو الذي قصد النبي ﷺ في صورة جبريل ليوسوس إليه على وجه الوحي، فجاءه جبريل عليه

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (٧٣)، وقد تقدم لكن لم يعزه هناك لابن أبي الدنيا.

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٦٢٦).

السلام فدخل بينهما، ثم دفعه بيده حتى وقع بأقصى الهند، فذكر قوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[التكوير: ٢٠]، فقال: أنا أكفيكه.

فانطلق، فتزيا بزي الرهبان، وحلق وسط رأسه حتى أتى صومعة برصيصا، فناداه، فلم يجبه، وكان لا ينفتل من صلاته إلا في كل عشرة أيام يوماً، ولا يفطر إلا في كل عشرة أيام، وكان يواصل العشرة أيام، والعشرين، والأكثر، فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما انفتل برصيصا من صلاته رأى الأبيض قائماً يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان، فندم حيث لم يجبه، فقال: ما حاجتك؟ قال: أن أكون معك فأتأدب بآدابك، وأقتبس من علمك، ونجتمع على العبادة، فقال: إني في شغل عنك، ثم أقبل على صلاته، وأقبل الأبيض كذلك على الصلاة، فلمَّا رأى برصيصا شدة اجتهاده قال: ما حاجتك؟ قال: أن أرتفع إليك، فأذن له، فأقام الأبيض معه حولاً لا يفطر إلا في كل أربعين يوماً، وربما مد إلى الثمانين، فلمَّا رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت إليه نفسه، ثم قال الأبيض: عندي دعوات يشفي الله بها السقيم والمبتلى والمجنون، فعلمه إياها، ثم جاء إبليس فقال: قد ـ والله ـ أهلكت الرجل.

ثم تعرض لرجل فخنقه، ثم قال لأهله ـ وقد تصور في صورة الآدميين ـ: إن بصاحبكم جنوناً أفأطبه؟ قالوا: نعم، قال: لا أقدر على جنيته، ولكن اذهبوا إلى برصيصا؛ فإن عنده اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أُعطي، وإذا دعي به أجاب، فجاؤوه، فدعا بتلك

الكلمات، فذهب عنه الشيطان، ثم جعل الأبيض يفعل ذلك بالناس، ويرشدهم إلى برصيصا فيعافون، فانطلق إلى جارية من بنات الملوك بين ثلاثة أخوة، وكان أبوهم ملكاً فمات، واستخلف أخاه، وكان عمها ملكاً في بني إسرائيل، فعذبها وخنقها، ثم جاء إليهم في صفة رجل متطبب ليعالجها، فقال: إن شيطانها مارد لا يطاق، ولكن اذهبوا إلى برصيصا، فدعوها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها فبرأت، فقالوا: لا يجيبنا إلى هذا، قال: فابنوا صومعة إلى جانب صومعته، ثم ضعوها فيها، وقولوا: هي أمانة عندك، فاحْتَسِب فيها، فسألوه ذلك، فأبى، فبنوا صومعة ووضعوا فيها الجارية، فلما انفتل من صلاته عاين الجارية وما بها من الجمال، فوقعت في قلبه وأسقط في يديه، فجاءها الشيطان وخنقها، فدعا بتلك الكلمات، فذهب عنها الشيطان، فلما أقبل على صلاته عاد إليها الشيطان، وكان يكشف عنها ويتعرض لبرصيصا، ثم جاءه الشيطان وقال: ويحك! واقعها فما تجد مثلها، ثم تتوب بعد ذلك، فلم يزل به حتى واقعها فحملت، وظهر حملها، فقال له الشيطان: ويلك! قد افتضحت فهل لك أن تقتلها ثم تتوب ولا تفتضح، فإن جاؤوك وسألوك فقل: جاءها شيطانها فذهب بها، فقتلها برصيصا، ودفنها ليلاً، فأخذ الشيطان طرف ثوبها حتى بقي خارجاً من التراب، ورجع برصيصا إلى صلاته إذ جاء إخوتها يتعاهدون أختهم فلم يجدوها، فقالوا: يا برصيصا ما فعلت أختنا؟ قال: قد جاء شيطانها فذهب بها، ولم أطقه، فصدقوه، فلما أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان إليهم في منامهم، فقال لكل من إخوتها:

إن برصيصا فعل بأختكم كذا وكذا، وقتلها، ودفنها في جبل كذا، فقالوا: هذا حلم، فتتابع عليهم ثلاث ليال، فانطلقوا إليه، وقالوا: يا برصيصا! ما فعلت أختنا؟ فقال: أليس قد أعلمتكم بحالها فكأنكم اتهمتموني؟ فقالوا: لا ـ والله ـ لا نتهمك، واستحيوا منه وانصرفوا، فجاءهم الشيطان وقال: ويحكم! إنها المدفونة في موضع كذا، وإن طرف إزارها خارج من التراب، فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوه في المنام، فمشوا وغلمانهم معهم المساحي والفؤوس فهدموا صومعة برصيصا، وأنزلوه منها، ثم ذهبوا به إلى الملك، فأقر على نفسه، فأمر الملك بقتله وصلبه على خشبة، فلما صلب أتاه الأبيض فقال: يا برصيصا! أتعرفني؟ قال: لا، قال: أنا صاحبك الذي علمتك الكلمات فاستجيبَ لك، أما اتقيت الله في أمانة خنت أهلها؟ وإنك زعمت أنك أعبد بني إسرائيل، أما استحييت؟ فما زال يعيره ويعنفه حتى قال في آخر ذلك: ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك، وفضحت نفسك وأشباهك من الناس؛ فإن مت على هذه الحالة لم يفلح أحد من نظرائك، قال: فكيف أصنع؟ فقال: تطيعني في خصلة واحدة حتى أخلصك مما أنت فيه فآخذ بأعينهم، وأخرجك من مكانك، قال: وما هي؟ قال: تسجد لي، قال: أفعل، فلما سجد له قال: يا برصيصا! هذا الذي أردت منك؛ صار عاقبة أمرك أن كفرت بربك، إني بريء منك، إني أخاف الله رب العالمين[1].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٢)، و«تفسير القرطبي» (١٨/ ٣٧).

قلت: وقد اشتملت هذه القصة على أمور كثيرة من مخازي الشيطان، فينبغي للعبد أن لا يتشبه به في شيء منها.

فمن جملتها: التزيي بزي الصالحين ظاهراً مع امتلاء القلب بالكفر، والغش، والمكر، والاستهزاء بالطاعة، والسخرية بالمصلين والمتعبدين، وإكذاب الناس بغير حق، وانتهاك الحرم، والجناية على عرض ذوي الأعراض، والتشبع بما ليس في الملك، وبث الغش في صورة النصيحة، وكشف عورات الناس، والنميمة بهم وعليهم وإليهم، والسعاية إلى الحكام، وغير ذلك، نسأل الله العافية.

٤ ـ ومن أخلاق الشيطان الرجيم: نية السوء، وإضماره للعباد.

روى أبو نعيم، ومن طريقه ابن الجوزي عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول: ما أتى من أتى إبليس وقارون وبلعام إلا أن أصل نياتهم على غش، فرجعوا إلى الغش الذي في قلوبهم، والله أكرم من أن يمن على عبد بصدق ثم يسلبه إياه[1].

٥ ـ ومنها ـ وهو أخصها وأجمعها ـ: الإغراء، والأمر بالمعاصي.

قال الله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٧١)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤/ ٢٣٠).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ﴾[البقرة: ١٦٩].

وقال تعالى حكاية عنه: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[الحجر: ٣٩ ـ ٤٠]، وهذه الآية تدل على أن الإخلاص من الحصون المانعة من كيد الشيطان.

٦ ـ **ومنها: الاستزلال، والتغرير.**

وقد علمت ما فعل الشيطان الأبيض مع برصيصا.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾[الأنعام: ١١٢ ـ ١١٣].

قال القرطبي: اللام في: ﴿لتصغى﴾ لام كي، والعامل فيه: يوحي؛ تقديره: يوحي بعضهم إلى بعض ليغروهم، ولتصغى، انتهى[1].

ومعنى الآية الكريمة على هذا ـ والله سبحانه وتعالى أعلم ـ: أن شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض بالشيء، ويأمره به كأنه ناصح له، وما يريده له، ولكنه يتكلم معه في صورة النصيحة ليغر السامع بكلامه، ويصغي السامع إليه فيستحسنه، ويرضى به، ويفعله،

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ٦٩).

فمن فعل من هذه الأفعال فهو متشبه بالشيطان لا محالة، بل سماه الله تعالى في هذه الآية شيطاناً.

قال قتادة، ومجاهد، والحسن رحمهم الله تعالى: إن من الإنس شياطين[1].

والشيطان: العاتي المتمرد من كل شيء.

وروى الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال: «يَا أَبَا ذَرٍّ! هَلْ صَلَّيْتَ؟» فقلت: لا، قال: «قُمْ فَصَلِّ»، قال: فقمت وصلَّيت ثمَّ جلست، فقال: «يَا أَبَا ذَرٍّ! تَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّ شَيَاطِيْنِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ»، فقلت: يا رسول الله! وللإنس شياطين؟ قال: «نَعَمْ»[2].

وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى: شياطين الإنس أشد علي من شياطين الجن؛ وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن، قال: وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عياناً[3].

وروى أبو نعيم عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان ـ يعني: الداراني رحمه الله تعالى ـ يقول: ما خلق الله خلقاً أهون علي من إبليس، لولا أن الله تعالى أمرني أن أتعوذ منه ما تعوذت منه أبداً.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٣٤٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٧٨) وكذا النسائي (٥٥٠٧).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٢٤).

قال: وقال: شيطان الجن أهون علي من شيطان الإنس؛ شيطان الإنس يتعلق بي فيدخلني في المعصية، وشيطان الجن إذا تعوذت خنس عني دقيقة[1].

ومن حيل الشيطان في تغرير الإنسان: ما رواه ابن أبي الدنيا عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: اجتمع قوم يذكرون الله ﷻ، فأتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم ليفرق بينهم، فلم يستطع، فأتى رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم، فقاموا يقتتلون.

قال عبدالله: وليس إياهم يريد؛ فقام الذين يذكرون الله تعالى يفصلون بينهم، فتفرقوا عن مجلسهم[2].

* **تَنْبِيهٌ:**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾[النمل: ٤]. وقال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[العنكبوت: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾[محمد: ٢٥].

قال أهل السنة: الآية الأولى وأمثالها على الحقيقة، وما بعدها

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٧٦).

(٢) وذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٣/ ٣٥).

على المجاز؛ لأنه الله تعالى هو المضل حقيقة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[الرعد: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[الكهف: ١٧].

وعكس المعتزلة ذلك فجعلوا إسناد التزيين إلى الله تعالى مجازاً، وإسناده إلى الشيطان حقيقة، وهم محجوجون بالكتاب والسنة.

ومر حديث ابن عدي وغيره عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ دَاعِياً وَمُبَلِّغاً، وَلَيْسَ لِيْ مِنَ الْهُدَى شَيْءٌ، وَخُلِقَ إِبْلِيْسُ مُزَيِّناً وَلَيْسَ إِلَيْهِ مِنَ الضَّلالِ شَيْءٌ»[١].

٧ ـ ومن أخلاق الشيطان لعنه الله تعالى: الرضا بالمعصية، والسخط بالطاعات، والغيظ منها.

وحكم الرضا بالمعصية حكم تلك المعصية، فالرضا بالكفر كفر، وبالكبيرة كبيرة، وبالصغيرة صغيرة، وبالمكروه مكروه.

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد عن عبيدالله بن شميط بن عجلان، عن أبيه رحمه الله تعالى قال: من رضي بالفسق فهو من أهله، ومن رضي أن يعصى الله ﷻ لم يرفع له عمل[٢].

قال عبيدالله: وسمعت أبي يقول: رأس مال المؤمن دينه؛ حيثما

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٣٠).

زال زال معه لا يخلفه في الرحال، ولا يأمن عليه الرجال[1].

٨ ـ ومنها: الابتداع في الدين.

روى الإمام الزاهد الشيخ نصر المقدسي في كتاب «الحجة» عن أبي الجلد رحمه الله تعالى قال: يرسل على الناس على رأس كل أربعين سنة شيطان يقال له: القمقم، يبتدع لهم بدعة.

ومثل ذلك لا يقال من قبل الرأي.

وقد سبق بيان أن البدع أصلها كلها من شبه إبليس التي بيناها سابقاً.

٩ ـ ومنها: إنكار البعث، والجنة، والنار.

روى ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم عن مجاهد رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾؛ قال: قال: لا بعث، ولا جنة، ولا نار.

﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾؛ قال: من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم إليها.

﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾؛ قال: من قبل حسناتهم بطَّأهم عنها.

﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾[الأعراف: ١٧]؛ قال: زين لهم السيئات والمعاصي، ودعاهم إليها، وأمرهم بها.

أتاك يا ابن آدم من قبل وجهك، ومن خلفك، وعن يمينك، وعن شمالك، غير أنه لم يأتك من فوقك؛ لا يستطيع أن يكون بينك

---

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٢٨).

وبين رحمة الله تعالى[1].

١٠ ـ ومنها: التكذيب بالقضاء والقدر.

روى ابن أبي الدنيا عن أبي عثمان ـ يعني: النهدي ـ قال: كان عيسى عليه السلام يصلي على رأس جبل، فأتاه إبليس فقال: أنت الذي تزعم أن كل شيء بقضاء وقدر؟ قال: نعم، قال: ألق نفسك من الجبل، وقل: قُدِّرَ عَلَيَّ، قال: يا لعين! الله يختبر العباد، وليس العباد يختبرون الله تعالى[2].

وقال أبو عبيد الآجري: سألت أبا داود عن عمرو بن الأغضف، فقال: قاضي الأهواز ثقة، قال لعباد بن منصور: من حدثك أن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه رجع عن: الشقيُّ من شَقِيَ في بطن أمه؟ قال: شيخ لا أدري من هو، فقال عمرو: أنا أدري من هو، قال: من هو؟ قال: الشيطان.

نقله[3] الحافظان؛ المزي، والعراقي، وغيرهما[4].

١١ ـ ومنها: اعتقاد كون الأسباب مؤثرة بأنفسها في المسببات، وأنها هي الفاعلة، واعتقاد المسلمين أن الله تعالى يوجد الأشياء عند

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٤٢٧).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (ص: ٧٧).

(٣) في «أ»: «نقلهما»، والمثبت من «ت».

(٤) انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (١٤/ ١٦٠).

وجود أسبابها.

روى الإمـام أحمـد في «الزهـد» عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال: إن إبليس طار بعيسى حتى وضعه على بيت المقدس، فقال: أزعمت أنك تحيي الموتى؟ فإن كنت كذلك فادع الله أن ترد هذا الجبل خبزاً، فقال عيسى عليه السلام: أوكل الناس يعيشون من الخبز؟ قال: فإن كنت كما تقول فثب من هذا المكان؛ فإن الملائكة ستلقاك، قال: إن ربي ﷻ أمرني أن لا أجرب نفسي به، ولا أدري يسلمني أم لا[1].

١٢ ـ ومنها: إنكار قدرة الله تعالى على كل الممكنات، كما يفهم من اقتراح اللعين على عيسى عليه السلام أن يرد الله الجبل خبزاً.

وحكى بعض العلماء: أن إبليس عرض لإدريس عليه السلام وهو يخيط ثوبه فقال له: يا إدريس! أنت الذي تزعم أن في قدرة الله تعالى أن يجعل السماوات والأرض في خرم هذه الإبرة؟ قال: نعم، قال: فكيف يكون ذلك؟ فقال إدريس: هكذا ـ وفقأ عينه ـ.

قال بعض المتكلمين: علم إدريس عليه السلام أن إقامة الدليل على ذلك لا يرد إبليس عن كفره، فرجع إلى العقوبة.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٠٧)، ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٥٢).

* تَنْبِيهٌ:

ما ذكرنا من أن إدريس فقأ عين إبليس نقله السنوسي في «شرح عقيدته»، وغيره.

واشتهر على الألسنة أن عمر رضي الله تعالى عنه هو الذي قلع عين إبليس، وقد اجتهدت أن أرى ذلك فلم أجده.

نعم ثبت في الحديث أن الشيطان كان يَفْرَقُ من عمر رضي الله تعالى عنه، ويفر منه.

روى الإمام أحمد، والترمذي، وابن حبان في «صحيحه» عن بريدة رضي الله تعالى عنه: أَن النبي ﷺ قال لعمر رضي الله تعالى عنه: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَفْرَقُ مِنْكَ يَا عُمَرُ»[1].

وروى ابن عساكر عن حفصة بنت عمر رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «مَا لَقِيَ الشَّيْطَانُ عُمَرَ مُنْذُ أَسْلَمَ إِلاَّ خَرَّ لِوَجْهِهِ»[2].

ورواه الطبراني بإسناد حسن عن سديسة مولاة حفصة رضي الله تعالى عنهما[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٥٣) واللفظ له، والترمذي (٣٦٩٠) وصححه، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨٩٢).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٨٦).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٤) عن سديسة، وفي «المعجم =

١٣ ـ ومنها: الحيلولة بين العبد وبين التفكر في آيات الله تعالى، ومخلوقاته، ومصنوعاته.

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِيْ لَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَنَظَرْتُ فَوْقِي فَإِذَا أَنَا بِرَعْدٍ وَبَرْقٍ وَصَوَاعِقَ، فَأَتَيْتُ عَلَى قَوْمٍ بُطُوْنُهُم كَالْبُيُوْتِ فِيْهَا الْحَيَّاتُ تُرَى مِنْ خَارِجِ بُطُونِهِم، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلاء يَا جِبْرِيْلُ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ أَكَلَةُ الرِّبَا، فَلَمَّا نَزَلتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا نَظَرْتُ أَسْفَلَ مِنِّيْ فَإِذَا أَنَا بِرَهْجٍ وَدُخَانٍ وَأَصْوَاتٍ فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيْلُ؟ قَالَ: هَذِهِ الشَّيَاطِيْنُ يَحُوْمُوْنَ عَلَى أَعْيُنِ بَنِي آدَمَ أَنْ لا يَتَفَكَّرُوا فِيْ مَلَكُوْتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَوْلا ذَلِكَ لَرَأَوُا الْعَجَائِبَ»[1].

١٤ ـ ومنها: التشكيك في الدين.

روى البيهقي في «الدلائل» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فجاء رجل من أقبح الناس وجهاً،

= الأوسط» (٣٩٤٣) عن سديسة عن حفصة رضي الله عنها. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٧٠): رواه الطبراني في «الكبير» في ترجمة سديسة، من طريق الأوزاعي عنها، ولا نعلم الأوزاعي سمع أحداً من الصحابة، ورواه في «الأوسط» عن الأوزاعي عن سالم عن سديسة، وهو الصواب، وإسناده حسن، إلا أن عبد الرحمن بن الفضل بن موفق لم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا.

(١) تقدم تخريجه.

وأقبحه ثوباً، وأنتنه ريحاً، يتخطَّى رقاب الناس حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ فقال: من خلقك؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله»، قال: من خلق السماء؟ قال: «الله»، قال: من خلق الأرض؟ قال: «الله»، قال: من خلق الله؟ قال: «سُبْحَانَ اللهِ»، وأمسك بجبهته، وطأطأ رأسه، وقام الرجل فذهب، فرفع رسول الله ﷺ رأسه فقال: «عَلَيَّ بِالرَّجُلِ»، فطلبناه فكأن لم يكن، فقال: «هَذَا إِبْلِيْسُ جَاءَ يُشَكِّكُمْ فِيْ دِيْنِكُمْ»[1].

قلت: أين حسن الصورة التي جاء فيها جبريل عليه السلام سائلاً من النبي ﷺ عن أمور الدين، وبياض ثوبه، وجلوسه بين يديه على نعت الأدب، كما تقدم في حديث عمر رضي الله تعالى عنه في القسم الأول، من قبح صورة إبليس، ونتن ريحه، وقبح سؤاله، وقلة أدبه؟

وأين قوله ﷺ: «هَذا جِبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ»[2] [من قوله ﷺ]: «هَذا إِبْلِيْسُ جاءَ يُشَكِّكُمْ فِيْ دِيْنِكُمْ».

وقد اشتمل هذا الحديث على أخلاق قبيحة من أخلاق إبليس ينبغي للعبد التنزه عنها؛ منها: قبح الثياب وتقذرها، ونتن الريح

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ١٢٥)، وكذا الطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ٣٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٧٠): رواه الطبراني وفي إسناده عبدالله بن جعفر المديني، والد علي بن المديني، وقد رماه الناس بالوضع.

(٢) تقدم تخريجه.

الناشىء غالباً عن ترك تعاهد المعاطف بالتنظيف ونحوه، والحفاء المستلزم لترك التوقي عن القاذورات، وتخطي رقاب الناس، وقلة الأدب، والتعنت في السؤال، والتغليط في المسائل.

وقد روى الإمام أحمد، وأبو داود عن معاوية رضي الله تعالى عنهم: أن النبيَّ ﷺ نهى عن الأُغْلُوْطَاتِ(١).

قال الخطابي وغيره: وأراد بها المسائل التي يغالط بها العلماء ليزلوا، فيهيج بذلك شرٌّ وفتنة(٢).

وروى الطبراني عن ثوبان رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «سَيَكُوْنُ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي يَتَعَاطَوْنَ فُقَهَاءَهُمْ عَضُلَ الْمَسَائِلِ؛ أُوْلَئِكَ شِرَارُ أُمَّتِيْ»(٣).

وعضل المسائل: جمع عضلة ـ بضم المهملة، وإسكان المعجمة فيها ـ؛ وهي المسألة الصعبة المشكلة.

وروى البيهقي عن مالك رحمه الله تعالى قال: قال رجل للشعبي: إني خبأت لك مسائل، قال: خبئها لإبليس حتى تسأله عنها(٤).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٣٥)، وأبو داود (٣٦٥٦).

(٢) انظر: «غريب الحديث» للخطابي (١/ ٣٥٤).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٤٣١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٥٥): فيه يزيد بن ربيعة، وهو متروك.

(٤) رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (١/ ٢٣٠).

قلت: والأغلوطات وعضل المسائل هي غير الألغاز والأحاجي التي يتطارحها العلماء لاختبار الأفهام، وامتحان الأفكار والأذهان، لا للتغليط وإظهار الغلبة، وهذا محرم، والأول مستحب مستحسن.

روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرَةِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ؛ حَدِّثُوْنِيْ مَا هِيَ؟» قال: فوقع النَّاس في شجرِ الوادي، ووقعَ في نفسي أنَّها النَّخْلَةُ فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا يا رسولَ الله، قال: «هِيَ النَّخْلَةُ»[1].

١٥ ـ ومن أخلاق الشيطان: كفران النعم.

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾[الإسراء: ٢٧].

قلت: وكان من كفران إبليس: أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم ـ عليهم السلام ـ ليكون ذلك شكراً منهم لما لآدم عليهم من نعمة التعليم، سجدوا امتثالاً لأمر الله تعالى، وشكراً لنعمته ونعمة آدم عليه السلام علماً منهم أن من لم يشكر الناس لم يشكر الله تعالى.

وتخلف إبليس عن السجود لآدم، فلم يشكر له نعمة التعليم، وكفرها، فكان لنعم الله أشد كفراً وجحوداً.

وقد كان أول شيء علم آدم الملائكة الحمد حين عطس، فقال:

---

(١) رواه البخاري (٦١)، ومسلم (٢٨١١).

«الحمد لله»[1].

وبذلك يتضح أن سجود الملائكة له كان بعد أن أخذ آدم في تعليمهم، وعلمهم الحمد، أو كان بعد تعليمه إياهم جميع الأسماء، وذلك أبلغ في ظهور معنى الخلافة فيه، فكان تأخر إبليس عن السجود كفراناً منه لنعمة الله ونعمة آدم، ولا يتم شكر الله إلا بشكر من أمر بشكره من الناس.

روى الإمام أحمد، والترمذي عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ»[2].

واعلم أن مما يوضح لك أن الكفران من أخلاق الشيطان حرصه على وقوعه من الإنسان.

وقد قيل في قولـــه: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[الأعراف: ١٦]: إنه طريق الشكر.

وقـــال طاعناً على أولاد آدم: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[الأعراف: ١٧][3].

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾[سبأ: ٢٠]:

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦١٦٤) عن أبي هريرة ﵁.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٢)، والترمذي (١٩٥٥) وصححه، وقد تقدم نحوه من حديث أبي هريرة ﵁.

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٨٠).

إنه ظن قلة الشكر في أكثر الناس فكانوا كذلك، وكان الأمر على ذلك.

قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[سبأ: ١٣].

١٦ ـ ومنها: التكبر الحامل للعبد على الامتناع، والخروج عن الطاعة، واتباع الحق.

قال الله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾[البقرة: ٣٤].

قال القرطبي: الاستكبار الاستعظام، فكأنه كره السجود في حقه، واستعظمه في حق آدم، وكان تركه للسجود لآدم تسفيهاً لأمر الله تعالى وعن تكبر.

عبر النبي ﷺ بقوله: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِيْ قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ».

وفي رواية: فقال رجلٌ: إن الرجلَ يحبُّ أن يكونَ ثوبهُ حسناً ونعلهُ حسناً؟ قال: «إِنَّ اللهَ جَمِيْلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ؛ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»، خرجه مسلم[1].

ومعنى بطر الحق: تسفيهه، وإبطاله.

وغمط الناس: الاحتقار لهم، والازدراء بهم.

قال: وقد صرح اللعين بهذا فقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[ص: ٧٦].

---

(١) تقدم تخريجه.

﴿ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾[الإسراء: ٦١].

﴿لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾[الحجر: ٣٣].

وكُفْرُهُ الله بذلك.

قال: فكل من سفه شيئاً من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله كان حكمُهُ حكمَهُ، انتهى[١].

وروى ابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِيّاكُمْ وَالْكِبْرَ؛ فَإِنَّ إِبْلِيسَ حَمَلَهُ الْكِبْرُ عَلَى أَنْ لا يَسْجُدَ لآدَمَ، وَإِيَّاكُمْ وَالْحِرْصَ؛ فَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ حَمَلَهُ الْحِرْصُ عَلَى أَنْ أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ؛ فَإِنَّ ابْنَي آدَمَ إِنَّمَا قَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ حَسَداً، فَهُوَ أَصْلُ كُلِّ خَطِيئَةٍ»[٢].

* **لَطِيْفَتانِ:**

* **الأُوْلَى:**

روى البيهقي في «الشعب» عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى قال: من كانت معصيته في شهوة فأرجو له التوبة؛ فإن آدم عصى مشتهياً فغفر له، وإن كانت في كبر فأخشى على صاحبها اللعن؛ فإن إبليس أبى مستكبراً فلعن[٣].

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١/ ٢٩٦).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩/ ٤٠).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢٩٥).

* **اللَّطِيْفَةُ الثَّانِيَةُ:**

روى البيهقي ـ أيضاً ـ عن يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول: التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام[1].

قلت: فالنبي ﷺ سيد الكرام لأنه أكثرهم تواضعاً، وإبليس ـ لعنه الله ـ رأس اللئام لأنه أشدهم تكبراً، فقد علم المتواضعون من سيدهم وإمامهم، وعلم المتكبرون من رأسهم وقائدهم، والله الموفق.

١٧ ـ ومن أخلاق الشيطان: رؤية النفس وتزكيتها، والإعجاب بها، والغضب لها؛ فإن إبليس لما أمر بالسجود لمن هو دونه في اعتقاده غضب وحنق، وحمله الغضب على الإباء، والكبر، والكفر، ولم ينشأ غضبه إلا من رؤيته لفضل نفسه ومفضولية آدم، ألا ترى كيف قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[ص: ٧٦]؟

ولم يكتف بحقيقة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات: ١٣].

ولم يتنبه لمعنى المثل السائر: يا ويح النار! ما تُخَلِّف إلا الرماد.

فلما نظر إلى نفسه بالتعظيم أنف من السجود لمن رآه بعين التحقير، فغضب، فطارت شرارة غضبه حتى أحرقته، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ».

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٣٠٤).

رواه الإمام أحمد، وأبو داود عن عطية السعدي رضي الله تعالى عنه[1].

وروى أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو يعلى، والبزار، والبيهقي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: ذكروا رجلاً عند النبي ﷺ، فذكَرُوا قُوَّتَهُ في الجهادِ، وَاجتِهادَهُ في العبادةِ، فإذا هم بالرجلِ مقبلٌ، فقال النبيُّ ﷺ: «إِنِّيْ لأَرَى فِيْ وَجْهِهِ سَفْعَةً مِنَ الشَّيْطَانِ»، فَلَمَّا دَنَا سَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «هَلْ حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بِأَنَّهُ لَيْسَ فِيْ الْقَوْمِ أَحَدٌ خَيْرٌ مِنْكَ؟» قَالَ: «نعَمْ».

ثُمَّ ذَهَبَ فَاختط مَسْجِدَاً، وَوَقَفَ يُصَلِّيْ، فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَقُوْمُ إِلَيْهِ فيَقْتُلُهُ؟» فَقَامَ أَبُوْ بَكْرٍ رضي الله عنه فَانْطَلَقَ، فَوَجَدَهُ قَائِمَاً يُصَلِّيْ، فَرَجَعَ، فَقَالَ: «وَجَدْتُهُ يُصَلِّيْ فَهِبْتُ أَنْ أَقْتُلَهُ»، فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «أَيُّكُمْ يَقُوْمُ إِلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ؟» فَقَامَ عُمَرُ رَضِـيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ فَصَنَعَ كَمَا صَنَعَ أَبُو بَكْرٍ رَضِـيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «أَيُّكُمْ يَقُوْمُ إِلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ؟» فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِـيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِنْ أَدْرَكْتُهُ، فَذَهَبَ فَوَجَدَهُ قَد انْصَرَفَ، فَرَجَعَ، فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «هَذَا أَوَّلُ قَرْنٍ خَرَجَ مِنْ أُمَّتِيْ، لَوْ قَتَلْتَهُ مَا اخْتَلَفَ اثْنَانِ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي»[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤/ ٢٢٦)، وأبو داود (٤٧٨٤).

(٢) رواه أبو يعلى في «المسند» (٤١٤٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٨٧). وكذا رواه الدارقطني في «السنن» (٢/ ٥٤). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٩٦٠): رواه الإمام أحمد والبزار والدارقطني من حديث أنس بسند حسن

قلت: لعله إنما أمر بقتله لما أطلعه الله عليه من كفره ونفاقه، أو لأنه كفر باعترافه بما حدث نفسه به من أنه خير من القوم، وفيهم رسول الله ﷺ.

وفي قوله: «لَوْ قَتَلْتَهُ مَا اخْتَلَفَ اثْنَان بَعْدِيْ مِنْ أُمَّتِيْ» الظاهر أنه لو قتله لتسامع الناس أن رسول الله ﷺ قتل رجلاً يجاهد ويصلي ليس إلا لكونه أظهر تزكية نفسه، ودعوى أنها خير من الناس، فلا يزكي أحد بعده نفسه، ولا يعجب برأيه، فيتوافق كل الناس على ذلك، فلا يختلفون، فلا يهلكون بسبب ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ: هَوَىً مُتَّبَعٌ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَإِعْجَابُ كُلِّ ذِيْ رَأْيٍ بِرَأْيِهِ». رواه الطبراني في «الأوسط» عن أنس، وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهم[1].

*** تَنْبِيْهٌ:**

اصطلح الصوفية على التحذير من الأنانية؛ أي: من قول العبد: أنا فعلت، أو: أنا أعلم، أو: أنا أكرم من فلان، ونحو ذلك مبالغة منهم في التحذير من رؤية النفس وإثبات ملكيتها.

فأمَّا إذا قال المرء: ﴿أنا﴾ لمن قال له: أتعلم مسألة كذا؟ أو:

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٤٥٢) عن أنس رضي الله عنه، و(٥٧٥٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما. قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ١٧٤): وهو مروي عن جماعة من الصحابة، وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال، فهو بمجموعها حسن.

اشهد بكذا، فقال: أنا أعلم، أو: أشهد، ونحو ذلك، فليس من هذا.

وفي «سنن أبي داود» عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ يَتَشَهَّدُ قَالَ: «وَأَنَا، وَأَنَا»[1].

وما أحسن هذه الأنانية المفصحة عن حقيقة العبودية!

أين هذا من أنانية الرجيم المشعرة بمنازعة الربوبية؟

وبالجملة: تتحد الألفاظ، وإنما يفرق بينها إرادة القلوب.

١٨ ـ ومن أخلاق اللعين: دعاء الغير إلى تزكية النفس، ورؤيتها، والإعجاب بها.

روى ابن أبي شيبة عن أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه: أنه أَمَّ قوماً مرة، فلما انصرف قال: ما زال علي الشيطان آنفاً حتى رأيت أن الفضل لي على من خلفي؛ لا أَؤم أبداً[2].

١٩ ـ ومنها ـ وهو من جنس ما تقدم ـ: دعوى الأحوال الشريفة والمقامات العالية، وهو على خلافها.

ومن هذا القبيل: قول الشيطان كما حكاه الله تعالى عنه بقوله: ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ يعني: لقريش يوم بدر، ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا

---

(١) رواه أبو داود (٥٢٦).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤١١٨).

تَرَاءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[الأنفال: ٤٨].

ادعى الشجاعة، وقد بدا لهم في صورة سراقة بن جعشم المدلجي، وأنه يثبت في الحرب عند اللقاء، وأنه يجير القوم إذا كادوا أن يغلبوا، فظهر أنه جبان لا ثبات له عند اللقاء، بل نكص على عقبيه، ثم ادعى الخوف من الله تعالى.

قال قتادة رحمه الله تعالى في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾[الأنفال: ٤٨]: ذكر لنا أنه رأى جبريل ينزل معه الملائكة عليهم السلام، فعلم عدو الله أنه لا يدانِ له بالملائكة، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾[الأنفال: ٤٨]، وكذب عدو الله ما به مخافة الله، ولكن علم أنه لا قوة له به، ولا منعة له. رواه ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ[١].

٢٠ ـ ومنها: تسخط المقدور، وعدم الرضا بالقسمة، والحسد.

قال قتادة: حسد إبليس آدم على ما أعطاه الله تعالى من الكرامة، فقال: أنا ناري وهذا طيني[٢]؛ أي: فأنا أحق بأن يسجد لي منه، فإن الحسد تمني زوال النعمة عن المحسود، وسببه زعم الحاسد أنه أحق بالنعمة منه، وهذا اعتراض على الله تعالى، وتسخط لقضائه.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٧٩). ورواه الطبري في «التفسير» (١٠/ ١٩).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣١١).

ولقد أحسن المعافى بن زكريا في قوله رحمه الله تعالى: [من المتقارب]

أَلا قُلْ لِمَنْ كانَ لِيْ حاسِداً ... أَتَدْرِيْ عَلَى مَنْ أَسَأْتَ الأَدَبْ

أَسَأْتَ عَلَىْ اللهِ فِيْ فِعْلِهِ ... لأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِيْ ما وَهَبْ

فَجازاكَ عَنِّيْ بِأَنْ زادَنِيْ ... وَسَدَّ عَلَيْكَ وُجُوْهَ الطَّلَبْ[1]

قلت: وكذلك فعل الله تعالى بإبليس، فأبّد لعنته، وتلافى آدم بالتوبة، وغفر زلته.

وروى البيهقي عن الحسن رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[الفلق: ٥]؛ قال: هو أول ذنب كان في السماء[2].

وروى الدينوري في «المجالسة» عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى قال: الحسد أول ذنب عُصي الله به في السماء؛ يعني: حسد إبليس آدم، وهو أول ذنب عصي الله به في الأرض؛ حسد ابن آدم أخاه فقتله[3].

وقال ابن عطية رحمه الله تعالى: روى ابن القاسم عن مالك رحمه الله تعالى: أنه قال: بلغني أن أول معصية كانت الحسد،

---

(١) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٥/ ٥٠٩)، و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (١٣/ ٢٣٠).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٦٣٢).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١١٣).

والكبر، والشح؛ حسد إبليس آدم، وتكبر عليه، وشح آدم؛ قيل له: كُلْ من جميع شجر الجنة إلا هذه الشجرة، فشح، فأكلها[1].

وقال ابن أبجر رحمه الله تعالى في بعض الكتب: يقول الله تعالى: الْحَاسِدُ عَدُوٌّ نِعْمَتِيْ، مُتَسَخِّطٌ لِقَضَائِيْ، غَيْرُ رَاضٍ بِقِسْمَتِيْ بَيْنَ عِبَادِيْ[2].

قال بكر بن عبدالله المزني رحمه الله تعالى: ذنبك إلى الحاسد دوام نعم الله تعالى عليك[3].

وقيل لابن السَّمَّاك رحمه الله تعالى: أي الأعداء لا يجب أن يعود صديقاً؟ قال: من سبب عداوته النعمة؛ يعني: الحاسد[4].

ثم قال: قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما: كل الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة؛ فإنه لا يرضيه إلا زوالها[5].

وقال الأصمعي رحمه الله تعالى: رأيت أعرابياً في بني عذرة قد أتت له مئة وعشرون سنة، فقلت له: ما أطولَ عمرَك! فقال: تركت الحسد فبقيت[6]. رواها الدينوري في «المجالسة».

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ١٢٥).

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١١٣).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١١٢).

(٤) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١١٢).

(٥) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١١٣).

(٦) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١١٣).

وروى الطبراني في «الكبير» عن ضمرة بن ثعلبة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوْا»[1].

٢١ ـ ومنها: الحقد؛ وهو غاية الحسد.

وقد حمل حقد إبليس على آدم على أن حمله على أن تسلط على أولاده نحو سبعة آلاف سنة، ولم يشتف منهم.

ولا يخفى أن الحسود في غم أبداً ما دام محسوده فيما حسد عليه، فإذا وصل به الحسد إلى الحقد كان أكثر غماً، إلا أنه قد يخرج من ضيق غمه إلى فضاء الانتقام والعدوان، وفيه هلاكه، والعياذ بالله.

وروى الدينوري عن أبي عبيدة رحمه الله تعالى قال: ستة لا يخلون من الكآبة:

- رجل افتقر بعد غنى.
- ومن يخاف على ماله التِّوى[2].
- وحقود.
- وحسود.
- وطالب مرتبة لا يبلغها قدره.
- ومخالطة العلماء بغير علم[3].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨١٥٧). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٣٤٧): رواته ثقات.

(٢) التِّوى: هلاك المال.

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١/ ١١٣).

٢٢ ـ ومنها: اللجاج؛ وهو ملازمة الأمر وعدم الانصراف عنه.

ومن لجاج إبليس حرصه على دخول الجنة بعد أن أخرج منها وطرد، لا لنعيمها، ولا لبرد نسيمها، ولكن لينال من آدم وحواء، فبالغ في الحيلة حتى دخل جوف الحية كما ذكره المفسرون[١].

ومن لجاجه ما قدمناه من أنه واضع خطمه على قلب ابن آدم، لا يترك ابن آدم الذكر إلا بادر اللعين إلى قلبه، فالتقمه؛ لا يمل ولا يفتر.

قيل لبعض السلف: أينام أبليس؟ قال: لو نام لوجدنا راحة[٢].

واللجاج خلق مذموم من الإنسان لما علمت أنه من أخلاق الشيطان.

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن وهيب رحمه الله: أنه قال الخضر لموسى عليهما السلام: يا موسى بن عمران! انزع عن اللجاجة، ولا تمش في غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، والزم بيتك، وابك على خطيئتك[٣].

ومن لطائف هذا الباب: ما رواه الدينوري في «المجالسة» عن الأصمعي قال: قال عبد الملك بن مروان للحجاج: إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه، فَعِبْ نفسك، فقال: أعفني يا أمير المؤمنين، قال: فأبى، قال: أنا لجوج، حقود، حسود، قال عبد الملك: ما في الشيطان شر مما ذكرت.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٣٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٦٦) عن الحسن البصري.

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٦١).

قال الأصمعي: فإذا أردت أن تسلم من الحاسد فعمِّ عليه أمورك[1].

وقد وقع وصف الحجاج بالشيطانية في كلام الحسن رحمه الله تعالى.

روى أبو نعيم عن ابن شوذب، عنه قال: دعا الحجاج أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: ما أعظم عقوبة عاقب بها النبي ﷺ؟ فحدثه بالذين قطع النبي ﷺ أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم، ولم يحسمهم، وألقاهم بالحرة، ولم يطعمهم ولم يسقهم حتى ماتوا، قال الحجاج: أين هؤلاء الذين يعيبون علينا والنبي ﷺ قد عاقب بهذا؟ فبلغ ذلك الحسن، فقال: إن أنساً حمق؛ يعمد إلى شيطان يلتهب فيحدثه بهذا[2].

* تَنْبِيهٌ:

حكى البغوي وغيره: أن إبليس لما أراد أن يدخل الجنة فيوسوس لآدم وحواء عليهما السلام منعته الخزنة، فأتى الحية وكانت صديقة لإبليس، وكانت من أحسن الدواب لها أربعة قوائم كقوائم البعير، وكانت من خزان الجنة، فسألها إبليس أن تدخله الجنة في فيها، فأدخلته، فمرت على الخزنة وهم لا يعلمون، فأدخلته الجنة[3].

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١١٢).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٣١)، وعنده: «حميق» بدل «حمق».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٤).

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦]: إنه خطاب لآدم وحواء، وإبليس، والحية. رواه ابن جرير عنه[١].

وعلى هذا: فالآية نص في عداوة إبليس لنا، وهي صديقة إبليس، فاستدل لذلك بأن النبي ﷺ كان يأمر بقتل الحيات، وقال: «مَنْ تَرَكَهُنَّ خَشْيَةَ ثَأْرِهِنَّ فَلَيْسَ مِنَّا».

زاد في رواية: «مَا سَالَمْنَاهُنَّ مُنْذُ حَارَبْنَاهُنَّ». رواه عبد الرزاق، وغيره من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما[٢].

وقد علمت بذلك أن مسالمة الحية ومصادقتها من أعمال الشياطين، وأشبه الناس بالشيطان من يمسك الحيات ويحميهن من القتل، ويتلطف بهن حتى يضعهن في جيبه مما يلي لحمه، ويزعم أن ذلك كرامة لشيخه.

وهَبْ أن ذلك كرامة لبعض الصوفية أن يمسك بعض فقرائهم الحية ليقتلها لا ليتلطف بها ليكون ذلك من باب قوله ﷺ: «لِيَشْجَعْ أَحَدُكُمْ وَلَوْ عَلَى قَتْلِ حَيَّةٍ»[٣]، كما ذكره القرطبي[١].

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١/ ٢٤٠).

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٩٦١٧)، وكذا أبو داود (٥٢٥٠)، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٤٨).

(٣) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٨١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٩٩) عن عمران بن حصين ﷺ.

فزعم بعض الجهلة من هؤلاء أن الكرامة في إمساكها ومسالمتها وهي مستسلمة لا تؤذيه، وربما زعم أن الحال يأخذه فيأكلها، ويقطعها بأسنانه، وهذا كله حرام لأنها مسمومة، ولحمها نجس، وأكل السم والنجاسة حرام، وكذلك التضمخ بالنجاسة؛ فإن لسعته الحية فمات مات عاصياً، وعلى شيخه مثل إثمه في ذلك كله إن رضي بحاله، ولم ينهه عن ذلك.

وقتل الحيات في الحل والحرم ـ ولوكان القاتل محرماً ـ مشروع مثاب عليه، إلا ما كان من عوامر البيوت فإنهن يؤذنَّ ثلاثة أيام خشية أن يكن من الجن المسلمين، فإن بدا منهن شيء بعد ذلك فقد قال رسول الله ﷺ: «فَاقْتُلُوْهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ» كما رواه مسلم، وغيره من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه[2].

وروى الطبراني، والحاكم وصححه عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْجِنُّ ثَلاثَةُ أَصْنَافٍ: فَصِنْفٌ لَهُمْ أَجْنِحَةٌ يَطِيْرُوْنَ بِهَا فِيْ الْهَوَاءِ، وَصِنْفٌ حَيَّاتٌ وَكِلابٌ، وَصِنْفٌ يَحُلُّوْنَ وَيَظْعَنُوْنَ»[3].

وروى الطبراني في «الكبير»، وغيره عن ابن عباس رضي الله

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١/ ٣١٥).

(٢) رواه مسلم (٢٢٣٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٢١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٠٢).

تعالى عنه، عن النبي ﷺ: أنه قال: «الْحَيَّاتُ مَسْخُ الْجِنِّ كَمَا مُسِخَتِ الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيْرُ مِنْ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ»[1].

وروى الترمذي عن أبي ليلى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا ظَهَرَتِ الْحَيَّةُ فِي الْمَسْكَنِ فَقُوْلُوْا لَهَا: إِنَّا نَسْأَلُكِ بِعَهْدِ نُوْحٍ، وَبِعَهْدِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ: لا تُؤْذِيْنَا، فَإِنْ عَادَتْ فَاقْتُلُوْهَا»[2].

والحاصل أن الحية إما حية حقيقة فتقتل؛ فإنها من الفواسق.

وإما شيطان في صورة حية.

وإما جني متصور بصورة الحية فيقتل لحديث: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[3].

وإنما تستأذن العوامر مخافة أن يكن من الجن المسلمين المخلوقين على صورة الحيات.

وروى الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه» عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ حَيَّةً فَلَهُ سَبْعُ حَسَنَاتٍ»[4].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٩٤٦)، وكذا ابن حبان في «صحيحه» (٥٦٤٠).

(٢) رواه الترمذي (١٤٨٥) وحسنه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٢٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٦٣٠).

وروى عبد الرزاق عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: اقتلوا الوزغ فإنه شيطان[1].

وروى البخاري عن أم شريك رضي الله تعالى عنها: إِنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ الْوَزَغِ؛ قَالَ: وَكَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ عليه السلام[2].

قلت: ولعل هذا سبب تسميته شيطاناً؛ فإنه وافق الشيطان في عداوة إبراهيم عليه السلام ومساعدة قومه على إحراقه، فقد ورد أنهم لما أججوا النار لم يستطيعوا أن يلقوا إبراهيم فيها لعظمها، فعلَّمهم إبليس أن يعملوا المنجنيق، ويلقوه منه إليها[3]، فتوافق هو والوزغ في عداوة إبراهيم عليه السلام كما توافق هو والحية على عداوة آدم عليه السلام، فيستحب قتل الوزغ والحية، وكذلك بقية الفواسق، وهي العقرب، والغراب الأبقع، والحدأة، والفأرة، والكلب العقور، وسائر المؤذيات كالزنبور، والبراغيث، والبق، وغير ذلك.

* **لَطِيْفَةٌ:**

روى عبد الرزاق عن أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَسُبُّوا الضِفْدَعَ؛ فَإِنَّ صَوْتَهُ الَّذِي تَسْمَعُوْنَ تَسْبِيْحٌ وَتَقْدِيْسٌ وَتَكْبِيْرٌ؛ إِنَّ الْبَهَائِمَ اسْتَأْذَنَتْ رَبَّهَا ﷻ فِيْ أَنْ تُطْفِىءَ النَّارَ عَنْ

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٨٣٩٨).

(٢) رواه البخاري (٣١٨٠).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦/ ١٨٢).

إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلامُ [فأذنَ للضَّفَادعِ][1]، فَتَرَاكَبَتْ عَلَيْهِ، فَأَبْدَلَهَا اللهُ تَعَالَى بِحَرِّ النَّارِ الْمَاءَ»[2].

فاعتبِرْ بحَال الضِفْدَع والوزَغِ حَال من يوَالِي أولِيَاءَ اللهِ تعَالى وحَال من يُعَادِيْهِم؛ فإن الله تعالى جعل ذلك وأمثاله عبرة لأولي الألباب.

٢٣ ـ ومن أخلاق الشيطان: العجلة، والطيش، والإنسان بطبعه عجول.

قال الله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾[الأنبياء: ٣٧].

وقال: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾[الإسراء: ١١].

ولكن الله تعالى خلق له العقل، فأرشده إلى التثبت والتأني، فمن استعمل عقله في تحصيل هذين الخلقين الشريفين فقد فارق الشيطان في الطباع.

روى البيهقي في «الشعب» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «التَّأَنِّيْ مِنَ اللهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»[3].

فإن قلتَ: إذا كان كذلك، فما الحكمة في طبع الإنسان على العجلة؟

---

(١) زيادة من «الدر المنثور».

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٣٩) إلى ابن المنذر.

(٣) تقدم تخريجه.

قلتُ: لتكون العجلة مطيته في طريق الآخرة، فإذا جمحت به إلى غير ذلك حَبَسَها بزمام العقل.

روى أبو داود، وغيره، وصححه الحاكم، عن سعد بن أبي وقاص ﷺ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «التُّؤَدَةُ فِيْ كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ إلاَّ فِيْ عَمَلِ الآخِرَةِ»[1]؛ أي: فالإسراع فيه خير.

قال حاتم الأصم رحمه الله تعالى: العجلة من الشيطان إلا في خمس فإنها من سنة رسول الله ﷺ:

- إطعام الضيف.
- وتجهيز الميت.
- وتزويج البكر.
- وقضاء الدين.
- والتوبة من الذنوب[2].

وروى الترمذي، والحاكم وصححه، عن علي رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ثَلاثَةٌ لا تُؤَخِّرْهَا:

- الصَّلاةُ إِذَا أَتَتْ.
- وَالْجَنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ.
- والأَيِّمُ إِذَا وَجَدَتْ كُفُؤاً»[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٧٨).

(٣) رواه الترمذي (١٠٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢٦٨٦). وضعف ابن حجر إسناده في «الدراية» (٢/ ٦٣).

ولا حصر في ذلك، بل كذلك الحج ـ وإن قلنا: إن وجوبه على التراخي ـ والعمرة، وتأدية الزكاة إذا حانت، وإخراج الصدقة إذا خطرت لك لئلا يثبطك عنها الشيطان والهوى، وتعلُّم العلم، وغير ذلك مما يجمعه عمل الآخرة المشار إليه في حديث سعد رضي الله تعالى عنه.

* **تَنْبِيْهٌ:**

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن وهب رحمه الله تعالى: أن إبليس ـ لعنه الله ـ جاء إلى سائح فأراده، فلم يستطع منه شيئاً، فقال له: إني أريد أن أصادقك، قال له السائح: ليس لي بصداقتك حاجة، قال: بلى، سلني عما شئت أخبرك، قال: نعم، قال: بماذا تفتنون الناس؟ قال: إنا ننظر إلى أهل العجلة معهم الحدة فنلعب بهم كما تلعب الصبيان بالأكرة[1].

٢٤ ـ ومن أفعال الشيطان الرجيم: قتل النفس التي حرم الله، والدعاء إليه، والمعاونة فيه.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[القصص: ١٥]؛ يعني: قتل القبطي.

وروى الإمام أحمد، والشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُشِرْ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيْهِ بِالسِّلاحِ؛ فَإِنَّهُ

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٠٣).

لا يَدْرِيْ لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِغُ فِيْ يَدِهِ فَيَقَعَ فِيْ حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ»[1].

يقال: نزغ بيده، وبالرمح: إذا طعن، ومنه هذا الحديث.

ومنه أيضاً: قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾[فصلت: ٣٦].

عبر عن وسوسة الشيطان بالطعن، كأنه يطعن بالوسواس في الصدور.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾[الإسراء: ٥٣] فهو معنى الإفساد والتحريش.

وقال ابن جريج في قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ﴾[المائدة: ٣٠]: تمثل له إبليس وأخذ طيراً، فوضع رأسه على حجر، ثم شدخ رأسه بحجر آخر، وقابيل ينظر، فعلمه القتل، فرضح قابيل رأس أخيه هابيل بين حجرين[2].

وقد علمت في قصة الأبيض مع برصيصا كيف سوَّل له قتل المرأة التي زنى بها.

وعن وهب: إن المرأة التي حبلت من برصيصا جاءت بولد، فزين له الأبيض قتل الولد فقتله، ثم زين له قتل أمه فقتلها[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣١٧)، والبخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٦١٧).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٦/ ١٩٥).

(٣) تقدم تخريجه.

وروى ابن حبان في «صحيحه» عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَصْبَحَ إِبْلِيْسُ بَثَّ جُنُوْدَهُ وَقَالَ: مَنْ أَخَذَ الْيَوْمَ مُسْلِماً أَلْبَسْتُهُ التَّاجَ، قَالَ: فَيَجِيْءُ هَذَا فَيَقُوْلُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، فَيَقُوْلُ: يُوْشِكُ أَنْ يَتَزَوَّجَ، قَالَ: وَيَجِيْءُ هَذَا فَيَقُوْلُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى عَقَّ وَالِدَيهِ، فَيَقُوْلُ: يُوْشِكُ أَنْ يَبَرَّهُمَا، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُوْلُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى أَشْرَكَ، فَيَقُوْلُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيَجِيْءُ هَذَا فَيَقُوْلُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى قَتَلَ، فَيَقُوْلُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيُلْبِسهُ التَّاجَ»[1].

وفي هذا الحديث: أن من أخلاق هذا الخبيث وأعماله السعي في التفريق بين الزوجين، وفي عقوق الوالدين، وهذا الثاني من الكبائر، والأول أبغض الحلال إلى الله تعالى؛ لما رواه أبو داود، وابن ماجه، وصححه الحاكم، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَبْغَضُ الْحَلالِ إِلَى اللهِ الطَّلاقُ»[2].

وقد يكون الطلاق حراماً كطلاق البدعة.

وربما ترتب على الطلاق أمور قبيحة كالظلم في المهر، أو في المتعة، أو في النفقة، والوقوع في العرض من أحد الزوجين، وربما

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦١٨٩)، وكذا الحاكم في «المستدرك» (٨٠٢٧).

(٢) رواه أبو داود (٢١٧٨)، وابن ماجه (٢٠١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢٧٩٤).

كان في قلب أحدهما محبة الآخر فيسعى بالتوصل إليه بالحرام، أو في أذيته، أو أذية من يتصل به، إلى غير ذلك، فلهذا كان أبغض الحلال إلى الله تعالى، وأحبه إلى الشيطان.

وروى الإمام أحمد، ومسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ إِبْلِيْسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً؛ يَجِيْءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُوْلُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُوْلُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً، وَيَجِيْءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُوْلُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ، فَيُدْنِيْهِ، وَيَقُوْلُ: نِعَمْ أَنْتَ»[1].

* **تَنْبِيْهٌ:**

روى ابن أبي شيبة عن إبراهيم النخعي رحمه الله تعالى قال: ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول والشيطان كِفل منها[2].

وهذا ثابت في الحديث الصحيح في حق ابن آدم كما سيأتي، وهو ظاهر فيهما.

٢٥ ـ ومن أخلاق اللعين: كراهية النكاح والتزوج، ومحبة العزوبة من كل أحد؛ لأنه يتمكن بالخواطر الشهوانية إذا لم يكن له حليلة.

قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى: إذا تزوج الرجل

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣١٤)، ومسلم (٢٨١٣).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٧٧٦٠).

صرخ إبليس صرخة يجتمع إليه جميع جنوده، فيقولون: ما لك يا سيدهم؟ فيقول: عصم ابن آدم من فخ كنت أصيده به.

وروى أبو يعلى، والطبراني في «الأوسط» عن جابر رضي الله تعالى عنه: أيما شاب تزوج في حداثة سنه عج شيطانه: يا ويله! يا ويله! عصم مني دينه.

وفي رواية: إذا تزوج أحدكم عج شيطانه يقول: يا ويله! عصم ابن آدم مني ثلثي دينه[1].

وروى الإمام أحمد، وغيره عن عكاف بن وداعة[2] رضي الله تعالى عنه: أنه أتى النبي ﷺ فقال له: «أَلَكَ زَوْجَةٌ يا عكافُ؟» قَالَ: لا، قَالَ: «وَلا جَارِيَةٌ»، قَالَ: لا، قَالَ: «وَأَنْتَ صَحِيْحٌ مُوْسِرٌ»، قَالَ: نَعَمْ، وَالْحَمْدُ للهِ، قَالَ: «فَأَنْتَ مِنْ إِخْوَانِ الشَّيَاطِيْنِ؛ إِنْ كُنْتَ مِنْ رُهْبَانِ النَّصَارَى فَالْحَقْ بِهِمْ، وَإِنْ كُنْتَ مِنَّا فَاصْنَعْ كَمَا نَصْنَعُ فَإِنَّ مِنْ سُنَّتِنَا النِّكَاحَ، شِرَارُكُمْ عُزَّابُكُمْ، وَإِنَّ مِنْ أَرْذَلِ مَوْتَاكُمْ عُزَّابَكُمْ، بِالشَّيَاطِيْنِ تَمَرَّسُونَ، مَا لِلشَّيْطَانِ سِلاحٌ أَبْلَغُ فِيْ الصَّالِحِيْنَ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ الْمُزَوَّجُوْنَ، أُوْلَئِكَ الْمُطَهَّرُوْنَ الْمُبَرَّؤُونَ مِنَ الخَنَا»[3]، الحديث.

---

(١) بهذا اللفظ رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (١٢٢٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في «مسند الإمام أحمد»: «عكاف بن بشر»، ورجح ابن حجر أن اسمه: «عكاف بن وداعة». انظر: «الإصابة» لابن حجر (٤/ ٥٣٥).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٦٣). وضعف إسناده ابن عبد الهادي في «تنقيح التحقيق» (٣/ ١٤٢) ثم قال: وقد قيل إنه موضوع، وقد اختلف في إسناده.

٢٦ ـ ومن قبائح الشيطان: الزنا والأمر به.

والزاني مطيع للشيطان كما في قصة برصيصا وغيرها، ومتشبه به لأنه يزني؛ لما رواه الحكيم الترمذي عن مجاهد رحمه الله تعالى: أن الرجل إذا لم يسم الله تعالى عند الجماع انطوى الشيطان على إحليله فجامع معه، وأنزل معه[١].

وروى سعيد بن منصور، وابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي»، والمفسرون عنه في قوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[الإسراء: ٦٤]: أنه أراد أولاد الزنا[٢].

وروى الفريابي، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[الإسراء: ٦٤] قال: كل خيل تسير في معصية الله، وكل رجلٍ تمشي في معصية الله، وكل مال أخذ بغير حقه، وكل ولد زنا[٣].

وفي «الصحيحين» عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَىٰ أَهْلَهُ قَالَ: اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ»[٤].

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٣٨٤).

(٢) ورواه الطبري في «التفسير» (٥/ ١٢١). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣١٢).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣١٢).

(٤) رواه البخاري (٤٨٧٠)، ومسلم (١٤٣٤).

وروى البزار، والطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلْيَسْتَتِرْ؛ فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَسْتَتِرْ اسْتَحْيَتِ الْمَلائِكَةُ فَخَرَجَتْ، فَإِذَا كَانَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ كَانَ لِلشَّيْطَانِ فِيْهِ نَصِيْبٌ»[1].

وذكر بعض العلماء: أن آسية بنت مزاحم رضي الله عنها خرجت من الدنيا وهي عذراء لم يصل إليها فرعون، وإنما كان يتمثل الشيطان في صورتها لفرعون، وكان يأتي الشيطان وهو يحسب أنه أتى آسية.

وعليه: فالزانية ـ أيضاً ـ متشبهة بالشيطان.

* **لَطِيْفَةٌ:**

قال القرطبي في «تفسيره»: روى الأعمش عن عبدالله قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: رَأَيْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُقْبِلٌ عَلَى شَخْصٍ فِيْ صُوْرَةِ الْفِيْلِ، وَهُوَ يَلْعَنُهُ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِيْ يَلْعَنُهُ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: «إِبْلِيْسُ»، فَقُلْتُ: يَا عَدُوَّ اللهِ! لأَقْتُلَنَّكَ، وَلأُرِيْحَنَّ الأُمَّةَ مِنْكَ، فَقَالَ: مَا هَذَا جَزَائِيْ مِنْكَ؟ قُلْتُ: وَمَا جَزَاؤُكَ مِنِّيْ يَا عَدُوَّ اللهِ؟ قَالَ: وَاللهِ مَا أَبْغَضَكَ أَحَدٌ قَطُّ إِلاَّ وَقَدْ شَرِكْتَ أَبَاهُ فِيْ أُمِّهِ[2].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٧٦)، وضعف ابن حجر إسناده في «الدراية» (٢/ ٢٢٨).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١/ ٩١). قال ابن حجر في «لسان الميزان» (١/ ٣٧١): وهذا لعله من وضع إسحاق الأحمر، فروايته إثم مكرر، فاستغفر الله العظيم، بل روايتي له لهتك حاله، وقد سرقه منه لص، ووضع له إسناداً.

قلت: بغض علي رضي الله تعالى عنه لا شك أنه خلق شيطاني، ولذلك إذا شارك الشيطان في الولد أباه كان مبغضاً لعلي رضي الله تعالى عنه، فالشيطان لا يستحق من علي إلا تمام النكال، فطلبه الجزاء منه مغالطة ومخادعة.

ودل هذا الأثر أن الشيطان يتظاهر في صورة فيل.

وذكر حجة الإسلام في «الإحياء» عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: أن رجلاً سأل ربه ﷻ أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم، فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه، ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعداً على منكبه الأيسر بين منكبه وأذنه، وله خرطوم طويل، وقد أدخله من منكبه الأيسر يوسوس إليه، فإذا ذكر الله خنس[1].

قال: وقد رآه بعض الكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها، وكانت الجيفة مثال الدنيا، انتهى[2].

وقال الثعلبي: قال قتادة: إن الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان، فإذا ذكر العبد ربه ﷻ خنس[3].

---

(١) قال ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٥٦٣): وقد ورد في خبر مقطوع ـ وذكر الخبر، ثم قال: ـ أخرجه ابن عبد البر بسند قوي إلى ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز فذكره، وذكره أيضاً صاحب «الفائق».

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ٤٠).

(٣) ورواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ٤١٠).

قال: وروى الفرج بن فضالة عن عروة بن رويم رحمه الله تعالى: أن عيسى بن مريم عليهما السلام دعا ربه ﷻ أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم فجلى له، فإذا رأسه رأس الحية واضعاً رأسه على ثمرة القلب، فمنَّاه وحدثه[1].

وذكر صاحب «البهجة» في مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله تعالى: أن الشيخ عبد القادر عرض له الشيطان وهو يصلي، ورده في صورة ثعبان عظيم فاغر فاه، ثم تطوق على عنقه وهو ثابت، ثم عرفه أنه الشيطان، وأنه استزل بذلك سبعين صديقاً.

قلت: وقد رأيته في المنام في صورة بين صورة الحمار وصورة الكلب، وأشوه منهما، وجثته دون جثة الحمار وفوق جثة الكلب، وقد وثب علي فأمسكته بيديه، ثم صرعته إلى الأرض، وعلوت على صدره، وأردت أن أستعين عليه بشخص فألهمت أن أعظم ما يستعان به عليه الذكر، فأخذت في ذكر الله تعالى، فما زال يضعف حتى صار كالأديم الملقى، فلما أمنت بطشه تركته، وكثيراً ما رأيته في صورة كلب وأُذيبه بالذِّكر.

وقد يتظاهر في صورة الآدمي كما ظهر لقريش في صورة الشيخ النجدي كما سيأتي، وكما ظهر لهم في صورة سراقة يوم بدر، وكما ظهر للصحابة في أقبح صورة رجل ليشككهم في دينهم كما تقدم.

---

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٢٣).

وقد رأيته مرة في المنام في صورة فقير متعبد قد أنحله النسك وعليه زي الصالحين كأنه مجذوب، وأنا جالس في مجلس الدرس بصحن الجامع الأموي، فمر في وسط الحلقة، ثم توجه ورفع يده ليبطش بي قائلاً: ما تدع ذكر الشيطان وقبائحه، وتشتغل بغير ذلك؟ فعلمت أنه هو الشيطان، وهان أمره عندي، ولا يمكنه الله مني.

وكان لهذا المنام سبب، وذلك أني كنت مشتغلاً في تأليف هذا الباب، وأنا أتتبع قبائح الشيطان لأذكرها فيه فتحذر.

٢٧ ـ ومن قبائح الشيطان: التلوط به، والدعاء إلى نكاح نفسه.

قال الكلبي رحمه الله تعالى: أول من عمل به قوم لوط إبليس في صورة شاب، ثم دعا إلى دبره، فنكح في دبره، ثم عبثوا بذلك العمل[١].

وروى ابن عساكر من طريق ابن إسحاق عن بعض رواة ابن عباس قال: إنما كان بدء عمل قوم لوط إبليس جاءهم في هيئة صبي رآه الناس فدعاهم إلى نفسه، فنكحوه، ثم جروا على ذلك[٢].

٢٨ ـ ومنها: العبث بمذاكير نفسه، أو بمذاكير غيره اجتلاباً للمني.

وقد نص العلماء على تحريم الاستمناء باليد إلا أن يكون بيد الحليلة،

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٩٥).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٠/ ٣١٣).

فأما بيد غيرها فإنه أقبح منه بيد نفسه، وهو من أفعال الشيطان؛ بدليل ما رواه الطبراني عن عكرمة، والدينوري عن مجاهد؛ كلاهما عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنه قال: ما احتلم نبي قط، وإنما الاحتلام من الشيطان بالحال المثيرة للشهوة من الإنسان ـ ذكراً كان، أو أنثى ـ(1).

وقال أبو طالب المكي في «القوت»: روينا عن إسماعيل عن أبان، عن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «أَهْلَكَ اللهُ أُمَّةً كَانُوْا يَعْبَثُوْنَ بِمَذَاكِيْرِهِمْ»(2).

٢٩ ـ ومنها: العبث بدبر نفسه أو بدبر غيره بقصد الشهوة.

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ﴾[الكهف: ٥٠]: إن الشيطان له ذكر طويل يدخله في دبره فيبيض، ثم تنفلق كل بيضة عن جملة من الشيطان، فهذا أصل ذريته(3).

وقال الشعبي رحمه الله تعالى: إني لقاعد يوماً إذ أقبل حمال فقال: أخبرني هل لإبليس زوجة؟ قلت: إن ذلك لعرس ما شهدته، ثم ذكرت قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾[الكهف: ٥٠]، فعلمت

---

(1) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٥٦٤)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٤٢٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٦٧): رواه الطبراني، وفيه عبد الكريم بن أبي ثابت، وهو مجمع على ضعفه.

(2) ورواه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٦٣٣) ثم قال: وهذا ليس بشيء، إسماعيل البصري مجهول، وأبو جناب ضعيف.

(3) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٦٧).

أنه لا يكون ذرية إلا من زوجة، فقلت: نعم[1].

قلت: والمراد أن للشيطان شيطانة يسافدها، لا أنها زوجة بنكاح وعقد؛ فإنه أخس من ذلك.

وعلى ما ذكرناه أولاً فلو كان للرجل ذكر طويل يصل إلى دبر نفسه فلو أدخل في دبر نفسه لكان مرتكباً كبيرة من الكبائر وهو في ذلك متشبه بالشيطان.

والنظر في أنه هل يجب عليه الحد بذلك أم لا؟

لم أقف على نقل في ذلك، والظاهر الأول لأنه لا يملك الاستمتاع بنفسه حتى يحرم عليه الاستمناء بيده، فلا شبهة له تسقط الحد عنه، وقد دخل فعله في مسمى اللواط بلا شك.

وأمَّا عبث الشيطان بدبر غيره، فدليله ما رواه الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَتَىٰ الْغَائِطَ فَلْيَسْتَتِرْ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ إِلاَّ أَنْ يَجْمَعَ شَيْئاً مِنْ رَمْلٍ فَيَسْتَدْبِرهُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَلْعَبُ بِمَقَاعِدِ بَنِيْ آدَمَ؛ مَنْ فَعَلَ هَذَا فَقَدْ أَحْسَنَ، ومَنْ لا، فَلا حَرَجَ»[2].

فالعبث بالدبر من أفعال الشيطان، فلا ينبغي العبث بدبر الحليلة

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ٤١٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٧١)، وأبو داود (٣٥)، وابن ماجه (٣٣٧).

باليد ونحوها ـ وإن كان له أن يتمتع بما أحب من زوجته ـ لأن ذلك ربما استجر من يفعله إلى وطئها في الدبر، وهو حرام.

وفي الحديث: «إنه اللوطية الصغرى»[1].

ومن ثم منع بعض العلماء من النظر إلى دبر الحليلة.

ومن القواعد أنه متى حرم النظر حرم المس إلا في مسائل، والأصح أنه مكروه، أو خلاف الأولى.

قال شيخ الإسلام الوالد في كتاب «فصل الخطاب»: [من الرجز]

يَجُوْزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَسْتَمْتِعا	بِأَمَةٍ لَهُ وَزَوْجَةٍ مَعاً
بِكُلِّ جِسْمِها وَلَوْ بِالدُّبُرِ	مِنْ غَيْرِ إِيْلاجٍ لَهُ بِالذَّكَرِ
وَوَطْؤُها فِيْ دُبُرٍ مَحَرَّمُ	كَما بِهِ جُمْهُوْرُهُمْ قَدْ جَزَمُوْا
وَنَظَرُ الْقُبُلِ مِثْلُ الدُّبُرِ	يَكُوْنُ مَكْرُوْهاً عَلَىْ الْقَوْلِ الْجَلِي
أَيْ نَظَرُ الْحَلْقَةِ وَالْفِقاحْ	مِنْ خارِجٍ مَنْظَرُها مُباحْ

هذا حكم المسألة مع الحليلة.

وأما ما يفعله بعض الفسقة من العبث بمقاعد المرد ـ ولو من فوق الثياب ـ فإنه حرام، وهو من أفعال الشياطين، ولا يكون ذلك في

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٨٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٩٩٦) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما. قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣/ ١٨١): وأخرجه النسائي وأعله، والمحفوظ عن عبدالله بن عمرو من قوله.

ملأ ولاخلاء إلا ممن سقط من عين الله تعالى، وطرد من حضرته.

وقد روى ابن أبي الدنيا في كتاب «الملاهي»، وابن الجوزي في كتاب «ذم الهوى» عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى قال: لو أن رجلاً عبث بغلام بين أصبعين من أصابع رجليه يريد الشهوة لكان لواطاً[1].

ومن اعتذر عن ذلك بأن الأمرد مملوكه أو صبيه فإن اعتذاره بذلك يوهم استحلال استمتاعه بالمملوك، وهو كفر، وعسى أن الله تعالى قد أطلع نبيه ﷺ على ما يقع في هذا الزمان من الفسقة الفجرة من ذلك ـ ولا عجب في ذلك ـ فقال: «شَرُّ الْمَالِ فِيْ آخِرِ الزَّمَانِ الْمَمَالِيْكُ». رواه أبو نعيم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما[2].

وأراد بالمماليك العبيد ـ وإن لم يكونوا بيضاً ـ، ويحتمل أنه أراد البيض خاصة وهو المتعارف بين الناس، ويكون في طي إخباره بذلك إخباره بالعرف الذي يصطلح الناس عليه من إطلاق المماليك على البيض.

ثم إن المملوك من حيث هو قد يكون شر المال من حيث إنه يسرق، أو يزني، أو يؤذي فيستجر اللوم والضرر لسيده، وهذا شائع في سائر المماليك إلا أن الشر في البيض أكثر من حيث فعل الفاحشة

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الورع» (ص: ٩٤)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص: ١٩٩).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٩٤). وحكم ابن القيم بوضعه في «المنار المنيف» (ص: ١٠١).

بهم، وإقرارها فيهم، وإذا كان المملوك محبوباً لسيده فربما يتلف ماله، ويجني على أهله، ويمنعه الحب من مفارقته وإنزال العقوبة به، فالأبيض شر المماليك، والمماليك شر الأموال في هذه الأزمان.

٣٠ ـ ومن قبائح الشيطان: التشبه بالنساء.

وقد تقدم أنه كان يتصور لفرعون في صورة آسية حتى ينكحه فرعون، وهذا يقتضي أنه كان يتلبس بكل ما تفعله المرأة للرجل إذا أراد أن يطأها.

وتقدم أنه أول من نكح في دبره حين ظهر لبعض قوم لوط في صورة غلام جميل، ودعا الناس إلى دبره ـ لعنه الله تعالى ـ فهو أول المخنثين.

وروى ابن الجوزي في «ذم الهوى» عن علي بن محمد الدلال قال: وقفت على الشبلي في قبة الشعراء في جامع المنصور والناس مجتمعون عليه، فوقف عليه في الحلقة غلام لم يكن ببغداد في ذلك الوقت أحسن وجهاً منه يعرف بابن مسلم، فقال له: تَنَحَّ، فلم يبرح، فقال له الثانية: تَنَحَّ يا شيطان عنا، فلم يبرح، فقال له الثالثة: تَنَحَّ وإلا خرقت كل ما عليك[1].

٣١ ـ ومنها: القيادة بين الرجال والنساء، وبين الرجال والمرد، وكلاهما من الكبائر، والثاني أقبح.

وقد تقدم أن شيطان الزنا يسمى الأعور ينفخ في إحليل الرجل،

---

(١) رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص: ١١٦).

وفي عجز المرأة، فتهيج الشهوة بينهما.

وروى ابن الجوزي في «ذم الهوى» عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: الشيطان من الرجل في ثلاثة منازل: في بصره، وقلبه، وذَكَرِه.

وهو من المرأة في ثلاثة منازل: في بصرها، وقلبها، وعجزها[1].

وروى الإمام أحمد، والترمذي، والحاكم وصححاه، عن عمر رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال في حديث: «أَلَا لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ»[2].

ومن ثم حرمت الخلوة بالأجنبية، والفتنة في الاختلاء بالأمرد ـ وخصوصاً إن كان مخنثاً ـ أشد.

وقد قال سفيان: مع الجارية شيطان، ومع الغلام شيطانان[3].

وقال النجيب بن السري رحمه الله تعالى: كان يقال: لا يبيت الرجل في بيت مع أمرد.

وفي رواية عنه: أنه كره أن ينام الرجل مع الغلام الأمرد في بيت. رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي»، والبيهقي[4].

---

(١) رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص: ٩٢)، وكذا هنَّاد في «الزهد» (٢/ ٦٥١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٦)، والترمذي (٢١٦٥) وصححه، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٧).

(٣) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢/ ٨٨).

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٣٩٨).

وقال أبو أسامة: كنا عند شيخ يقري فبقي عنده غلام يقرأ عليه، وأردت القيام، فأخذ بيدي وقال: اصبر حتى يفرغ هذا الغلام، وكره أن يخلو هو والغلام. رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى»[1].

٣٢ ـ ومنها: صحبة الأحداث، والنظر إلى الجميل منهم، وإلى ما لا يحل النظر إليه كالنظر إلى الأجنبية، وإن كانت كبيرة أو قبيحة.

وقد تقدم عن سفيان أن مع كل غلام شيطانين.

بل روى البيهقي في «الشعب» عن عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى قال: دخل سفيان الثوري رحمه الله تعالى الحمام، فدخل عليه غلام صبيح، فقال: أخرجوه؛ فإني أرى مع كل امرأة شيطاناً، ومع كل غلام بضعة عشر شيطاناً[2].

وروى ابن أبي الدنيا، والبيهقي عن الحسن بن ذكوان رحمه الله تعالى: أنه قال: لا تجالسوا أولاد الأغنياء؛ فإن لهم صوراً كصور النساء، وهم أشد فتنة من العذارى[3].

قلت: إنما خص أولاد الأغنياء لأنهم ببزتهم أقرب إلى لعب الشيطان بالناظر إليهم في أول وهلة، وقد كان أهل زمانه أبعد عن الفتنة من أهل هذه الأزمنة، وإلا ففي بعض أولاد الفقراء والرذال من

---

(١) رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص: ١١٣).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٤٠٤).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٣٩٧).

هو أجمل من كثير من أولاد الأغنياء، والحاجة تدعوهم إلى صحبة ذوي الثروة، وتدعو أولياءهم إلى الإغضاء عنهم، وقد كثر الآن وقبله بزمان اختلاس الأجناد وذوي الغنى والجاه لأولاد الفقراء، والاستيلاء عليهم بالقوة أو بالاحتيال عليهم بالقرض والدين، أو بغير ذلك، بل يرون التوصل إليهم أيسر من التوصل إلى أولاد الأغنياء.

والحاصل أن صحبة المرد الحسان مطلقاً ينبغي أن تحذر ـ سواء كانوا من أشراف الناس أو من رذالهم، وسواء كانوا من فقراء الناس أو أغنيائهم، وسواء كانوا أحراراً أو أرقاء ـ وخصوصاً أهل التهمة.

وقد روى البيهقي عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أول من اتهم بالأمر القبيح ـ يعني: عمل قوم لوط ـ اتهم به رجل على عهد عمر رضي الله عنه، فأمر عمر بعض شباب قريش ألا يجالسوه[1].

وفي هذا الحديث إشارة إلى الحذر من مجالسة الأمرد وخصوصاً المتهم ـ سواء فيه الرجل الملتحي والأسمر ـ، بل ينبغي أن يكون حذر الأمرد من الأمرد أشد؛ لأن صحبتهما تدعوهما إلى القبيح فاعلية ومفعولية، فيكونا شيطانين كلٌّ من وجهين.

وروى ابن أبي الدنيا، والبيهقي عن الوضين بن عطاء رحمه الله تعالى، عن بعض التابعين قال: كانوا يكرهون أن يحد الرجل النظر إلى الغلام الجميل[2].

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٣٩٤).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٣٩٥).

وعن بقية رحمه الله تعالى قال: قال بعض التابعين: ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سَبُع ضار من الغلام الأمرد يقعد إليه[1].

قلت: وكذلك لا يؤمن على الشيخ من الفتنة بالمرد، ولا شك في مضاعفة العذاب على الشيخ الزاني وهو على الشيخ اللوطي أشد، وهو بذلك أدخل في التشبه بالشيطان من حيث إن كلاً منهم لوطي أتى عليه الدهر، وإذا كان الشيخ مأبوناً كان أشد تشبهاً بالشيطان؛ لأنه شيخ مأبون.

ولقد قلت: [من السريع]

يا أَيُّها الشَّيْخُ الَّذِيْ لِيْطَ بِكْ إِلَىْ مَتَىْ فَما تَرَىْ تُرْبَتَكْ

أَشْبَهْتُ شَيْطانَكَ فِيْ الْفِعْلِ بَلْ ما أَشْبَهَ الشَّيْطانَ يا شَيْخُ بِكْ

وروى الطرطوشي في كتاب «تحريم الفواحش» عن شجاع بن نصر رحمه الله تعالى: أن سليمان بن داود عليهما السلام قال لعفريت من الجن: ويلك أين إبليس؟ فسعى العفريت بين يديه حتى هجم به على البحر، فإذا إبليس على بساط على الماء، فلما رأى سليمان عليه السلام ذعر منه وفَرَق، فقال: يا نبي الله! هل أمرت في شيء؟ قال: لا، ولكن جئت لأسألك عن أحب الأشياء إليك، وأبغضها إلى الله تعالى، فقال إبليس: أما والله لولا ممشاك ما أخبرتك، ليس شيء أبغض إلى الله من أن يأتي الرجل الرجل، والمرأة المرأة[2].

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٣٩٦).

(٢) انظر: «آكام المرجان» للسيوطي (ص: ٢٢٧).

وروى الحاكم وصححه، عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النَّظَرُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيْسَ مَسْمُوْمَةٌ، فَمَنْ تَرَكَهَا مِنْ خَوْفِ اللهِ تَعَالَى أَنَابَهُ اللهُ إِيْمَاناً يَجِدُ حَلاوَتَهُ فِيْ قَلْبِهِ»[1].

وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوْسَ عَلَى الطُّرُقِ»، قَالُوْا: يَا رَسُوْلَ اللهِ! مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيْهَا، قَالَ: «إِنْ أَبَيْتُمْ فَأَعْطُوْا الطَّرِيْقَ حَقَّهُ»، قَالُوْا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيْقِ يَا رَسُوْلَ اللهِ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَىْ، وَرَدُّ السَّلامِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوْفِ، وَالنَّهيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»[2].

وروى مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي عن جرير العجلي رضي الله تعالى عنه قال: سَأَلْتُ رسُوْلَ اللهِ ﷺ عن نظرة الفجاءة، فأمَرَني أن أصرف بصري[3].

وروى أبو داود، والترمذي عن بريدة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله تعالى عنه: «لا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فَإِنَّ لَكَ الأُوْلَى، وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةَ»[4].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٨٧٥).

(٢) رواه البخاري (٥٨٧٥)، ومسلم (٢١٢١).

(٣) رواه مسلم (٢١٥٩)، وأبو داود (٢١٤٨)، والترمذي (٢٧٧٦)، والنسائي (٩٢٣٣).

(٤) رواه أبو داود (٢١٤٩)، والترمذي (٢٧٧٧) وحسنه.

والمفتى به من مذهب الشافعي ﷺ: أن النظر إلى الأمرد الجميل مطلقاً حرام بشهوة وبغير شهوة، ولا يحل منه إلا ما يحل من النظر إلى الأجنبية للضرورة كالمعاملة، والشهادة، والتعليم، والمداواة إذا لم يوجد من يتولهم لك من نحو محرم(١).

٣٣ ـ ومن أخلاق الشيطان لعنه الله: الكذب.

قال الله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[الأنعام: ١١٢]؛ أي: يكذبون. والضمير عائد إلى شياطين الإنس والجن.

وروى ابن أبي الدنيا عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ إِبْلِيسَ لَمَّا نزَلَ إِلَى الأَرْضِ قَالَ: يَا رَبِّ أَنْزَلْتَنِيْ إِلَى الأَرْضِ وَجَعَلْتَنِيْ رَجِيْمَاً، فَاجْعَلْ لِي بَيْتَاً، قَالَ: الْحَمَّامُ، قَالَ: فَاجْعَلْ لِيْ مَجْلِسَاً، قَالَ: الأَسْوَاقُ وَمَجَامِعُ الطُّرُقِ، قَالَ: فَاجْعَلْ لِيْ طَعَامَاً، قَالَ: مَا لَمْ يُذْكَر اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، قَالَ: فَاجْعَلْ لي شَرَابَاً، قَالَ: كُلُّ مُسْكِرٍ، قَالَ: اجْعَلْ لِيْ مُؤَذِّنَاً قَالَ: الْمَزَامِيْرُ، قَالَ: اجْعَلْ لِيْ قُرْآنَاً، قَالَ: الشِّعْرُ، قَالَ: اكْتُبْ لِيْ كِتَابَاً، قَالَ: الْوَشْمُ، قَالَ: اجْعَلْ لِيْ حَدِيْثَاً، قَالَ: الْكَذِبُ، قَالَ: اجْعَلْ لِيْ حَبَائِلَ، قَالَ: النِّسَاءُ»(٢).

---

(١) انظر: «المهذب» للشيرازي (٢/ ٣٤)، و«التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي (ص: ٤٧).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (ص: ٦٣)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٣٧).

وروى الطبراني نحوه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ـ أيضاً ـ[1].

وهذه الأمور كلها إذا لم تراقب فيها أحكام المشرع، فإن مرتكبها متشبه بالشيطان، متعرض بها للمقت والخذلان، وسيأتي بيانها في محالها.

*** تَنْبِيْهٌ:**

ينبغي لمن له ولاية على أحد وهو يريد تأديبه أن لا يخاطبه بما فيه تلقينه باطلاً أو كذباً ليس له فيه رخصة.

روى أبو الشيخ، وابن مردويه، والسِّلفي في «الطيوريات» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُلَقِّنِ النَّاسَ فَيَكْذِبُوا عَلَيْكَ؛ فَإِنَّ بَنِي يَعْقُوْبَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الذِّئْبَ يَأْكُلُ النَّاسَ، فَلَمَّا لَقَّنَهُمْ أَبُوْهُمْ كَذَبُوا، فَقَالُوا: أَكَلَهُ الذِّئْبُ»[2].

ووقوع ذلك من سيدنا يعقوب عليه السلام لم يكن عن تعمد، فمن وقع منه شيء من ذلك عن تعمد ولم يكن فيه مصلحة أثم، فأمَّا ما فيه رجعة والمصلحة فيه ظاهرة فيجوز، كما في قوله ﷺ ـ لمن

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١١٨١). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٧٢١): رواه الطبراني في «الكبير» وإسناده ضعيف جداً، ورواه بنحوه من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف أيضاً.

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٥١٠).

اعترف بين يديه بالزنا ـ: «لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ، لَعَلَّكَ كَذَا، لَعَلَّكَ كَذَا»[1] ليرجع عن إقراره.

٣٤ ـ ومنها: التلبس بزي غيره إيهاماً أنه غيره.

روى أبو نعيم عن وهب رحمه الله تعالى: أن راهباً تخلى في صومعته في زمن المسيح عليه السلام، فأراد إبليس أن يكايده فلم يقدر عليه، فأتاه متشبهاً بالمسيح فناداه: أيها الراهب! أتشرف علي كي أكلمك؟ فقال: انطلق لشأنك فلست أرد ما مضى من عمري، فقال: أشرف علي فأنا المسيح، قال: وإن كنت المسيح فمالي إليك من حاجة، أليس قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامة؟ انطلق لشأنك، قال: فانطلق اللعين عنه وتركه[2].

قلت: يدخل في التشبه بالشيطان فيما ذكر من يطرق الباب على غريمه المعسر، فإذا قيل له: «من؟» قال: «أنا فلان» وغيَّر اسمه لئلا يختفي منه.

وأشد منه الشرطي ونحوه إذا طلب عبداً ليذهب إلى الظالم، فيغير اسم نفسه ليخرج إليه، ونحو ذلك.

*** تَنْبِيهٌ:**

وقع في «تفسير الإمام فخر الدين الرازي» في قوله تعالى حكاية عن

---

(١) رواه البخاري (٦٤٣٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٤٤).

إبليس: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[ص: ٨٢ـ٨٣]؛ أي قال: إنما ذكر إبليس هذا الاستثناء لئلا يقع في كلامه الكذب.

قال: والكذب يستنكفه إبليس فكيف يليق بالرجل المسلم؟ انتهى[1].

قلت: هذا لا يصح في حق إبليس أن يحترز عن الكذب، بمعنى أنه لا يكذب لثبوت الكذب عنه بالنص كما سبق، وإنما أظهر التحرز عن الكذب والتنزه عنه خديعة، وزعماً منه أن كذبه يخفى بدعواه التحرز عنه.

وهذا من تخيلاته، ومفترياته، وتلبيساته.

ويتشبه به في هذا التلبيس كذبة الصوفية الذين يظهرون الزهد، والورع، ويدعون الصدق والتنزه عن الكذب والفحش، وهم في أنفسهم على خلاف ذلك.

ومن هنا شرب المنافقين والمارقين، وأكثرهم يفتضحون ويظهر الله تعالى سرائرهم في أسرتهم وفلتات ألسنتهم، فافهم واحذر!

٣٥ ـ ومنها: الكذب على رسول الله ﷺ، أو على غيره من الأنبياء عليهم السلام وهو ـ وإن كان داخلاً في الكذب ـ إلا أني نبهت عليه على حدة لمزيد الاعتناء بالزجر عنه، والتنفير منه.

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٢٦/ ٢٠٤).

وقد قال أبو محمد الجويني من الأئمة الشافعية: إن مرتكبه يكفر بـه[1].

وروى الخطيب في كتاب «الكفاية» ـ كما قال السيوطي ـ عن أبي العالية أنه قال رحمه الله تعالى: لا تقوم الساعة حتى يمشي إبليس في الطرق والأسواق يقول: حدثني فلان عن فلان عن نبي الله ﷺ بكذا وكذا[2].

وروى ابن عدي عن الليث بن سعد رحمه الله تعالى قال: قدم علينا شيخ الإسكندرية يروي لنافع، ونافع يومئذ حي، فكتبنا عنه قنداقين، فلما خرج الشيخ أرسلنا بالقنداقين إلى نافع، فما عرف منها حديثاً واحداً، فقال أصحابنا: ينبغي أن يكون هذا من الشياطين الذين حبسوا[3].

قلت: يدخل في التشبه بالشيطان في ذلك من زعم أنه رأى النبي ﷺ أو أحداً من الأنبياء في منامه، أو كوشف بأرواحهم وهو في ذلك كاذب، فيكون شيطاناً رجيماً.

٣٦ ـ ومنها: التكذيب بالحقِّ.

روى النسائي، والترمذي، وابن حبان وصححاه، عن ابن مسعود

---

(١) انظر: «الصارم المسلول على شاتم الرسول» لابن تيمية (٢/ ٣٢٩)، و«فتح الباري» لابن حجر (١/ ٢٠٢).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «الكفاية في علم الرواية» (ص: ٤٣٠).

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (١/ ٥٦).

رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَهُ لَمَّةٌ بِابْنِ آدَمَ، وَلِلْمَلَكِ لَمَّةٌ، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيْعَادٌ بِالشَّرِ وَتَكْذِيْبٌ بِالْحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيْعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيْقٌ بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللهِ، وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَسْتَعِذْ مِنَ الشَّيْطَانِ»[1].

٣٧ ـ ومنها: مجادلة الناس بغير حق.

روى مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما موقوفاً عليه، ورواه الطبراني عنه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «يُوْشِكُ أَنْ يَظْهَرَ فِيْكُمْ شَيَاطِيْنُ كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ أَوْثَقَهَا فِيْ الْبَحْرِ، يُصَلُّوْنَ مَعَكُمْ فِيْ مَسَاجِدِكُمْ، وَيَقْرَؤُوْنَ مَعَكُمُ الْقُرْآنَ، وَيُجَادِلُوْنَكُمْ فِيْ الدِّيْنِ، وَإِنَّهُمْ لَشَيَاطِيْنُ فِيْ صُوْرَةِ إِنْسَانٍ»[2].

روى ابن أبي شيبة عن محمد بن سيرين رحمه الله تعالى قال: أول من قاس إبليس، وإنما عبدت الشمس والقمر بالمقاييس[3].

والقياس له شروط وأحكام مذكورة في كتب الأصول فمن استوفاها وقاس لم يكن من هذا القبيل، بل يكون مثاباً عليه.

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٥١)، والترمذي (٢٩٨٨) وحسنه، وابن حبان في «صحيحه» (٩٩٧).

(٢) رواه مسلم (٧) موقوفاً. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٤٠): رواه مسلم موقوفاً، وهذا مرفوع رواه الطبراني في «الكبير» وفيه محمد بن خالد الواسطي، نسبه ابن معين إلى الكذب

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٨٠٦).

٣٨ ـ ومنها: مصادمة النص بالقياس، وتقديم الرأي على النص.

ألا ترى أن إبليس أُمر بالسجود نصاً فترك السجود رأياً فقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[ص: ٧٦].

وروى أبو نعيم، والديلمي عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده رضي الله تعالى عنهم: أن رسول الله ﷺ قال: «أَوَّلُ مَنْ قَاسَ أَمْرَ الدِّيْنِ بِرَأْيِهِ إِبْلِيْسُ؛ قَالَ اللهُ لَهُ: اسْجُدْ لآدَمَ، فَقَالَ: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[ص: ٧٦]».

قال جعفر: فمن قاس أمر الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بإبليس لأنه اتبعه بالقياس[١].

وهذا محمول على القياس الذي تأباه قواعد الكتاب والسنة كما علمت.

٣٩ ـ ومنها: محبة البدعة، والدعاء إليها، وذلك من الكبائر، ومجالسة أهل البدعة ومعاشرتهم لغير ضرورة.

روى ابن أبي الدنيا عن الحسن رحمه الله تعالى قال: بلغنا أن إبليس قال: سولت لأمة محمد المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار، فسولت لهم ذنوباً لا يستغفرون الله منها[٢]؛ يعني: الأهواء.

وروى اللالكائي في «شرح السنة» عن ابن مسعود رضي الله تعالى

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٩٧).

(٢) ورواه هناد في «الزهد» (٢/ ٤٦٤).

عنه قال: إياكم وما يحدث الناس من البدع؛ فإن الدين لا يذهب من القلوب بمرة، ولكن الشيطان يحدث بدعاً حتى يخرج الإيمان من قلبه(١).

وعن الأوزاعي رحمه الله تعالى قال: لقي إبليس جنوده فقال: من أين تأتون بني آدم؟ فقالوا: من كل، قال: هل تقدرون أن تأتوهم من قبل الاستغفار؟ قالوا: إنا نجده مقروناً بالتوحيد، فقال: لآتينهم من قبل ذنب لا يستغفرون منه، قال: فبث فيهم الأهواء(٢).

وروى هو وأبو نعيم عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى قال: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، والمعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها(٣).

وروى الطبراني ـ ورجاله ثقات ـ عن عرفجة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَدُ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَالشَّيْطَانُ مَعَ مَنْ خَالَفَ الْجَمَاعَةَ يَرْكُضُ»(٤).

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٢١).

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٣١)، وكذا الدارمي في «السنن» (٣٠٨).

(٣) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٣٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٦).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ١٤٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٢١): رجاله ثقات.

وقال الخطيب في كتاب «شرف أصحاب الحديث»: أنشدني عبد الغفار بن محمد بن جعفر المكتب قال: أنشدني عمر بن أحمد الواعظ قال: أنشدنا أحمد بن كامل لأبي جعفر الخواص رحمه الله تعالى: [من الرمل]

ذَهَبَتْ دَوْلَةُ أَصْحابِ الْبِدَعْ ... وَوَهَى حَبْلُهُمْ ثُمَّ انْقَطَعْ

وَتَداعَىْ بِانْصِرامٍ جَمْعُهُمْ ... حِزْبُ إِبْلِيسَ الَّذِيْ كانَ جَمَعْ

هَلْ لَهُمْ يا قَوْمُ فِيْ بِدْعَتِهِمْ ... مِنْ فَقِيْهٍ وَإِمامٍ مُتَّبَعْ

مِثْلِ سُفْيانَ أَخِيْ ثَوْرِ الَّذِيْ ... عَلَّمَ النَّاسَ دَقِيْقاتِ الْوَرَعْ

أَوْ سُلَيْمانَ أَخِيْ التَّيْمِ الَّذِيْ ... تَرَكَ النَّوْمَ لِهَوْلِ الْمُطَّلَعْ

أَوْ فَتَىْ الإِسْلامِ أَعْنِيْ أَحْمَدا ... ذاكَ لَوْ قارَعَهُ الْقَرا قَرَعْ

لَمْ يَخَفْ سَوْطَهُمُ إِذْ خَوَّفُوْا ... لا وَلا سَيْفَهُمُ حِيْنَ لَمَعْ(1)

٤٠ ـ ومنها: محبة الفتنة، والإشارة بها وبقتل المؤمن، والسعي في إهلاك خيار العباد والمكر بهم.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾[الأعراف: ٢٧].

روى ابن هشام في «سيرته»، وابن جرير، وغيرهما عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن قريشاً فرقوا لما أسلمت الأنصار أن

(١) انظر: «شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادي (ص: ٧٢).

يتفاقم أمر رسول الله ﷺ، فاجتمع نفر من كبارهم في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ من نجد، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من نجد، وقد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم، ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً، قالوا: ادخل.

قال أبو البختري: فأما أنا فأرى أن تأخذوا محمداً وتحبسوه في بيت، وتشدوا وثاقه، وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون إليه منها طعامه وشرابه، وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء، فصرخ عدو الله الشيخ النجدي فقال: بئس الرأي! والله لئن حبستموه ليخرج أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، ويوشك أن يثبوا عليكم فيقاتلوكم، ويأخذوه من أيديكم، قالوا: صدق الشيخ.

فقال هشام بن عمرو: أمَّا أنا فأرى أن تحملوه على بعير فتخرجوه من بين أظهركم، فلا يضركم ما صنع وأين وقع، فإذا غاب عنكم استرحتم، فقال إبليس: ما هذا لكم برأي، تعمدون إلى رجل قد أفسد سفهاءكم لتخرجوه إلى غيركم فيفسدهم، ألم تروا إلى حلاوة منطقه، وطلاقة لسانه، وأخذ القلوب ما سمع من حديثه، والله لئن فعلتم ذلك فيذهب ويستميل قلوب قوم، ثم يسيرهم إليكم فيخرجوكم من بلادكم، فقالوا: صدق والله الشيخ.

فقال أبو جهل: لأشيرن إليكم برأي ما أرى غيره؛ إني أرى أن

تأخذوا من كل بطن شاباً نسيباً وسيطاً فيكم، ثم يعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يضربوه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها، ولا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها، وإنهم إذا أرادوا ذلك قبلوا العَقْل، فتودي قريش بديته، فقال إبليس: صدق هذا الفتى، وهو أجودكم رأياً، وإن القول ما قال لا أرى غيره، فتفرقوا على قول أبي جهل وهم مجتمعون له، فأتى جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فأخبره بذلك، وأمره أن لا يبيت مضجعه الذي كان يبيت فيه، فأذن الله تعالى له بالخروج إلى المدينة، فأمر رسول الله ﷺ علياً رضي الله تعالى عنه أن يبيت في مضجعه، وقال: «تَسَجَّ بِبُرْدَتِيْ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ مِنْهُمْ ما تَكْرَهُهُ».

ثم خرج رسول الله ﷺ، وأخذ قبضة من تراب، فأخذ الله أبصارهم، وجعل ينثر التراب على رؤوسهم، وهو يقرأ أوائل سورة يس إلى قوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يسٓ: ٩]، ومضى إلى الغار من ثور هو وأبو بكر ﷺ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠][1].

---

(١) رواه ابن هشام في «السيرة النبوية» (٣/ ٦ ـ ٩)، والطبري في «التاريخ» (١/ ٥٦٦).

٤١ ـ ومنها: الغش.

وأي عبد أغش لعباد الله تعالى ممن يأمرهم بمعصيته ليضلوا ويهلكوا كما في هذه القصة التي ذكرناها آنفاً.

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[فاطر: ٦]، وأي غش أعظم من هذا الغش، وهذا غشه لأوليائه الذين هم حزبه فكيف بغيرهم؟

قال ابن زيد رضي الله تعالى عنه: يدعو حزبه إلى معاصي الله، وأهل معاصي الله هم أصحاب السعير، وهؤلاء حزبه من الإنس ألا تراه يقول: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾[المجادلة: ١٩]؛ قال: والحزب ولاته الذين يتولاهم ويتولونه. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم[(١)].

وبذلك يظهر أن كل موالاة في غير ذات الله غش، والقائم بها متشبه بالشيطان في الغش لأن مآلها إلى السوء، فهي عين العداوة.

ومن ثم قال الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[الزخرف: ٦٧]، فالغش مباينة ـ وإن كان ظاهره موافقة واتفاقاً في الهوى ـ ومن ثم قال ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»[(٢)]، فكلما توغل العبد في غش العبد كلما كان بالشيطان أشبه، وله أوفق؛ لأنه أغش الخليقة للخليقة.

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢٢/ ١١٧)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣١٧٢).

(٢) رواه مسلم (١٠١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

روى أبو نعيم عن مُطرِّف رحمه الله تعالى قال: وجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة، ووجدنا أغش عباد الله لعباد الله الشياطين(١).

قلت: ومن العجب أن الشيطان أغش الخلق للخلق وهو يدعي النصيحة، ويقسم عليها، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[الأعراف: ٢١]، وكذلك حال أهل الغش لا يألون جهداً في إخفائه على من يريدون غشه بالقسم وإقامة الأدلة على الولاية والنصيحة.

والغش خلق قلبي نفاقي الظاهر منه غير الباطن.

وروى أبو نعيم عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان ـ يعني: الداراني ـ رحمهما الله تعالى يقول: ما أتي من أتي من إبليس وقارون وبلعام إلا أن أصل نياتهم على غش، فرجعوا إلى الغش الذي في قلوبهم، والله أكرم من أن يمن على عبد بصدق ثم يسلبه إياه(٢).

* تَنْبِيْهٌ:

الغش من الكبائر.

وصح في الحديث: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»(٣)، وفي لفظ آخر:

---

(١) ورواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ١٧٩)، والطبري في «التفسير» (٢٤/ ٤٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

«لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّ»[1].

وروى البيهقي في «الشعب» عن عبد الحميد بن محمود قال: كنت عند ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فأتاه رجل، فقال: أقبلنا حجَّاجاً حتى إذا كنا في الصفاح توفي صاحب لنا، فحفرنا له، فإذا أسود سالخ قد أخذ اللحد، فحفرنا له قبراً آخر وآخر، فإذا أسود سالخ قد أخذ اللحد، فتركناه، وأتيتك أسألك ماذا تأمرنا به؟

[قال]: ذاك عمله الذي كان يعمل؛ اذهبوا به فادفنوه في بعضها، فوالله لو حفرتم له الأرض كلها لوجدتم ذلك.

قال: فألقيناه في قبر منها، فلما قضينا سفرنا أتينا امرأته فسألناها عنه، فقالت: كان يبيع الطعام فيأخذ قوت أهله كل يوم، ثم يخلط فيه مثله من قصب الشعير، ثم يبيعه[2]؛ فعذب بذلك.

٤٢ ـ ومنها: الخديعة والمكر.

ولعل الفرق بينهما وبين الغش: أن الغش إيصال الضرر من فعل الغاش على وجه الإخفاء، وإظهار خلاف ما هو فيه من الضرر، أو تغطية الضرر بما ظاهره نفع.

والمكر والخديعة: تزيين الشيء للممكور به والمخدوع ليقع في الضرر، أو لينتفع الماكر أو الخادع بمأمنه، وإن استضر هو في نفسه.

---

(١) رواه بهذا اللفظ أبو داود (٣٤٥٢)، وابن ماجه (٢٢٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٣١١).

ومنه الخديعة في البيع بتحسين الكلام والإقسام ليشتري بأزيد، وليبيع بأنقص من غير فعل في المبيع، فإن انضم إليه خلط المبيع بدونه أو كتم عيبه مع الاطلاع عليه كان غشاً وخديعة، فإن اقتصر على الخلط والكتم من غير تحسين ويمين فهو غش فقط، ولا شك أن أول المخادعين والماكرين إبليس.

قال قتادة رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[الأعراف: ٢١]: حلف بالله لهما حتى خدعهما ـ قال: وقد يخدع المؤمن بالله ـ قال لهما: إني خلقت قبلكما، وأنا أعلم منكما، فاتبعاني أرشدكما.

قال قتادة: وكان بعض أهل العلم يقول: من خادعنا بالله خدعنا. رواه عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ[1].

وفي الحديث: «الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيْمٌ، وَالْفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيْمٌ»[2].

وأنشد نفطويه: [من الكامل]

إِنَّ الْكَرِيْمَ إِذا تَشاءُ خَدَعْتَهُ ... وَتَرَىٰ اللَّئِيْمَ مُجَرَّباً لا يُخْدَعُ[3]

وقلت: [من الرجز]

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٢٤).

إِيَّـــاكَ أَنْ تُعاشِـــرَ اللَّئِيْمـــا إِنَّ اللَّئِــيْمَ يَخْــدَعُ الْكَرِيْمـــا
مَـنْ عاشَـرَ اللَّئِـيْمَ إِمَّـا نادِمـاً تَـــراهُ أَوْ مُوَبَّخـــاً مَلُوْمـــا
إِنَّ اللَّئِــيْمَ وَالـــرَّجِيْمَ اتَّفَقـــا طَبْعــاً وَخُلْقـاً سَـيِّئاً وَشُــوْما

٤٣ ـ ومنها: اليمين الغموس.

قال الله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾[الأعراف: ٢١].

وقد شــهد الله أنه لم ينصحهمـا، بل غرهمـا، فقال الله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾[الأعراف: ٢٢].

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: غرهما باليمين، وكان يظن آدم عليه السلام أنه لا يحلف أحد بالله كاذباً[1].

قلت: فالشيطان أول من حلف اليمين الفاجرة، فمن حلف يميناً كاذبة ليغر بها أو يضر فهو أشبه الناس بالشيطان.

واليمين الغموس كبيرة، وهي الفاجرة؛ سميت غموساً؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم أو في النار.

روى البخاري عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الْكَبَائِرُ الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوْقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِيْنُ الْغَمُوْسُ»[2].

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ١٣١).
(٢) رواه البخاري (٦٢٩٨).

وروى الترمذي، وابن حبان، والحاكم عن عبدالله بن أُنَيْس الجهني رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «مِنَ الْكَبَائِرِ الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوْقُ الْوَالِدَيْنِ، وَالْيَمِيْنُ الْغَمُوْسُ، مَا حَلَفَ حَالِفٌ بِاللهِ يَمِيْنَ صَبْرٍ فَأَخَذَ بِهَا سَهْمَاً مِثْلَ جَنَاحِ بَعُوْضَةٍ إِلاَّ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى فِيْ قَلْبِهِ كَيَّةً[1] يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2].

وفي حديث رواه الطبراني: «إِنَّ الْيَمِيْنَ الْغَمُوْسَ [تُذْهِبُ المالَ وتُقِل في الرَّحِم]، تَذَرُ الدِّيَارَ بَلاقِعَ»[3]؛ أي: ديار الدنيا بأن تخلو من الحالف وذريته سريعاً.

قلت: وكذلك ديار الآخرة، فليحذر الحالف أن تخلو منه دار السلام كما خلت من إبليس وذريته، وصارت بلاقع منهم.

وفي ذلك قلت: [من السريع]

مُذْ أَقْسَمَ الشَّيْطانُ فِيْ جَنَّةِ الْـ ـخُلْدِ يَمِيْنَ الْمَيْنِ كَيْ يَخْدَعا

---

(١) عند الترمذي، والحاكم: «نكتة» بدل «كية». لكن ابن الأثير أوردها في «النهاية» (٥/ ٢١٧): «وكتة» وقال: الوكتة: الأثر في الشيء، كالنقطة من غير لونه، والجمع: وكت.

(٢) رواه الترمذي (٣٠٢٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٥٦٣) وحسنه، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٠٨).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٠٩٢)، وكذا البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٣٥) وقال: والحديث مشهور بالإرسال.

أُخْـرِجَ مِنْهـا ثُـمَّ لَمَّـا يَعُـدْ وَأَصْـبَحَتْ مِنْـهُ قُـوَىً بَلْقَعـا
حُقَّتْ يَمِيْنُ الْمَيْنِ مِـنْ أَجْـلِ ذا فِيْ الْعَكْسِ وَالنَّكْسِ بِأَنْ تُسْرِعا

٤٤ ـ ومنها: الحلف بغير الله تعالى.

روى الطبراني في «الكبير» بإسناد جيد، عن سمرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «لا تَحْلِفُوْا بِالطَّوَاغِيْتِ، وَلا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَاحْلِفُوا بِاللهِ؛ فَإِنَّهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ أَنْ تَحْلِفُوا بِهِ، وَلا تَحْلِفُوا بِحَلْفِ الشَّيْطَانِ»[1].

وروى هو وأبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنهما: أنه قال: لا تحلفوا بحلف الشيطان أن يقول أحدكم: وعزة الله، ولكن قولوا كما قال الله تعالى: [والله] رب العزة[2].

وإنما أراد ابن مسعود رضي الله عنه المبالغة في التنفير من أعمال الشيطان ـ وإن كان بعضها مباحاً ـ وإلا فإن العزة من صفات الله تعالى، واليمين بها منعقدة سائغة.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٠٣١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٧٧): رواه الطبراني والبزار، وفي إسناد الطبراني مساتير، وإسناد البزار ضعيف.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٨٩٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٥١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٧٧): فيه عبد الرحمن المسعودي، وهو ثقة، ولكنه اختلط.

وفي الحديث: «إِنَّ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا نَظَرَ إِلَىْ الْجَنَّةِ رَجَعَ إِلَىْ اللهِ تَعالَىْ فَقالَ: وَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِها أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَها»، الحديث. رواه الترمذي، والنسائي، وغيرهما[1].

ويقال: إن العزة اسم حية محيطة بجبل (ق)[2] المحيط بالدنيا؛ فإن كان هذا صحيحاً فلعل الشيطان قصدها بيمينه، فيكون حالفاً بغير الله تعالى.

وروى الطبراني عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا مُعَاذُ! إِنِّيْ مُرْسِلُكَ إِلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَإِذَا سُئِلْتَ

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٦٠) وصححه، والنسائي (٣٧٦٣)، وكذا أبو داود (٤٧٤٤) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٢٢): روي عن بعض السلف أنهم قالوا: (ق) جبل محيط بجميع الأرض، يقال له: جبل قاف. وكأن هذا من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، لما رأى من جواز الرواية عنهم، مما لا يصدق ولا يكذب، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم، كما افترى في هذه الأمة، مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها أحاديث عن النبي ﷺ وما بالعهد من قدم، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ النقاد فيهم، وشربهم الخمور، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته، وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» فيما قد يجوزه العقل، فأما فيما تحيله العقول، ويحكم فيه البطلان، ويغلب على الظنون كذبه، فليس من هذا القبيل، والله أعلم.

عَنْ الْمَجَرَّةِ الَّتِيْ فِيْ السَّمَاءِ فَقُلْ: هِيَ لُعَابُ حَيَّةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ»[1].

* **تَنْبِيْهٌ:**

الحلف بغير الله تعالى محظور عند أكثر العلماء.

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره وأنا صادق. رواه الطبراني بإسناد صحيح[2].

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: إنه مكروه، قال: وأخشى أن يكون معصية.

وصحح الرافعي القطع بأنه مكروه.

وصرح أبو محمد الجويني، والماوردي بأنه حرام، واختاره الأذرعي لصحة النهي عنه.

قال الرافعي: قال الأصحاب: ولو أن الحالف بغير الله تعالى اعتقد في المحلوف به من التعظيم ما يعتقده في الله كَفَرَ[3].

---

(1) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧٥٤). قال ابن حجر في «لسان الميزان» (٤/ ٤٤٩): رواه الفضل بن المختار، قال أبو حاتم: أحاديثه منكرة يحدث بالأباطيل، وقال الأزدي: منكر الحديث جداً، وقال ابن عدي: أحاديثه منكرة، عامتها لا يتابع عليها.

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٣٩): حديث منكر جداً، بل الأشبه أنه موضوع.

(2) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٢).

(3) انظر: «الأم» للشافعي (٧/ ٦١)، و«الحاوي الكبير» للماوردي (١٥/ ٢٦٢)، و«المجموع» للنووي (١٨/ ١٦ ـ ١٩).

وعليه حمل قوله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فقد كَفَرَ».

[وفي لفظ][1]: «فَقَدْ أَشْرَكَ». رواه أبو داود باللفظ الأول[2]، والإمام أحمد بالثاني، والحاكم، وصححه بهما من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما[3].

وإن جرى لسان العبد بالحلف بغير الله تعالى فهو من لغو اليمين، وقد قال الله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾[البقرة: ٢٢٥].

وعليه حمل قوله ﷺ في حديث الصحيحين: «أَفْلَحَ وأبيهِ إِنْ صَدَقَ»[4].

٤٥ ـ ومنها: التصميم على اليمين وغيرها خير منها، فإن كانت اليمين على محرم فتركها واجب، وإلا فسنة، والكفارة فيهما.

وبيان أن ذلك من أفعال الشيطان أنه قال كما حكاه الله تعالى عنه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢ ـ ٨٣]، ثم صمم على يمينه، فهو يغويهم إلى آخر الدهر، فلا ينبغي التشبه باللعين في ذلك.

---

(١) زيادة من «ت».

(٢) رواية أبي داود: «فقد أشرك».

(٣) رواه أبو داود (٣٢٥١)، والإمام أحمد في «المسند» (٦٠٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨١٤)، وكذا الترمذي (١٥٣٥) وحسنه.

(٤) رواه البخاري (٢٥٣٢)، ومسلم (١١) واللفظ له.

وروى ابن ماجه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ فِيْ قَطِيْعَةِ رَحِمٍ أَوْ مَا لا يَصْلُحُ فَبِرُّهُ أَنْ لا يُتِمَّ عَلَى ذَلِكَ»[1]؛ أي: بل يفعل ما حلف عليه، ويكفر كما قال رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِيْنٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرَاً مِنْهَا فَلْيَأْتِ الَّذِيْ هُوَ خَيْرٌ وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِيْنِهِ». رواه الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي[2].

٤٦ ـ ومنها: قلة المبالاة بحنث اليمين إلا في خير، وترك تكفير اليمين المحنوث فيها.

فإن اللعين لم يكفر عن ما وقع منه من الحلف، ولم يبال باليمين الفاجرة التي حلفها لآدم وحواء عليهما السلام، ولا يحنث في قوله: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[ص: ٨٣]؛ فإنه زين لكثير منهم وأغواه، لكنهم بلطف الله تعالى بهم لم يغووا ولم يهلكوا بإغوائه، فينبغي أن يخالف الشيطان في ذلك كله.

قال الله تعالى: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾[المائدة: ٨٩].

٤٧ ـ ومنها: إيقاع الناس في الكذب والحنث.

روى البيهقي عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: إني

(١) رواه ابن ماجه (٢١١٠) وإسناده ضعيف.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٦١)، ومسلم (١٦٥٠)، والترمذي (١٥٣٠).

لا أقول: لا أزني، ولا أسرق، ولا أشرب الخمر، قال: لِمَ؟ قال: لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الْبَلاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ مَا قَالَ الْعَبْدُ لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ إِلاَّ تَرَكَ الشَّيْطَانُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ فَوَلَعَ بِذَلِكَ مِنْهُ حَتَّى يُؤْثِمَهُ»[1].

٤٨ ـ ومنها: أن يحول بين العبد وبين الوفاء بالعهد أو باليمين أو بالنذر، وبينه وبين إخراج ما نوى أن يتصدق به، وإذا خلا رجل بامرأة كان ثالثهما، ويلازم المعجبين بآرائهم، ويصوب إعجابهم، فالمؤمن عليه أن يحذر هذه الأخلاق الشيطانية.

روى ابن أبي الدنيا في «المكائد» عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال: بينما موسى عليه السلام جالس في بعض مجالسه إذ أقبل إبليس وعليه برنس له يتلون فيه ألواناً، فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه، ثم أتاه فقال له: السلام عليك يا موسى، قال له موسى عليه السلام: من أنت؟ قال: أنا إبليس، قال: أنت؟ فلا حياك الله، ما جاء بك؟ قال: جئت لأسلم عليك لمنزلك من الله تعالى ومكانك منه، قال: فما الذي رأيت عليك؟ قال: به أختطف قلوب بني آدم، قال: فما الذي إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه؟ قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، ونسي ذنوبه استحوذت عليه، واحذر ثلاثاً: لا تخل بامرأة لا تحل لك؛ فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٩٤٩)، وكذا الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٢٢١).

دون أصحابي حتى أفتنه بها، ولا تعاهد الله عهداً إلا وفيت به؛ فإنه ما عاهد الله أحد عهداً إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء به، ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها؛ فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء بها.

ثم ولى وهو يقول: يا ويله ـ ثلاثاً ـ علم موسى ما يحذر به بني آدم[1].

وروى الطبراني في «الكبير» عن بريدة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا»[2].

٤٩ ـ ومنها: النذر في المعصية.

روى عبد بن حميد، وأبو الشيخ عن أبي مجلز رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[البقرة: ١٦٨]؛ قال: النذور في المعاصي[3].

وسأل الحسنَ رجلٌ فقال: حلفت إن لم أفعل كذا وكذا أن أحج حبواً؟ فقال: هذا من خطوات الشيطان، فحج واركب، وكفر عن يمينك.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (ص: ٧١).

(٢) لم أقف عليه من رواية الطبراني عن بريدة، وقد تقدم من حديث عمر ﵁.

(٣) ورواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٧٧)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٢٨١).

وسُئل جابر بن زيد رضي الله تعالى عنه عن رجل نذر أن يجعل في أنفه حلقة من ذهب؟ فقال: هي من خطوات الشيطان، ولا يزال عاصياً لله ﷻ، فليكفر عن يمينه. رواهما عبد بن حميد، وغيره[١].

ومن هذا القبيل ما يفعله بعض النساء: لئن ولد لها ولد لتثقبن أذنه، وهو حرام من تغيير خلق الله.

وروى ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: نذرت أن أقوم على قعيقعان عرياناً إلى الليل، فقال: أراد الشيطان أن تبدو عورتك، وأن تضحك الناس بك؛ البس ثيابك، وصل عند الحجر ركعتين[٢].

وروى النسائي عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «النَّذْرُ نَذْرَانِ؛ فَمَا كَانَ مِنْ نَذْرٍ فِيْ طَاعَةِ اللهِ فَذَلِكَ للهِ، وَفِيْهِ الْوَفَاءُ، وَمَا كَانَ مِنْ نَذْرٍ فِيْ مَعْصِيَةِ اللهِ فَذَلِكَ لِلشَّيْطَانِ، وَلا وَفَاءَ فِيْهِ، وَيُكَفِّرُهُ مَا يُكَفِّرُ الْيَمِيْنَ»[٣].

٥٠ ـ ومنها: **الجهل بالله تعالى وبعظمته**، وهذه أخص أوصاف الرجيم، ولو عرف الله تعالى لاتقاه وخشيه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر: ٢٨]، وقد تقدم أن إبليس سلب العلم والمعرفة.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٤٠٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢١٥٣).

(٣) رواه النسائي (٣٨٤٥).

وروى الطبراني بإسناد جيد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ ـ جَلَّ ذِكْرُهُ ـ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيْكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلاهُ الأَرْضَ، وَعُنُقُهُ مُنْثَنٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَقُوْلُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا! فَيَرُدُّ عَلَيْهِ: مَا عَلِمَ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِيْ كَاذِبَاً»[1].

وقد تقدم أن إبليس أول من حلف بالله كاذباً، فهو أول من جهل بالله تعالى، وبصفات جلاله وجماله؛ فافهم!

٥١ ـ ومنها: الفحش، والبَذَاء، والوقاحة، وقلة الحياء، بل عدمه بالكلية، وهذا مما لا شك فإن الشيطان أول من ألقى جلباب الحياء من الله ومن الناس.

أما عدم حيائه من الله تعالى، فإنه قابل أمره بالإباء والاستكبار، ولما سئل عن علة امتناعه عن السجود المأمور به أجاب ربَّ العزة بما لا ينبغي أن يخاطب به، فقال: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝٦١ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء: ٦١ ـ ٦٢]، وغير ذلك.

وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْعَيَّ مِنَ الإِيْمَانِ، وَهُمَا يُقَرِّبَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدَانِ مِنَ النَّارِ، وَالْفَحْشُ وَالْبَذَاءُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَهُمَا

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٣٢٤). وصحح المنذري إسناده في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٨٩).

يُقَرِّبَانِ مِنَ النَّارِ، وَيُبَاعِدَانِ مِنَ الْجَنَّةِ»[1].

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: لقيت إبليس يمشي في السوق عرياناً، وبيده كسرة خبز يأكلها، فقلت له: أما تستحي من الناس؟ فقال: يا أبا القاسم! وهل بقي على وجه الأرض أحد يستحيى منه.

* تَنْبِيْهٌ:

مصداق ما تقدم في الحديث أن الحياء والعي يقربان من الجنة ويباعدان من النار، وأن الفحش والبذاء بعكسهما: أن إبليس لمَّا عصى غلب عليه الفحش والوقاحة حتى صارا خلقه، فتجرأ في الحضرة الإلهية، وتكلم بشقاشق كلامه، فانقلب ما قصد به الخلاص وبالاً عليه، فأدخله الله النار، وأن آدم عليه السلام لما عصى غلب عليه الحياء والعي حتى هرب، ولم ينطق بكلمة سوى أنه اعتذر بالحياء لما سئل عن سبب هربه، فألقى الله تعالى إليه الكلمات الإلهية، وعلمه كيف يقول في توبته، ووعده أن يعيده إلى الجنة هو ومن اتبع هداه من ذريته، وكان ذلك بسبب العي والحياء.

روى الإمام أحمد في «الزهد»، وغيره عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه، عن نبي الله ﷺ قال: «إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ كَانَ رَجُلاً طِوَالاً كَأَنَّهُ نَخْلَةٌ سَحُوْقٌ، كَثِيْرَ شَعْرِ الرَّأْسِ، فَلَمَّا وَقَعَ بِمَا وَقَعَ بِهِ بَدَتْ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٤٨١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٩٢): فيه محمد بن محصن العكاشي، وهو ضعيف لا يحتج به.

لَهُ عَوْرَتُهُ، فَكَانَ لا يَرَاهَا قَبْلَ ذَلِكَ، فَانْطَلَقَ هَارِباً، فَأَخَذَتْ بِرَأْسِهِ شَجَرَةٌ مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهَا: أَرْسِلِيْنِيْ، فَقَالَتْ: لَسْتُ مُرْسِلَكَ، قَالَ: فَنَادَاهُ رَبُّهُ ﷻ أَمِنِّي تَفِرُّ؟ قَالَ: إِيْ رَبِّيْ! لا، إِنِّيْ أَسْتَحِييكَ، قَالَ: فَنَادَاهُ: وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحْيِيْ رَبَّهُ ﷻ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا وَقَعَ، ثُمَّ يَعْلَمُ بِحَمْدِ اللهِ أَنَّ الْمَخْرَجَ فِيْ الاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ»[1].

٥٢ ـ ومن أخلاق الشيطان: الامتناع من السجود لله تعالى، وإن شئت فقل: الامتناع من الصلاة، فتارك الصلاة أشبه الناس بالشيطان لأنه أمر بالسجود فلم يسجد.

وروى الإمام أحمد، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِيْ، يَقُوْلُ: يَا وَيْلَهُ ـ وفي رواية: يَا وَيْلَتَا! ـ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُوْدِ فَسَجَدَ، فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُوْدِ فَأَبَيْتُ، فَلِي النَّارُ»[2].

وإذا كان هذا أسفه عند سجدة التلاوة وهي سجود مسنون، فما ظنك بأسفه على حرمانه من الصلاة المفروضة ذات الركوع والسجود، وقراءة القرآن وذكر الله تعالى.

وإنما يحصل هذا الأسف لإبليس عند السجود لأنه ممنوع منه بسبب ما قضي عليه من اللعنة المؤبدة مع حيلولة القدرة الإلهية بينه وبين

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٤٣)، وابن ماجه (١٠٥٢). وكذا رواه مسلم (٨١).

السجود، واللعنة هي الإبعاد عن حضرة القرب إلى الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[العلق: ١٩].

وقال النبي ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُوْنُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ إِذَا كَانَ سَاجِدَاً». رواه مسلم[١]، وغيره.

وكذلك تارك الصلاة إنما يتأسف عليها عند اليأس منها، وذلك عند الموت.

وروى أبو نعيم عن كعب رحمه الله تعالى قال: ليس شيء أشد على إبليس وجنوده الشياطين، ولا أكثر لبكائهم من أن يروا مسلماً ساجداً؛ يقولون: بالسجود دخلوا الجنة، وبالسجود دخلنا النار[٢].

أي: بالسجود دخلوا الجنة إجابة، وبالسجود دخلنا النار إباءة.

وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن إبليس ـ لعنه الله ـ لقي موسى عليه السلام فقال: يا موسى! أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليماً، وأنا من خلق الله تعالى أذنبت وأنا أريد أن أتوب، فاشفع لي إلى ربك أن يتوب علي، قال موسى: نعم، فدعا موسى ربه تعالى، فقال: يا موسى! قد قضيت حاجتك، فليسجد لقبر آدم، فلقي موسى إبليس، فقال له: أمرت أن تسجد لقبر آدم ليتاب عليك، قال: فاستكبر وغضب، وقال: لم أسجد له حياً، أأسجد له ميتاً؟ ثم قال: يا موسى! إن علي حقاً مما شفعت لي إلى

(١) رواه مسلم (٤٨٢) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٩).

ربك، فاذكرني عند ثلاث لا أهلكك فيهن:

اذكرني عندما تغضب؛ فإن وحيي في قلبك، وعيني في عينك، وأجري منك مجرى الدم.

واذكرني حين تلقى الزحف؛ فإني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره ولده، وزوجته، وأهله حتى يولي.

وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم لك؛ فإني رسولها إليك ورسولك إليها[1].

* تَنْبِيهٌ:

كان سجود الملائكة عليهم السلام لله تعالى، وآدم عليه السلام كان كالقبلة لهم، فعبادتهم لله تعالى لا لآدم، وإبليس فَهِمَ أن العبادة لآدم فلذلك امتنع من السجود رأياً، وكان حقه أن لا يرى ولا يقيس مع وجود النص بالأمر بالسجود.

على أن السجود حق لله تعالى، ولصاحب الحق أن يتبرع به لمن يشاء، فالله تعالى أمر بالسجود لآدم تفضلاً عليه من حيث إنه خليفة، ثم لم يأذن فيه لغير آدم إلا أن يكون ذلك مشروعاً في غير ملتنا، فيكون قد أذن لهم فيه، ثم لم يأذن به في ملتنا، فليس لأحد أن يسجد لأحد، بل ليس لغير الملائكة أن يسجدوا لآدم ولا لغيره من أولاده إلا

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (ص: ٦٥)، وكذا ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص: ٤١).

إن كان مشروعاً في ملة غير ملتنا، فإن الأمر بالسجود لآدم خاص بالملائكة عليهم السلام لحكمة ظهرت أسرارها وبهرت أنوارها.

ومن ثم قال النبي ﷺ: «لَوْ كُنْتُ آمِراً أَحَدَاً أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»[1].

ومن شعر أبي الحسن محمد بن علي المعروف بابن أبي الصقر الواسطي أحد أصحاب ابن إسحاق الشيرازي: [من الخفيف]

كُـلُّ رِزْقٍ تَرْجُـوْهُ مِـنْ مَـرْزُوْقِ ... يَعْتَرِيْـهِ ضَـرْبٌ مِـنَ التَّعْوِيْـقِ

وَأَنَـا قائِـلٌ وَأَسْـتَغْفِرُ اللَّـ ... ـهَ مَقَـالَ الْمَجَـازِ لا التَّحْقِيْـقِ

لَسْتُ أَرْضَىْ مِنْ فِعْلِ إِبْلِيْسَ شَيْئاً ... غَيْرَ تَرْكِ السُّجُوْدِ لِلْمَخْلُوْقِ[2]

ولقد قلت: [من الخفيف]

لَسْتُ أَرْضَىْ مِنْ فِعْلِ إِبْلِيْسَ شَيْئاً ... كُـلُّ أَفْعالِـهِ الْقِبـاحِ ذَمِيْمَـة

لا وَلَـوْ صـادَفَ الـصَّوابَ فَهَـذا ... صُـوْرَةً وَالطِّبـاعُ مِنْـهُ لَئِيْمَـة

* فائِدَةٌ:

روى أبو نعيم، والرافعي في «تاريخ قزوين» عن علي رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «لا يَزَالُ الشَّيْطَانُ ذَعِراً من الْمُؤْمِن

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) انظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي (٤/ ١٠٥)، و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٥/ ٣٨٠).

مَا حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، فَإِذَا ضَيَّعَهُنَّ تَجَرَّأَ عَلَيْهِ، وَأَوْقَعَهُ فِيْ العَظَائِمِ، وَطَمِعَ فِيْهِ»[1].

٥٣ ـ ومن أخلاق اللعين: كراهية السجود من غيره، وعيبه واستقباحه.

ألا ترى إلى قول الملعون: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[الإسراء: ٦١]؛ فإنه يتضمن الإزراء على الساجدين، وتقبيح ما فعلوه.

وأشبه الناس ـ وليسوا من الناس ـ في هذا الخلق الخبيث الدروز، والتيامنة، والنصيرية الذين ينكرون الصلاة، والركوع والسجود، ويعيبونها، ويسمونها الطويزة، ويعدونها مثلة، وهم كفار بذلك وبأمور أخرى كإنكار الصوم، والحج، وإنكار البعث، والنشور، واعتقاد التناسخ، وغير ذلك، ومن شك في كفرهم مع ذلك يكفر.

ومن المتشبهين بالشيطان في هذا الخلق القبيح: المجان والمساخر[2] فيما قد يقع منهم من إطلاق إنكار الصلاة والسجود لتضحيك غيرهم، ويخشى على من يتجاوز في السخرية إلى مثل ذلك الكفر وخاتمة السوء.

---

(١) رواه الرافعي في «التدوين في تاريخ قزوين» (٢/ ١٢٥)، وكذا الديلمي في «مسند الفردوس» (٧٥٩١).

(٢) المساخر: هو من يعرف اليوم بـ «المهرِّج».

٥٤ ـ ومن أعماله لعنه الله تعالى: الصد عن ذكر الله تعالى، وعن الصلاة، أو عن غيرها من الطاعات وأعمال الخير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

فكل شيء صد عن ذكر الله وعن الصلاة فهو من أعمال الشيطان، فلا ينبغي للإنسان أن يتعاطى شيئاً من ذلك، كأن يرى مصلياً فيعبث به، أو قارئاً فيلغوا عنده، أو يعبث بامرأة فينقض وضوءها، أو تعبث امرأة برجل فتنقض وضوءه صداً عن الصلاة، أو يرى خاشعاً فيضحكه، أو ذاكراً فيشغله عن ذكر الله تعالى، فيكون بذلك متشبهاً بالشيطان.

وقد قال بعض العارفين: من شغل مشغولاً بالله تعالى، أدركه المقت في الوقت[1].

روى عبد الرزاق عن جابر بن سمرة ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الفجر، فجعل يهوي بيديه قدامه وهو في الصلاة، فسأله القوم حين انصرف فقال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ يُلْقِيْ عَلَيَّ شِرَارَ النَّارِ يَفْتِنِّيْ عَنِ الصَّلاةِ فَتَنَاوَلْتُهُ، فَلَوْ أَخَذْتُهُ مَا انْفَلَتَ مِنِّيْ حَتَّىْ يُرْبَطَ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِيْ الْمَسْجِدِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِيْنَةِ»[2].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٥٠) عن أبي تراب النخشبي.

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٥٣٧٧).

وروى الترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ فِيْ صَلاتِهِ فَيُلَبِّسُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ لا يَدْرِي كَمْ صَلَّى، فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ، ثُمَّ يُسَلِّم»[1].

وروى الإمام أحمد، وأبو يعلى عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَأْتِي أَحَدَكُمْ وَهُوَ فِيْ صَلاتِهِ فَيَأْخُذُ شَعْرَةً مِنْ دُبُرِهِ فَيَمُدُّهَا، فَيَرَى أَنَّهُ أَحْدَثَ، فَلا يَنْصَرِفْ حَتَّىٰ يَسْمَعَ صَوْتاً أَوْ يَجِدَ رِيْحاً»[2].

وروى الطبراني بسند رجاله موثقون، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أنه قال: إن الشيطان ليلطف بالرجل في صلاته ليقطع عليه صلاته، فإذا أعياه نفخ في دبره، فإذا أحس أحدكم من ذلك شيئاً فلا ينصرف حتى يجد ريحاً أو يسمع صوتاً[3].

وروى الإمام أحمد بسند صحيح، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِيْ الْمَسْجِدِ جَاءَ الشَّيْطَانُ فَأَبَس بِهِ كَمَا يَأْبِسُ الرَّجُلُ بِدَابَّتِهِ، فَإِذَا سَكَنَ لَهُ زَنَقَهُ أَوْ أَلْجَمَهُ».

قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: وأنتم ترون ذلك، أمَّا المزنوق

---

(١) رواه الترمذي (٣٩٧) واللفظ له وصححه، وابن ماجه (١٢١٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٩٦)، وأبو يعلى في «المسند» (١٢٤٩).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٢٣١).

فتراه مائلاً، وأما الملجوم فتراه فاتحاً فاه لا يذكر الله تعالى[1]. والبس بالدابة، والإبساس بها: زجرها، وسد فمها.

والزنق: تشكيلها.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إن الشيطان أطاف بأهل مجلس ذكر ليفتنهم فلم يستطع، فأتى على حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا، فقام أهل الذكر، فحجزوا بينهم، فتفرقوا[2].

وتقدم هذا الأثر بمعناه من رواية ابن أبي الدنيا.

*** محذرة:**

رأيت في بعض التواريخ: أن جماعة كانوا في غزو، فعبث رجل منهم بمصلٍّ ليضحكه في صلاته، فلما انفتل من صلاته قام يريد عقوبته، فإذا هو قد مسخ خنزيراً، وذهب إلى غابة هناك.

٥٥ ـ ومنها ـ وهو نوع مما تقدم ـ: القعود على عقيصة شعر المصلي، ولذلك كره أن يصلي الرجل وشعره معقوص.

روى الترمذي وصححه، وغيره عن أبي رافع رضي الله تعالى عنه: أنه مر بالحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما وهو يصلي وقد عقص ظفيرته، فحلها، فالتفت الحسن إليه مغضباً، فقال: أقبل على

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٣٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٥٧).

صلاتك ولا تغضب؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ذَلِكَ كِفْلُ الشَّيْطَانِ»؛ أي: مقعده، كما أنه في رواية أبي داود كذلك[1].

والحكمة في ذلك: أن الشعر يسجد مع الإنسان إذا سجد كما روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح، عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه دخل المسجد فرأى فيه رجلاً يصلي عاقصاً شعره، فلما انصرف قال عبدالله: إذا صليت فلا تعقص شعرك؛ فإن شعرك يسجد معك، ولك بكل شعرة أجر، قال: إني أخاف أن تترب، فقال: تتريبه خير لك[2].

قال بعض العلماء: لما منع إبليس من السجود شق عليه سجود ابن آدم فلما لم يستطع أن يمنعه من السجود تسبب في تخلف شيء من جسده عن السجود ـ ولو شعرة واحدة ـ حتى يكون الساجد كأنه كف بعض أجزائه عن السجود.

٥٦ ـ ومنها: المرور بين يدي المصلي، وهو حرام على من مر بين المصلي وبين سترته، إذا كان بينه وبين السترة قدر ثلاثة أذرع فما دونها.

روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَىٰ شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ، فَأَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيَدْفَعْهُ وَيَجُرَّهُ؛

---

(١) رواه الترمذي (٣٨٤) وحسنه، وأبو داود (٦٤٦).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٠٤٦).

فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»[1].

أي: متشبه بالشيطان لأن ذلك من أعماله الخبيثة.

وروى عبد الرزاق عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري قال: بينما أبو سعيد رضي الله تعالى عنه يصلي، إذ جاء شاب يريد أن يمر قريباً من سترته ـ قال: وأمير الناس يومئذ مروان ـ، قال: فدفعه أبو سعيد حتى صرعه، قال: فذهب الفتى حتى دخل على مروان فقال: ههنا شيخ مجنون دفعني حتى صرعني، قال: وكانت الأنصار يدخلون عليه يوم الجمعة، فدخل عليه أبو سعيد، فقال مروان للفتى: هل تعرفه؟ فقال: نعم، هو هذا الشيخ، قال مروان للفتى: تدري من هذا؟ قال: لا، قال: هذا صاحب رسول الله ﷺ، قال: فرحب به مروان، وأدناه حتى قعد قريباً من مجلسه، فقال له: إن هذا الفتى يذكر أنك دفعته حتى صرعته، قال: ما فعلت، فرددها عليه وهو يقول: إنما دفعت شيطاناً، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْكَ وَبَيْنَ سُتْرَتِكَ فَارْدُدْهُ، فَإِنْ أَبَى فَادْفَعْهُ؛ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»[2].

فانظر كيف ألحق أبو سعيد رضي الله عنه المار بين يدي المصلي بالشيطان حتى قال: «ما دفعت إلا شيطاناً»، فجعله شيطاناً حقيقة أخذاً من الحديث: «فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ» لأنه فَعَلَ فِعْلَ الشيطان.

---

(١) رواه البخاري (٤٨٧)، ومسلم (٥٠٥).

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٣٢٨).

روى الإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي، وصححه ابن حبان، والحاكم، عن سهل بن أبي حثمة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُصَلِّ إِلَى سُتْرَةٍ، وَلْيَدْنُ مِنْ سُتْرَتِهِ؛ لا يَقْطَعِ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلاتَهُ»[1].

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ عَرَضَ لِي لِيَقْطَعَ الصَّلاةَ عَلَيَّ فَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنْهُ فَذَعَتُّهُ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُوثِقَهُ إِلَى سَارِيَةٍ حَتَّى تُصْبِحُوا فَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾[ص: ٣٥]، فَرَدَّهُ اللهُ خَاسِئاً»[2].

وروى مسلم، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قام رسول الله ﷺ يصلي فسمعته يقول: «أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ»، ثم قال: «أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ»، ثم بسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة سألناه فقال: «إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ جاءَ بِشِهابٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي، فَأَرَدْتُ أَنْ آخُذَهُ، فَلَوْلا دَعْوَةُ أَخِي سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ لأَصْبَحَ مَوْثُوقاً يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ الْمَدِيْنَةِ»[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢)، وأبو داود (٦٩٥)، والنسائي (٧٤٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٣٧٣)، والحاكم في «المستدرك» (٩٢٢).

(٢) رواه البخاري (١١٥٢).

(٣) رواه مسلم (٥٤٢).

وروى الطبراني عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: صلينا مع رسول الله ﷺ صلاة مكتوبة فضم يده في الصلاة، فَلَمَّا قضى الصلاة قلنا: يا رسول الله! أحدث في الصلاة شيء؟

قال: «لا، إِلاَّ أَنَّ الشَّيْطَانَ أَرَادَ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيَّ فَخَنَقْتُهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لِسَانِهِ عَلَى يَدَيَّ، وَايْمُ اللهِ! لَوْلا مَا سَبَقَنِي إِلَيْهِ أَخِي سُلَيْمَانُ لَنِيطَ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَطِيْفَ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِيْنَةِ»[1].

* **تَنْبِيْهٌ:**

روى عبد الرزاق عن نافع بن جبير رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُصَلِّ إِلَى سُتْرَةٍ، فَلْيَدْنُ مِنْهَا؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَمُرُّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا»[2]؛ أي: إن لم يدن منها بدليل ما رواه عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: إذا صلَّى أحدكم فليصلِّ إلى سترَةٍ لا يَحولُ الشَّيطان بينه وَبَين صَلاتِه[3]؛ أي: لئلا يحول.

وهو مثل قوله ﷺ في حديث ابن أبي حثمة: «وَلْيَدْنُ مِنْ سُتْرَتِهِ؛

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠٥٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٦١): فيه المفضل بن صالح؛ ضعفه البخاري، وأبو حاتم.

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٣٠٣)، وكذا البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٢٧٢) وقال: قد أقام إسناده سفيان بن عيينة، وهو حافظ حجة.

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٣٠٤).

لا يَقْطَعِ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلاتَهُ»[1]؛ أي: لئلا يقطع.

فالدنو من السترة مانع من قطع الشيطان لصلاة العبد، وحيلولته بينه وبينها.

وروى عبد الرزاق أيضاً عن عمر رضي الله عنه: أنه قال في المار بين يدي المصلي: لا تدعه يمر بين يديك؛ فإن معه شيطان[2].

وفيه إشارة إلى أن مرور المار بين يدي المصلي يكون سبباً لمرور الشيطان بين يديه، فهو قرين الشيطان مكاناً وحالاً؛ فاحذره.

ودل كلام عمر هذا مع كلامه السابق والحديث: أن الشيطان يستبيح المرور بين يدي المصلي بدون السترة ومع بُعْدِها، فإن قربت لم يستبحه إلا إن مر بين يديه وبين سترته مارٌّ من الإنس، ومن ثم حرم المرور حينئذ.

٥٧ ـ ومن أعمال الشيطان ـ لعنه الله ـ العبث بكل طائع في كل طاعة أمكنه العبث به ليشغله عن طاعته أو يفسدها.

روى الإمام أحمد، والطبراني في «المعجم الكبير» ورجاله ثقات، عن أبي الطفيل رضي الله تعالى عنه قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: يزعم قومك أن رسول الله ﷺ سعى بين الصفا والمروة، وأن ذلك سنة؟

قال: صدقوا، إن إبراهيم عليه السلام لما أمر بالمناسك اعترض عليه الشيطان عند المسعى فسابقه، فسبقه إبراهيم عليه السلام، ثم ذهب به

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٣٤٥).

جبريل عليه السلام إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الحجرة الوسطى فرماه بسبع حصيات، ثم: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾[الصافات: ١٠٣]، وعلى إسماعيل قميص أبيض فقال: يا أبه! إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره، فاخلعه حتى تكفنني فيه، فعالجه ليخلعه، فنودي من خلفه: ﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾[الصافات: ١٠٤ ـ ١٠٥]، فالتفت إبراهيم فإذا هو بكبش أبيض أقرن أعين.

قال ابن عباس: لقد رأيتنا نتتبع ذلك الضرب من الكباش.

قال: ثم ذهب به جبريل إلى الجمرة القصوى فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم ذهب به جبريل عليهما السلام إلى منى؛ قال: هذا مناخ الناس، ثم أتى به جمعاً فقال: هذا المشعر الحرام، ثم ذهب به إلى عرفة؛ قال ابن عباس: هل تدري لم سميت عرفة؟ قلت: لا، قال: إن جبريل قال لإبراهيم عليهما السلام: عرفت ـ وفي رواية: هل عرفت؟ ـ قال: نعم، قال ابن عباس: فمن ثم سميت عرفة[1].

٥٨ ـ ومن أخلاقه ـ لعنه الله ـ: الغفلة عن ذكر الله تعالى، ولا سيما إذا استقلت الشمس.

وأهل الغفلة أشبه الناس بالشياطين.

روى ابن السني، وأبو نعيم عن عمرو بن عبسة رضي الله تعالى

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٩٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٦٢٨).

عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَا تَسْتَقِلُّ الشَّمْسُ فَيَبْقَى شَيْءٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ إِلاَّ يُسَبِّحُ اللهَ بِحَمْدِهِ إِلاَّ مَا كانَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَأَغْبِيَاءِ[1] بَنِيْ آدَمَ».

قال: فسألته عن أغبياء[2] بني آدم، فقال: «الْكُفَّارُ شِرارُ الْخَلْقِ، أو: شِرارُ خَلْقِ اللهِ تَعالَى»[3].

٥٩ ـ ومنها: الفرار من الأماكن التي يقرأ فيها القرآن العظيم، مع الإقبال على المجالس التي يضرب فيها بالآلات، ويتغنى فيها بأنواع التلحينات.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾[الإسراء: ٤٥].

وروى الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تَجْعَلُوا بُيُوْتَكُم مَقَابِـرَ؛ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ الْبَيْتِ الَّذي تُقْرَأُ فِيْهِ الْبَقَرَةُ»[4].

وروى أبو عبيد في «فضائل القران»، والدارمي، والطبراني، وغيرهم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إن رجلاً لقي شيطاناً

---

(١) في «عمل اليوم والليلة»: «وأعتى» بدل «وأغبياء».

(٢) في «عمل اليوم والليلة»: «أعتى» بدل «أغبياء».

(٣) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ١٢٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١١١).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٨٤)، ومسلم (٧٨٠)، والترمذي (٢٨٧٧).

في سكة من سكك المدينة فصارعه فصرعه، فقال: دعني وأخبرك بشيء يعجبك، فودعه، فقال: هل تقرأ سورة البقرة؟ قال: نعم، قال: فإن الشيطان لا يسمع منها شيئاً إلا أدبر وله خَبْج كخَبْج الحمار، فقيل لابن مسعود: ومن ذاك الرجل؟ قال: عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1].

والْخَبْج ـ بفتح الخاء المعجمة، وإسكان الموحدة وبالجيم آخره ـ: وهو الضراط.

٦٠ ـ ومنها: الفرار من الأذان وعدم إجابة المؤذن واستماعه، والتلهي عن سماعه، والخروج من المسجد بعد الأذان وقبل الصلاة لغير ضرورة، وكل ذلك مكروه، وفاعله متشبه بالشيطان.

روى الإمام مالك، والشيخان، وأبو داود، والنسائي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا نُوْدِيَ بِالصَّلاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لا يَسْمَعَ التَّأْذِيْنَ، فَإِذَا قُضِيَ النِّدَاءُ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلاةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِّبُ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَذْكُرْ مِنْ قَبْلُ، حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لا يَذْكُرُ كَمْ صَلَّى»[2].

---

(١) رواه الدارمي في «السنن» (٣٣٨١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٨٢٦)، وعندهما: «آية الكرسي» بدل «سورة البقرة».

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٦٩)، والبخاري (٣١١١)، ومسلم (٣٨٩)، وأبو داود (٥١٦)، والنسائي (٦٧٠).

وروى ابن أبي شـيبة عنه قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «إِذَا نَادَى الْمُنَادِي بِالصَّلاةِ هَرَبَ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَكُوْنَ بِالرَّوْحَاءِ»؛ وهي ثلاثون ميلاً منَ المدينَة[1].

وروى مسلم، وابن ماجه عن أبي الشعثاء قال: كنا قعوداً في المسجد مع أبي هريرة رضي الله عنه فأذن المؤذن، فقام رجل من المسجد يمشي، فاتبعه أبو هريرة ببصره حتى خرج من المسجد، فقال: أمَّا هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ[2].

* تَنْبِيْهٌ:

قد علمت من حديث أبي هريرة السابق، ومن أحاديث أخرى تقدمت أن الشيطان يدخل إلى المسجد ليوسوس للمصلين، ويفرق بين الذاكرين، وقد تظاهرت النصوص على أنه يحدث الحدث الأصغر والأكبر لمَا علمنا أنه يجامع وينزل ويضرط، فَلَنَا أن نعد من قبائحه دخول المسجد والمكث فيه وهو جنب، ودخوله وهو محدث، ودخوله لغير الصلاة بل للفتنة، وتحديث النفوس بحديث الدنيا، وغير ذلك.

فينبغي للعبد أن ينزه نفسه عن هذه الأمور لكونها من أفعال الشيطان، وإن كان بعضها مباحاً.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٣٧٣)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣١٦).

(٢) رواه مسلم (٦٥٥)، وابن ماجه (٧٣٣)، وكذا أبو داود (٥٣٦)، والترمذي (٢٠٤)، والنسائي (٦٨٣).

ولقد قال الغزالي في «الإحياء»: يكره دخول المسجد على غير وضوء[1].

ونقل عن سعيد بن المسيب، والحسن البصري أن المحدث كالجنب يمر في المسجد ولا يجلس، على أن اتخاذ المسجد ممراً مكروه.

وقال المتولي، والروياني من أصحابنا الشافعية: إن القعود في المسجد من غير غرض صحيح من انتظار صلاة، أو اعتكاف، أو قراءة، أو تعليم، أو موعظة، أو نحو ذلك مكروهٌ.

وقال غيرهما: مباح.

قلت: ومحل ذلك فيما لم تتمحض نيته من المكلف في دخول المسجد لأمر دنيوي كبيع أو شراء، أو تحدث مع إخوان في أمور الدنيا، فإذا تمحضت نيته لذلك كان مكروهاً قطعاً.

وروى ابن حبان عن ابن مسعود، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، عن أنس ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَأْتُوْنَ الْمَسَاجِدَ فَيَقْعُدُونَ فِيْهَا حِلَقاً ذِكْرُهُمْ الدُّنْيَا وَحُبُّ الدُّنْيَا؛ لا تُجَالِسُوْهُمْ، فَلَيْسَ لِلَّهُ بِهِمْ حَاجَةٌ»[2].

فإن قلت: فما يصنع بما رواه عبد الرحمن بن معقل: أنه قال:

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (١/ ٢٠٥).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٧٦١) عن ابن مسعود ﷺ، والحاكم في «المستدرك» (٧٩١٦) عن أنس ﷺ، كلاهما بلفظ نحوه.

كنا نتحدث أن المسجد حصن حصين من الشيطان[1]؟

والجواب: أن معناه: أن العبد المؤمن إذا دخل المسجد فإنما يدخله غالباً لصلاة، أو اعتكاف، أو ذكر، أو غير ذلك من الطاعات، ولذلك قال النبي ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيْمَانِ». رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم وصححه، عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه[2].

ومَنْ ذَكَرَ الله وأطاعه فقد تحصن من الشيطان، فلما كان دخول المسجد في حق المؤمن سبباً لدخول المؤمن في الذكر والطاعة التي هي الحصن حقيقة من الشيطان، أطلق على المسجد أنه حصن حصين من الشيطان.

ومثال من دخل المسجد واشتغل بشيء مكروه أو محرم مثال من دخل الحصن الحصين وفتح بابه للعدو المُلِحِّ في عداوته.

٦١ ـ ومن أخلاق اللعين: إنساء العبد أن يذكر ربه في شدائده وحاجاته، فيلقي في قلب العبد طلب الغوث والحاجة من العبد لما له من الجاه أو الكلمة أو القوة.

فمن استشارك في مهمة أو ملمة فأرشده أولاً إلى رفع حاجته

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٦١٣).

(٢) رواه الترمذي (٣٠٩٣) وحسنه، وابن ماجه (٨٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (٧٧٠).

إلى الله تـعـالى، واعتمـاده عليه، وانتظـار الخـير مـنه، ثم أشـر عـليه بما ترى.

وإياك أن تشير إليه أن يلجأ إلى متوجَّه أو متجَوِّه أو فاسق، فتكون من إخوان الشيطان إلا أن تشير عليه بمداراته أو الانتفاع به من حيث إنه مسخر، وتُعرِّفه بأنه لا فعل له وإنما هو مسخر، فإن حصل منه نفع فهو بتسخير الله تعالى إياه له، كما في تسخير فرعون لموسى عليه السلام حتى ربـِّي في حِجْرِهِ مكرماً، فكأن موسى عليه السلام يرى فرعون مسخراً له، فلذلك لم يحمله الحياء منه ووجود الصنيعة منه إليه على ترك مواجهته بالأمر والنهي في دعوته إلى الله تعالى وإرشاده إلى الحق، وكان فرعون يرى نفسه فاعلاً فامتن عليه بتربيتـه بقـولـه: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[الشعراء: ١٨ ـ ١٩].

ومن هنا كان المن من العبد قبيحاً محرماً محبطاً للثواب، وليس الشكر من حيث إنه يرى المنعم عليه غير الله هو الفاعل، كما ظنه فرعون، بل من حيث إنه محل وواسطة في إيصال النعم إليه، فلا تركن ولا تأمر أحداً أن يركن إلى غير الله تعالى إلا من حيث أمرُ الله تعالى، فتكون ذاكراً لله تعالى مذكِّراً به، غيرَ ناسٍ له ولا منسٍ عنه.

وقد ذم الله تعالى نسيانه، ونسب إنساءه على لسان أنبيائه إلى فعل الشيطان.

قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السـلام: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ

نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾[يوسف: ٤٢]؛ يعني: لساقي الملك، وهو أحد الفتيين اللذين استفتياه فيما رأياه في منامهما: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[يوسف: ٤٢].

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قال البغوي: وعليه الأكثرون ـ: أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه حتى ابتغى الفرَج من غيره، واستعان بمخلوق، وتلك غفلة عرضت ليوسف من الشيطان[1].

واستشكل هذا بعضهم بأن الشيطان ليس له على الأنبياء عليهم السلام سلطنة، فكيف يضاف نسيان يوسف عليه السلام إلى الشيطان؟

وأجيب بأن الأنبياء عليهم السلام إنما يعصمون عن النسيان فيما يبلغون عن الله تعالى فقط، وأمَّا في غيره فإذا وقع النسيان منهم حيث يحذر وقوعه فإنه ينسب إلى الشيطان إطلاقاً، وذلك فيما يخبر الله عنهم، ولا يجوز لنا نحن ذلك.

قال القرطبي: ونظير ذلك قول يوشع بن نون: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾[الكهف: ٦٣]، فنسب نسيانه لذكر الحوت لموسى عليه السلام إلى الشيطان[2].

والتحقيق في هذه المسألة: أن تسليط الشيطان على الأنبياء فيما يؤثر في طباعهم أو في أجسادهم من غير أن يزحزحهم عن الثبات

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٤٢٨).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٣/ ١١١).

تحت أعباء النبوة وعن التبليغ كما أمر، وألا يقدح في رُتَبِهم لأنهم يفيئون إلى الله تعالى في آخر أمرهم، وإنما يكون ذلك لمزيد الابتلاء؛ لأنهم أشد الناس بلاء كما تقدم.

وذلك كما أثر كلام الشيطان في نفس آدم عليه السلام حتى ذاق الشجرة، وقد كان شديد الحرص على أن لا يخالف أمر ربه.

وكما أثر في بدن أيوب عليه السلام حتى ابتلي بما لا مزيد عليه.

وكما أثر السحر في بدن رسول الله ﷺ وفي فكره حتى كان يخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله، وأنه أتى النساء وما أتاهن، حتى بعث الله تعالى إليه الملك فرقاه بالمعوذتين.

وكان حال يوسف عليه السلام حتى أنساه الشيطان ذكر ربه من هذا القبيل.

وروى الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: عثر يوسف عليه السلام ثلاث عثرات:

حين هم بها فسجن.

وقوله: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾، فلبث في السجن بضع سنين، وأنساه الشيطان ذكر ربه.

وقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾[يوسف: ٧٠][1].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٣٢٣)، وكذا الطبري في «التفسير» (١٢/ ٢١٣).

وروى ابن أبي حاتم، وابن المنذر، وابن مردويه في «تفاسيرهم» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللهُ يُوْسُفَ! لَولا الكَلِمَةُ الَّتِي قالَ: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾[يوسف: ٤٢] مَا لَبِثَ فِيْ السِّجْنِ مَا لَبِثَ»[١].

وروى ابن أبي الدنيا في «العقوبات»، وابن جرير الطبري، وأبو القاسم الطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ لَمْ يَقُلْ يُوْسُفُ الْكَلِمَةَ الَّتِي قالَ، ما لَبِثَ فِي السِّجْنِ طُولَ ما لَبِثَ»[٢]؛ حيث يبتغي الفرج من عند غير الله تعالى.

وروى الإمام أحمد في «الزهد»، والمفسرون عن الحسن رحمه الله تعالى قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: «رَحِمَ اللهُ يُوْسُفَ! لَوْلا كَلِمَةٌ مَا لَبِثَ فِي السِّجْنِ طُوْلَ مَا لَبِثَ؛ قَوْلُهُ: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾».

ثم يبكي الحسن ويقول: نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس[٣].

ويروي عن الحسن ـ أيضاً ـ رحمه الله تعالى قال: دخل جبريل على يوسف عليه السلام في السجن، فلما رآه يوسف عرفه فقال له:

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٧/ ٢١٤٨)، وكذا ابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٦).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٢/ ٢٢٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٦٤٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٨٠)، والطبري في «التفسير» (١٢/ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٧/ ٢١٤٨).

يا أخا المنذرين! ما لي أراك بين الخاطئين؟

فقال له جبريل: يا طاهر ابن الطاهرين! يقرأ عليك السلام رب العالمين، ويقول لك: أما استحييت مني إذ استشفعت بالآدميين؟ فَوَعِزَّتي لألبثنك في السجن بضع سنين.

قال يوسف: وهو في ذلك راض عني؟

قال: نعم.

قال: إذاً لا أبالي[1].

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن الحسن أيضاً قال: لما قال يوسف للساقي: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾[يوسف: ٤٢] قيل له ـ أي: قال الله له ـ: يا يوسف! اتخذت من دوني وكيلاً؟ لأطيلن حبسك، فبكى يوسف عليه السلام، وقال: يا رب! تشاغل قلبي من كثرة البلوى فقلتُ كلمة[2].

وبكاء يوسف عليه السلام لم يكن من الحبس، ولكن خوفاً منه أن يكون حبسه سخطاً، ولذلك سكن قلبه حين قال لجبريل: وهو في ذلك راضٍ عني؟ قال: نعم.

وإنما عوقب بالحبس على كلمة قالها مع شدة البلوى؛ لأن مثله لا يسامح في مثل ذلك لعلو رتبته، وارتفاع مقامه، فقد يكون من

---

(١) انظر: «شرح السنة» للبغوي (١٤/ ٢٩٩).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٧/ ٢١٤٩) عن الحسن البصري، ورواه الطبري في «التفسير» (١٢/ ٢٢٣) عن مالك بن دينار.

حسنات الأبرار ما هو من سيئات المقربين.

وروى ابن أبي شيبة، وعبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد»، وهؤلاء عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أوحى الله تعالى إلى يوسف عليه السلام: من استنقذك من القتل حين هم إخوتك أن يقتلوك؟

قال: أنت يا رب.

قال: من استنقذك من الجُبِّ إذ ألقوك فيه؟

قال: أنت يا رب.

قال: من استنقذك من المرأة إذ هممت بها؟

قال: أنت يا رب.

قال: فما لك نسيتني وذكرت آدمياً؟

قال: جزعاً، وكلمة تكلم بها لساني.

قال: فَوَعِزَّتِي لأخلِّدنك في السجن بضع سنين، فلبث فيه سبع سنين[1].

بيَّنَ في هذا الحديث وجه مؤاخذة يوسف عليه السلام، وهو عدم مطالعته هذه النعم ومراجعته هذه الفوائد، فلو نظر إليها دعاه النظر إليها إلى الاعتماد على من أعادها عليه وأسداها إليه دون المخلوقين، ولم يكن ذلك نقصاً في رتبته ولا تنزيلاً عن مقامه، بل ليظهر فيه مظهر مزيد الابتلاء الذي هو وصف الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ٨٠)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٧/ ٢١٤٩)

وقد كان ليوسف عليه السلام سلف صالح في الاعتماد على الله تعالى من حيث إن جده إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وعرض له جبريل، وقال له: هل لك حاجة؟

قال: أمَّا إليك فلا.

وقال عند ذلك: حسبنا الله ونعم الوكيل[1].

ومن حيث إن أباه أو عمه ابتلي بالذبح فسلَّم وصبر.

وكان مقتضى حبسه ومقامه أن لا ينظر إلى غير الله تعالى، فلما تعلق بتذكرة المخلوق للمخلوق ابتُلِي.

وقال الإمام فخر الدين الرازي في «تفسيره» عند الكلام على هذه الآية: والذي جربته من طول عمري أن الإنسان كلما عول في أمر من الأمور على غير الله تعالى صار ذلك سبباً للبلاء والمحنة، والشدة والرزيَّة، وإذا عول على الله ولم يرجع إلى أحد من الخلق حصل ذلك المطلوب على أحسن الوجوه.

قال: فهذه التجربة قد استمرت بي من أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت فيه إلى السابع والخمسين، فعند هذا استقر قلبي على أنه لا مصلحة للإنسان في التعويل على شيء سوى فضل الله تعالى وإحسانه[2].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٤٥).

(٢) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (١٨/ ١١٦).

قال ابن السبكي في «طبقاته» ـ وذكر هذا الكلام عن الإمام المذكور ـ: وما ذكره حق، ومن حاسب نفسه وجد الأمر كذلك، وإن فرض أحد عول في أمره على غير الله حصل له فاعلم أنه لا يخلو عن أحد رجلين:

إما رجل ممكور به والعياذ بالله.

وأما رجل يطلب شراً وهو يحسب أنه خير لنفسه، ويظهر ذلك بعاقبة ذلك الأمر، انتهى[1].

قلت: وهذا أمر جربته في أول العمر قبل أن أقف على كلام الإمام برهة من الزمان ثم استقر قلبي عليه، من ثم إلى الآن وأنا في الحادية والثلاثين من عمري.

ولقد قضيت العجب من الإمام كيف لم يستقر قلبه على ذلك حتى مر به هذه المدة الطويلة؟

وقال والدي في «تفسيره» حاكياً لكلام الإمام رحمه الله تعالى:

[من الرجز]

قَالَ الإِمَامُ وَالَّذِي جَرَّبْتُهُ ... فِيْ عُمُرِي كَلاًّ وَقَدْ حَقَّقْتُهُ

أَنَّكَ إِنْ عَوَّلْتَ فِيْ أَمْرٍ عَلَى ... غَيْرِ الإِلَهِ كَانَ أَصْلاً فِي الْبَلا

وَإِنْ عَلَى الإِلَهِ عَوَّلْتَ وَلَمْ ... تَرْجِعْ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا قَدْ أَلَم

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٨/ ٩٣).

يَحْصُلْ لَكَ الْمَقْصُوْدُ كـامِلاً عَلـى ... أَحْسَنِ ما يَكُـوْنُ يـا مَـنْ عَـوَّلا
قالَ وَقَدْ جَرَّبْتُ هَذا فِـي الزَّمـانْ ... مِنْ أَوَّلِ الْعُمْرِ إِلـى هَـذا الأَوانْ
قُلْتُ وَقَدْ جَرَّبْـتُ هَـذِي الْحالَـةْ ... مِنْ قَبْلِ أَنْ أَسْـمَعَ مـا قَـدْ قالَـهْ

ثم أقول: إن ما ذكره ابن السبكي على سبيل الفرض هذا حال أكثر الناس فعلاً لا فرضاً، وأكثرهم ممكور به، فيجري الله تعالى لهم العادة بحصول النفع أو الدفع بالخلق، فيتعلقون بهم في مهماتهم حتى لا يشهد بعضهم سواهم، وهم في ذلك على قسمين:

- منهم: من شهد النفع والدفع من نفسه كما قال قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾[القصص: ٧٨].

- ومنهم: من شهده ممن ينسب إليه أو يعول عليه كما قال قائلهم: ﴿لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ﴾[سبأ: ٣١].

ومن هنا: من فاته مطلوب يتأسف على ما فاته منهم لاعتباره إياهم وتعويله عليهم كما يقول القائل: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾[النساء: ٧٣].

٦٢ ـ ومن قبائح أخلاق الشيطان: حب الدنيا، والدرهم والدينار، وتحبيبها إلى الخلق.

روى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن يزيد بن ميسرة رحمه الله تعالى قال: قال عيسى بن مريم عليهما السلام: إن الشيطان مع الدنيا، ومَكْرُهُ مع المال، وتزيينه مع الهوى، واستكماله

عند الشـهوات[1].

وروى ابن أبي الدنيا عن ثابت البناني رحمه الله ـ مرسلاً ـ قال: لما بُعِثَ النبي ﷺ قال إبليس لشياطينه: لقد حدث أمر فانظروا ما هو، فانطلقوا ثم جاءوه فقالوا: ما ندري، قال إبليس: أنا آتيكم بالخبر، فذهب وجاء، وقال: قد بعث محمد ﷺ.

قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي ﷺ فينصرفون خائبين، ويقولون: ما رأينا قوماً قط مثل هؤلاء نُصيب منهم، ثم يقومون إلى صلواتهم فيمحى ذلك، فقال إبليس: رويداً بهم! عسى الله يفتح لهم الدنيا؛ فهناك تصيبون حاجتكم منهم[2].

وروى أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما ضرب الدينار والدرهم أخذه إبليس ووضعه على عينيه، وقال: أنت ثمرة قلبي وقرة عيني، وبك أكفر وبك أدخل النار، رضيت من ابن آدم أن يعبدني في حب الدينار والدرهم[3].

---

(١) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ٩٥)، وكذا أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٥٢)، وعندهما: «ابن حلبس» بدل «يزيد بن ميسرة»، وابن حلبس هو: يونس بن ميسرة بن حلبس.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (ص: ٢٣٠).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٢٨)، وعنده: «بحب الدنيا أن يعبدك» بدل «أن يعبدني في حب الدينار والدرهم».

* تَنْبِيْهٌ:

قال كعب رحمه الله تعالى: أول من ضرب الدينار والدرهم آدم عليه السلام، وقال: لا تصلح المعيشة إلا بهما[1].

وقال أبو هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «الدَّنَانِيرُ وَالدَّرَاهِمُ خَوَاتِيْمُ اللهِ فِيْ أَرْضِـهِ، مَنْ جَاءَ بِخَاتِمِ مَوْلاهُ قُضِيَتْ حَاجَتُهُ». رواه الطبراني في «الأوسط»[2].

فالدرهم والدينار إنما ضربا لإصلاح المعاش وقضاء الحوائج، ومن هذا الوجه هما من نعم الله تعالى على العباد، ولم يضربا للاكتناز والادخار حرصاً عليهما ومحبة لهما إلا من حيث لا يصرفان إلا في مصلحة، فإذا ادخرا للمصلحة فلا يضر، كما قيل: [من الوافر]

لَمَالُ الْمَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُغْنِي ... مَفَاقِرَهُ أَتَمُّ مِنَ الْقُنُوْعِ[3]

فأما حبهما لذاتهما أو ليصرفا في الهوى فهو الخلق الشيطاني، فأكثر الناس حملهم الشيطان على حبهما حتى آثروهما على أمر الله تعالى.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٠٤٢).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥٠٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣١٦): فيه أحمد بن محمد بن مالك بن أنس، وهو ضعيف.

(٣) البيت للشماخ بن ضرار، انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ١٦٨).

ومن هذا الوجه هما مذمومان لأنهما ينقلبان نقمتين على صاحبهما في الدنيا وفي الآخرة.

أما في الدنيا فإن من غلب عليه حب الدنيا والدرهم استولى على قلبه حتى يجتهد في تحصيلهما، ويتألم قلبه بصرفهما ومفارقتهما، فلا يصلح له بهما معيشة ولا تطيب له بهما عيشة، لا في طعام ولا في شراب ولا في غير ذلك من متاعات الدنيا.

وأما في الآخرة فإن غلبة حب الدرهم والدينار يحملان صاحبهما على منع الزكاة، ومنع الحقوق، وتضييع العيال، وعدم المبالاة بالعقوبة على ذلك، بل ربما أدَّى به الحال إلى القتل، والغصب، والسرقة، والربا، والرشاء، والمكس، والقمار، وأكل مال اليتيم وأموال الأوقاف، وغير ذلك، وإذا منع من الدنيا وقع في السخط والكفر والحسد، وتناول الأعراض طلباً لها وانكلاباً عليها، بل قد يطلبها بالدين والتزي بزي العلماء والصالحين، فهو هالك بها لا محالة.

ومن ثم قال رسول الله ﷺ: «دَعُوْا الدُّنْيَا لأَهْلِهَا؛ فَإِنَّ مَنْ أَخَذَ مِنَ الدُّنْيَا فَوْقَ مَا يَكْفِيهِ أَخَذَ حَتْفَهُ وَهُوَ لا يَشْعُرُ». رواه البزار عن أنس رضي الله تعالى عنه[1].

---

(١) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٦٣). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٩٠): رواه البزار من حديث أنس، وفيه هانىء بن المتوكل، ضعفه ابن حبان.

وروى البخاري، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّيْنَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيْصَةِ؛ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانتُكَسَ، وَإِذَا شِيْكَ فَلا انتقشَ»[1].

وروى الترمذي من حديثه: «لُعِنَ عَبْدُ الدِّيْنَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ»[2].

٦٣ ـ ومن قبائح أخلاق الشيطان: البخل، وحمل الناس عليه.

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: قال عيسى عليه السلام للحواريين: إن الشيطان يريد أن يبخلكم فلا تسقطوا في بخله؛ فإني سألت الله ﷻ أن يقويكم[3].

وروى البزار، والطبراني ـ وسنده حسن ـ عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قالَ الشَّيْطانُ لَعَنَهُ اللهُ: لَنْ يَسْلَمَ مِنِّي صاحِبُ المالِ مِن إِحْدَى ثَلاثٍ أُغْدُو عَلَيْهِ بِهِنَّ وَأَرُوْحُ: أَخْذِهِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، وَإِنْفاقِهِ فِيْ غَيْرِ حَقِّهِ، وَأُحَبِّبُهُ إِلَيْهِ فَيَمْنَعُهُ مِن حَقِّهِ»[4].

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٧٥) وحسنه.

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢١٠).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٨٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٤٥): إسناده حسن.

وروى ابن أبي الدنيا في «المكائد» عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إن الشيطان يريد الإنسان بكل ريدة، فإذا أعياه اضطجع في ماله ليمنعه أن ينفق منه شيئاً[1].

وقال حجة الإسلام في «الإحياء»: لقي يحيى بن زكريا عليهما السلام إبليس ـ لعنه الله ـ في صورته فقال له: أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك.

قال: أحب الناس إلي المؤمن البخيل، وأبغض الناس إلي الفاسق السخي.

قال: لم؟

قال: لأن البخيل قد كفاني بخله، والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله.

ثم ولى وهو يقول: لولا أنك يحيى ما أخبرتك[2].

وقد علم من ذلك أن الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل، أو يمدحون البخل والبخلاء ويحبونهم أشبهُ الناس بالشيطان الرجيم.

ولقد أساء ابن الرومي في قوله كما أنشده العسكري في «أمثاله» له: [من السريع]

---

(١) انظر: «تلبيس إبليس» لابن الجوزي (ص: ٤٧٦).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ٢٥٦).

لا تَلُـمِ الْمَـرْءَ عَلـى بُخْلِـهِ وَلُمْـهُ يـا صـاحِ عَلـى نَخْلِـهِ
لا عَجَبَ بِالْبُخْلِ مِنْ ذِي حِجًى يُكْـرَمُ مـا يُكْـرَمُ مِـنْ أَجْلِـهِ[1]

وقد عارضته فقلت، وعن الحق ما حلت راداً عليه، ومشيراً إليه: [من السريع]

لا تَلُـمِ الْمَـرْءَ عَلـى بَذْلِـهِ وَلُمْـهُ وَاعْتُبْـهُ عَلـى بُخْلِـهِ
وَلا تَقُـلْ مُعْتَـذِراً إِنَّـهُ يُكْـرَمُ مـا يُكْـرَمُ مِـنْ أَجْلِـهِ
ذُو الْمـالِ لا يُكْرِمُـهُ مُكْـرِمٌ إِلاَّ لِمـا يَـصْنَعُ مِـنْ بَذْلِـهِ
وَمَـنْ يَقُـلْ غَيْـرَ الَّـذِي قُلْتُـهُ فَـذاكَ لا شُـبْهَةَ فِـي جَهْلِـهِ
قَـدْ أَشْبَهَ الـشَّيْطانَ فِـي قَوْلِـهِ هَـذا فَحـاذِرْهُ وَفِـي فِعْلِـهِ
فَـاللهُ قَـدْ واعَـدَ أَهْـلَ النَّـدى بِالْفَـضْلِ وَالْغُفْـرانِ مِـنْ أَجْلِـهِ
فَكُـلُّ مَـنْ أَنْفَـقَ مِـنْ مالِـهِ أَمَـدَّهُ مَـوْلاهُ مِـنْ فَـضْلِهِ

ولا يخفى ما في ذلك من التلميح بقوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾[البقرة: ٢٦٨].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: اثنتان من الله تعالى، واثنتان من الشيطان؛ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾؛ يقول: لا تنفق مالك

(١) انظر: «الصناعتين» للعسكري (ص: ٤٢٨).

وأمسكه عليك؛ فإنك تحتاج إليه، ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ﴾ على هذه المعاصي ﴿وَفَضۡلٗا﴾ في الرزق. رواه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[1].

ومعنى يعدكم الفقر: يخوفكم بالفقر لئلا تنفقوا في وجوه الخير، فيلقي إلى الإنسان أنك إذا أكثرت من الصدقة وتوسعت في النفقة يقل ما بيدك، وتحتاج إلى أموال الناس فتسألهم منها، فيمنعونك ويعيرونك بفقرك.

ومن هذا القبيل قولهم: خلف لعدوك، ولا تحتج لصديقك.

والله ـ سبحانه وتعالى ـ قد أمرنا بالإنفاق ووعدنا بالخلف، فقال: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[سبأ: ٣٩].

وقال بعض العارفين: من كان في الله تلفُه، كان على الله خَلَفُه[2].

وفي التوراة: عبدي أنفق من رزقي أبسطْ عليك فضلي، وإن يدي مبسوطة على كل يد مبسوطة[3].

بل في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «قالَ اللهُ تَعالَى: عَبْدِي! أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»[4].

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ٨٨)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٥٣٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٣٦٤).

(٤) تقدم تخريجه.

وروى الطبراني عن ابن مسعود، والبزار عن أبي هريرة، وعن بلال رضي الله تعالى عنهم: أن رسول الله ﷺ قال لبلال رضي الله تعالى عنه: «أَنْفِقْ يا بِلالُ، وَلا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلالاً»[1].

والأمر بالإنفاق والإطماع في فضل الله تعالى خُلُقٌ من أخلاق الله تعالى، وأخلاق رسول الله ﷺ.

والأمر بالإمساك وعدم الإنفاق خشية الفقر والإملاق خُلُقٌ من أخلاق الشياطين والفساق.

وروى الأستاذ أبو القاسم القشيري عن حمدون القصار رحمه الله تعالى قال: إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة أشياء: رجل مؤمن قتل مؤمناً، ورجل يموت على الكفر، وقلب فيه خوف الفقر[2].

* تَنْبِيهٌ:

روى أبو نعيم عن يحيى بن معاذ الرازي قال: قال ذو النون رحمه الله تعالى: حقيقة السخاء أن لا يلوم البخيل في منعه إياك لوماً

---

(1) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٢٠)، والبزار في «المسند» (١٩٧٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

و الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٩٨)، والبزار في «المسند» (١٣٦٦) عن بلال رضي الله عنه.

(2) رواه القشيري في «رسالته» (ص: ٣٠٤).

لأنك إنما لمته واشتغلت به لوقوع ما منعك في قلبك، ولو هان ذلك عليك لم تشغل بلومه، ثم أنشأ يقول: [من الطويل]

كَرِيمٌ بِصَفْوِ الْماءِ لَيْسَ بِـباخِلٍ ... بِشَيْءٍ وَلا مُهْدٍ مَلاماً لِباخِلِ[1]

قلت: وهذا لا يمنع من ملام البخلاء على البخل من حيث هو، إنما يذم العبد على ملام البخيل من حيث بخله عليه ووقوع ما منعه إياه في قلبه، وهذا علامة الحرص في القلب.

وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[التوبة: ٥٨].

فأما لو لامه على بخله على غيره، أو على مطلق البخل فإنه خلق كريم.

وقلت: [من الكامل]

لا تَسْخَطَنَّ عَلى الْبَخِيْلِ لِمَنْعِـهِ ... إِيَّـاكَ إِنْ تَـسْخَطْ فَإِنَّـكَ أَبْخَـلُ

بَلْ كُنْ لِوَصْفِ الْبُخْلِ أَقْوى كارِهٍ ... إِنَّ الْبَخِيْـلَ مُـذَمَّمٌ لا يَنْبُـلُ

٦٤ ـ ومن أخلاق الشيطان ـ وهو من جنس ما تقدم ـ: النهي عن الصدقة لمن تطلب منه الصدقة لا سيما الزكاة.

وقد يتفق اللوم في هذا الزمان على أبناء الزكاة ممن غلب على قلوبهم حب الدنيا حتى آثرها على الله تعالى على أمره، فيقول لولده أو

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٩١).

لقريبه أو رفيقه: إن رأس مالك قليل لا يحتمل أن تتصدق منه، وربما سماه مبذراً أو مبذرقاً، وهذا كله من أخلاق الشيطان الرجيم.

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[البقرة: ٤٣].

والشيطان يأمر بخلاف ذلك، وكلمة الشح مطاعة وإن كانت شيطانية.

وقد روى الإمام أحمد، وابن خزيمة في «صحيحه»، وابن جرير، والحاكم وصححه، والبيهقي عن بريدة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مَا يُخْرِجُ رَجُلٌ شيئاً مِنَ الصَّدَقَةِ حَتَّى يَفُكَّ عَنْهُ لَحْيَي سَبْعِيْنَ شَيْطَاناً»(١).

وروى ابن أبي شيبة، والبيهقي عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: ما خرجت صدقة حتى يفك عنها لحي سبعين شيطاناً؛ كلهم ينهى عنها(٢).

وقلت في المعنى: [من البسيط]

إِنَّ الكَرِيْمَ الَّذِي يَجْرِي التَّصَدُّقُ مِنْ ... عاداتِهِ أَبَداً سِرّاً وَإِعْلانا

لَهُوَ الكَرِيْمُ الَّذِي ما مِثْلُهُ بَطَلٌ ... بِقَهْرِهِ النَّفْسَ مَعْ سَبْعِيْنَ شَيْطانا

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٥٠)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٤٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (١٥٢١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٤٧٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٩٨١٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٤٧٥).

واعلم أن الشياطين الذين يبعثون على المتصدقين أعتى الشياطين وأشدهم كما رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ إِبْلِيْسَ يَبْعَثُ أَشَدَّ أَصْحابِـهِ وَأَقْوَى أَصْحابِـهِ إِلَى مَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوْفَ فِيْ مالِهِ»[1].

* **تَنْبِـيْهٌ:**

قد يتفق من الشيطان الترغيب في الصدقة، والإشادة بها لا لذاتها ولا لحصولها، ولكن ليتوصل إلى غرض من أغراضه الفاسدة.

وكذلك حكم من يأمر بالصدقة والزكاة، ويرشد إليها ليحصل له منها شيء، لا لنفع إخوانه الفقراء، ولا ليثاب المعطي، وقد كان أحبار يهودَ يأمرون بني إسرائيل بصرف الزكاة، ويرغبونهم فيها، ثم كانوا يجمعون الزكاة ويكنزونها.

وقال الثعلبي في «العرائس»: أخبرنا أبو يزيد الثقفي عن ابن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول: تبدى إبليس لقارون في بُدُوِّ أمره، وكان قارون قد أقام في جبلٍ أربعين سنة يتعبد حتى شهر عنه ذلك وعلا أمره في العبادة على بني إسرائيل حتى لم يقم أحد منهم مقامه في العبادة، فحسده إبليس ـ لعنه الله تعالى ـ وبعث إليه شياطينه ليفتنوه عن تلك العبادة فلم يقدروا عليه،

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٥٣٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٤٥): فيه عبدالحكيم بن منصور، وهو متروك.

فأتاه إبليس بنفسه ودخل عليه، وجعل يتعبد معه وقارون يقهره بعبادته، فقال له إبليس: يا قارون! قد رضينا بهذه العبادة وما نحن فيه، أفلا نعود مريضاً لبني إسرائيل، ونشهد لهم جنازة؟

قال قارون: نعم، فأخذ إبليس قارون من الجبل بعد ما كان قد مكث فيه أربعين سنة، فلما أخذه تمكن منه.

فقال إبليس: يا قارون! قد رضينا بهذه العبادة وما نفعله، أفلا نكتسب في الجمعة يوماً ونتعبد بقية الجمعة ونعطي السائل؟

قال قارون: نعم.

قال: فاكتسبوا يوماً، وتعبدوا بقية الجمعة.

ثم قال إبليس: يا قارون! ما نتعبد يوماً ونكتسب يوماً نتصدق ونعطي السائل؟

قال قارون: نعم.

قال: فاكتسبا يوماً وتعبدا يوماً.

قال: فلما فتح إبليس على قارون باب التكسب، وأفسد عليه عبادته انصرف عنه وغاب، وانفتحت على قارون أبواب الدنيا حتى أفسدت عليه دينه فكان من الهالكين[1].

٦٥ ـ ومن أعمال الشيطان: التبذير والإسراف، والأمر بذلك.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ٢٦٢).

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦ ـ ٢٧].

قال الإمام الوالد في تفسير هذه الآية: [من الرجز]

إِنَّ الْمُبَـذِّرِيْنَ كـانُوا إِخْوانـا ... مِثْلَ الشَّياطِيْنِ وَكانُوا خِلاَّنا

وَأَصْـدِقاءَ لَهُـمُ أَوْ تَبَعـا ... فَـإِنَّ مَـنْ بَـذَّرَ أَوْ مَـنْ ضَـيَّعا

مالَـهُ فِـيْ مَعْـصِيَةٍ أَوْ سَـرَفِ ... يُـشْبِهُهُمْ فِـي شَـرِّهِ أَوْ تَلَـفِ

وروى [الطبراني] ـ ورواته ثقات ـ عن أبي العبيدين قال: سألت عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه عن قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، فقال: هو النفقة في غير حقه[1].

وروى الحاكم وصححه، عن يحيى بن الحرار قال: جاء أبو العبيدين إلى عبدالله ـ وكان رجلاً ضريراً ـ فكان عبدالله يعرف له، فقال: يا أبا عبد الرحمن! من نسأل إذا لم نسألك؟

قال: فما حاجتك؟

قال: ما الأَوَّاه؟

قال: الرحيم.

قال: فما الماعون؟

قال: ما يتعاون الناس بينهم.

قال: فما التبذير؟

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٠٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٠): رواته ثقات. وعنده: «حق» بدل «حقه».

قال: إنفاق المال في غير حقه.

قال: فما الأُمَّة؟

قال: الذي يعلم الناس الخير[1].

وروى البخاري في «الأدب المفرد»، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في «الشعب» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ﴾[الإسراء: ٢٧]؛ قال: هم الذين ينفقون المال في غير حقه[2].

وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد رحمه الله تعالى قال: لو أنفقت مثل أبي قبيس ذهباً في طاعة الله لم يك إسرافاً، ولو أنفقت صاعاً ـ أي: من شعير ونحوه ـ في معصية الله كان إسرافاً[3].

وقيل لبعضهم: لا خير في السرف، فقال: لا سرف في الخير[4].

وروى البيهقي في «الشعب» عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: ما أنفقت على نفسك وأهل بيتك في غير سرف ولا تبذير، وما تصدقت فلك، وما أنفقت رياء أو سمعة فذلك حظ الشيطان[5].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٣٧٥).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٤٥)، والطبري في «التفسير» (١٥/ ٧٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٥٤٧).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٥/ ١٣٩٩)، وكذا الطبري في «التفسير» (١٩/ ٣٧).

(٤) هو حاتم الطائي، كما في «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٩٨).

(٥) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٥٤٨).

* **تنبيهان:**

الأَوَّلُ: ذكر النووي، وغيره أنه يقال: أنفق في الخير، وأما في الشر فيقال: غرم وخسر.

قلت: هذا في الغالب، ومن غير الغالب ما نقلناه عن ابن مسعود، وابن عباس، وعلي، ومجاهد رضي الله عنهم.

الثَّانِي: البخل والتقتير تفريط، والإسراف والتبذير إفراط، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

وهما من أعمال الشيطان، والقصد بين الطرفين هو السنة في كل مقام، ولذلك قال مطرف: عمل المؤمن حسنة بين السيئتين[1].

وقال رحمه الله: خير الأمور أوساطها. رواه البيهقي في «الشعب»[2].

وروى الإمام أحمد، والحاكم وصححه، والبيهقي في «السنن» عن بريدة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ هَدْياً قَاصِداً؛ فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّيْنَ غَلَبَهُ»[3].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[الإسراء: ٢٩].

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٨٨٨)، والطبري في «التفسير» (١٩/ ٣٨).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٦٠١).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (١١٧٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ١٨).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾[الفرقان: ٦٧].

قال عمر مولى عفرة رحمه الله تعالى: القوام أن لا تنفقوا في غير حق، ولا تمسك من حقٍّ هو عليك[١].

وقال يزيد بن مرة الجعفي رحمه الله تعالى: العلم خير من العمل، والحسنة بين السيئتين؛ يعني: ﴿إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾، وخير الأمور أوساطها. رواهما ابن جرير[٢]، وسبق الأخير عن مطرف رحمه الله تعالى.

❐❐❐

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١٩/ ٣٩)، وكذا ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٧٢٧).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٩/ ٣٨).



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

تابع

(٦)

بَابُ

التشبه بالنبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

(٧)

بَابُ
ذِكْرِ أَخْلَاقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

القِسْمُ الثَّانِي مِنَ الكِتَابِ
فِي النَّهْيِ عَنِ التَّشَبُّهِ بِمَنْ وَرَدَ النَّهْيُ عَنِ التَّشَبُّهِ بِهِم، وَالنَّهْيِ عَن طُرُقِهِم

النَّوْعُ الأَوَّلُ مِنَ القِسْمِ الثَّانِي
فِي النَّهْيِ عَنِ التَّشَبُّهِ بِالشَّيْطَانِ، لَعَنَهُ اللهُ تَعَالَى،

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

